أحياء القاهرة القديمة

وآثارها الإسلامية

«حي باب البحر»

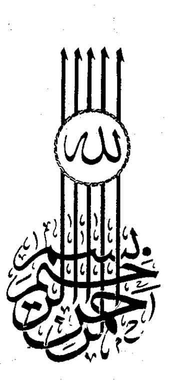
الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب٢٣٠
ت :٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣

أحياء القاهرة القديمة
وآثارها الإسلامية
"حى باب البحر"

الدكتور محمد الجهينى
مدرس الآثار الإسلامية ـ كلية الآداب
جامعة جنوب الوادى



إهداء

* إلى والدى الحبيبين

متعهما الله بالصحة والعافية

* إلى أستاذى الفاضل

عالم الآثار الإسلامية الجليل

الأستاذ الدكتور / حسن الباشا

متعه الله بالصحة والعافية

المقدمة

يعد تاريخ الخطط وإنشاؤها ، وتطورها ، وتتبع معالمها وآثارها بالوصف والتدوين من الأمور الهامة فى تاريخ الحضارات ، ورغم الأهمية التى تمثلها دراسة مثل هذه الموضوعات ، فإن الأبحاث التى صدرت عنها قليلة جدا .

ومن بين الباحثين المصريين الذين تناولوا موضوعات الخطط بالدراسة والوصف الباحثة Nelley Hanna التى تناولت حى بولاق ودوره الحضارى خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، وصدرت دراستها عن المعهد الفرنسى عام ١٩٨٣ م تحت عنوان :

An Arban History of Bulaq in the Mamlok and Ottoman Beriods.

وقامت الباحثة Doris Abou Seif بعمل دراسة عن حى الأزبكية صدرت أيضا عن المعهد الفرنسى عام ١٩٨٥م تحت عنوان :

Azbakiyya and its Environs From Azbak to Ismail .

وتناول الباحث محمد حسام الدين حى الدرب الأحمر دراسة حضارية ومعمارية تسجيلية ، حصل بها على درجة الماجستير فى الآثار من كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط .

وأخيرًا : صدرت دراسة عن التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية (الفسطاط ـ العسكر ـ القطائع) منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر الفاطمى ، قام بها الباحث محمود الحسينى ، ونال بهذه الدراسة درجة الدكتوراه فى الآثار من قسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة .

ومن ثم فإن دراسة هذه الموضوعات لازالت بكرا ، وتستحق تسليط مزيد من الضوء عليها ؛ كى ينجلى غموضها ، وينكشف مكنون عظمتها خلال العصور المتلاحقة التى مرت بها .

وقد لاحظ العالم الجليل أستاذى الفاضل الدكتور حسن الباشا مدى أهمية دراسة مثل هذه الموضوعات ، فعمل على توجيه أنظار تلامذته إلى تناول مثل هذه الموضوعات عند تسجيلهم لدرجاتهم العلمية .

ومن الأسباب التى دعتنى إلى الكتابة عن هذا الموضوع ما يلى :

١ ـ كان يربط بين البر الشرقى للقاهرة ـ حيث القصور الفاطمية ـ وبين البر الغربى الذى كان فى ذلك الوقت ميناءً هاما للقاهرة ، وقد تم الربط بين البرين عن طريق قنطرة كان قد أنشأها جوهر القائد سنة ٣٦٠ هـ ، عندما أحس بخطر القرامطة الذى أصبح وشيك الوقوع .

٢ ـ ضم الحى فى نهايته من الجهة الغربية منظرة خاصة بجلوس الخلفاء عند قدومهم لمشاهدة الأسطول أثناء رحيله لمحاربة الإفرنج،أطلق عليها منظرة المقس.

٣ ـ كان لهذا الحى ـ خلال العصور المتلاحقة ـ نشاط تجارى ملحوظ ، فقد انتشرت بداخله الأسواق التى ظهرت فى هذه المنطقة كنتيجة طبيعية لوجود الميناء المقسى عند نهاية هذا الحى . واستمرارية هذه الأسواق خلال العصرين المملوكى والعثمانى جاء نتيجة طبيعية لما امتاز به الحى من نشاط حرفى وتجارى كبير .

٤ ـ امتاز الحى بوجود عدد كبير من الحرفيين ، ودراسة نشاطهم أمر حضارى له أهميته .

٥ ـ اشتمل الحى على تنوع معمارى كبير ، فوجد بداخله الزاوية ، والمسجد ، والسبيل ، والمنزل . . . إلخ ، ودراسة هذه العمائر تلقى الضوء على ما كانت تؤديه هذه المنشآت من دور حضارى .

وقد واجهتنى صعاب جمة عند إعدادى لهذا البحث ، تمثلت هذه الصعاب فى ميدانين تلازم كل منهما تلازم وجهى العملة .

أما الميدان الأول ـ والذى أقصد به الجانب الأكاديمى ـ فقد انحصرت الصعوبات فى ضرورة قراءة المصادر المختلفة ـ سواء مطبوعة أو مخطوطة ـ والتى تؤرخ للفترة موضوع البحث ؛ بغية الوصول إلى معلومات تفيد فى توضيح بعض الأمور المبهمة التى تكتنف موضوع البحث ، وكم كانت فترة قراءة هذه المصادر شاقة ومضنية ؛ إذ إن قراءة مصدر عن آخره كانت لا تعطى أكثر من شذرات بسيطة عن الموضوع ، باستثناء كتاب المقريزى ، الذى أمد البحث بمعلومات وفيرة ساعدت على رسم صورة واضحة لأبعاد الموضوع .

ومن هذه المصادر (المخطوطة) :

ابن أبى السرور البكرى (١٠٠٥ ـ ١٠٨٧ هـ) : قطف الأزهار من الخطط والآثار، ويرجع تاريخ نسخ هذا المخطوط إلى عام ١١٣٤ هـ ، وهو عبارة عن ١٩٨ ورقة ، مقاس ١٦ × ٢٣ سم ، تحمل رقم (٤٥٧ ـ جغرافيا) بدار الكتب المصرية.

وقد أفادت المخطوطة فى معرفة بعض المعلومات المتعلقة بجامع المقس وما حدث به

منذ ذكره المقريزى ، وحتى ولاية الوزير على باشا الصوفى أمر مصر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة (١٥٦٣ م) فضلا عن بعض المعلومات الأخرى المتعلقة بالخليج المصرى .

أما المصادر المطبوعة فكانت كثيرة ، منها :

١ ـ **المقريزى** : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ت٨٤٥)، ورغم أن المقريزى يؤرخ للعصور المختلفة التى مرت بمصر حتى العصر الذى عاش فيه ، إلا أن اعتماده على المصادر الأصلية المتعلقة بالفترة الفاطمية جعلته يروى أخبار هذه الفترة وكأنه شاهد عيان لها . ومن المصادر التى استعان بها : المسبحى ، وابن زولاق . . . وغيرهم ، ومن ثم جاء مؤلفه عن الخطط بمثابة نقطة الارتكاز الأساسية لهذا البحث .

٢ ـ **القلقشندى** : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، وقد أفاد الجزء الثالث من هذه الموسوعة فى بيان تقسيم القاهرة خلال العصر الفاطمى ، وبصفة خاصة الجزء المتعلق بموضوع البحث ، ونعنى به القسم الغربى من القاهرة .

٣ ـ **أبو المحاسن بن تغرى بردى** : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، وقد أفاد هذا المصدر فى توضيح حدود الحى ـ موضوع الدراسة ـ من خلال التحقيقات القيمة التى قدمها محققه ، والتى كان موضعها حواشى الكتاب .

٤ ـ **السخاوى** : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)، وقد أفاد هذا المصدر فى إمداد البحث بالتراجم الخاصة بالأشخاص الذين كانت لهم منشآت داخل حى باب البحر ، ومنهم : الشيخ مدين الأشمونى ، والشيخ أحمد الزاهد ، والسيدة خوندمغل زوجة السلطان الظاهر جقمق .

٥ ـ **ابن إياس** : بدائع الزهور فى وقائع الدهور (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) ، وقد أمدنا هذا المصدر الهام ، خاصة الجزء الثالث منه بالتاريخ الذى قامت فيه خوند مغل بتشييد جامع الشيخ مدين .

أما المراجع العربية الحديثة ، فقد أمدت البحث ببعض المعلومات التى خدمت البحث من جوانب عديدة ، ومن هذه المراجع :

١ ـ **حسن الباشا** : وله دراسات عديدة أفادت إفادة كبيرة فى إمداد البحث بكم وفير من المعلومات ، فيما يتعلق ببعض الألقاب الواردة بالكتاب ، وتأسيس القاهرة ، ومن أهم مؤلفات سيادته :

أ ـ الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار .

ب ـ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (٣ أجزاء) .

جـ ـ مدخل إلى الآثار الإسلامية .

د ـ دراسات فى الحضارة الإسلامية .

هـ ـ القاهرة ، تاريخها وفنونها وآثارها (مشترك) .

٢ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ،وقد اعتمد البحث عليه فيما يتعلق بتخطيط المنشآت الدينية فى العصر العثمانى .

ـ المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مقال بمجلة المجلة، عدد ٢٧مارس١٩٥٩م.

ـ القباب المخرمة ، مقال بكتاب تكريم كريزول .

٣ ـ حسن قاسم : المزارات الإسلامية ، والآثار العربية فى مصر والقاهرة . ويشتمل هذا المرجع على دراسة خاصة بمسجد أحمد الزاهد ومن دفن بداخله ، إلى جانب دراسة عن جامع سيدى مدين ، وأيضا دراسة عن جامع أحمد العريان الذى يعود للعصر العثمانى ، وقد كان هذا المرجع من المراجع الهامة التى أمدت البحث بالمعلومات الغامضة المتعلقة بهذه الآثار .

٤ ـ حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، مخطوط ، رسالة دكتوراه . وقد أمدت هذه الرسالة البحث بمعلومات وفيرة عن تخطيط المدرسة فى العصر المملوكى وتأصيل نظامها ، فضلا عن تأصيل العناصر المعمارية الأخرى التى تميز هذه المنشآت فى العصر المملوكى .

أما المجال الثالث الذى تطرق إليه البحث فى الجانب الأكاديمى ، والذى كان بمثابة الركيزة الأساسية التى توصلنا من خلالها إلى المعلومات الجديدة المتعلقة بدور الحى الحضارى خلال العصور المختلفة هو « الوثائق وسجلات المحاكم الشرعية » ، وكم كان البحث فى هذا الجانب شاقا ومضنيا ، تمثلت صعوبته فى الزيارات العديدة والمتكررة لدور الوثائق المختلفة المتمثلة فى : وزارة الأوقاف بالقاهرة ، ودار الوثائق القومية بالقلعة ، وسجلات الشهر العقارى . وكذلك فإن قراءة هذه الوثائق ومحاولة تتبع سير الخطوط أمر كانت له صعوبته .

والحمد لله أولا وآخرا ؛ إذ تمكنت من قراءة كم لا بأس به من وثائق الفترة المملوكية والعثمانية ، وسجلات المحاكم الشرعية ، أثرت الكتاب ثراءً كبيرا فى المعلومات الجديدة المتعلقة ببعض الفترات ـ موضوع البحث ـ حيث بلغ عددها أكثر من مائة وثيقة .

أما المراجع الأجنبية التى اعتمد عليها البحث ، فمنها :

1 - Creswell ,(K.A.C):Origin of the Cruciform plan of Cairene Madrasas , Le Caiire , 1922 .

وقد أوضح هذا المؤلف أصل تخطيط النظام المتعامد الذى قامت عليه معظم المدارس العصرية ، والتى تمثلت فى حى باب البحر فى مسجد سيدى مدين الأشمونى .

The Muslim Architecture of Egypt (Ikhshids and Fatimids) , Oxford , 1952 .

The Muslim Architecture of Egypt , Vol . Ii. Oxford , 1959 .

وقد أفاد هذان المرجعان فى تبيان بعض الأمور المتعلقة بالقناطر التى كانت على الخليج ، والتاريخ الذى ردم فيه الخليج ، وكذلك فى توضيح ما بلغته العمارة الإسلامية فى العصر المملوكى البحرى من ازدهار ساعد على تبيان تطور عناصر العمارة الإسلامية ، والتى اعتمدت عليها عمائر العصر الجركسى الذى تمثله منشأة سيدى مدين .

2 - Abou Seif , (Doris): Azbakiyya and its Environs from Azbak to Ismail , Le Caiire , 1985 .

وفى هذا البحث قدمت الباحثة دراسة أفادت البحث إفادة كبيرة عن الجانب الغربى للخليج فى العصر المملوكى والأحياء التى تمت فى هذه الجهة بعد الفتح العثمانى .

3 - Hautecaeur , (Louis) , et Wiet , (Gaston):Les Mosquiees de Caire , Baris , 1932 .

ويشتمل هذا المرجع على دراسة للعناصر المعمارية التى سادت عصر المماليك الجراكسة ، هذا فضلا عن الصور والتخطيطات التى أفادت البحث فى المقارنات إفادة كبيرة، خاصةً تأصيل العناصر المعمارية .

وأما الجانب الميدانى فقد شمل زيارات ميدانية متكررة للحى ، ودراسته من حيث محتوياته الحالية ، ودروبه وأزقته وحاراته وما تحويه منشآته ،ومحاولة إرجاع كل منشأة لعصرها ؛ كى تتم دراستها وفق التقسيم المعد لها ، والقيام بتوصيفها توصيفا دقيقا رغم الحالة السيئة التى عليها هذه الآثار ، ومحاولة التقاط الصور الفوتوغرافية لها والتى تدعم تلك الدراسة ، ولم تقتصر الزيارات على هذا الحى فقط، وإنما تعدته إلى أحياء القاهرة المنتشرة داخلها ، والتى تحتوى على آثار تتشابه مع آثار العصرين المملوكى والعثمانى التى يحتفظ الحى بها ـ كمحاولة لتبيان أصول العمارة التى تمتاز بها العمائر الموجودة داخل هذا الحى الهام .

وتناول الكتاب هذين الجانبين على امتداد ثلاثة أبواب كاملة :

الباب الأول : وقد خصصته لدراسة العوامل التى ساعدت على نشأة هذا الحى ، وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : العامل الطبيعى ، والذى يتمثل فى نهر النيل والخليج المصرى الذى يقع الحى بينهما ، فضلا عن الخلجان الأخرى التى شقت فى العصر المملوكى ، والقناطر التى ساهمت فى نقل حركة العمران إلى هذا الحى .

أما الفصل الثانى : فيشمل العامل التجارى ، وقد أوضحت دراسة هذا العامل أن نشاط ميناء المقس التجارى فى العصر الفاطمى قد ساعد على جذب العمران إليها فانتشرت بها الأسواق ، وكذلك المنشآت .

أما الفصل الثالث : فيشمل العامل الحربى ، وتمثل هذا العامل فى خطر القرامطة فى العصر الفاطمى وخطر الصليبيين فى نهاية العصر ، وبداية عصر الأيوبيين ، وقد ساعدت هذه الأخطار على توجيه انتباه الحكام إلى تحصين حدود حى باب البحر ، مما ساعد على جذب العمران إلى منطقة باب البحر .

أما الباب الثانى : فقد خصصته لبيان دور الحى الحضارى ، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ويحمل عنوان : دور الحى الصناعى ، وهو يعالج دور الحرفيين الذين قطنوا هذا الحى منذ العصر الفاطمى وحتى نهاية العصر العثمانى .

أما الفصل الثانى : فيحمل عنوان : دور الحى التجارى ، وهو يعالج التجارة والأسواق التى انتشرت داخل الحى منذ العصر الفاطمى وحتى العصر العثمانى .

أما الفصل الثالث : ويحمل عنوان : دور الحى الاجتماعى ، وهو يعالج الدور الاجتماعى للحى ، متمثلا فى نشاط منشآته التى تتصف بالناحية الاجتماعية مثل : الأسبلة ، الحمامات ، المقاهى ، المحاكم ... إلخ .

ويأتى بعد ذلك ، **الباب الثالث :** والذى يحمل عنوان : المنشآت المعمارية ، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ويحمل عنوان : منشأة سيدى مدين ، وفيه تناولت ترجمة الشيخ مدين ، وترجمة خوندمغل زوجة الظاهر جقمق منشئة المسجد ، وموقع المنشأة ، والوصف التفصيلى للمنشأة ، وتحليل للعناصر المعمارية التى تميزها .

أما الفصل الثانى : فقد خصصته لدراسة منشأة أحمد العريان ، وفيه ترجمت

للمنشئ وبينت موقع المنشأة بالنسبة للحى ووصفتها وصفا معماريا دقيقا ، ثم تحليل عناصر عمارتها .

أما الفصل الثالث : ويحمل عنوان : الآثار الدارسة ، وفيه تناولت الآثار الدارسة التى ورد ذكرها فى المصادر والحجج الشرعية ـ والتى تعود للعصرين المملوكى والعثمانى ـ بالوصف والتحليل .

هذا ، وقد أنهيت الكتاب بخاتمة لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج جديدة ، بيد أنى لم أقصد من تعداد الصعاب التى واجهتنى أثناء إعداد هذا الكتاب أن أبين للقارئ قدر هذا الجهد الذى بذل فى التأريخ لهذا الحى الهام خلال العصور المتعاقبة التى مرت عليه ، فهذا أمر متروك لأفقه وسعة تقديره ، وإنما قصدت أن ألتمس منه سعة الأفق ورحابة الصدر فيما عسى يظنه موضعا للنقد .

والله أسأل أن أكون قد وفقت ،وإلا فعساى أنى قد حاولت .

وعلى الله قصد السبيل ،،

د . محمد الجهينى

الباب الأول

عوامل نشأة الحى

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : العامل الطبيعى.

الفصل الثانى : العامل التجارى .

الفصل الثالث : العامل الحربى والتطور العمرانى .

الفصل الأول

العامل الطبيعى

كانت منطقة باب البحر - موضوع الدراسة - عند الفتح الإسلامى لمصر سنة ٢٠هـ/ ٦٤١م قرية واقعة على شاطئ النيل الشرقى، وكانت هذه القرية تسمى بأم دنين[١].

وكان يحدها النيل من الغرب ، والخليج من الشرق . وإزاء هذه الأهمية التى انفرد بها الموقع دون القاهرة - والذى لاقى إعجاب الخليفة المعز لدين الله [٢]. عندما دخل القاهرة ووجدها بلا ساحل - حزن الخليفة ولام قائده جوهر[٣] لعدم اختطاطه القاهرة فى موقع منطقة باب البحر [٤] .

وقد أطلق على هذه المنطقة فى تلك الفترة اسم المكس ؛ نظرا لأن صاحب المكس أو العاشر كان يجلس بها ، ثم قلبت الكاف إلى قاف ، فأصبحت تنطق المقس أو المقسم بالميم بعد السين ؛ وذلك لأن قسمة الغنائم كانت تتم فى هذا الموضع[٥] .

وقد أرجع أحد الكتاب الأوربيين اسم المقس إلى أنه مشتق من الاسم الرومانى مكسيس[٦] . غير أن التفسير السابق - والذى أورده المقريزى - أقرب من حيث اللغة .

ونظرا لما كانت تتمتع به منطقة باب البحر من طبيعة ساحرة ، تمثلت فى وجود نهر النيل والخليج بحديها الشرقى والغربى ، فضلا عن انتشار الأشجار والبساتين بها ، فقد ساعد ذلك على ارتيادها من قبل الحكام - فى العصر الطولونى - وقد سجل لنا البلوى

---

(١) المقريزى ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ، (ت ٨٤٥ هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع ، جـ٢ ، ص١٢١ .

(٢) دخل الخليفة المعز لدين الله مدينة القاهرة سنة ٣٦٠ هـ ، واستمر حاكما لها حتى سنة ٣٦٢ هـ .

(٣) ولد جوهر بجزيرة صقلية إحدى جزر الدولة الرومانية ، ومن هنا جاءت نسبته بالصقلى .

انظر : على إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، مطبعة حجازى ، الطبعة الأولى، ١٩٣٣م ، ص١٧ ، ١٨ .

(٤) أورد لنا المقريزى نص هذا الموقف ، حيث ذكر أن المعز قال لقائده عندما وجد موقع القاهرة بلا ساحل لم يعجبه ذلك وقال له : يا جوهر، فاتتك عمارتها هاهنا - يريد المقس أو باب البحر فيما بعد . انظر : المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ١ ، ص١٦٤ ، تحقيق : جمال الشيال ، ١٩٤٨م .

(٥) المقريزى : الخطط جـ٢، ص١٢١ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، القاهرة ، ١٩٢٢م ، ص٨ ، ٩ .

(6) Margoliouth (D.S) : Cairo ,Jerusalleum , and Damascus , London , 1907 , P.21 .

نزهة أحمد بن طولون على ساحل باب البحر ، ولقاءه للصياد الذى كان جالسا على شاطئ النيل للصيد [1] ، وهذه الرواية توضح أن هذه المنطقة كان يرتادها الخاصة والعامة على السواء .

واستمرت منطقة باب البحر طيلة العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ـ ١١٧١م) منتزها للخلفاء والأمراء ؛ حيث شيدت بها المناظر المختلفة ، والتى وصلنا منها منظرتان : إحداهما تعرف بمنظرة المقس ، والأخرى بمنظرة الدكة ، وذلك على ساحل باب البحر والتى كان يقصدها الخلفاء أثناء قيامهم بكسر الخليج ، أو توديع الأسطول الخارج للقاء الأعداء .

ويمكن تحديد موقع باب البحر اليوم بالمنطقة التى يقع فى طرفها الغربى جامع أولاد عنان [2] ، وتمتد إلى حى قنطرة الدكة [3] ، وتمتد شرقا إلى حى الخليج المصرى ، ومن الجنوب إلى حى الفوطية وحى سويقة الزلط ، وحى الخراطين ، ومن الشمال بشوارع الطمبلى والطواشى والشمبكى وبين الحارات [4] .

وظلت تلك المنطقة تعرف بالمقس ، حتى قام السلطان صلاح الدين الأيوبى بتشييد باب يطل على النيل ، وذلك فى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م فى نهاية السور الشمالى الغربى للقاهرة ، وقد أطلق على هذا الباب اسم باب البحر ، نظرا لأنه كان يطل على النيل ، كما كان يطلق عليه اسم باب المقس ؛ وذلك لوقوعه أيضا فى قرية المقس السابق تحديدها[5] ، ومن ثم فقد صار يطلق على تلك المنطقة أرض المقس ، أو أرض باب البحر حتى يومنا هذا .

ومما يؤكد أن أرض المقس هى نفسها أرض باب البحر ما ذكره المقريزى فى خططه أثناء حديثه عن باب البحر عند زيادة النيل ، فيذكر أن نهر النيل قد بلغ فى زيادته إلى

---

(١) البلوى ، أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى : سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد على ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٣٥٨ هـ ، ص١٩٣ .

(٢) هو جامع المقس الذى شيده الخليفة الحاكم بأمر الله على النيل سنة ٣٩٣ هـ ، وقد أطلق عليه جامع أولاد عنان نسبة إلى الشيخ محمد بن عنان الذى كان يقيم به فى بداية العصر العثمانى سنة ٩٢٨ هـ ، وقد هدم هذا الجامع على يد الفرنساوية عندما دخلوا مصر .

انظر: على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ،الطبعة الثانية من طبعة بولاق ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، جـ٤ ، ص١٢٧ ، ١٢٨ ، جوامع القاهرة .

(٣) هى المنطقة الواقعة عليها مستشفى صيدناوى الآن بحى الجمهورية .

(٤) ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن دار الكتب جـ٢ ، ص٥٣ ، ٥٤ ، حاشية (٧) .

(٥) عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ، حرف (ب) ، ص١٩ .

ثمانية عشر ذراعا ، ذلك فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون ، وهذه الزيادة سد فيها باب المقس المعروف بباب البحر عند المقس [1] .

كما أن حجج العصر المملوكى والعثمانى التى تصف بعض المنشآت بحى باب البحر تذكر أنها تقع بخط المقسم المبارك بامتداداته الثلاث ودروبه المتعددة . وبالبحث تبين أن هذه المنشآت كانت تقع فى حى باب البحر أو دروبه المتفرعة منه والمكونة لهذا الحى [2].

ونخلص من ذلك إلى أن خط المقس هو نفسه حى باب البحر ـ موضوع الدراسة ـ الممتد من بداية حى الجيش ـ فى مواجهة حى أمير الجيوش أمام القنطرة التى أنشأها جوهر القائد سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠ م فوق الخليج ؛ ليعبر من فوقها إلى أرض المقس كضرورة حربية ـ إلى أن يلتقى مع حى كلوت بك ، ويدخل ضمن هذا الحى الدروب والأزقة المتفرعة منه .

هذا ، وقد ساعد على نشأة العمران بهذه المنطقة ثلاثة عوامل هى: العامل الطبيعى، العامل التجارى ، العامل الحربى ، وإليك البيان :

العامل الطبيعى :

من المعروف أن للبيئة أثرا لا يمكن إغفاله فى تكييف النشاط البشرى ، ومنها يستمد منطق التاريخ . والمؤرخون الذين يدرسون تاريخ الحضارات لا يمكن أن يغفلوا أثر البيئة وظروفها فى فهم التطور الحضارى فهما صحيحا .

وقد اجتمع فى موقع المقس مصدران للمياه وقع عليهما مهمة إمداد الإنسان بما يحتاجه من مياه ومواد لازمة للبناء والتى كانت تنقل بواسطتهما ، وهذان المصدران هما نهر النيل من الغرب ، والخليج الكبير [3] من الشرق [4] .

ولكى نتبين تأثير نهر النيل على العمران بباب البحر ، نشير إلى الأماكن التى ازدهر العمران بها وقت أن كان النيل يمر بها قبل مروره بباب البحر ، فقد أدى النيل إلى نشأة أول قاعدة للبلاد المصرية ، ونعنى بها مدينة الفسطاط ، التى اختطها المسلمون بعد الفتح الإسلامى سنة ٢١ هـ ، وبلغ طولها على ضفة النهر ثلاثة أميال ، فقد كان لها ميناء على

---

(١) المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص١٢٤ .

(٢) وثيقة (٢٢١ / القلعة) باسم بدر الدين الونائى ، (٤٢٥ / أوقاف) ، (٢٧٨ / أوقاف) .

(٣) كان يخرج هذا الخليج من النيل ، وكان يمتلئ بالمياه وقت زيادة النيل ، فيمد القاهرة باحتياجاتها من المياه ، كما كان يستخدم لنقل البضائع ، وفى حالة عدم فيضان النيل ، فإن هذا الخليج كان يبقى جافا إلى أن يجود النيل بمياهه .

(٤) عطيات عبد القادر حمدى : جغرافية العمران ، دار المعارف ، ١٩٦٤م ، ص٩٨ .

النيل زادت أهميته بعد أن حفر عمرو بن العاص الخليج الذى صار يصل النيل بالبحر الأحمر عند القلزم أو السويس [1].

هذا، وقد ظلت الفسطاط مقرا للإمارة حتى بنيت مدينة العسكر فى سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م فى عهد الأمير أبى عون ـ ثانى ولاة العباسيين فى مصر ـ فانتقل إليها أمراء مصر[2].

وبعد أن تحول النيل عن الفسطاط ، وأصبح يمر بمنطقة باب البحر ، فإن ذلك قد شجع الخلفاء والأمراء والسلاطين على ارتياد هذا الموقع وإنشاء المناظر ، والمساجد ، والأسواق ، والوكالات ، والفنادق بداخله ، فقد غدا ميناء هامًا للقاهرة إلى جانب ميناء الفسطاط ؛ مما زاد من الحركة التجارية للقاهرة عامة وباب البحر خاصة .

وهذه الأهمية التى اكتسبتها منطقة باب البحر ـ نتيجة مرور النيل بأرضها ـ زادها انتشار الأسواق والمنشآت التجارية ، والمناظر ، والمساجد إلى جانب كونها ميناء عسكريا ترحل منه سفن الأسطول الذى كان يخرج لملاقاة أى خطر قادم ؛ حيث كان يخرج الخليفة بنفسه لتوديعه ، والدعاء له بالنصرة والسلامة ، إلى جانب اشتمالها على دار صناعة السفن التى أولتها الحكومة ـ فى ذلك الوقت ـ جل اهتمامها ؛ نتيجة حرصها الشديد على أن يكون هناك أسطول خاص بمصر يكبح جماح أى اعتداء على أراضيها .

وإذا كان مرور النيل بهذا الموقع قد أكسبه هذه الأهمية ، فإن تحول النيل عنه قد أفقده كذلك أهميته ليعطيها لموقع آخر ، ونعنى بهذا الموقع « بولاق » التى قامت بنفس دور موقع المقس التجارى ، والحربى ، ويتمثل هذا العامل فى حركة النيل .

وإذا اتخذنا من الفتح الإسلامى نقطة بداية، فإننا نجد أن النيل كان يعطى ترسيبا للطمى بطيئا إلى حد ما ، واستمر كذلك حتى منتصف القرن العاشر الميلادى ، فيما عدا منطقة الفسطاط التى كان فرعها فى هذه الفترة قد سد تماما بالطمى ، وسرعان ما أصبح ميناء الفسطاط نفسه غير ذى نفع ، ومع استمرار ترسيب الطمى، انتهى الأمر بأن اقترب فرع الروضة من الجفاف كذلك، وذلك فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وفى أقصى القاهرة كان تراجع النيل نحو الغرب شديد الوضوح ، وفى هذه المنطقة كان ترسيب الطمى بدرجة غير عادية[3]. وأدى ذلك فى القرون: الثانى عشر والثالث عشر والرابع

(١) حسن الباشا : قبل أن تكون القاهرة ، مقال فى كتاب : القاهرة : تاريخها ، فنونها ، آثارها ، القاهرة ١٩٧٠م، ص١٧ .

(٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، مكتبة وهبة ١٩٦٤م ، ص١١ ، وحسن الباشا: المرجع السابق ، ص١٨ .

(٣) أندريه ريمون : فصول من تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر العثمانى ، ترجمة : زهير الشايب ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص٨ .

عشر إلى أن أصبحت المقس ممتلئة تماما بالطمى ، وبطل استخدامها كميناء للقاهرة منذ ذلك الحين [١] .

وقد عمل سلاطين مصر منذ ذلك الحين على إيجاد حل لهذه المشكلة التى أوجدها تحول النيل عن المقس ، فنرى صلاح الدين الأيوبى يقوم ـ عندما وجد الجزر الرملية ما بين باب البحر وشاطئ النيل كثيرة ـ بالاجتماع بمستشاريه الذين أشاروا عليه بإقامة الجراريف لرفع الرمال التى قد عارضت جزائرها طريق الماء وسدته ووقفت فيه ، غير أن هذا الاقتراح لم يتم تنفيذه [٢] .

وقد أراد صلاح الدين من هذا الإجراء إعادة الوظيفة التى كان يقوم بها الميناء ؛ كى يمد القاهرة التى غدت مركزا لإمبراطورية قوية فى الشرق[٣] بكل ما تحتاج إليه من مستلزمات ، وكذلك للمساهمة فى تحصين القاهرة من خطر الغزاة .

ولم يغفل سلاطين المماليك أمر المقس ، فنجد أن أحد الأمراء المنتسبين إلى الظاهر بيبرس ، ويدعى شمس الدين الذكر الكركى ، يقوم بحفر خليج أطلق عليه خليج الذكر نسبة إليه . وكان هذا الخليج يخرج من النيل ويمر عند الدكة إلى أن يصب فى الخليج الكبير ، وقد شيدت فوق هذا الخليج قنطرة أنشأها الأمير بدر الدين التركمانى[٤]، وذلك بعد إنشاء الخليج الناصرى الذى دخل هذا الخليج ضمن مجراه .

كما أن الناصر محمد بن قلاوون قد قام بمحاولة أخرى لشق خليج يخرج من فرع النيل إلى أن يصب فى الخليج الكبير ، ومنه إلى خانقاهه وقصره بسرياقوس[٥] ، وقد خدم شق هذه الخلجان الحركة العمرانية خدمة بالغة ، كما سهل مهام التجار فى نقل بضائعهم سواء من الريف أو من خارج القطر .

وهذا الاهتمام بشق الخلجان أمر أولاه سلاطين المماليك بالغ اهتمامهم ؛ لحرصهم الشديد على تيسير الأمور على أصحابها ، ومن ناحية أخرى نلمس فى شق الخلجان بهذه

---

(1) Margoliouth : Op. Cit ., p . 21 .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٤ .

(3) Lanepoole, (Stanley) : Art of The Saracens in Egypt , London , 1986 , p.10.

(٤) ترجم المقريزى لهذه الشخصية فى خططه فقال عنه : إنه كان شادا ثم ترقى فى الخدمة حتى ولى الجيزة ، وتقدم فى الدولة الناصرية ، فولى شاد الدواوين ، والدولة فى تلك الفترة ليس لها وزير ، فاستقل بالتدبير مدة، ومات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، وله من المنشآت بخط المقس جامع . وصفه المقريزى بأنه مليح البناء، انظر : المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣١٣ .

(5) Hanna,(Nelly):An Arban History of Bulaq in The Mamlok and Ottoman periods , Annales Islamalogigues Chaier No . 3,Le Caire , 1983 , p.34 .

الجهة الدعوة إلى العمران والامتداد بالقاهرة نحو هذه الجهة .

وقد بدأ العمل فى حفر الخليج الناصرى فى جمادى الأولى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م وأنجز فى جمادى الآخرة من العام نفسه ، أى بعد حوالى شهرين من بداية العمل ، وقد تولى القيام بهذا العمل الأمير سيف الدين أرغون نائب السلطنة بديار مصر فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، الذى أخذ على عاتقه جمع المهندسين وأرباب الخبرة كى يقوموا بتنفيذ هذا العمل . ونزل إلى شاطئ النيل ، وأخذ يتجول فى النيل إلى أن وصل بالمراكب إلى موردة البلاط (١) من أراضى بستان الخشاب ، واجتمع رأى المهندسين على أن هذا الموضع أوطأ مكان يمكن أن يحفر ، فاعتبروا فم الخليج من موردة البلاط ، وحددوا خط سير هذا الخليج الجديد ابتداء من هذه الموردة ، ثم يسير إلى أن يصل إلى البستان الظاهرى (٢). بعد ذلك يمر إلى بركة قرموط (٣) حتى ينتهى إلى ظاهر باب البحر، ويمر من هناك على أرض الطبالة ويصب فى الخليج الكبير .

وقد أطلع نائب السلطنة السلطان على ما قرره ، فأصدر له الأمر بالبدء فى العمل ، فأعطى هذا النائب أوامره لسائر أمراء الدولة بإحضار الفلاحين من البلاد الجارية فى إقطاعاتهم ، وكتب إلى ولاة الأعمال بجمع الرجال لحفر الخليج ، فلم تمض سوى أيام قلائل حتى حضر الرجال ، فنزل النائب إلى موقع العمل ، وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط ـ حيث فم الخليج ـ إلى أن يصب فى الخليج الكبير ، وألزم كل أمير من الأمراء بعمل أقصاب فرضت له .

وفى سبيل إتمام هذا العمل الضخم تم هدم العديد من الدور والمنشآت التى كانت تعترض خط سير الخليج ، وأعطيت أثمانها إلى ملاكها ، وأنجز العمل فى شهرين ، وجرى الماء فى الخليج عند زيادة النيل فأنشأ الناس عدة أسواق ، وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها فسر السلطان لذلك ، وقويت رغبة الناس فى العمارة على حافتى الخليج، فعمر ما بين المقس وساحل النيل ببولاق ، وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من

---

(١) هذه الموردة كانت واقعة على شاطئ النيل ، وتمتد من النقطة التى يتقابل فيها كورنيش النيل بحى الدكتور حندوسة إلى كوبرى الخديوى إسماعيل .

انظر : عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا المائية عبر التاريخ ، المكتبة الثقافية ، ص١٨ ، حاشية (١).

(٢) كان هذا البستان ميدانا أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، ثم حوله الناصر محمد بن قلاوون إلى بستان عظيم ، وهذا الميدان كان واقعا فى النقطة التى تحد اليوم من الشرق بحى الحوياتى ومن الشمال بحى قصر النيل، ومن الغرب بحى مريت ،ومن الجنوب بحى البستان . انظر: المرجع السابق نفسه ، حاشية (٢).

(٣) هذه البركة كان موقعها فيما بين اللوق والمقس ، وعرفت ببركة قرموط نسبة إلى أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية . ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٩، ص٩١ ، حاشية (٤).

أول موردة البلاط إلى حيث يصب فى الخليج الكبير بأرض الطبالة . وتنافس الناس فى السكنى هناك ، وأنشؤوا الحمامات والمساجد والأسواق [(١)] .

وقد صار هذا الخليج موطن أفراح ومنازل لهو ومغنى صبابات وملعب أتراب ، ومحل تيه وقصف فيما يمر فيه من المراكب ، وفيما عليه من الدور [(٢)] . غير أن هذا الإجراء الذى قام به الناصر محمد لإعادة النشاط إلى منطقة باب البحر كان حلا جزئيا ؛ نظرا لأن هذا الخليج لم يكن يمتلئ بالماء طوال العام ، حيث كان الماء يصله وقت فيضان النيل ، فإذا ما قل النيل عن الوفاء فإن النتيجة الحتمية لذلك جفاف هذا الخليج ، وعلى هذا فإن انتعاش باب البحر تجاريا كان انتعاشا جزئيا [(٣)] فى هذه الفترة .

ويعتبر حفر هذا الخليج من أهم المشروعات التى تمت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون بهذه المنطقة ؛ حيث أدى ذلك إلى زيادة الإقبال على العمارة والبناء فى هذه المنطقة عامة وحى باب البحر خاصة ، ومما زاد من حركة العمران على جانبى هذا الخليج إنشاء عدة قناطر ، ما وصلنا منها حسب رواية المقريزى[(٤)] خمسة قناطر ، ما خدم العمران منها بالمقس ثلاثة هى : انظر الخريطة ، شكل (١) .

١ ـ قنطرة الكتبة :

يقول المقريزى عن هذه القنطرة : إنها شيدت على الخليج الناصرى بخط بركة قرموط جنوب المقس ، وعرفت بهذا الاسم ؛ لأن أعدادا كثيرة من الكتاب كانوا يقطنون فى هذا الموقع ، وقد أنشأ هذه القنطرة القاضى شمس الدين عبد الله بن أبى سعيد بن أبى السرور الشهير بغبريال بن سعيد ناظر الدولة فى عهد الناصر محمد ، وقد أشاد المقريزى بما رآه من عمائر بعد إنشاء هذه القنطرة [(٥)] .

٢ ـ قنطرة المقس :

هذه القنطرة على خليج فم الخور ، وهو الذى يخرج من بحر النيل ، ويلتقى مع الخليج الناصرى عند الدكة فيصيران خليجا واحدا يصب فى الخليج الكبير ، وقد كان موضع هذه القنطرة جسرا يستند عليه الماء إذا بدأت الزيادة إلى أن تكتمل أربعة عشر ذراعا

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٤٥ ، وابن أبى السرور البكرى (١٠٠٥ ـ ١٠٨٧ هـ) : **قطف الأزهار من الخطط والآثار** ، مخطوط محفوظ بدار الكتب تحت رقم (٤٥٧ ـ جغرافيا) ورقة ١٥٤ .

(٢) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(3) Hanna , (Nelly): Op . Cit ., p.4 .

(٤) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢،ص١٤٥ ، و عبد الرحمن عبد التواب :المرجع السابق ،ص ١٧ ، ١٨ .

(٥) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

فيفتح ، ويمر الماء فيه إلى الخليج الناصرى وبركة الرطلى [١] . فلما كانت وزارة الصاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى فى أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين (٧٧٨ ـ ٧٨٣هـ / ١٣٧٦ ـ ١٣٨١م) أنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به ، واتصلت العمائر بجانب الخليج من حيث يبتدئ إلى أن يلتقى مع الخليج الناصرى [٢] .

٣ ـ قنطرة باب البحر :

هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل إليها من باب البحر ، ويمر الناس من فوقها إلى بولاق ، وقد أنشأها الناصر محمد بن قلاوون عندما انتهى من حفر الخليج فى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤ م ، وقد كان موضعها فى القديم غامرا بالماء عندما كان جامع المقس مطلا على النيل ، فلما انحسر الماء عن بر القاهرة صار ما أمام باب البحر رملة ، فإذا وقف الإنسان عند باب البحر رأى البر الغربى لا يحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره. وأثناء زيادة النيل كان الماء يغمر باب البحر حيث كانت تختلط الأراضى خارج باب البحر بأراضى اللوق ، فتغرس بها الأشجار فى ذلك الوقت ، مما جعل المنطقة مليئة بالأشجار والبساتين . وبقى موضع هذه القنطرة جرفا ورمى الناس عليه التراب ، فصار كوما يشنق عليه أرباب الجرائم ، ثم نقل ما هنالك من تراب ، وتم إنشاء هذه القنطرة مكان هذا الجرف ، ثم سارع الناس إلى عمارة هذا المكان [٣] .

ويعتبر جامع المهاميزى أول بناء يتم إنشاؤه فى غرب هذه القنطرة ، ثم تتابع الناس فى العمارة والبناء حتى انتظم ما بين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضا ، وما بين منشأة المهرانى[٤] ومنية السيرج طولا ، وصار ما بجانبى الخليج معمورا بالدور ومن ورائها البساتين والأسواق والحمامات والمساجد وانقسمت الطرق ، وتعددت الشوارع وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن[٥] .

---

(١) سميت بهذا الاسم لأنه كان فى شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير وشخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الأرطال .

انظر : المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

(٢) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٥٠ ، الخريطة التى توضح جانب الخليج الغربى فى العصر المملوكى، شكل (١) .

(٣) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٥١ .

(٤) كانت المساحة الواقعة بين الجزيرة والفسطاط فضاء لا يعلوه الماء إلا فى زيادة النيل ، وهذه المساحة تقع بين آخر الفسطاط وهذه الجزيرة على فوهة خليج القاهرة حيث السد الذى يفتح عند فيضان النيل ، وهذا المكان يعرف بمنشأة المهرانى ، وكان عبارة عن كوم يحرق فيه الطوب الأحمر يعرف بالكوم الأحمر ، وأول من ابتدأ العمارة فيه بلبان المهرانى فى دولة الظاهر بيبرس فنسبت المنشأة إليه .

انظر : القلقشندى، أبو العباس أحمد (ت٨٢١ هـ) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٢، ص٣٣٩.

(٥) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١٥٠ .

ومما لا شك فيه أن شق هذا الخليج بالإضافة إلى المحاولات التى قام بها بعض الأمراء فى شق خليج فم الخور ، وخليج الذكر قد أكسبت الموقع ميزة عمرانية انفرد بها عن غيره من المواقع ، وأصبحت علما خاصا بالموقع أدت إلى ارتياد الخاصة والعامة لها ، مما ساعد على اضطراد العمران والتجارة على جانبى هذه الخلجان ، وقد أشرنا فيما سبق إلى خليج الذكر ونشأته .

أما الخليج المسمى بفم الخور فقد كان عبارة عن قناة يمر بها الماء ليصل إلى البستان المقسى المواجه لمنظرة اللؤلؤة ، وقام الملك الكامل فى العصر الأيوبى بتوسيع هذه القناة ، وصار يطلق عليها اسم خليج الخور ، وكان يخرج هذا الخليج من بحر النيل ويصب فى الخليج الناصرى ليقوى جرى الماء فى هذا الخليج ويزيده (١) .

وقد تبقى لنا من أشكال هذه القناطر التى شيدت فى عصر الظاهر بيبرس قناطر خليج أبو المنجا (٢) والتى قام بإنشائها الأمير عز الدين أيبك بإيعاز من السلطان بيبرس ، وكان ذلك فى عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦ م ، وهى عبارة عن مجموعة من العقود المدببة مبنية من الأحجار تكون فى مجموعها طريقا يمكن السير عليه (٣) . وقد قام السلطان قايتباى بتجديد هذه القناطر فى عام ٨٩٢ هـ ، وإن كان كريزول يستند إلى بعض النصوص التى تنفى ذلك (٤)، ومهما كان الأمر فإن ما يعنينا فى هذا المقام هو شكل هذه القناطر وطريقة إنشائها بين ضفاف الخليج ، وهذا ما نشاهده فى قناطر خليج أبى المنجا .

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن دور النيل ، والخلجان التى حفرت فى مواجهة موقع المقس ، والتى ساهمت فى اضطراد العمران لهذا الموقع ، والمواقع فى شرق المقس ، والذى ساهم فى امتداد العمران جهة الغرب من القاهرة ، حيث شيدت فوقه عدة قناطر ساعدت على نقل حركة العمران إلى هذه الجهة من القاهرة . ولكى نتبين ذلك نتحدث عن نشأة هذا الخليج ودوره العمرانى للمقس .

نشأة الخليج الكبير :

كان هذا الخليج هو المصـدر الأساسى للمياه بالنسبة لمدينـة القاهرة ـ أثناء فيضان

---

(١) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٤٤ .

(٢) ينسب هذا الخليج إلى أبى المنجا الذى أشرف على حفره فى عهد الأفضل شاهنشاه بن بدر الدين الجمالى ، وذلك فى سنة ٥٠٦ هـ . انظر :

Creswell ; (K.A.C.) : The Works of Sultan Bibrs Al Bundaqdiri in Egypt , Le Caire , p.143 .

(3) Creswell , Ibid , p.145 .

(4) Creswell , Ibid , p . VII .

النيل ـ وقد أطلق عليه الخليج المصرى تمييزا له عن الخلجان الأخرى (١) .

ويحدثنا المقريزى عن نشأة هذا الخليج فيقول : إن الذى قام بحفره أحد ملوك منف ويدعى طوطيس بن ماليا (٢) ، وذلك قبل الإسلام ، وعندما حضر إبراهيم الخليل إلى مصر أهداه هذا الملك السيدة هاجر ، فلما تركها إبراهيم مع ابنها وحيدين فى الحجاز ، استغاثت بالملك فحفر لها هذا الخليج ليحمل إليها فيه الطعام (٣) .

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر قام بتجديد حفر هذا الخليج بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان السبب فى ذلك هو المجاعة التى حدثت فى الحجاز والتى تعرف بعام الرمادة ، فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى واليه عمرو بن العاص فى مصر يسأله القوت ، ويقول له : « إنه قد ألقى فى روعى أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل فى البحر ، فهو أسهل لما تريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة » (٤) .

وأما تاريخ حفره فكان فى سنة ٢٣هـ / ٦٤٣ ، ٦٤٤ م ، وفرغ منه فى ستة أشهر ، وجرت السفن فى الخليج ووصلت إلى الحجاز فى الشهر السابع ، وظلت التجارة تحمل إلى الحجاز عن طريق هذا الخليج حتى بعد زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ثم أهملته الولاة وطغت عليه الرمال . حتى أمر الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى بردم هذا الخليج ليقطع عن الحجاز الطعام ، وذلك عندما ثار عليه بها محمد بن عبد الله أحد أحفاد علىّ من بنى الحسن سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٥ م (٥) ، وانقطع من ذلك الحين اتصال الخليج ببحر القلزم (٦) .

وقد لقى هذا الخليج عناية من حكام مصر خلال العصور المتعاقبة ، حيث إننا نستنتج من قيام القائد جوهر بإنشاء قنطرة فوق الخليج سنة ٣٦٠ هـ ـ ليعبر من فوقها إلى المقس ـ أن هذا الخليج كان يقوم بوظيفته فى ذلك العصر ، مما يؤكد عناية السابقين به ، ويبدو

---

(1) Russell , (Dorothea) : Medievl Cairo and The Manasteries Of the Wadi Natrun , London , 1962 , p.279 .

Lamplough , (A.O.) , and Francis , (R) : Cairo and its Environs , London , 1909 , p.125 .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٣٩ .

(٣) محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م، ص١٣٠ .

(٤) محمد حمدى المناوى : المرجع نفسه ، ص١٣٩ ، وابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها ، (طبع ليدن) ، ١٩٢٢م ، ص١٦٣ .

(٥) محمد حمدى المناوى : المرجع نفسه ، ص١٢ .

(٦) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٤٠ .

كذلك أن هذا الخليج قد لاقى بعض الإهمال خلال العصر الفاطمى مما كان ينتج عنه قيام بعض الحكام والأمراء بتطهيره ، ويمكن أن نفهم ذلك من خلال ما ذكره ناصر خسرو على حفر هذا الخليج فيذكر : « ... ويرى السائر خارج المدينة (القاهرة) ناحية الغرب ترعة كبيرة تسمى الخليج حفرها والد السلطان الذى يعتقد أنه الخليفة الفاطمى الظاهر ابن الحاكم»[١]، وهذا خطأ بيِّن ؛ إذ ربما يكون قد قام بتطهيره فقط بعد أن تكاثرت به القاذورات فهو محفور منذ زمن .

كما قام المأمون بن البطائحى بتطهيره سنة ٥٠٢ هـ فى وزارة الأفضل شاهنشاه بن بدر الدين الجمالى وزير المستعلى بالله الفاطمى[٢] . وظل هذا الخليج موضع عناية الخلفاء والسلاطين على اعتباره أحد المواقع المائية التى تحمى المدينة حتى سنة ١٨٩٧م عندما قامت شركة الترام بردم هذا الخليج ، وأجرت فيه أحد خطوط الترام [٣]. وقد عرف هذا الخليج بعدة أسماء منها : خليج مصر ، وخليج أمير المؤمنين بعد فتح عمرو بن العاص لمصر ، ثم الخليج الحاكمى ؛ لاعتقاد العامة أن الحاكم هو الذى أمر بحفره ، وهذا غير صحيح ، ثم خليج اللؤلؤة نسبة إلى منظرة اللؤلؤة التى شيدت على حافة هذا الخليج الشرقية [٤] . وعندما أنشأ جوهر القائد مدينة القاهرة بجانب هذا الخليج الشرقى صار يعرف باسم خليج القاهرة .

وكان لهذا الخليج أثره المباشر على مدينة القاهرة وقت أن أنشأها القائد جوهر ، فوقوع المدينة على الخليج قد ساعد فى عمرانها ، نتيجة توافر المياه به وتسهيل جلب المواد اللازمة للبناء عن طريق المراكب التى تستخدم الخليج كطريق مائى يربط بين النيل والقاهرة.

ومن الدلالات العمرانية التى ساهم فيها الخليج بالنسبة لمدينة القاهرة اشتمالها على أسوار مرتفعة ، قسمت داخلها الأخطاط للجند ، وشيد بها الجامع الأزهر ، فضلا عن تشييد القصور المخصصة للخليفة وحرمه وحاشيته ، فضلا عن وجود بعض الأسواق التى

---

(١) ناصرى خسرو : سفر نامه ، ترجمة : يحيى الخشاب ، ص٥٠ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣، ص٣٠٢ ، والمقريزى : الخطط ، جـ٣ ، ص٢٢٤ ، والسيوطى (جلال الدين) : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة الموسوعات بالقاهرة ، ١٣٢٧ هـ ، جـ٢، ص٢٠٤ .

(٣) محمد كمال السيد : أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص٤٧ . وانظر :

Margoliouth ; Op.Cit ., p.19. Creswell : The Muslim Architecture Of Egypt (Ikhshids and Fatimids) . Oxford , 1952 , p . 23 .

(4) Lamp lough : Op . Cit .,p. 125 .

تقوم بخدمة هذه المدينة [١] ، والتى ساهم أيضا الخليج فى إمدادها باحتياجاتها من السلع أو المواد الغذائية التى كانت تنقل بواسطته إلى أسواق القاهرة .

ولم يقتصر دور الخليج على عمران الجانب الشرقى منه ، وإنما أثر كذلك على الجانب الغربى من القاهرة ، حيث قام القائد جوهر بإنشاء قنطرة فوقه أطلق عليها قنطرة باب القنطرة ؛ حيث إنها كانت فى مواجهة الباب الذى كان مفتوحا فى السور الشمالى الغربى للقاهرة ؛ ليعبر من فوقها إلى منطقة المقس ـ التى اختط بها باب البحر فيما بعد ـ ليوجه بذلك انتباه الخلفاء من بعده إلى ضرورة الاهتمام بهذه المنطقة وسرعة امتداد العمران إليها؛ لما تمتعت به من مميزات طبيعية ، وأيضا لتأمين القاهرة عن طريق السيطرة على هذا الثغر.

وقد شيد فوق هذا الخليج أربعة عشر قنطرة ، لا شك أنها ساهمت فى اضطراد العمران جهة الغرب من القاهرة ، ومن هذه القناطر التى شيدت فوق الخليج المصرى فى مواجهة المقس . انظر الخريطة شكل (١) .

١ ـ قنطرة باب القنطرة :

وقد شيدت هذه القنطرة على الخليج ، كأول عمل معمارى يتم فى العصر الفاطمى عقب فتح جوهر لمصر ، وكان سبب بنائها ربط القاهرة بالميناء المقسى الذى كان يخشى دخول القرامطة منه[٢] ، وذلك فى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٢ ـ ٩٧٣م ، وكان يقع على هذه القنطرة باب أخذ اسمه منها ، فكان يسمى باب القنطرة نسبة إليها ، وكانت هذه القنطرة مرتفعة بحيث تمر المراكب من تحتها ، ولكن هذا الارتفاع قد قل واقترب من أرض الخليج ـ على زمن المقريزى ـ بطريقة لا تمكن المراكب من العبور من تحتها ، وموقع هذه القنطرة يمكن تحديده عند المكان المسمى بالخرنفش . وكانت هذه القنطرة نقطة البداية فى عمران المقس ، كما ساهمت هذه القنطرة فى إمداد القصور الفاطمية بما تحتاج إليه من متطلبات تجلب من المقس حيث سهلت عبور الخليج فى وقت قصير والوصول إلى داخل المدينة سريعا فى حالة وصول أى زائر غريب إلى الميناء بالمقس[٣].

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٤ .

(٢) كان برنامج جوهر القائد عقب دخوله القاهرة هو تحصين حدودها وثغورها ، فقام بإنشاء سور دائرى حول القاهرة أبعاده ١,٢٠٠ قدم ، وكذلك عمل على تأمين المقس من خطر القرامطة فأنشأ هذه القنطرة كى يسهل سرعة الوصول إلى المقس لملاقاة الأعداء . انظر :

Ross , (D.) : The Art Of Egypt Through The Ages , London , 1931 , p.53.

(٣) عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ،القاهرة ، ١٩٦٦م، ص١٢ .

٢ ـ قنطرة اللؤلؤة [١] :

كانت هذه القنطرة تقع بالقرب من ميدان القمح الذى كان قديما بستانا سلطانيا يسمى بالمقس والمواجه لباب القنطرة ، وهو الآن المنطقة التى يشغلها سوق للخضر عند أول حى باب البحر من جهة حى الجيش ، ولم يعرف على وجه الدقة تاريخ إنشائها ، واللؤلؤة التى تنسب إليها هذه القنطرة منظرة على الخليج بناها العزيز بالله سنة ٣٦٥ ـ ٣٨٥هـ / ٩٧٥ ـ ٩٩٦ م حيث كانت من أحسن القصور وأعظمها زخرفة [٢] .

ويصف لنا المقريزى فى مجمل حديثه عن منظرة اللؤلؤة أرض المقس وطبيعتها فيقول: كان غربى الخليج إذ ذاك ليس فيه من المبانى شىء وإنما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة ، فيرى الجالس فى قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر أرض اللوق، وما هو من قبليهما ، ويرى بحر النيل من وراء البساتين [٣].

وهذا النص يوضح طبوغرافية المنطقة فى العصر الفاطمى خاصة فى الفترة الممتدة من سنة ٣٦٥ ـ ٣٨٥ هـ / ٩٧٥ ـ ٩٩٦م ، فلم يكن بالموقع سوى البساتين العظيمة ، والبركة المسماة ببطن البقرة ، والنيل يجرى خلف هذه البساتين والبركة ، فضلا عن انبساط الأرض حتى باب اللوق وما بعدها ، حيث جذبت هذه المميزات التى انفردت بها منطقة المقس انتباه الخلفاء والسلاطين والأمراء والشيوخ ثم أرباب المهن فى فترة متأخرة ـ بعد تحول النيل ـ على السكنى بهذه المنطقة وممارسة نشاطهم الحرفى .

ويمكن القول : إن التحول التلقائى لهذه المنطقة من منطقة كان يرتادها الخلفاء والسلاطين فى العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية سواء للتنزه أو القيام بعمل عمرانى ـ كالذى قام به الناصر محمد بهذا الموقع ـ كان السبب وراءه تحول النيل عن الموقع، فضلا عن أن هذا الموقع كان بالنسبة لأرباب الحرف موقع ممتاز يتصل بالخليج ولا يبعد كثيرا عن الميناء الجديد ، ومن ثم قامت صناعات عديدة فى هذا الحى سوف نشير إليها فى موضعه من هذا الكتاب ، وأصبحت المنشآت الصناعية جنبا إلى جنب مع المنشآت الدينية والمدنية، فى العصرين المملوكى والعثمانى .

٣ ـ قنطرة باب الشعرية :

شيدت هذه القنطرة على الخليج ويتوصل إليها من باب الفتوح ، وهى تربط القاهرة بأرض الطبالة الواقعة شمال المقس ، وقد أطلق على هذه القنطرة اسم قنطرة الخروبى

---

(١) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٣٠٣ .

(٢، ٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٦٧ .

وذلك فى عهد المقريزى [١] .

ويبدو واضحا أن تشييد مثل هذه القناطر فوق الخليج المصرى ، وكذلك القناطر التى شيدت فوق الخليج الناصرى ، وخليج الذكر ، وخليج فم الخور ، قد ساعد على انتشار العمران بمنطقة باب البحر ، بالإضافة إلى أنها ربطت القاهرة بالجهة الغربية من الخليج ، كما ساهمت فى تيسير النقل بين الميناء والقاهرة .

واستكمالا لطبوغرافية الموقع فى العصر الفاطمى ، نشير إلى بركة بطن البقرة والتى كان لحفرها أثره المباشر فى تخطيط المكان المحيط بها ، ورغم أنها أحد العوامل الصناعية التى حفرها الإنسان ، إلا أنها ساهمت ـ ولو بقدر ـ فى الناحية العمرانية وتزايدها ، فكانت هذه البركة بستانا كبيرا عرف بالبستان المقسى نسبة إلى المقس التى كان يقع بها ، وكان يمتد هذا البستان إلى جهة الغرب فيشرف على النيل ، ويمتد جهة الشرق فيشرف على الخليج ، وظل هذا البستان حتى عهد الظاهر لإعزاز دين الله الذى أمر بعد سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م بإزالة أنشابه ، وأن يعمل أمام المنظرة التى تعرف باللؤلؤة بعد أن جدد بناءها [٢] .

وفى عهد الخليفة المستنصر ـ أيام الشدة العظمى ـ هجرت البركة وطمت وبنى فى موضعها عدة أماكن ، وفى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ، ووزارة المأمون بن البطائحى[٣] أزيلت تلك المبانى ، وتم تعميق حفر الأرض وسلط عليها ماء النيل فصارت بركة عرفت ببطن البقرة . وقد استقر أمرها إلى ما بعد سنة ٧٠٠ هـ ، أما عن موقع هذه البركة فإنها كانت إلى الجنوب من موقع المقس ، وتشغل الأراضى المجاورة لحى الخراطين (بباب البحر) . ولا يعرف العلة فى الاسم ، ولكن يوجد فى مقاطع الأحجار بالمقطم أجزاء يسميها النحاتون مقطع بطن البقرة ، وكانوا يعتبرونها ممتازة فى عمل السلالم لنعومة وجهها بعد النحت ، فربما كان الاسم للبركة يدل على نعومة طينها وهدوء

---

(١) تحدد موقع قنطرة الخروبى على خريطة الفرنسيين للقاهرة أنها بجوار السور مباشرة عند جامع العدوى ، ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء هذه القنطرة ، ولكن يمكن ترجيح أنها من إنشاء بهاء الدين قراقوش عندما شرع فى حفر الخندق خارج السور من باب الفتوح إلى المقس سنة ٥٨٨ هـ .

انظر : محمد كمال السيد : المرجع السابق ، ص٩٩ ، والمقريزى : الخطط جـ٢ ، ص١٤٧ .

(٢) المقريزى : المصدر نفسه جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٣) كان مولده فى سنة ٤٧٨ هـ ، وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول ، كريما واسع الصدر ، كما عرف عنه أنه كان سفاكا للدماء، وقد ولى الوزارة فى شوال سنة ٥١٥ هـ حتى ٤ رمضان ٥١٩ هـ ، وذلك فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله .

راجع : محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠م، ص٢٧٢ .

مياهها ، وكانت بركة بطن البقرة يغذيها خليج الذكر بالمياه (1) .

غير أن مصادر إمداد هذه البركة بالمياه ـ فى هذا العهد ـ لم يكن قد تم حفرها بعد، فكلا الخليجين قد تم حفرهما فى العصر المملوكى البحرى ، وربما يكون مصدر المياه المغذى لها كان عبارة عن قنوات استخدمت بعد ذلك ليحفر موضعها خليج يستمد مياهه من خليج فم الخور .

وبعد هذا الاستعراض العام لطبوغرافية الموقع ، يتبين لنا أن هناك تأثيرا ما بشكل أو بآخر من قبل نهر النيل ، وكذلك الخليج ، فى نشأة العمران بهذا الموقع ، ساعد على ذلك ما امتاز به الموقع من طبيعة ساحرة ، وطقس لطيف وبساتين نضرة جذبت انتباه الخاصة والعامة ، فارتادها الخلفاء والسلاطين والشيوخ خلال العصر الفاطمى والأيوبى ، والمملوكى ، وشيدوا بها المساجد ودور الصناعة ، فضلا عن الدور والمنشآت الصناعية ، وانتشرت الأسواق وعمت كافة بقاع المنطقة ، وأصبحت فى العصر المملوكى تعج بالأسواق والوكالات والحوانيت والمنشآت الصناعية والمناظر، غير أن هذا الموقع قد منى بما منى به الكثير من مواقع القاهرة مما أدى إلى نقص عدد السكان، وقلة الإقبال على إنشاء الأسواق نتيجة إثقال كاهل التجار بالضرائب التى كان يفرضها الحكام عليهم ، فضلا عن أن نقص المياه فى النيل كان يؤدى إلى قلة المعروض من السلع وارتفاع أسعارها وبالتالى قلة عرضها ، وإغلاق أسواقها .

ويذكر المقريزى نبأ كارثتين كانتا وراء هدم العديد من المنشآت التى وصفها المؤرخ نفسه بأنها من محاسن البناء ، وهما كارثة ٧٧٧هـ ، وكارثة ٨٠٦ هـ بالإضافة إلى أن تحول النيل عن المقس قد قلل أهميتها وإن لم تنته مكانتها التجارية والصناعية .

ونستطيع أن نخرج من هذه الدراسة بالنتائج الآتية :

١ ـ سميت المقس بذلك الاسم نتيجة أن الماكس أو العاشر كان يجلس بها وقت الفتح ، وبذلك صار يطلق عليها المقس أو المقسم طيلة العصور الوسطى والحديثة .

٢ ـ أكسب مرور النيل بالمقس ـ فى الفترة الفاطمية والأيوبية ـ هذا الموقع مكانة فريدة جعلته مرفأ صناعيا وتجاريا وحربيا للقاهرة .

٣ ـ أدرك جوهر القائد خطورة موقع المقس على القاهرة فعمل على تأمين القاهرة بتحصين هذا الثغر ، فشيد قنطرة على الخليج يصل من خلالها إلى المقس فى حالة ظهور أى خطر قادم .

٤ ـ لتشييد جوهر قنطرة فوق الخليج نقطة البداية فى اضطراد العمران بهذه الجهة من

(1) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٦٣ ، محمد كمال السيد : المرجع السابق ، ص٢٧٣ .

القاهرة ، حيث شيد الحاكم بأمر الله جامعه هناك مما جذب معه عدداً لا بأس به من السكان حوله ، وكذلك شيدت منظرة المقس ، ومنظرة الدكة المخصصتين لجلوس الخليفة وقت توديع الأسطول ، أو عند عودته من كسر الخليج . بعدها تلاحق العمران خلال العصور المتعاقبة حتى غدت هذه المنطقة مكدسة بالسكان والمنشآت التجارية والصناعية .

٥ ـ ساعدت مميزات الموقع من حيث : انبساط أرضه ، واشتماله على مصدر المياه والنقل فى سرعة التوافد إليه واستيطانه .

٦ ـ يؤكد حرص السلاطين والأمراء على شق الخلجان بهذا الموقع بعد انحسار النيل عنه مدى الأهمية التى كانت لهذا الموقع من الناحية التجارية والعمرانية .

٧ ـ ساعدت القناطر العديدة التى شيدت بعد قنطرة جوهر فى نقل حركة العمران إلى المنطقة ، خاصة وأن نشاط المنطقة التجارى قد ساعد على جذب العمران إليها .

الفصل الثانى

العامل التجارى

أدى إنشاء ميناء القاهرة بمنطقة المقس إلى ازدهار العمران بها ، فقد انتشرت بها الأسواق والمنشآت التجارية؛ كالوكالات ، والفنادق ، وأماكن تخزين الواردات ، وقد أدى هذا بالتبعية إلى تشييد المنازل والمساجد التى تخدم أرباب هذه الحرف وبالتالى انتشار العمران .

وكان إلى جانب هذا الميناء الجديد الذى عمل الفاطميون على إنشائه منذ دخولهم القاهرة ميناء آخر ـ كان يؤدى وظيفته قبل الفاطميين ، وكذلك بعد إنشائهم لميناء المقس ـ هو ميناء الفسطاط ، الذى كان لوقوعه على النيل ونشاطه التجارى دورا هاما فى عمران مدينة الفسطاط ، يتشابه معه فى ذلك ميناء المقس ، وعلى هذا يتبين لنا بالقياس مدى تأثير الميناء المقسى على منطقة باب البحر من الناحية العمرانية .

فنجد أن مدينة الفسطاط قد انتشرت بها الأسواق داخل شوارعها المتعددة ؛ لخدمة المدينة والمناطق الأخرى المجاورة ، وكانت هذه الأسواق محل عناية أصحاب الحوانيت المشيدة بها ، فقد كان المحتسب يأمر بإنارتها بالقناديل ونظافتها [١]، ويتشدد فى ذلك حتى لا يهمل التجار أمر نظافة الشوارع التى يعرضون بها تجارتهم .

وظلت أسواق الفسطاط تؤدى خدماتها إلى أهل مصر إلى أن جاء جوهر الصقلى ووضع أساس مدينة القاهرة التى وفد إليها المعز لدين الله ومعه أهله ورجاله وأجناده ، وصارت المدينة أشبه بمعسكر زاخر بآلاف من الموظفين والجنود وغيرهم ، وهؤلاء جميعا اعتمدوا على الفسطاط وأسواقها للحصول على المواد الغذائية والمصنوعات والسلع الواردة من الخارج [٢] .

وهذا العبء الإضافى الذى أصبح واقعا على مدينة الفسطاط ، جعل القائد جوهر وخليفته المعز يحاولان التفكير فى إنشاء ميناء خاص للمدينة الوليدة ؛ يكون قريبا منهم ، ويخدم هذا العدد الهائل من المغاربة الوافدين ، ويخفف الضغط عن الفسطاط ، ووقع اختيار جوهر على المقس لتكون ميناء للقاهرة ، وقد شجع جوهر على اختيار المقس

---

(١) ناصرى خسرو : المرجع السابق ، ص٥٨ .

(٢) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، ص٩٩ .

مميزاتها الطبيعية التى امتازت بها والتى تتشابه مع موقع ميناء الفسطاط ، فهى قريبة من النيل ، وكذلك من الخليج الكبير وتقترب من النقطة التى ينقسم فيها النيل إلى فرعيه الرئيسين ، وعلى هذا فهى نقطة اتصال بين بلدان القطر جميعها ، فضلا عن قربها من موقع مدينة القاهرة ذاتها .

كل هذه العوامل السابقة قد حدت بالخليفة المعز إلى إنشاء دار لصناعة السفن ـ فى هذا المكان ـ تخدم التجارة والحرب على السواء ، وكانت غابات لبنان وما فيها من شجر ، ومصر وما يزرع فيها من أشجار الأثل ، والجميز ، والسنط ، والنبق ، والسرو وغيرها تمد صناعة السفن بالأخشاب ، أما الأسطول الحربى فكانت تجلب أخشابه على أيدى البنادقة [١] من بلدان أوربا نظرا لمتانتها .

وقد وقع على هذا الأسطول مهمة إمداد الميناء بالمتاجر المختلفة سواء الداخلية ، أو الخارجية التى كانت تتعاقد عليها مصر مع البلدان العربية والأوربية على السواء ، وبذلك توارد إلى الميناء نوعان من التجارة : تجارة داخلية تأتى بها المراكب من أقاليم مصر المختلفة، وتجارة خارجية تلبى احتياجات الخلفاء والأمراء ورجال القصر ، ومياسير التجار وأثرياء القوم من عامة الشعب . وكان لهذين النوعين من التجارة تأثيرهما فى نشأة العمران وازدهاره بمنطقة المقس .

التجارة الداخلية :

كانت القاهرة لا تستطيع الاعتماد مطلقا على الإنتاج الزراعى المنتج فى الجهات المحيطة بها أو المجاورة لها ؛ وذلك بسبب كثرة سكانها ، فضلا عن قلة هذا الإنتاج نتيجة اشتغال كثير من أهلها بالصناعة ؛ ولهذا كانت القاهرة فى حاجة ماسة إلى المواد الغذائية التى كانت تصل إليها من الأقاليم المختلفة التابعة لها [٢] .

وكانت أهم سلع التبادل التجارى الداخلى : المواد الغذائية ، وخاصة الحبوب التى كان يمد القاهرة بها الوجه القبلى ، والفواكه وكانت تجلب من الفيوم ، بالإضافة إلى سلع أخرى عديدة كانت القاهرة تجلبها من أقاليم أخرى ؛ حيث كانت تصل هذه السلع إلى الميناء المقسى ، وتنقل إلى أماكن التخزين التى كانت تقع على الخليج الكبير ، والتى أشار إليها المقريزى عند حديثه عن ميدان القمح حيث يذكر : « أنه كان موضعا للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة ، وكانت صبر القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس إلى

---

(١) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م، ص١٨١ .

(٢) راشد البراوى : المرجع السابق ، ص١٧ .

باب القنطرة عرضا ، وتقف المراكب من جامع المقس إلى منية السيرج طولا ، ويصير عند باب القنطرة فى أيام النيل من مراكب الغلة وغيرها ما يستر الساحل كله » (١) .

وهذا النص يوضح بجلاء ازدهار النشاط التجارى للقاهرة فى العصر الفاطمى حتى أن المراكب الواردة إلى الميناء كانت تقف صفا طويلا يبدأ من المقس وحتى منية السيرج فى انتظار تفريغ حمولتها ، ونقلها إلى مكان تخزن به يطل على الخليج الكبير يسمى ميدان القمح .

وكانت معظم هذه التجارة الداخلية يتجه جزء منها إلى الفسطاط ؛ لإمداد أسواقها بما تحتاج إليه من سلع ، والجزء الآخر كان يفرغ بالميناء المقسى لإمداد القاهرة باحتياجاتها من السلع ، ومن ثم زاد الإقبال على الميناء المقسى من قبل التجار لنقل السلع الواردة إلى أسواق القاهرة ، كما زاد إقبال التجار القاطنين بالقرب من الميناء على اختطاط الأسواق بالقرب من الميناء ونقل السلع المختلفة إليها . وكانت هناك رسوم تفرضها الحكومة على البضائع الواردة للميناء المقسى ، وكذلك رسوم على المخازن والأسواق ، والبضائع الصادرة ، وحراسة الغلال بالمقس ، واستمرت هذه الرسوم تحصلها الدولة حتى قام السلطان صلاح الدين بإلغائها فى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م (٢) .

ونتيجة لهذا الإقبال الهائل على الميناء من قبل التجار بدأت أولى مراحل العمران ، وهى التمركز واختطاط الأسواق ، فضلا عن تشييد المنازل ، والمنشآت التجارية على امتداد أسواق المنطقة ، ومن ثم غدت المقس ممتلئة بالعديد من الأسواق .

وفى هذا المعنى يشيد المقريزى فى خططه بما رآه من أسواق فى منطقة المقس والتى ظلت باقية منذ العصر الفاطمى حتى رآها المقريزى عامرة ، فيقول : « إنه كان بمدينة القاهرة وظواهرها من الأسواق شىء كثير جدا قد باد أكثرها ، ويكفى دليلا على كثرتها أن الذى خرب من الأسواق فيما بين أراضى اللوق إلى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا أدركت معظمها عامرة ، فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا »(٣).

وهذا النص يمكن أن نفهم منه الكثير ، فقيام المقس بوظيفتها كميناء أدى إلى توافد المتاجر إليها ، ومن ثم كان لابد من وجود أسواق جملة تبيع هذه المتاجر لتجار التجزئة فتعددت الأسواق ، ولم تستطع المقس وحدها الوفاء بعدد الأسواق المطلوبة للنوعيات المختلفة من التجارة فامتدت الأسواق جنوبا حتى وصلت إلى باب اللوق .

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٢٤ .
(٢) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١٠٤ ، ١٠٥ .
(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٩٤ .

ومما ساعد على ازدهار التجارة فى هذا العصر تقدم الصناعة ، فقد كانت القاهرة تمد المراكز الصناعية الكبرى كدمياط وتنيس[(١)] والفسطاط ، ببعض المواد الأولية كالكتان لتصنيعها ، وإلى جانب هذا توافرت بالبلاد حركة نشطة بين مراكز النسيج ، وبالأخص المدن الواقعة فى شمال الدلتا ، وبين القاهرة ، والفسطاط والإسكندرية ، حيث اشتد الإقبال عليها ، مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار التجارة الداخلية [(٢)] .

وكان هذا الإنتاج من الأقمشة يصدر جزء منه إلى المشرق بطريق جدة ، وعدن عن طريق البحر الأحمر ، وجزء آخر إلى المغرب ، وصقلية ، وغيرها عن طريق مرافئ بالإسكندرية ودمياط ، والجزء الآخر كان للاستعمال المحلى ، للخاصة والعامة [(٣)] . ولاشك أن هذه التجارة قد لاقت إعجاب هذه البلاد ، وأقبلوا عليها إقبالا شديدا ، مما زاد من إنتاجها وبالتالى نشاط التجارة الخارجية .

التجارة الخارجية :

اهتم الفاطميون بإيجاد علاقات تجارية مع بعض البلاد الأوربية التى تزودهم ببعض المنتجات التى تحتاج إليها القاهرة ، خاصة تلك التى تلزم لصناعة السفن - والتى أنشؤوا لها دار صناعة بالمقس - ومنها : الخشب ، والحديد ، وغير ذلك فى مقابل إمداد تلك البلاد بالصناعات المصرية التى كانت تنال إعجابهم ، ومن أهمها صناعة النسيج .

وعلى هذا ، فقد قامت علاقات تجارية مع الكثير من البلدان ، ومنها الدولة البيزنطية ، وبعض البلاد الإيطالية مثل : أمالفى وجنوة وبيزا والبندقية [(٤)] ، إلى جانب العلاقات الأخرى التى كانت بين القاهرة والبلاد العربية ، ونتناول هذه العلاقات التى كانت تعقدها مصر مع هذه الدول كى نوضح مدى نشاط موانئ القاهرة التجارى وعلى وجه الخصوص ميناء المقس الفاطمى ، وأثر هذا النشاط على الناحية العمرانية للمنطقة .

علاقات مصر بالدولة البيزنطية :

من المعروف أنه كانت توجد منازعات سياسية بين مصر والدولة البيزنطية ، غير أنها لم تؤثر على الناحية التجارية ؛ إذ كانت بيزنطة فى حاجة ماسة إلى بعض المصنوعات

---

(١) كانت تنيس من أجل المدائن ، تقع بالقرب من دمياط ، وكان بها من مناسج القماش نحو خمسة آلاف منسج يصنعون بها الثياب الشرب التى لا يصنع مثلها بمائة دينار ، واستمرت تنيس مدينة عامرة حتى سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م عندما حاصرها الإفرنج وأحرقوها .

انظر : ناصرى خسرو: المصدر السابق ، ص٣٨ ، حاشية (٢) .

(٢) راشد البراوى : المرجع السابق ، ص١٨ .

(٣) عطية مصطفى مشرفة : المرجع السابق ، ص١٨١ .

(٤) راشد البراوى : المرجع نفسه ، ص٢٢٦ .

الممتازة مما تنتجه مناسج تنيس ، ودمياط ، وكانت مصر فى حاجة إلى الخشب والحديد اللازمين لها لصناعة الأسطول المصرى ، فضلا عن حاجتها إلى الغراء الذى كانت تمتاز بإنتاجه الدولة البيزنطية ، بالإضافة إلى حرص الفاطميين على أن تكون علاقاتهم ودية بالبيزنطيين أعداء الدولة العباسية (١) .

ومما يؤكد وجود علاقات بين مصر والدولة البيزنطية ما ذكره الرحالة الفارسى ناصرى خسرو عن إمداد الدولة البيزنطية لمصر بالمؤن الغذائية ، وذلك أثناء غلاء سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤م حيث استعان المستنصر بصاحب القسطنطينية ليحمل إليه الغلال ، فأطلق له ٤٠٠,٠٠٠ أردب ، ولكن مات قبل وصولها (٢) .

كما كان لمصر اتصال قوى بجزيرة صقلية فى ذلك العصر ، فقد كانت صقلية خاضعة لحكم الفاطميين ، وقد ساعد هذا على سهولة الاتصال التجارى بينهما ، بالإضافة إلى قرب هذه الجزيرة من السواحل المصرية ، وقد كانت هذه الجزيرة تصدر إلى مصر ما تنتجه من أقمشة حريرية ذات ذوق عالٍ ورفيع ، مما لا تنتجه المناسج المصرية(٣) .

كما كانت قبرص على علاقات طيبة ببلاد المسلمين حتى بعد استيلاء البيزنطيين عليها. وكانت هذه الجزيرة تنتج كميات كبيرة من السلع التى يحتاجها التجار الشرقيون والغربيون ، ومنها : العسل والشمع ، ومما شجع على التعامل معها سرعة الوصول إليها؛ حيث إن المسافة من موانئ مصر الشمالية وإليها لا تزيد عن رحلة يوم واحد(٤).

علاقات مصر بالدول العربية :

كما كان لمصر علاقات تجارية مع الأندلس ، التى مدتها أيام الشدة المستنصرية بالقمح والشعير ، وكان يستورد تجارها من مصر الجوهر والياقوت (٥) .

أما علاقة مصر ببلاد الشام فقد كانت مصر حريصة على الاستيلاء على بلاد الشام وربطها بمصر سياسيا واقتصاديا ، فقد كانت مصدرًا خصبًا لإمداد مصر بما تحتاج إليه من

---

(١) راشد البراوى : المرجع السابق ، ص٢٢٦ .

(٢) ناصرى خسرو : المصدر السابق ، ص١٢٢ .

(٣) يذكر ناصرى خسرو أن السفن المصرية كانت تتجه بين موانئ مصر إلى هذه الجزيرة وتعود محملة بالمنسوجات، وكانت القطعة الواحدة تباع فى أسواق مدينة مصر بعشرة دنانير ، وهذا يوضح أن أسواق القاهرة كانت ترد إليها منتجات البلاد الأوربية كى تباع جنبا إلى جنب مع المنتجات المصرية ، مما يؤكد وجود رغبة فى شرائها ، ومن ثم قام التجار باستيرادها . انظر : ناصرى خسرو : المصدر السابق ص١٢٢ .

(٤) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، ص٢٢٩ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٢٣٢ .

أخشاب وحديد فضلا عن جودة إنتاج الشام من المنسوجات من صناعة بعلبك ، والأسلحة والأدوات النحاسية ، وغير ذلك من إنتاج مدينة دمشق [١] . كذلك فإن الخلاف المذهبى بين مصر وبغداد لم يؤد إلى توقف الاتصال بينهما ، فقد كان المسيطر على السلطة فى بغداد « البويهيون »[٢] الذين نشأ بينهم وبين الفاطميين تفاهم وطيد ، وتبودلت السلع التجارية بين القطرين خاصة المنسوجات ، وقد امتلأت القصور الفاطمية بنفائس هذه المنسوجات من إنتاج بغداد [٣] .

ومن هذا العرض الذى أوضح فيه البحث العلاقات التجارية التى كانت قائمة بين مصر وبين البلاد العربية والبلاد الأوربية يتبين لنا أن مصر فى العصر الفاطمى كانت حريصة على إيجاد علاقات تجارية مع هذه البلاد ؛ نظرا لاحتياجاتها لهذه السلع فضلا عن تصدير مصر للسلع التى تنتجها لهذه البلاد ، وعلى هذا بدأت تظهر حركة تجارية نشطة في هذا العصر بين مصر وهذه البلاد ، وأصبحت موانئ مصر ـ ومن أهمها المقس ـ تموج بأنواع المتاجر الواردة إليها ، وكذلك المتاجر المصرية المصدرة منها ، وانتشرت السلع الواردة فى الأسواق [٤] الممتدة من المقس إلى اللوق ، وأيضا انتشرت فى أسواق القاهرة التى تضمها بين أسوارها ، وأصبحت الأسواق مصنفة على حسب نوعيات السلع ، فمثلا هناك سوق للمواد الغذائية وسوق للملاب ومستلزماتها،وسوق لتجهيزات السفر . . .إلخ.

وكان التجار فى هذه الأسواق يستعملون صنجا زجاجية ، كالأرطال والمكاييل تحمل صيغة خاصة بالفاطميين ، حيث تحمل القطعة اسم الخليفة على حدة ، أو متبوعا بصيغة دينية ، وأحيانا بالتاريخ الذى صنعت فيه القطعة ، كما استعملوا صنجا من الزجاج لوزن

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٣٣ .

(٢) جرد البويهيون الخلفاء العباسيين من نفوذهم تماما ، حتى إنه لم يبق لهم من الخلافة إلا مظاهرها ، كما أنهم كانوا يتدخلون فى شؤونهم الخاصة ، ومن هنا صار لهم الأمر والنهى علاوة على أنهم شيعيو المذهب ، وهم فى ذلك سواء مع الفاطميين ، ومن ثم وجد بينهما تفاهم وطيد .

انظر: د. حسن الباشا: دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، النهضة المصرية ، ١٩٧٥م ، ص٩٣ ـ ٩٧ .

(٣) راشد البراوى : المرجع السابق ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٤) السوق كان عبارة عن حى على جانبيه صفان من الحوانيت ، وقد يكون هذا السوق مسقفا أو مكشوفا ، وقد سارت هذه الأسواق فى تخطيطها وفقا لنظم وقواعد ثابتة حددتها كتب الحسبة ، من حيث وجود إفريزين على جانبى الحى للمارة ، ثم بنى الحوانيت بعد ذلك على جانبى الحى ، ويأمر المحتسب أرباب هذه الحوانيت المكونة للسوق بالعناية بنظافة الحى والحوانيت حتى لا تنتشر الأمراض .

انظر : د . آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ١٩٧٤م ، ص٢٥٥ ، وأولج فولكف : القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة ، ترجمة : أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الألف كتاب الثانى ، العدد ١٢ ، ١٩٨٨م ، ص١٠٣ .

نقود الفضة ، وأخرى لوزن نقود الذهب[1]. وهذه الأسواق قد خضعت لرقابة من قبل المحتسب .

ومن خلال هذه الرقابة ، فإن أصحاب الحوانيت والوكالات المنتشرة فى الأسواق كانوا يولون منشآتهم اهتمامهم مما ساعد على الحفاظ عليها وازدهار العمران بالمنطقة ، لكن رغم كل هذه الجهود إلا أن هناك بعض الأسباب الأخرى التى كانت تؤثر على العمران ، ومن هذه الأسباب المحن والمجاعات التى كانت تنتشر من جراء نقص نهر النيل[2].

وكان من أبرز ما حدث من جراء هذه الأزمات المتعاقبة ـ وخاصة الأزمة التى حدثت فى عهد المستنصر سنة (٤٥٧ ـ ٤٦٤ هـ) ـ أن خربت مدينة الفسطاط وتقهقر نشاطها التجارى واضمحل الكثير من صناعاتها ، ومنذ ذلك الوقت أخذت القاهرة تجتذب النشاط التجارى إليها ، وتستعد للدور الذى أصبحت فيه فيما بعد العاصمة السياسية والتجارية والصناعية للديار المصرية [3].

وهكذا أدى خراب الفسطاط من جراء الشدة المستنصرية إلى تزايد نشاط القاهرة التجارى الممثل فى مينائها المقسى ، وذلك بعدما خفت وطأة هذه الشدة ، فكانت الأسواق لا تزال باقية نظرا لقيام الميناء بوظيفته ، واستمرت هذه الأسواق حتى سنة (٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م) [4] ، تلك السنة التى ابتعد فيها نهر النيل عن المقس ، وانتقل إلى بولاق التى حلت محلها فى المكانة الوظيفية . ورغم ذلك فإن هذه الأسواق لم يقض عليها قضاءً مبرما ، وإنما ظلت أيضا طيلة العصر المملوكى البحرى والعصر الجركسى حتى سنة ٨٠٦ هـ ، تلك السنة التى حدثت بها المحنة فتهدم الكثير من الأسواق والمنشآت التجارية والدينية ، وكانت أسواق ظاهر القاهرة الغربى من الأسواق التى شاهدها المقريزى عامرة ، وأصبحت فى هذه السنة خراب .

غير أن هذه المحنة أيضا لم تقض على العمران بالمقس ، فظل كثير من المنشآت الدينية والمدنية قائما ، ووجدت إلى جانب هذه المنشآت بعض السويقات التى كان التجار يمارسون فيها تجارتهم، ومن هذه السويقات: سويقة العياطين، وسويقة الحمام. . .إلخ[5].

---

(١) راشد البراوى : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

(٢) انظر : ثبت المحن التى حدثت لمصر فى العصر الفاطمى ، راشد البراوى : المرجع نفسه ، ص٨٢ ـ ٨٧ .

(٣) راشد البراوى : المرجع نفسه ، ص٨ .

(٤) أولج فولكف : المرجع نفسه ، ص٩٨ .

(٥) وثيقة ٢٢١ / وزارة الأوقاف المصرية .

ونادرا ما تذكر المصادر أسماء لأسواق بهذه المنطقة بعد تلك الفترة التى ذكرها المقريزى ، اللهم إلا بعض المنشآت المتمثلة فى فندق الحجر عند بداية حى باب البحر ، والمشيد فى العصر الأيوبى والذى استمر حتى العصر العثمانى ، وبعض المنشآت الصناعية التى شيدت فى العصر المملوكى وظلت باقية حتى الفتح العثمانى والتى أتى ذكرها بوثائق هذه الفترة .

ويمكن أن نلاحظ أن الازدهار التجارى الذى حققته مصر فى العصر الفاطمى كان من نتائجه ازدهار فى كافة مناحى الحياة فى ذلك العصر ، فنجد أن العمران فى هذا العصر - فيما قبل الشدة المستنصرية - قد اتصف بالثراء الواضح فى أشكال المبانى ، وكذلك ضخامة المبانى من حيث المساحة ودقة البناء ، والتى تركزت فى محيط القاهرة والفسطاط (١) ، وشيد منها فى بعض ظواهر القاهرة كما فعل الخليفة الحاكم بأمر الله عندما قام بتشييد مسجده فى المقس والذى أوقف عليه أوقافا كثيرة مما يدل على عظم بنائه وكثرة المهام التى كان يؤديها .

واتسمت الفترة التى أعقبت الشدة المستنصرية بمبالغة الوزراء فى التشييد والبناء وقلة مبانى الخلفاء ، واتسمت هذه المنشآت بصغر حجمها نتيجة ضعف الحالة الاقتصادية للدولة فى هذه الفترة ، وفى كلا الفترتين لم تحظ منطقة المقس فى التشييد والبناء إلا باهتمام الخلفاء حيث شيدت فى فترة القوة والازدهار دار الصناعة والمناظر التى شيدوها ليتم فيها مراسم توديع الأسطول واستقباله ، وأيضا مراسم كسر الخليج ، وهاتان المنظرتان هما منظرة المقس ، ومنظرة الدكة .

فضلا عن ذلك ، فإن التجارة أيضا فى القاهرة فى الفترة الأولى من الحكم الفاطمى قد اتسمت بازدهارها وزيادة نشاط الميناء ، فى الفسطاط ، والمقس ، وفى الفترة الثانية خرب ميناء الفسطاط ، وقوى الإقبال على ميناء المقس ، وأيضا فإن ما حدث للفسطاط فى الشدة المستنصرية وأيضا بعد حريقها على يد شاور، قد ساعد على تغيير معالم القاهرة، فنرى أمير الجيوش بدر الجمالى يبيح للناس من العسكريين والمدنيين وكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله ، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها ، وعمروا المنازل فى القاهرة وسكنوها (٢).

ومن المحتمل أن يكون التجار القاطنين بالفسطاط فى تلك الفترة قد هجروها ليباشروا

(١) أحمد الصاوى: المجاعات وتأثيرها على النواحى المالية والحضارية زمن الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار ، ١٩٨٤م ، ص٣٥٠ .

(٢) أحمد الصاوى : المرجع نفسه ، ص٢٢١ .

تجارتهم عند الميناء الجديد ، ومن ثم عملوا على إيجاد أماكن لهم بالمقس ، فنقلوا الأنقاض إلى هناك ليتم استخدامها فى إنشاء دور وحوانيت للتجارة يباشروا فيها أمر تجارتهم ومعيشتهم .

وبعد حريق الفسطاط على يد شاور سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م تحولت الفسطاط إلى أطلال وكيمان ، فتركها الناس وتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم[١] . ومن المحتمل كذلك أن يكون هؤلاء الفارون قد وجدوا فى المقس مكانا مناسبا لهم ، وذلك إلى جانب القاهرة التى أصبحت سكنة للعامة والخاصة بعد الشدة المستنصرية ، وبعد أن أباح الوزير بدر الجمالى انتقال الناس من الفسطاط إلى القاهرة وتشييدهم للدور من أنقاض منازل الفسطاط .

كما كان لهذه المجاعات تأثيرها فى ظهور طبقة التجار كقوة اجتماعية إلى جانب العسكريين وكبار الموظفين ، فقد نجحوا فى أن يحققوا أرباحا خيالية من التجارة ، وساعدهم على ذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية (نتيجة هذه المجاعة) ، فحازوا بذلك معظم النقد المتداول فى الأسواق خاصة الذهب والفضة ، ومن المحتمل أنهم وجهوا بعض أموالهم إلى شراء الأمتعة والذخائر والعقارات [٢].

وعلى هذا يمكن تفسير بقاء أسواق بحى باب البحر الممتدة منه إلى باب اللوق حتى زمن المقريزى رغم أن الشدة المستنصرية قد عمت بلواها أرجاء المعمورة ؛ إذ يبدو أن هؤلاء قد جنوا من وراء التجارة أموالا طائلة وجهوها بعد هذه الشدة إلى إعادة نشاطهم لما كان عليه ، وأيضا فى استمرار الميناء باقيا يؤدى مهمته ، وبالتالى ازدهار العمران فى هذه المنطقة التى كان باب البحر أحد أسواقها أو يضم العديد من أسواقها والتى ظلت باقية حتى رآها المقريزى عامرة .

ويمكن أن نستنتج من البحث فى هذا العامل الآتى :

١ ـ أدى إنشاء القائد جوهر الصقلى ميناء للقاهرة بالمقس إلى ازدهار التجارة بهذه المنطقة، وبالتالى انتشار العمران بعد اختطاط الأسواق .

٢ ـ نقل هذا الميناء مركز الثقل التجارى الذى كان للفسطاط إلى القاهرة ، على الرغم من أنه لم يقض عليها نهائيا .

٣ ـ تعددت الأسواق فى المنطقة الممتدة من المقس وحتى باب اللوق ، وهى التى أدركها

(١) د. حسن الباشا : قبل أن تكون القاهرة ، مقال بكتاب القاهرة ، مؤسسة الأهرام ١٩٧٠ م ، ص٢٤ .
(٢) أحمد الصاوى : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

المقريزى عامرة ، حيث بلغ عددها اثنين وخمسين سوقا ، فيها ما يبلغ عدد حوانيته ستين حانوتا .

٤ ـ ازداد النشاط التجارى ـ فى العصر الفاطمى ـ بين مصر والبلاد العربية والأوربية ، وغمرت المنتجات الواردة أسواق العاصمة التى كانت تأخذها من الميناء المقسى.

٥ ـ أدى خراب الفسطاط بعد الشدة المستنصرية إلى اضمحلال نشاطها التجارى ، وبالتالى أخذت القاهرة مكان الصدارة فى هذا المجال ممثلة فى نشاط مينائها المقسى .

٦ ـ أدت المحن التى مرت بالقاهرة ـ فى العصر الفاطمى ـ إلى ظهور طبقة من التجار أخذت مكانتها فى المجتمع بعد العسكريين والموظفين ؛ حيث أدت الأموال الطائلة التى جنوها من وراء ارتفاع أسعار السلع إلى رفع مكانتهم الاجتماعية ، وبذلك الوضع استمروا يقومون بتجارتهم دون تأثر بالأحوال السائدة فى البلاد ، مما أدى إلى الحفاظ على عمران المنطقة التى يمارسون نشاطهم التجارى بها بالقرب من الميناء المقسى ، حيث احتفظت الأسواق بحالتها حتى زمن المؤرخ المقريزى .

الفصل الثالث

العامل الحربى والتطور العمرانى

كان للحروب التي واجهت مصر ـ فى بداية عهد الفاطميين ـ دورها فى نشأة مدينة القاهرة والاتجاه إلى تقوية المناطق التى تشكل خطورة عليها ؛إذ كان الغرض من إنشائها أن تكون سكنا للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ، ومعقل قتال يتحصن به ويلجأ إليه إذا ما لاح فى الأفق خطر قادم .

وعلى هذا الأساس أنشئت مدينة القاهرة ، واستمرت فترة وجيزة بعد إنشائها مدينة عسكرية ، وتشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الأمراء ، ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح ، ثم غدت بعد إنشائها بأربعة أعوام عاصمة الخلافة الفاطمية عندما انتقل إليها المعز لدين الله وأسرته من المغرب ونزلوا فى القصر الشرقى الكبير ، وذلك فى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م (١) .

وكانت هذه المدينة وقت إنشائها محدودة المساحة ، تشغل قطعة أرض مساحتها ٢٤٠ فدانًا تقريبًا ، على شكل مربع طول ضلعه ١٢٠٠م٢ ، أحاطها جوهر بسور من اللبن بقيت آثاره حتى أيام المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) ، وضع فى كل ضلع من أضلاع السور بابين (٢) ،فالسور الشمالى يتضمن باب النصر والفتوح ، والسور الجنوبى باب زويلة وباب الفرج(٣) ، والشرقى باب البرقية ، والقراطين (٤) ، وكذلك فتح بالسور الغربى بابين

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة ، تاريخها ، وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦ م ، ص١١ ، ١٢ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، سعيدعاشور : مصر فى العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م ، دار النهضة العربية ، ص١٩٦ .

(3) Margoliouth : op . Cit , p.19 - 20

(٤) باب القراطين نسبة إلى القرط أى البرسيم الذى ربما كان يدخل المدينة من هذا الباب ، وعرف هذا الباب فيما بعد باسم الباب المحروق ؛ لأنه بعد أن قتل المعز أيبك التركمانى الفارس أقطاى أراد أن يقضى على باقى سلاطين المماليك البحرية ، فأمر بإغلاق أبواب المدينة ، وعندما اتجه البحرية وعلى رأسهم بيبرس إلى باب القراطين وجدوه مغلقا فأحرقوه وهربوا منه إلى الشام ، وعرف منذ ذلك التاريخ بالباب المحروق .

انظر : محمد كمال السيد : أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، ص٧٨، والمقريزي : الخطط ،جـ١ ، ص٣٨٣، و Margoliouth : Ibid , p.200.

عرف أحدهما باسم سعادة بن حيان[1]، والآخر باسم باب القنطرة ؛ وقد عرف بذلك لأن جوهر بنى فى مواجهته قنطرة فوق الخليج ليعبر من فوقها إلى المقس .

ولما كانت المقس بمثابة ثغر يمكن النفاذ منه إلى داخل القاهرة ، فقد رأى جوهر أنه لابد من تحصين هذا الجزء بالذات ، فقام بإنشاء دار لصناعة السفن الحربية التى تنتج السفن الحربية الكافية لخروج الجيش لملاقاة الأعداء ، إلى جانب ذلك قام جوهر بربط القاهرة بالمقس عن طريق القنطرة التى شيدها على الخليج حتى يسهل خروج الجنود إلى الموقع سريعا لإمداد الجنود الرابضين بالميناء ، وقد استلزم هذا إنشاء عدد من الدور المخصصة لإيواء هؤلاء الجنود ، وبالتالى انتشار العمران .

ولم تحظ المقس فى بداية العصر الفاطمي بمد الأسوار الحربية ـ التى أحاط بها جوهر القاهرة ـ إليها ، فكانت هذه الأسوار ترسم مستطيلا غير منتظم الأضلاع ، طوله حوالى ألف ومائة متر من الشرق للغرب ، وألف ومائتى متر من الشمال إلى الجنوب ، وكانت تلك الأسوار مبنية من كتل ضخمة من اللبن ، وكان عرض الجدار فيها يزيد قليلا عن مترين[2] ،وقد أعاد بناء هذه الأسوار الوزير بدر الجمالى فى أيام الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وحتى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م.

وهذه التحصينات التى قام بها القائد جوهر والوزير بدر الجمالى ، كان الدافع إليها مواجهة خطر القرامطة[3] ، والصليبيين[4] .

(١) أحد قواد المعز ، ويسمى : سعادة بن حيان . انظر : المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١، ص٣٨٣.

(٢) بعد أن تولى الوزارة بدر الجمالى عمل على تجديد هذا السور ، ونقل جزء من السور الشمالى مسافة ١٥٠ متر تقريبا ، كما نقل جزء من الأسوار الجنوبية إلى الجنوب نفس المسافة السابقة ، وقد بنيت الأسوار الجديدة جزء منها بالآجر ، ومعظمها من الحجارة ، وأقام بدر الجمالى ثلاث بوابات جديدة عظيمة من الحجارة هى باب النصر والفتوح ، وباب زويلة جنوبا .

انظر : د . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١، ص١١ ، ٢٤ ، العصر الفاطمى ، دار المعارف ، ١٩٦٥م.

(٣) القرامطة : طوائف بدأ ظهورها فى العالم الإسلامى منذ أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، واستمرت حتى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وهم ينسبون إلى أول زعمائهم حمدان قرمط الخوزستانى الأصل.

للاستزادة عن هذا الموضوع ، انظر :

* حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف : عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعيلية مؤسس دولة الفاطميين فى بلاد المغرب ، النهضة المصرية ، ١٩٤٧م ، ص٩٢ .
* عارف تامر : القرامطة ، أصلهم ، نشأتهم ، تاريخهم ، حروبهم ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٥م.
* د .حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ،دار النهضة العربية ، ١٩٧٥م ،ص٧٩ ، ٨٠.

(٤) كان الدافع وراء حدوث صدام بين الفاطميين والقرامطة ـ رغم انتمائهم لمذهب واحد هو المذهب الشيعى =

فعندما وصل إلى سمع القائد جوهر نبأ تحفز القرامطة [1] لمهاجمة مصر، أسرع بتحصين القاهرة عن طريق بناء الأسوار وإنشاء دار لصناعة السفن بالمقس تمت فى عهد الخليفة العزيز، وذلك ليكون لمصر أسطول يحمى سواحلها من غارات المعتدين، كما تم ربط المقس بالقاهرة بواسطة قنطرة شيدها القائد جوهر فوق الخليج؛ تساعد على سرعة الوصول إليها فى حالة وجود أى أخطار تهدد القاهرة ـ وذلك فى سنة ٣٦٠هـ / ٩٧١م.

وقد ساعدت الحروب[2] على نقل العمران إلى منطقة المقس، حيث كانت القنطرة المشار إليها أولى المحاولات لتعمير هذه المنطقة، أعقبتها محاولة أخرى بدأت فى عهد الخليفة المعز لدين الله، وهى تشييده لدار صناعة المقس التى وقع عليها مهمة إمداد الأسطول الحربى، والأسطول التجارى باحتياجاتهم من السفن، وعلى هذا أصبحت المقس منطقة صناعية اجتذبت إليها الصناع والعسكريين، ومن ثم بدأ العمران يدب فى أوصالها.

وكان السبب الحقيقى الذى حدا بالخليفة المعز لإنشاء هذه الدار هو التهديد البيزنطى لبلاد الشام واستيلائهم على بعض مدنها الكبرى، مثل: أنطاكيا وحلب [3]، ومحاولتهم الاستيلاء على بيت المقدس، مما دفع المعز إلى إنشاء هذه الدار إلى جانب الدارين الأخريين بالروضة والفسطاط؛ كى يكون للقاهرة أسطولها الذى تدافع به عن أملاكها، وهى التى أصبحت إمبراطورية قوية تشمل شمال إفريقية وبلاد الشام والحجاز وصقلية.

وقد رأى المؤرخ المصرى عز الملك المسبحى هذه الدار ووصفها بقوله: « إنه بنى فيها

= أسباب منها: محاولة الفاطميين تزعم العالم الإسلامى، والقضاء بذلك على الدولة العباسية التى تناهضها فى مذهبها بعد أن انضم القرامطة لصف العباسيين. ومن أسباب الصراع أيضا: نجاح جوهر فى إرسال حملة تحت قيادة جعفر بن فلاح الكتامى لفتح دمشق التى كانت تحت قيادة القرامطة بعد أن انتزعوها من أيدى الإخشيديين عقب انتصارهم عليهم فى موقعتى طبرية ٣٥٣هـ، ودمشق٣٥٧هـ.

(١) د. عبد الرحمن زكى: امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، مقال بأبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، دار الكتب، ١٩٧١م، جـ٢، ص٦١، وعواصم مصر الإسلامية، بدون تاريخ، ص١٤.

(٢) يذكر التاريخ خبر غارتين للقرامطة على القاهرة، الأولى كانت سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م، والثانية فى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٤م، انهزم القرامطة فى الغارتين، وذلك بفضل التحصينات الكبيرة التى أحاط بها جوهر القاهرة، وكذلك بفضل اجتهاد جنوده الذين تم توزيعهم على المداخل التى عن طريقها يمكن دخول القرامطة إلى القاهرة، فى استخدام المباغتة فى الهجوم.

انظر: على إبراهيم حسن: تاريخ جوهر، ص٢٧ ـ ٥٨.

(٣) د. عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم فى العصر الفاطمى، ص١٨٠، و د. راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية، ص١٥١.

ستمائة مركب ، وإنه لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا » [١] .

والصناعة مكان أعد لإنشاء المراكب البحرية التى يقال لها : السفن ، وهى تنقسم إلى قسمين : الأول للمراكب النيلية ، والثانية : للمراكب الحربية ، أما النيلية تنشأ لتمر فى النيل صاعدة إلى أعلى الصعيد ومنحدرة إلى أسفل الأرض لحمل الغلال وغيرها [٢] ؛ لخدمة أغراض التجارة الداخلية ، أما الحربية فهى التى تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب ، فضلا عن الجنود ويقال لها : الأسطول [٣] .

ولم تكن هذه الدار التى أنشأها المعز بالمقس هى الأولى من نوعها فى مصر ، وإنما هناك دار أنشئت للصناعة فى عهد الولاة سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م، وكانت بجزيرة الروضة على ساحلها الجنوبى الشرقى ، ثم نقلت هذه الدار إلى الشرق فى عهد الإخشيديين فى بداية القرن الرابع الهجرى إلى ساحل مدينة مصر ، وفى أول حكم الفاطميين نقلت دار الصناعة إلى المقس [٤] بقرب مدينتهم القاهرة [٥] .

وقد اختلف المؤرخون فى نسبة هذه الدار التى بالمقس ، فبينما ينسب المقريزى إنشاءها إلى المعز لدين الله ، نرى المسبحى الذى أورد روايته المقريزى يرجعها إلى عهد العزيز بالله بن المعز (٣٦٥ - ٣٨٦هـ/ ٩٧٦ ـ ٩٩٦م)[٦] ،ونستطيع القول: إن هذه الدار أنشئت فى عهد المعز لدين الله لمواجهة خطر القرامطة ، ولم يكتمل إنشاؤها إلا فى عهد العزيز بالله ، حيث رآها المسبحى الذى عاصر الأحداث ، حيث كان المكلف من قبل العزيز بالإشراف على الأسطول الوزير عيسى بن نسطورس[٧] ،وقد اقترن بناء هذا الأسطول بحادث ؛ ذلك أنه فى أواخر شهر ربيع الآخر شبت نار فى هذا الأسطول

---

(١) د . سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م ، ص٩٧، ود . سعيد عاشور : الرافعى ، المصدر السابق ، ص٢٦٦ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ ، واتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص١٣٤، حاشية (١) .

(٣) المقريزى ، المصدر نفسه ، ص١٨ ، وجورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ١ ، ص١٦١، وابن تغرى بردى (أبو المحاسن) : النجوم الزاهرة فى مصر والقاهرة ، جـ١ ، ص٩٩ ، حاشية (٤) .

(٤) ابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ص١٠٠ .

(٥) جورجى زيدان ، المرجع السابق ، ص١٦١ .

(٦) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٩٥ .

(٧) أحد الوزراء النصارى ظل حتى وفاة العزيز فى رمضان ٣٨٦ هـ ، وكان يحابى أبناء جلدته من النصارى فيعينهم فى وظائف الدولة المختلفة ، مما جعل المسلمين يضجون بالشكوى فقبض عليه العزيز مدة حتى شفعت له ست الملك ابنة الخليفة فرده العزيز وولاه الوزارة ، وشرط عليه استخدام المسلمين فى دواوين أعماله ، وظل فى منصبه حتى رمضان ٣٨٦هـ .

انظر : د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، ص٢٤٤ ، ٢٤٥ .

أحرقت من جملة المراكب المكون منها الأسطول خمس عشاريات[1] ، وأتت على العدة والسلاح، فاتهم العامة الروم والنصارى وكانوا مقيمون بجوار الصناعة التى بالمقس [2]، وهاجموهم ونهبوا دورهم[3] ، وقتلوا منهم نحو مائة وسبعة رجال ، وطرحوا جثثهم فى الطرقات ، وأخذ من بقى منهم فحبس بصناعة المقس [4].

وكان إنشاء هذا الأسطول من اختصاص ديوان العمائر الذى كان يختص بالنظر فى أمر الأساطيل من حيث إنشائها وتسييرها ، والإنفاق على رجال البحر ،وكانت له إيرادات خاصة للإنفاق منها على رؤساء المراكب ورجالها [5] .

وقد أنتجت هذه الدار قطع الأسطول المصرى ـ فى العصر الفاطمى ـ الذى كان يتكون من :

١ ـ الشوانى :

مفردها شينى أو شونة ، وهى من أقدم السفن البحرية استعمالا ، وهى سفن حربية كبيرة تتخذ بها الأبراج العظيمة والقلاع وتزود بالعدد والآلات الحربية ، وتجهز بالأسلحة النفطية لتستعمل في الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها إذا هاجمها العدو [6] .

٢ ـ الحراريق :

مفردها حراقة ، وهى مراكب حربية كبيرة تقل فى الحجم عن الشوانى ، وتجهز كذلك بآلات الحرب ، مثل : المنجنيقات الكبيرة والصغيرة ، والأسلحة ، وأنابيب النفط، فضلا عن الزرد والخوذ ، والدرق ، والرماح ، والكلاليب [7] التى كانت تزود بها عامة السفن ، وكان من الحراقات أنواع تستعمل فى النيل لحمل الأمراء ، ورجال الدولة فى

---

(١) جمع العشارى : عشاريات ، وهو نوع من السفن الخفيفة تلحق بالأسطول الحربى ، وقد استعمل العشارى كوسيلة انتقال للخليفة فى هذا العصر أثناء الاحتفال بكسر الخليج أو عند استقبال الخليفة لرجال أسطوله عند عودتهم من إحدى الغزوات .

انظر: د. درويش النخيلى: السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ١٩٧٩م ، ص٥ ـ ٩٧.

(٢) خلط الأستاذ الدكتور راشد البرواى فى مكان إقامة الروم ، فذكر أنهم كانوا يقيمون بالفسطاط فى حين أنهم كانوا يقيمون بالمقس .

انظر : المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٩٥ ، وراشد البراوى : المرجع السابق ، ص١٥١ .

(٣) راشد البراوى : المرجع نفسه ، ص١٥١ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٩٥ .

(٥) د. عطية مصطفى مشرفة : المرجع السابق ، ص١٨٠ .

(٦) جورجى زيدان : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٦١ ، ١٦٢ .

(٧) د . درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص٨٣ ، ٨٤ .

الاستعراضات البحرية ، والحفلات الرسمية .

٣ ـ الطرادات :

وتسمى كذلك الطرائد ، وهى سفينة خصصت لحمل الخيل ، وأكثر ما يحمل منها أربعون فرسا [(١)] أى أنها سفن خصصت فقط لنقل الخيول والفرسان فقط ولا تشارك فى القتال الذى قد يدور فى البحر [(٢)] .

٤ ـ الأغربة :

مفردها : غراب ، وهى من المراكب الحربية شديدة البأس ؛ وسميت بذلك الاسم نظرا لرقبتها وطولها وسوادها بالأطلية المانعة للماء عنها كالزفت وغيره ، فصارت تشبه فى سوادها الغربان من الطير ، والغراب : اسم من أسماء الشينى أو نوع منه ، وهو يسير بالقلع والمجاديف ، ومنه الصغير والكبير ، فالصغير يجره عشرة مجاديف ، والكبير يجره مائة وثمانون مجدافا [(٣)] .

٥ ـ القراقير :

وهى سفن عظيمة تستعمل فى تموين الأسطول بالزاد والمتاع وأنواع السلاح [(٤)].

٦ ـ الشلنديات :

مفردها شلندى ، وهى مراكب مسطحة تحمل السلاح والمقاتلة لها أهمية الشوانى والحراقات فى الحروب .

٧ ـ العشاريات [(٥)] :

وهكذا تكون لمصر أسطول قوى يحمى سواحلها ـ فى العصر الفاطمى ـ تقاسم صناعته دار صناعة المقس ، ودور الصناعة الأخرى .

وإذا ما تعرضنا للرواية التى ذكرها المقريزى نقلا عن عز الملك المسبحى ، والخاصة بحريق هذا الأسطول بعد الانتهاء من عمله ، لوجدنا فى هذا النص بعض المعلومات التى تفيد انتشار العمران بالمقس نتيجة لإنشاء هذه الدار بها ، ومن ذلك :

١ ـ إقامة الروم والنصارى بالقرب من دار الصناعة ، وهذا يفسر انتشار العمران

---

(١) د . درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص٨٩ ـ ٩١ .

(٢) د. درويش النخيلى ، المرجع نفسه ، ص٩١ ، و د. عطية مصطفى مشرفة : المرجع السابق ، ص١٨٣ .

(٣) د. درويش النخيلى : المرجع نفسه ، ص١٠٤ .

(٤) د. عطية مصطفى مشرفة ، المرجع نفسه ، ص١٨٣ .

(٥) أشرنا إلى العشاريات ، فى ص ٤٧ .

حول هذه الدار ، ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الناس هم الصناع الذين عهد إليهم القيام بصناعة أجزاء الأسطول ، التى ذكرناها سالفا ، مشتركين مع الصناع المصريين الذين لهم خبرة فى هذا المجال .

٢ ـ كذلك تشير عبارة : « نهبوا دورهم وطرحوا جثثهم فى الطرقات » إلى أن هذين الفريقين قد اختطوا دورهم حول هذه الدار ، وكان يفصل بين الدور ودار الصناعة طرقات بشكل منتظم ، مما يدل على التقدم العمرانى الذى شهدته المنطقة فى هذه الفترة الوجيزة .

وكذلك فقد ساعد وجود دار الصناعة بالمقس على ارتياد الخلفاء الفاطميين على جملتهم لهذه المنطقة ، ومن ثم شيدت لهم منظرة أطلق عليها منظرة المقس . وقد خصصت هذه المنظرة لاستقبال الخليفة أثناء قدومه لتوديع الأسطول أو استقباله له عند عودته .

فعندما يصل إلى هذه المنظرة يقوم باستدعاء مقدم الأسطول الذى يخبره بأن المراكب قد تهيأت للسفر ، وتجيئه القواد بالمراكب من مصر إلى المقس للحركات من النيل بين يديه، وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها ، وفيها المنجنيقات، تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاديف، ويقوم الخليفة باستدعاء المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة ، ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا ، وتنحدر المراكب إلى دمياط وتخرج إلى البحر(١) .

وإذا انتهت الموقعة الحربية ووضعت الحرب أوزارها ، وغنموا المعركة ، فقد كان الخليفة يخرج كذلك إلى الميناء بالمقس ، ويجلس بالمنظرة لاستقبالهم ، ويختص لنفسه الأسرى رجالا ونساء وأطفالا ، بالإضافة إلى السلاح ، ويستدعى الخليفة الجمالين كى يأتوا بجمالهم لركوبهم ، ويشق بهم القاهرة ومصر ، وهم كل اثنين على جمل ظهرا لظهر ، ويعود الخليفة إلى القصر ، فيجلس فى إحدى مناظره للنظر فى أمرهم (٢) .

وكانت هذه المنظرة تقع بجوار جامع المقس من الجهة البحرية ، وهى تطل على النيل الأعظم(٣) ، ولم يحدد لنا المقريزى فيما ذكره عن هذه المنظرة تاريخ إنشائها ، ولا نستطيع أن نؤرخ لها . غير أنه يمكن استنتاج فترة تقريبية لبنائها من خلال النص الذى ساقه المقريزى عن موقع هذه المنظرة . فيقول :إنها « تقع بجوار جامع المقس » ،والمعروف أن

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص٤٨٠ .

(٢) د . عطية مصطفى مشرفة ، المرجع السابق ، ص١٨٦ .

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ٤٨٠ .

جامع المقس شيده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م مما يدل أن الجامع شيد أولا ، ثم شيدت بعده أو فى نفس سنة تشييده، وعلى هذا يمكن إرجاعها لفترة الحاكم بأمر الله.

وعلى هذا يتبين لنا أن إنشاء دار الصناعة بالمقس قد جذب إليه الصناع والجنود الذين عهد إليهم بالصناعة والحماية ، ومن ثم بدأ العمران يعرف طريقه إلى هذه المنطقة .

وإذا كانت دار الصناعة هى التى أوجدت العمران بالمقس ، فإن الدافع وراء إنشاء هذه الدار كان دافعا حربيا تمثل فى خطر القرامطة ، ذلك الخطر الذى كان شرارة البدء فى تحصين القاهرة أولا ، ثم تحصين المقس ثانيًا ، وذلك عن طريق إنشاء دار الصناعة بها ، وكذلك وجود فرقة من العسكريين لحماية هذه المنطقة بالإضافة إلى إنشاء قنطرة فوق الخليج تواجه المقس حتى يتمكن القواد من سرعة الوصول إليها إذا ما كان هناك خطر يتهدد القاهرة . بالإضافة إلى ذلك فإن السبب العسكرى الذى أشرنا إليه والذى كان وراء ازدهار العمران بالقاهرة عامة ، والمقس خاصة قد استتبعه عامل عسكرى آخر كان وراء اضطراد العمران بالمقس ، وذلك فى نهاية العصر الفاطمى وبداية العصر الأيوبى ، ونعنى به خطر الصليبيين .

وقد ظهر الخطر الصليبى لأول مرة فى بلاد الشام فى أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى ، وكان النفوذ الفاطمى قد أخذ يتقلص عن تلك البلاد نتيجة خروج حكام هذه المدن التابعة للخلافة الفاطمية عن طاعة الفاطميين ، واستقلالهم بالمدن التى فى أيديهم(١) .

وقد سهلت نزعات الاستقلال هذه عن جسم الدولة الفاطمية وقوع هذه المدن فى أيدى الصليبيين حيث توغل الصليبيون فى بلاد الشام ووقعت فى أيديهم المدن والحصون، واستولوا على بيت المقدس ، وقد أدت هذه الانتصارات التى حققها الصليبيون فى بلاد الشام إلى تنبيه الفاطميين لحقيقة الخطر الصليبى ، فخرج الأفضل بنفسه على رأس الجيش الفاطمى إلى بلاد الشام لدفع الصليبيين ، ولكن الهزيمة حلت بالأفضل وجيشه عند عسقلان فى أغسطس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ، واستطاع الأفضل النجاة بأعجوبة ، فركب مركبا فى البحر قاصدا شواطئ مصر (٢) .

ورغم سوء أوضاع الدولة الفاطمية فى هذه الفترة فقد أرسل الأفضل ثلاث حملات

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص٩٨ . ومن ذلك خروج القاضى ابن أبى عقيل قاضى صور عن طاعة الفاطميين ، وذلك فى سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م ، وكذلك قاضى طرابلس الحسن بن عمار انفصل عن الفاطميين أيضا فى نفس السنة ، وأقام إمارة مستقلة لنفسه فى تلك المدينة .
انظر : د. سعيد عاشور ، الرافعى : المرجع السابق ، ص٢١٠ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر نفسه، ص١٣٧ ، و د. سعيد عاشور ، الرافعى : المرجع نفسه، ص٢١٠ .

كبيرة إلى فلسطين سنة ٤٩٦هـ ، سنة ٤٩٧هـ ، سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠١م ، ١١٠٢م ، ١١٠٥م ، لكنها فشلت جميعها ، نتيجة سوء التنظيم والخلاف بين القادة وعدم التعاون بين الأسطول الفاطمى والجيوش البرية ، وكان من أهم نتائج هذه الحملات الثلاث استيلاء الصليبيين على بقية موانئ الشام ومدنه الجنوبية ، مثل : صيدا وبيروت ، ثم تطلع الصليبيون إلى مصر ذاتها ، وطمعوا فى الاستيلاء عليها [(١)] .

وقد ساهم هذا الخطر الجديد الذى واجهته مصر فى نهاية العصر الفاطمى فى إعادة النظر فى تحصين القاهرة وتقوية نقاط الضعف فيها ، وكانت أسوار القاهرة فى نهاية العصر الفاطمى قد تهدمت ، ووصفها المؤرخ أبو شامة بقوله : « صار طريقا لا يرد داخلا ولا خارجا » [(٢)] .

وقد تولى صلاح الدين الأيوبى - فى نهاية الحكم الفاطمى لمصر - منصب الوزارة وأخذ على عاتقه ترميم ما فى هذا السور من عطب ، وذلك فى سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١م، ولما كانت سنة ٥٦٩هـ وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى فبناه بالحجارة [(٣)] .

وقد حفز السلطان صلاح الدين على إعادة بناء السور مرة أخرى عزمه على ضم القاهرة وعواصمها الثلاث داخل سور واحد ، ونقل مقر الحكم بعيدا عن القصور الفاطمية حيث أنشأ لذلك قلعة الجبل ، وقام بمد سور القاهرة الأصلى من باب القنطرة إلى باب الشعرية ، ومن باب الشعرية إلى باب البحر [(٤)] ، حيث شيد هناك برجًا عظيمًا أطلق عليه برج المقس أو قلعة المقس [(٥)] ، وانقطع السور من هناك ، وكان فى أمله مد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر ، غير أنه مات قبل إتمام ذلك .

وكان الحافز وراء مد السور إلى منطقة المقس هو خطورة موقع هذه المنطقة بالنسبة للقاهرة ، خاصة وأن هذا العصر قد شهد حروبا مع الصليبيين عديدة . وقد أدت هذه التحصينات الحربية فى ذلك العصر للمقس بوجه خاص على اضطراد الناحية العمرانية

(١) سعيد عاشور ، الرافعى : المرجع السابق ، ص٢١٢ .

(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، طبعة النيل ، جـ١ ، ص١٩٢ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٤) المقريزى : المصدر نفسه ، ص٣٨ .

(٥) رجح بول كازانوفا أن يكون هناك شبه بين برج المقس ، وبرج الظفر ، وقال : إن هذا الترجيح مجرد افتراض لا يرقى إلى درجة اليقين .

انظر : بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة : د. أحمد دراج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ، ص٤٨ .

بها. وزيادة فى تحصين المنطقة أنشأ صلاح الدين بابا فى نهاية السور الشمالى من الجهة الغربية ، وكان موقع هذا الباب فى الزاوية من السور الشمالى الغربى يفتح إلى الغرب ، وذلك فى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧٤م ، وقد أطلق على هذا الباب باب المقس ؛ وذلك لوقوعه فى قرية المقس ، كما عرف باسم باب البحر لأنه كان يشرف على النيل[١] ، ومن ثم أصبح يطلق على المقس اسم باب البحر نسبة إلى هذا الباب .

وتاريخ إنشاء هذا الباب ـ طبقا لما ذكره الدكتور عبد الرحمن زكى ـ يتعارض مع تاريخ إنشاء السور ، فالمعروف أن السور قد أنشئ سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٨م . وفى ذلك يقول المقريزى : « فيها ظهر العمل فى سور القاهرة ، وطلع البناء ، وسلكت به الطرق المؤدية إلى الساحل بالمقس » [٢] . ومن غير المعقول أن يقوم صلاح الدين بإنشاء بوابة دون أن يكون لها فائدة ، ومن المحتمل أن يكون تاريخ إنشائها هو نفس تاريخ إنشاء السور.

ويبدو أن الطريق المؤدى إلى الساحل بالمقس ـ بعد إنشاء السور ـ قد أصبح أكثر سهولة ، حيث أدى إنشاء هذا السور إلى شق الطرق المؤدية إلى ساحل المقس . وذلك لخدمة الأغراض الحربية التى امتاز بها عهد صلاح الدين خاصة ، والدولة الأيوبية عامة .

وبعد إنشاء السور أصبح حى باب البحر محدد بالسور من الجهة الشمالية الشرقية وبوابة البحر من الجهة الغربية ، ويحده الخليج من الجهة الشرقية ، وامتداد حى أمير الجيوش الجوانى ، ومن الجهة الجنوبية فضاء يتخلله بعض الخلجان والبرك ، وهى المنطقة التى عرفت فيما بعد بالأزبكية .

وبالإضافة إلى ما قامت به الأسوار من تحديد لحى باب البحر فإنها كذلك قامت بجذب فرق الجند المدافعين إليها للدفاع عنها وعن القاهرة .

وكان الجيش الأيوبى ينقسم إلى أطلاب كل طلب يتكون من عدد يتراوح بين ٧٠ ، ٢٠٠ جندى وعلى رأس كل طلب أمير [٣] ، وقد أوكل صلاح الدين مهمة حراسة القاهرة وثغورها إلى فرقة معينة من الجنود مهمتها الحراسة فقط ، وليس من مهامها الخروج مع فرق الجيش الأخرى لملاقاة الأعداء خارج القاهرة .

ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الجنود قد كان لهم أماكن يقطنون بها بالقرب من السور الذى بالمقس ، ومن ثم انتشر العمران بالمنطقة ، وأنشئت الأسواق التى تلبى احتياجاتهم،

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩م ، ص١٩ .

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق١ ، ص٨٨ .

(٣) د. سعيد عاشور : الرافعى ، المرجع السابق ، ص٤١٤ .

ساعد على ذلك قرب حى المقس من الميناء .

ويشير أبو شامة على لسان العماد الكاتب إلى وجود سوق لخدمة الجنود ، لكنه لم يحدد مكانه ، حيث يذكر: « أنه لما خرج السلطان صلاح الدين من مصر لمحاربة الصليبيين بالشام سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م نودى بأن يأخذ العساكر معهم مؤونة تكفيهم عشرة أيام ، حيث كان من غير المتوقع أن يحصلوا على مؤن فى أرض العدو ، فأقيم لذلك سوق للعساكر ، وأقبل الجند على شراء ما يلزمهم بعد أن أعطاهم أمراؤهم رواتب الإقامات الإقطاعية المعتادة » (١) .

وهذا النص يبين لنا أن هناك أسواق انتشرت فى القاهرة ، وأنشئت فى مواقع خدمة هؤلاء الجنود لتلبية متطلباتهم ، وليس من المستبعد أن يكون وجود بعض فرق الجند بالمقس للدفاع والحراسة قد أدى إلى إنشاء مثل هذه السوق بالحى ، وهذا مجرد احتمال ليس هناك ما يؤكده إلا نظرية القياس ، ورغم أن عبارة العماد الكاتب السابقة لا يوجد بها موقع هذا السوق ، إلا أن الباحث يرجح أن كلمة سوق تدل على أن هناك سوق بالقرب من موقع القلعة ، وسوق آخر يخدم ظاهر القاهرة الغربى ، حيث قلعة المقس والسور ؛ إذ أن هذين الموقعين هما مكان توطن الجند فى هذا العصر .

ومهما كان الأمر فإن العامل الحربى خلال العصرين ـ الفاطمى والأيوبى ـ قد ساعد على توجيه انتباه الخلفاء والسلاطين على ضرورة تحصين منطقة المقس باعتبارها منفذ يمكن عن طريقه دخول القاهرة ، وتهديد أهلها ، وقد ساعد هذا العامل على إيجاد وسيلة دفاع للقاهرة والمقس ، وهى فى حد ذاتها إحدى وسائل العمران ، فضلا عن أن تشييدها قد ساعد على جذب العمران إلى هذه المنطقة سواء من ناحية الجنود أم المدنيين .

التطور العمرانى فى حى باب البحر :

يمكن القول أن العمران بدأ يأخذ طريقه إلى أرض المقس بعد تشييد جوهر القائد للقنطرة التى وصلت القاهرة بالمقس ، حيث كانت سببا فى تركز العمران بهذه المنطقة ، كما أدرك المعز ـ بعد وصوله للقاهرة سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣م ـ مدى خطورة هذا الموقع على القاهرة ، لدرجة أنه تمنى أن يكون موقع القاهرة مكان المقس ، ومن ثم استعاض عن ذلك بأن عمل على أن يكون عمران هذه المنطقة امتدادا طبيعيا لعمران القاهرة ، ومن ثم قام وولده العزيز بإنشاء دار لصناعة السفن بهذا الموقع جذبت إليها العديد من الصناع والمدنيين التجاريين .

كذلك فقد ساعد جو المنطقة الجميل ، وانتشار البساتين بأرضها ، ومرور النيل

---

(١) أبو شامة الروضتين ، جـ١ ، ص٢٧٧ .

بجانبها على جذب انتباه الخلفاء إليها ، فشيدوا بها المناظر التى كانت تشهد احتفالاتهم بتوديع الأسطول أثناء خروجه لملاقاة الأعداء ، أو عند استقبالهم له بعد عودته منتصرا . ومن هذه المناظر التى شيدت بهذا الموقع منظرة المقس[1] والتى أخذت اسمها من اسم المكان الذى شيدت به ، فضلا عن منظرة أخرى شيدت بأرض الدكة التى بجوار المقس ، وخصصت لاستقبال الخليفة أثناء عودته من كسر الخليج .

كذلك نرى الحاكم بأمر الله يقوم بتشييد مسجد له بأرض المقس ، وذلك فى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣م ، والراجح أن إنشاء هذا المسجد قد جاء تلبية لضرورة ملحة كان الباعث عليها ازدياد العمران بهذه المنطقة ، حيث كان يوجد بها دار الصناعة التى اختط حولها الصناع دورهم ، فضلا عن أن هذه الدار قد ساعدت على تقسيم المنطقة إلى طرقات على جوانبها المنازل ، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المنطقة ـ حى باب البحر ـ قد تطلبت وجود عدد من العسكريين لحماية هذا الثغر ، ومن ثم تطلب وجود هؤلاء العسكريين وجود أماكن لهم يقيمون بها بالقرب من الميناء ، فضلا عن ذلك فإن وجود ميناء للقاهرة بهذه المنطقة قد ساعد على انتشار الأسواق والسويقات التى كان التجار يعرضون بداخلها بضاعتهم ، وعلى هذا تطلب هذا الازدهار العمرانى وجود مسجد أو جامع يؤدى فيه هؤلاء الناس الصلاة ، ويتلقنوا فيه تعاليم دينهم الحنيف ، وعلى هذا قام الحاكم بإنشاء جامعة هناك .

وقد أوقف الخليفة الحاكم على هذا الجامع أماكن كثيرة للصرف من ريعها على عمارته ، فقد تضمن كتاب وقفه ما نصه : « ويكون جميع ما بقى مما تصدق به على هذه المواضع يصرف فى جميع ما يحتاج إليه جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمضفورة ، وثمن العود والبخور ، وغيره » [2] .

وقد بقى هذا الجامع على حالته ، حتى قام السلطان صلاح الدين بتجديده سنة ٥٨٧هـ/ ١١٨٥م بعد أن تصدع من جراء زيادة النيل ، كما قام الوزير شمس الدين عبد الله المقسى سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م بتجديده [3] ، وأطلق عليه جامع المقس نتيجة قيامه بهذا العمل الذى نسب إليه ، ولما تولى الوزير على باشا الصوفى مصر سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣م جدده وعَمَّره ودفن بجواره العارف بالله سيدى محمد عنان ، وعرف به منذ هذا التاريخ[4] . ويدل كتاب الوقف الخاص بهذا الجامع ، وجامع الحاكم الذى شيد فى نفس

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٨٠ .

(٢) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٨٣ .

(٣) السيوطى (جلال الدين) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جـ٢ ، ص١٣٩ ، والمقريزى ، المصدر نفسه ، ص٢٨٣ .

(٤) أبو السرور البكرى ، المخطوطة السابقة ، ورقة رقم ١٦٩ .

الفترة ـ السنة ـ على عظم شأن هذين المسجدين ، ويمكن ترجيح وجود شبه بين تخطيط جامع الحاكم ، وتخطيط جامع المقس حيث شيد المسجدان فى سنة واحدة[1] .

ويمتاز مسجد الحاكم ـ الموجود داخل أسوار القاهرة ـ باستخدام الآجر فى معظم أجزاء المسجد ، واستخدمت الحجارة فى بعض أجزاء منه مثل الدعامات المطلة على الصحن فى ظلة القبلة ، واستخدمت العقود المدببة المنفوخة كالتى وجدت فى جامع أحمد بن طولون ، فضلا عن استخدام القباب فى بلاطة المحراب حيث أنشئت قبة فوق المحراب ، وقبتان فى طرفى بلاطة المحراب .

وكان تخطيط جامع الحاكم عبارة عن أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة ، وهى تتكون من خمسة بلاطات ، والظلتان الجانبيتان كل منهما تتكون من ثلاث بلاطات ، أما الظلة المقابلة لظلة القبلة فهى تتكون من بلاطتين ، وقد فتح فى ثلاثة أضلاع منه مداخل تذكارية ضخمة ، وأقيمت مئذنتين فى الجدار الشمالى الغربى متماثلتين إلى حد كبير .

ومن المحتمل أن يكون جامع المقس ـ المنسوب للحاكم أيضا ـ قد جمع قدرا من التشابه مع جامع الحاكم المشيد داخل أسوار القاهرة ـ التى أعاد بناءها الوزير بدر الجمالى ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م[2] ؛ نظرا لأن المنشئ لها خليفة واحد هو الحاكم بأمر الله .

وقد تلاحق العمران بهذه المنطقة فى العصر الأيوبى ، فقد شيد الوزير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الناصرى نائب السلطنة فى مملكة اليمن مسجدا بنهاية حى الخراطين ، بين باب القنطرة وخط المقس على جزء من أرض كانت فى ملك الوزير الفاطمى المأمون محمد بن فاتك البطائحى [3] وزير الخليفة الآمر بأحكام الله ، وذلك فى سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة [4] .

---

(١) هذه السنة هى نفسها التى بدأ فيها الحاكم بإتمام بناء مسجد أبيه العزيز الذى اختطه خارج أسوار القاهرة التى أقامها جوهر وملاصقا لها ، واكتمل بناؤه فى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م ولهذا سمى المسجد باسمه .

انظر : د. أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، مدارسها ، الجزء الأول ، العصر الفاطمى ،دار المعارف، ١٩٦٥م ، ص٦٣ .

(٢) د. أحمد فكرى ، المرجع نفسه ، جـ١ ، ص٦٤ .

(٣) كان مولده فى سنة ٤٧٦ هـ ، وقيل في سنة ٤٧٦ هـ ، وكان من ذوى الآراء المعروفة فى عهد الأفضل سنة ٥١٥ هـ ، مات مصلوبا سنة ٥٢٢ هـ .

انظر : محمد حمدى المناوى ، المرجع السابق ، ص٢٧٤ .

(٤) ورد نص تأسيس الجامع نصه: « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وبيته الطيبين الطاهرين ، أمر . . . هذا الجامع المبارك ، العبد الفقير إلى رحمة ربه تعالى مبارك بن كامل بن مقلد ابن على بن نصر بن منقذ الناصرى الغمرى فى شهور سنة ثمان وستين وخمسمائة » .

انظر : حسن قاسم ، المزارات الإسلامية ، جـ٦ ، ص١٢٧ .

وهذه الأرض التى شيد عليها المسجد هى أرض حى باب البحر ، وربما كان إنشاؤه فى هذه المنطقة على الخليج المصرى وراء انتشار العمران فيما بين الخليج والنيل ، فلا شك أن انتشار المذهب السنى فى هذا العصر والدعوة له قد أدى إلى إنشاء أماكن تدرس هذا المذهب ، وهذه الأماكن كانت إقامتها فى الأماكن العامرة ؛ كى تفى بالغرض المنشود؛ مما يجعلنا نرجح أن هذه المنطقة قد شهدت تقدما عمرانيا فى هذا العصر ، فالمتبع أن إنشاء مسجد فى مكان ما ، لابد وأن وراءه انتشار العمران بهذا المكان .

كما لم يغفل صلاح الدين تحصين هذا الجزء من القاهرة فأنشأ فى سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م السور الممتد من المقس عند باب البحر وحتى قلعة الجبل ، فضلا عن إنشائه بابا فى الجهة الغربية من السور ، كان يغلق على المقس التى تسمت بعد ذلك باسم هذا الباب، وصار يطلق عليها اسم باب البحر ، وقد ظل هذا الباب حتى سنة ١٨٤٧م[١]، فضلا عن تشييده لبرج عظيم أطلق عليه برج المقس[٢] ، وهذه التحصينات الحربية ساعدت كثيرا على انتشار العمران وتعمير المنطقة ، فضلا عن حماية القاهرة من أخطار المعتدين .

كما شيدت فى هذا العصر أيضا بعض الزوايا التى انقطع فيها أصحابها للعبادة ، ومن أمثلة ذلك زاوية الشيخ عبد الله محمد بن موسى بن عبد الله بن حسن القصرى[٣] التى شيدها داخل هذا الحى ، وقد ذكرها المقريزى فى الزوايا ، ولم يحدد موقعها بالضبط[٤] ، وقد انقطع فيها هذا الشيخ للعبادة وطلب العلم وظل بها حتى توفى سنة ٦٣٣ هـ .

ويبدو من كلام المقريزى عن هذه الزاوية أنه لم يعرف تاريخا مضبوطا لإنشائها ، ويمكن أن نرجح أن إنشاءها يعود إلى ما قبل تاريخ وفاة الرجل بحوالى ثلاثين عاما تقريبا، أى أنها شيدت فى العصر الأيوبى ، وهى تعتبر من أول الزوايا التى شيدت بهذا الحى ، تلاحق بعدها تشييد الزوايا فى العصرين : المملوكى والعثمانى فى هذا الحى بدرجة كبيرة .

---

(١) عبد الرحمن زكى ، القاهرة ، تاريخها وآثارها ، ص٦٩ .

(٢) شيد صلاح الدين هذا البرج ، محل منظرة المقس التى كانت بجوار جامع المقس المشيد في نهاية سور القاهرة عند باب البحر ، ومحلها اليوم المكان القائم عليه عمارتا الأوقاف وراتب باشا ، المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية .

انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ص٣٩ ، حاشية (٤) .

(٣) أحد الرجال الصالحين ، مالكى المذهب قدم من كتامة بالمغرب إلى القاهرة .

انظر : المقريزى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٣٤ .

(٤) المقريزى ، المصدر نفسه ، ص٤٣٤ .

وبمجيء العصر المملوكي ، اضطرد العمران بحى باب البحر اضطرادًا كبيرا ، وعلى وجه الخصوص العمارة الدينية والمدنية . وكان الباعث وراء ازدهار العمائر الدينية ما شاهدته مصر فى ذلك العصر من نشاط دينى كبير ، أدى إلى وجود أنماط مختلفة من تلك العمائر مثل الزوايا والمدارس والمساجد ، كما انتشرت العمائر المدنية ؛ كالمنازل والفنادق والوكالات ، إلى جانب الأسواق والسويقات ، بالإضافة إلى ذلك انتشرت المنشآت الصناعية ؛ كالمعاصر الخاصة بعصر الزيت الحلو والحار (السيرج) ، والمطاحن المخصصة لطحن نبات السدر ، وطحن الدقيق ، كما انتشرت كذلك الأفران المخصصة لإنتاج الخبز . فضلا عن ذلك انتشرت المنشآت المخصصة للحياكة سواء المنسوجات أو الحرير (القزازة) .

ومن المنشآت الدينية التى شيدت بحى المقس ، زاوية عرفت بزاوية الأبناسى [(١)] ، وهى تنسب للشيخ الفقيه : برهان الدين إبراهيم بن حسين بن موسى بن أيوب الأبناسى الشافعى[(٢)] . وقد ولد هذا الشيخ قبل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وتوفى أثناء عودته من الحج فى ثمانى من المحرم سنة اثنتين وثمانمائة ، ولم يدفن فى زاويته هذه .

كما أنشأ الأمير بدر الدين التركمانى جامعا يقع داخل درب أطلق عليه اسم هذا الأمير (التركمانى) وصفه المقريزى بأنه من الجوامع المليحة البناء . وقد كان ما حول هذا الجامع عامرا عمارة زائدة ، ثم خرب ما حوله وقت الغلاء الذى وقع زمن الأشرف شعبان ابن حسين ، وما برح حاله يختل إلى أن كانت سنة ٨٠٦ هـ /١٤٠٣م فخرب معظم ما هنالك [(٣)].

ويستشف من وصف المقريزى للجامع وما حوله من عمارة أن هذا الجامع قد كان له أثر مباشر فى ازدهار العمران حوله ، فأينما يشيد المسجد تبنى العمائر حوله ، مما أدى إلى إحداث تطور فى العمران بحى باب البحر ، ولم يزل هذا الجامع باقيا حتى وقتنا الحاضر، غير أن البناء يعود إلى العصر العثمانى .

ولم يؤرخ المقريزى لهذا الجامع ، غير أننا نستطيع أن نعطى تاريخا تقريبيا لهذا الجامع

---

(١) سيأتى لهذه الزاوية شرح مسهب فى الفصل الثالث من الباب الثالث الخاص بالآثار المعمارية (العمائر الدارسة).

(٢) قدم هذا الشيخ من الريف وبرع فى الفقه ، واشتهر بسلامة الباطن ، وعرف بالخير والصلاح ، ودرس بالجامع الأزهر وغيره ، وتصدى لأشغال الطلبة عدة سنين ، وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء . انظر : المقريزى ، المصدر السابق ، ص٤١٥ .

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، ص٣١٣ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٧ .

من خلال ما أورده المقريزى عن ترجمة هذا الأمير الذى ولى وظيفة شاد الدواوين [١] فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ومن خلال تاريخ وفاته فى ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، حيث يمكن إرجاع تاريخ بنائه إلى ما قبل هذا التاريخ بعام أو عامين . أى فيما بين سنة ٧٣٦ هـ ـ ٧٣٧ هـ / ١٣٣٥ ـ ١٣٣٦م .

وإلى جانب هذا الأمير قام الأمير جوهر السحرتى اللالا[٢] بإنشاء مسجد له فيما بين باب الشعرية وباب البحر ، يتوصل إليه من سويقة الزلط أو سوق الزلط المتفرع من حى باب البحر ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة كما تنص على ذلك اللوحة التأسيسية التى يحتفظ بها المسجد بعد أن ضاعت كل معالمه الأثرية ، فهناك لوحتان تأسيسيتان : الأولى وضعت فوق مدخل المسجد ، والأخرى بالجدار الجنوبى الشرقى إلى اليسار من المحراب فوق العقد .

وكلا اللوحتين سجل عليهما هذا النص مع اختلافات طفيفة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله تعالى الفقير إلى الله جوهر السحرتى اللالا الملكى الصالحى ، وكان ابتداؤه فى شهر رمضان من سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة » [٣] . وهذا النص موجود فوق المدخل الرئيس للجامع ، أما النص الآخر الموجود داخل المسجد فنصه كالآتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله تعالى وعطائه الجزيل العبد الفقير إلى الله تعالى جوهر السحرتى اللالا السلطانى الملكى الصالحى ، عامله الله تعالى بألطافه وأعانه على مرضاته وكان ابتداؤه فى شهر رجب الفرد وانتهاؤه فى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة » [٤] ، وقد أصبح منشئ هذا الجامع أميرا فى سنة ٧٤٥ هـ [٥] .

---

(١) تعتبر هذه الوظيفة التاسعة عشرة من الوظائف التى كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكى ، وكان شاد الدواوين رفيقا للوزير ، ومهمته استخلاص ما يتقرر فى الديوان على من يعسر استخلاصه منه ، وفى حالة خلو الدولة من الوزير كان شاد الدواوين يستقل بتدبير الدولة ، وهذا ما حدث بالفعل للأمير بدر الدين التركمانى مُنشئ هذا الجامع .

انظر : د. حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ٢ ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م ، ص٦١١ ، ٦١٢ .

(٢) لالا : لفظة فارسية معناها : مربى الأطفال ، وهى تطلق على مربى أولاد الملوك والسلاطين .

انظر : د. حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٩٧٩ .

(3) Repertoire , Vol , XV,p.226 .

(4) Repertoire , Op . Cit , p.226 .

(٥) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٢٥ .

ويتتابع الزمن تزايد إنشاء المساجد والزوايا ، ومن هذه المنشآت التى شيدت بحى باب البحر ، زاوية الركراكى[1] . وقد عرفت بالشيخ أبى عبد الله محمد الركراكى المغربى المالكى لإقامته بها ، وكان فقيها مالكيا متصديا لأشغال المغاربة يتبرك به الناس ، وظل بهذه الزاوية إلى أن توفى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، ودفن بهذه الزاوية . وهذا التزايد الواضح فى إنشاء المساجد والزوايا بهذه المنطقة يدل على أنها كانت سكنا مفضلا للشيوخ والمتصوفة ، حيث إن هذا الموقع كان يمتاز بأنه بعيد عن ضجيج المدينة ، وأيضا يمتاز بقربه من النيل والخليج ، فهو فى موقع ممتاز من حيث الجو الممتع ، والطبيعة الجميلة ، إلى جانب أنه ربما يكون فى هذا الموقع عدد كبير من الشعب استلزم عددا كبيرا من الشيوخ ؛ كى يقوموا بإلقاء الدروس على هذا الجمع الكبير من الشعب ، ومن ثم كثر تجمع المتصوفة والشيوخ فى هذا الحى .

وفى العصر الجركسى اضطرد العمران بهذا الحى ، وأصبح موجودا به نماذج متعددة من العمائر التى اجتمعت بها مميزات العمارة فى هذه الفترة ، ومن هذه المنشآت مسجد سيدى أحمد الزاهد الذى بدئ فى إنشائه سنة ٨١٨هـ / ١٤١٥م واكتمل إنشاؤه سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م ، ولم يتبق من المسجد سوى مئذنته [٢] ، والتى أضيفت إليها القمة العثمانية التى على هيئة سن قلم الرصاص .وتدل المساحة الباقية لهذا المسجد على أنه كان من أكبر المساجد فى هذا العصر ، كما أنه ربما يكون قد صار فى تخطيطه على نفس طريقة تخطيط المساجد والمدارس الجركسية ذات النظام المتطور ، أو ربما يكون قد شيد على نفس مسجد المؤيد شيخ المشيد فى نفس الفترة الزمنية ، والمكوّن من أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة ، وليس لدينا أية أدلة تؤكد هذه الافتراضات سوى ما امتازت به كافة العمائر الجركسية فى هذه الفترة من حيث وجود نظامين للتخطيط : الأول المكون من صحن أوسط تعلوه شخشيخة ، وأربع إيوانات ، عبارة عن إيوانين كبيرين وآخرين صغيرين أطلقت عليهم الوثائق لفظ (سدلة) ؛ اعترافا منها بصغر حجم هذين الإيوانين عن بقية الإيوانات ، والنظام الآخر كان عبارة عن صحن مكشوف وأربع ظلات ، أكبرها ظلة القبلة كما فى خانقاه فرج بن برقوق ، ومسجد المؤيد شيخ بتحت الربع .

وقد شيدت خوند مغل[٣] زوجة السلطان جقمق ، للشيخ مدين [٤] جامعا عظيم

---

(١) الركراكى ، نسبة إلى ركراكة ، وهى بلدة بالمغرب ، استخدمت كميناء لأحد سواحل المغرب .

ـ المقريزى ، المصدر السابق ، ص٤١٣ .

(٢) انظر : الوصف المعمارى لهذه المئذنة والترجمة الكاملة للشيخ أحمد الزاهد عند الحديث عن هذا المسجد فى الفصل الثالث من الباب الثالث .

(٣) انظر : الترجمة الكاملة لها فى الفصل الأول من الباب الثالث .

(٤) انظر : الترجمة الكاملة له فى الفصل الأول من الباب الثالث .

البناء فى حى البحر برسم زاوية ومسجد ، وذلك فى سنة ٨٤٣هـ / ١١٤٣م[١] ، وقد أدى إنشاؤه إلى ازدياد العمران فى هذه المنطقة ، خاصة وأن الشيخ مدين كان له مريدون كثيرون يأتون إليه ليتعلموا على يديه ، بالإضافة إلى توافد الناس إلى هذا المسجد لأداء الصلوات به .

ومن المنشآت التى شيدت داخل باب البحر برسم خدمة الشعب : الأسواق ، والسويقات ، والفنادق ، والوكالات .

وقد أشاد المقريزى بما رآه من أسواق بهذه المنطقة (الممتدة من باب البحر وحتى باب اللوق)[٢] ؛ مما يؤكد عظم الناحية العمرانية لظاهر القاهرة الغربى عامة وحى باب البحر خاصة ؛ نظرا لما كان يمتاز به هذا الحى من نشاط تجارى كبير .

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الفترة قد أغفلت ذكر أسماء الأسواق التى انتشرت بهذه المنطقة ، إلا أن الوثائق التى اطلعنا عليها تذكر لنا بعض أسماء السويقات التى انتشرت بهذه المنطقة - باب البحر - ومن هذه السويقات : سويقة العياطين[٣] ، وسويقة الحمام [٤] ، وسويقة البلبيسى [٥] .

ولا شك أن هذه السويقات قد حفلت بالتجارة المختلفة والتجار ، وساهمت فى انتشار العمران بالمنطقة ، فضلا عن أن انتشار هذه الأسواق والسويقات هو فى حد ذاته انتشار للعمران فى حى باب البحر .

وإلى جانب هذه الأسواق وجدت كذلك بعض المنشآت المخصصة للتجار، ومن ذلك فندق طرنطاى[٦] ، ووكالة الجبن [٧] .

وقد خصصت كل منشأة لتجارة نوع معين من السلع ، حيث نجد أن فندق طرنطاى

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، جـ٣ ، ص ٧٠ ، ١٩٨٤م .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٤ .

(٣) سميت بهذا الاسم ؛ نظرا لأن ناظر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة كمية كبيرة من عسل القصب ، وفرض على كل قنطار عشرين درهما ، فذهبوا إلى السلطان ووقفوا وعيطوا ، حتى أعفاهم من ذلك ، فقيل لها من حينئذ : سويقة العياطين .
انظر : المقريزى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٠٧ .
أو ربما تسموا بذلك نسبة إلى قرية العياط التابعة لإقليم الجيزة القادمين منها .

(٤) وثيقة ٢٢١ / القلعة .

(٥) الوثيقة نفسها (جزء الوصف لمعصرة الزيت) سطر ٢ ، باسم : بدر الدين الونائى ، مؤرخة سنة ٩٠٢هـ .

(٦ ، ٧) انظر : **الفصل الأول من الباب الثانى** .

هذا قد خصص لتجارة الزيت ، وكان ينزل لتجارة الشوام القادمين ومعهم هذا النوع من السلع لتوزيعه داخل القاهرة ، كما اختصت الوكالة بتجارة الجبن والتصق نوع التجارة التى تقوم بالاتجار فيها بالمبنى القائم ، فأصبح يطلق عليها : وكالة الجبن .

وإذا أمعنا النظر فى وضع المنشآت فى هذه الجهة من القاهرة لتبين لنا أن العمران قد بلغ أوج ازدهاره فى ذلك العصر ؛ مما دعى التجار إلى الخروج عن زمام المدينة وتعمير ظاهر القاهرة الذى وجدوا فيه متنفسا لتجارتهم ، ساعد على ذلك قرب موقع حى باب البحر من ميناء بولاق التى كانت تصل إليه كافة أنواع السلع المحلية والأجنبية .

بالإضافة إلى هذه المنشآت التجارية اشتمل الحى أيضا علي العديد من المنشآت الصناعية، والتى ضمت بداخلها عددا كبيرا من الصناع الذين اختلفت حرفهم باختلاف المنشآت التى يعملون بها ، فقد ضم الحى معاصر للزيت ومطاحن للدقيق ، وأفران للخبز. وكل هذه المنشآت ساعدت أيضا على اضطراد العمران بالحى ؛ نظرا لأنه يضم أماكن للعمل يتوافد إليها الصناع من أماكن إقامتهم التى ربما كانت بجوار هذه المنشآت لتنفيذ ما يطلب منها .

ومن هذه المنشآت التى وصلتنا أسماؤها ـ من خلال الوثائق ـ معصرة مكونة من عشرة أحجار تقع خارج باب القنطرة داخل باب البحر على يمنة السالك منه [١] ، ويبدو أن هذه المعصرة قد ضمت أعدادا كبيرة من الصناع ؛ نظرا لأنها تشتمل على عدد كبير من الأحجار المخصصة لطحن البذور التى يستخرج منها الزيت ، بلغ عددها عشرة أحجار ، ربما كان يختص كل حجر بعامل يباشر عملية الطحن ، وآخر ينقل القشرة الناتجة ، وثالث يراعى الحمار أو الفرس المخصص لإدارة الحجر ، ورابع ينقل الزيت بعد استخراجه إلى بيت الزيت المشيد داخل المعصرة ، حيث يتم بيعه إلى التجار .

وإلى جانب هذه المعصرة وجدت معصرة أخرى ذكرتها الوثيقة ٢٢١ / القلعة ، وهى تقع خارج باب القنطرة بخط الدكة بالمقسم على يمنة السالك طالبا لبركة قرموط ، اى أنها بالقرب من المعصرة السابقة . وتشييد هذه المعاصر فى مكان واحد يدل على مدى حاجة الشعب لمثل هذا النوع من السلع ، حيث كان يستخدم فى الإضاءة وفى صناعة الحلوى وبعض الأطعمة الأخرى .

كما شيد بالحى أيضا بعض المنشآت الأخرى الصناعية والتى منها المطاحن المخصصة لطحن الدقيق ، وطحن نبات السدر وكسره بالإضافة إلى بعض الملحقات الأخرى والتى

(١) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية (معصرة باب البحر) .

منها دار دواب وطوالة ومتبن وبئر ماء معين ومراغة ومسطاحان [1] .

كما شيدت مطحنة أخرى بالدرب المعروف بالدار الحمراء الواقع بحى باب البحر ، وهى تشتمل على حجر قاعدة وعجلة وهرمسين [2] فضلا عن بعض الملحقات الأخرى.

والحق ، فإن تشييد هذه المنشآت فى هذا الحى كان يخدم أغراض التجارة التى انتشرت منشآتها ـ أسواقها ـ فى هذا الحى، إلى جانب تلبية احتياجات الحمامات من هذا النبات ، وتلبية احتياجات الأفران من الدقيق الذى تنتجه هذه المطاحن ، ومن هذه المطاحن مطحنة تقع بالقرب من سويقة العياطين ، تشتمل على حجرين وقاعدتين وعجلتين وهرمسين ومسطاح برسم القمح بالإضافة إلى طوالتين ومراغة برسم الأبقار ومتبن وبئر ماء معين ، وكان يقع على كاهل هذه الطواحين إمداد الأفران بحاجتها من الدقيق الذى يعد كى يصبح خبزا يتم توزيعه على جوانيت الخبز . ولا شك أن هذه المنشآت قد أنشئت لتخدم الأعداد الكبيرة من المنشآت التجارية والمنازل ، ومن ثم كان لها دورها البارز فى ازدهار العمران .

وإلى جانب المطاحن ، وجدت المنشآت الخاصة بإنتاج المنسوجات . ومنها قاعات القزازة وقاعات البسط [3]، وهى تشتمل على أنوال يختلف عددها باختلاف مساحة القاعات التى تضم هذه الأنوال ، بالإضافة إلى بعض الملحقات التى منها المخزن والحاصل المخصص للعدة وبئر الماء المعين ، ومن هذه القاعات قاعة شيدت داخل سويقة العياطين ، يجاورها قاعة أخرى لعمل البسط .

كما وجد من هذه المنشآت أيضا بالحى قزازة تقع داخل حى باب البحر بالقرب من ميدان الغلة،وهى تشتمل على قاعة بها ثلاثة أنوال كاملة العدة والآلات والمرافق[4].كما شيدت أيضا قزازة أخرى بالقرب من سويقة العياطين بها قاعة تشتمل على ستة أنوال[5].

وقد ساهمت مثل هذه المنشآت فى إمداد المنطقة بحاجتها من المنسوجات ، وربما وقع عليها إمداد كبار القوم بما يحتاجونه من هذه المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية وتشييدها في هذا المكان أدى إلى توافد الصناع إليها وتعمير ما حولها ، ومن ثم ساعد وجودها على انتشار العمران فى حى باب البحر وارباده . . فضلا عن ذلك فإن انتشار المنشآت الصناعية فى هذا المكان بالتحديد يفسر لنا حرص القائمين على أمر هذه المنشآت

---

(١) وثيقة ٧١٩ ج / الأوقاف ، سطر ١٢٢ .

(٢) انظر : دور الحى الصناعى (الفصل الثانى من الباب الثانى) .

(٣) وثيقة ٢٢١ / القلعة ، دار وجفار بسويقة العياطين ، سطر ٧ ، ٨ .

(٤) وثيقة ٧١٩ ج / الأوقاف سطر ١٠٩ .

(٥) الوثيقة السابقة ، سطر ١٢٨ .

على أن تكون قريبة من الأماكن التى تصل إليها المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعة نتيجة قرب هذا الحى من الخليج ومن النيل .

وفى العصر العثمانى تزايد العمران بهذا الحى تزايدا عظيما ، وتدل الحجج الشرعية التى وصلتنا على انتشار العمران بهذا الحى ، فقد تنوعت المنشات بداخله ، حيث وجد به المنشآت الصناعية ؛ كالطواحين ، ودور الحياكة ، والأفران ، والمنشآت المدنية كالمنازل والوكالات ، والخانات ، والمقاهى ، والحمامات ، والسويقات ، إلى جانب المنشآت الدينية كالزوايا ، والمساجد .

فمن المنشآت الصناعية التى شيدت بحى باب البحر ، والتى تعتبر أقدم منشأة تعود إلى العصر العثمانى وصلت إلينا من خلال الوثائق ، معصرة معدة لعصر الزيت الحار والحلو تقع بالقرب من باب البحر ، وهى تشتمل على ستة أحجار زيت ، كما شيدت بجوار هذه المعصرة طاحونة معدة لطحن البذر والقرطم تشتمل على عجلة وهرمسين وقوس وقادوس وفأس حديد وعمود حديد[1] .

كما أنشئت إلى جانب المطاحن « قاعات الحياكة » ، ومن ذلك أربع قاعات معدة لصناعة الحياكة تشتمل إحداهن على ثلاثة أنوال ، والثلاثة الباقية كل واحدة منهن تحتوى على نولين ، وقد شيدت تلك القاعات الأربع داخل حى الفوطية المتفرع من حى باب البحر [2] وهى تعود أيضا إلى سنة ٩٧٢ هـ / ١٥٧٠ م [3] .

كما تشير الوثائق التى يحتفظ بها سجل عام ٩٧٣هـ / ١٥٧١ م إلى وجود العديد من المنشآت المشيدة داخل هذا الحى فى نفس السنة ، ومن ذلك جمع الزريبة المعدة لعلف الأبقار الكائنة بخط المقسم المبارك[4] ، والمخصصة لخدمة أهل المنطقة من حيث إمدادهم باحتياجاتهم من الألبان ، وكذلك إمداد القصابين باحتياجاتهم من اللحوم ، ومن المحتمل أن تكون هذه الزريبة هى المصدر الأساسى الذى كان يمد هؤلاء القصابين باحتياجاتهم من الأبقار وذلك بعد علفها كى تصبح صالحة للذبح .

وفى سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٩م استأجر منصور بن رمضان ابن المعلم أحمد بن عبد العال

---

(١) سجلات محكمة أحمد الزاهد (مصلحة الشهر العقارى بالقاهرة) سجل عام ٩٧٢ هـ/ ١٥٧٠م الوثيقة المدونة فى أحداث يوم ٨ جمادى الأولى سطر ٢ ـ ٤ رقم ٥٦ ص ١٥ وسيأتى الحديث عن هذه المعصرة في دور الحى الصناعى بالباب الثانى .

(٢) سجل عام ٩٧٢ هـ ، أحداث يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الأولى ،سطر ٤ .

(٣) قام باستئجارها الحاج محمد بن محمد البربرى ، فى سنة ٩٧٣هـ / ١٥٧٠م .

(٤) سجلات محكمة أحمد الزاهد سجل عام ٩٧٢هـ/ وثيقة ضمن أحداث يوم السبت خامس شهر جمادى الأولى ، سطر ٥ .

جميع المعصرة الكائنة بخط المقسم المبارك بالقرب من ميدان الغلة داخل سويقة الحمام ، وهى تشتمل على عشرة أحجار ، كما اشتملت المعصرة على طاحونتين معدتين لطحن البذر والقرطم [1].

كما شيد بالحى فى سنة ٩٨٢هـ / ١٩٨٠م قاعتين لعمل الحياكة استأجرهما ناصف ابن خليل بن يوسف الدومى لنفسه من حسن الزمانى ، وهاتان القاعتان تشتملان على خمسة أنوال وتقعان داخل درب سعيدة بباب البحر [2] . (داخل سويقة بنى الوفا) .

كذلك اشتمل الحى على طاحونة لطحن نبات السدر قام بشرائها الحاج منصور مبارك ابن الحاج حسن بن نصير ، وقد كانت تقع خارج باب القوس وداخل باب البحر على يمنة الطالب لباب البحر [3] .

وفى سنة ٩٩٢هـ استأجر الشيخ العلامة شمس الدين محمد ابن المصونة أزدان بنت المرحوم الشرفى يحيى بن بدر الدين الونائى الفرن المعدة لخبز العجين والواقعة بالقرب من سوق الخشب المجاور لسويقة بنى الوفا [4] .

وفى عام ٩٩٤هـ اشترى سليمان بن على بن منصور جميع المصبغة الكائنة بالقرب من سويقة بنى الوفا ، والتى خصصت لصباغة الأقمشة [5] . وعلى الرغم من أن هذه المنشآت قد تم استئجارها أو شراؤها من ملاكها مما يدل على أنها شيدت قبل هذا التاريخ أو شيدت فى نفس هذا التاريخ ، وجعلها منشئها للإيجار أو البيع إلا أنها توضح مدى العناية البالغة التى منحها الصناع فى هذا الحى لمثل هذه المنشآت والعناية بتشييدها سواء للإيجار أو للبيع ، وكذلك توضح الازدهار العمراني الذى شهدته المنطقة نتيجة وجود مثل هذه المنشآت بها .

كذلك تشير سجلات عام ٩٩٤هـ إلى وجود العديد من المنشآت الصناعية التى وجدت بالحى فى هذا العام ، منها قاعة حياكة مجر ثلاثة أنوال كاملة العدة ، والآلة قامت بشرائها السيدة شامية ابنة المعلم محمد بن سلامة المزاحى من زوجها الحاج جمال الدين يوسف . وتعطينا الوثيقة مساحتها بالأسهم حيث تذكر أن مساحتها ستة أسهم من أصل أربع وعشرين سهما (١/ ٤ قيراط) [6] كذلك ضمت هذه القاعة المعدة للحياكة

---

(١) وثيقة ٥٧ من سجلات محكمة أحمد الزاهد سجل عام ٩٨١هـ/ ١٥٧٩م ، ص١٧ ، سطر ٢ .
(٢) سجلات محكمة الزاهد سجل عام ٩٨٢هـ/ ١٥٨٠م وثيقة ٢٧٤ ، ص٧٨ ، سطر ٢ .
(٣) سجلات الزاهد ، سجل عام ٩٨٢ هـ/ ١٥٨٠م ، وثيقة ٢٧٦ ، ص٧٨ .
(٤) سجلات الزاهد ، سجل عام ٩٩٢هـ ، وثيقة ٨٠٢ ، ص٢٢٨ ، سطر ٣ .
(٥) سجلات الزاهد ، سجل عام ٩٩٤هـ ، وثيقة ٩٠ ، ص٢٨ .
(٦) سجلات الزاهد ، سجل عام ٩٩٤هـ ، وثيقة ١٣٨ ، ص٤٦ ، سطر ٥ ، ٦ .

منزلا كامل الحقوق والمرافق برسم الإعاشة بداخله [1] .

كما وجد أيضا بالحى ـ بالقرب من سويقة الحمام المجاورة لجامع سيدى على الفرا ـ معصرة مخصصة لعصر بذر الكتان عرفت هذه المعصرة بابن سرور [2] ، وقد كانت هذه المنشآت يتم استئجارها لمدد زمنية متعاقبة ، مما يدل على مدى أهميتها بالنسبة للحى على وجه الخصوص ، وللقاهرة على وجه العموم .

وبتقادم الزمن استمرت العمائر بداخل هذا الحى الحيوي العريق ، فمن المنشآت المدنية المشيدة برسم السكنى والإعاشة جميع الدار الكاملة أرضا وبناء الكائنة بالقاهرة بخط المقسم المبارك ، الواقعة داخل سوق البقر العتيق ، والتى اشتملت على منافع ومرافق وحقوق : واصل سدر [3] ، وذلك فى عام ١٠٠٧هـ . كما شيدت فى نفس العام معصرة كاملة المنافع والمرافق بالقرب من باب البحر كانت تشتمل إجمالا على أحد عشر حجرا صوانا ، مركبة على قواعدها وأربع عيدان زيت وطاحونتين وبئر ماء معين ومنافع ومرافق وحقوق [4] .

كذلك وصلنا من المنشآت المشيدة فى هذا الحى ، والتى تم استئجارها فى نفس العام المذكور العديد منها ، جميع المكان الكامل أرضا وبناء الكائن ظاهر القاهرة المحروسة بخط المقسم المبارك بسويقة الحمام فيما بين الدرب الواسع وزقاق الحمار على يمنة السالك من باب البحر [5] طالبا سويقة العياطين ، المشتمل إجمالا على ثلاثة حوانيت ومخزنين يعلو ذلك طباق ومنافع ومرافع وحقوق . ومنها أيضا : جميع القاعتين المتلاصقتين الكائنتين بخط المقسم المبارك تجاه معصرة المرحوم أحمد الشخيمى ، المعدة أحدهما لعمل البسط ، والثانية معدة لعمل السدا [6] . كذلك جميع الحصة التى قدرها الثلثان ستة عشر سهما من أصل أربعة وعشرين سهما شائعا ذلك فى جميع المكان الكائن بخط ميدان الفلة ، المشتمل على فسحة كشف سماوى بها ثلاثة حواصل يعلوها حاصلان ورواق ومنافع وحقوق[7] .

وفى عام ١٠١٠هـ وصلنا من المنشآت الصناعية معصرة معدة لعصر الزيت الحار

---

(١) السجل السابق ، سطر ٧ ـ ١٣ .

(٢) سجل عام ٩٩٥هـ ، وثيقة ٩٧٧ ، ص٣٣٥ ، سطر ٤ .

(٣) سجلات الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ٨٢٨ ، ص٢٣٩ .

(٤) السجل السابق ، وثيقة ١٧٢ ، ص٥٤ .

(٥) السجل السابق ، وثيقة ٣٣٥ ، ص١١٥ .

(٦) سجلات الزاهد ، سنة ١٠٠٧هـ ، وثيقة ٤٧٥ ، ص١٤٣ ، بمصلحة الشهر العقارى بالقاهرة .

(٧) السجل السابق ، وثيقة ٤٩٥ ، ص١٥٠ .

والحلو الكائنة بخط المقسم المبارك بالدرب الواسع المجاور لسويقة الحمام ، المشتمل كاملها على ثلاثة عيدان وطاحونتين وعشرة أحجار وزريبة وبئر ماء معين ومنافع ومرافق وحقوق[١] .

ومن منشآت عام ١٠٣١ هـ وصلنا منشأة المناوى التى شيدها برسم زاوية لم يتبق منها سوى القبة فقط التى دفن بها .

ومن عام ١٠٣٤ هـ وصلنا من المنشآت التجارية ذات الصفة الاجتماعية مقهى كانت تقع بخط سويقة الحمام .

ومن عام ١٠٣٧ هـ وصلنا من المنشآت المدنية جميع المكان الكائن بخط المقسم المبارك يبين الزرايب داخل درب يعرف بالشيخ شهاب ، وهو يشتمل على واجهة قبلية مبنية بالحجر الفصى النحيت [٢] . لها باب مربع يغلق عليه مصراع خشبى واحد ، يؤدى إلى فسحة صغيرة بدون سقف ، اشتملت هذه الفسحة على حاصل وسلم يؤدى إلى طبقة ورواق وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق [٣] .

كذلك وصلنا من المنشآت التى تعود لنفس العام جميع المقهى المستجدة الإنشاء والعمارة التى كانت تقع بخط المقسم المبارك بالقرب من سويقة أبى الوفا على يسيرة السالك طالبا لباب البحر تجاه درب سعيدة[٤]، والمشتمل على منافع ومرافق وحقوق[٥]. وقد استأجر هذه المقهى فور إنشائها المعلم منصور بن عطا الله بن منصور بأجرة مبلغها عن كل يوم عشرة أنصاف فضة عددية [٦] .

ومن المنشآت التى وصلتنا من خلال الوثائق المدونة داخل سجلات محكمة أحمد الزاهد ، والتى تعود للعصر العثمانى وبالتحديد سنة ١١٤٤ هـ : جميع الحمامين المجاورين بعضها بعضا الكائنين بمصر المحروسة بدفع السقايين على يسرة السالك طالبا لسويقة بنى الوفا[٧].

ومن المنشآت التى تعود لسنة ١١٦٥ هـ وصلنا منزل كان يقع بالحى ـ موضوع الدراسة ـ بالقرب من سوق النيلة ، الكائن بسويقة الحمام داخل الدرب الواسع ،

---

(١) سجلات الزاهد ، سجل عام ١٠١٠ هـ ، وثيقة ٢٠ ، ص٥ بالشهر العقارى .

(٢) سجل عام ١٠٣٤ هـ ، وثيقة ٢٨١٠ ، ص٧٤٤ بالشهر العقارى .

(٣) انظر : معجم المصطلحات برقم (٤) .

(٤) سجلات الزاهد سجل عام ١٠٣٧ هـ ، وثيقة ٢٧٧ ، ص٨١ بالشهر العقارى .

(٥) انظر : الفصل الثالث من الباب الثانى من هذا الكتاب .

(٦) سجلات عام ١٠٣٧ ، وثيقة ٣٢٨ ، ص٩٩ من سجلات محكمة الزاهد بالشهر العقارى .

(٧) سجلات الزاهد سجل عام ١١٤٤هـ ، وثيقة ٢٥٦ ، ص١٤٠ بالشهر العقارى .

المشتمل على واجهة قبلية مبنية بالحجر الفصى النحيت ، لها باب مقنطر يغلق عليه مصراع خشبى ، يؤدى إلى دركاة مستطيلة يصدرها مسطبة ، وباب مكون من زوجين من المصاريع الخشبية ، يؤدى إلى دهليز يؤدى إلى فسحة ومساكن علوية وسفلية وطاحونة مستجدة الإنشاء ، أى أن هذا المكان قد ضم إلى ـ جانب أنه مكان للمعيشة ـ بعض المرافق الهامة المتعلقة بأهل الدار ، ومنها هذه الطاحونة التى تذكرها الوثيقة (١) .

ومن المنشآت التى تعود لسنة ١١٦٨ هـ جميع المكان الكائن بمصر المحروسة بخط المقسم المبارك داخل سويقة الزلط المعروفة بسكن المرحوم الحاج حمزة ، المشتمل ذلك على قاعة أرضية وحوش صغير وبئر ماء معين ورواقين وطبقة لطيفة(٢) ، ومقعد وثلاثة أصول بلح وأصل سدر وحفرة مرحاض ، وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق (٣) .

ومن عام ١١٨٤ هـ وصلنا من المنشآت مجموعة أحمد العريان والعروسى الدينية والمدنية ، كذلك وصلنا من المنشآت المستجدة الإنشاء فى عام ١١٨٩ هـ جميع المكان الكائن بمصر المحروسة بخط المقسم المبارك قريبا من جامع سيدى أحمد الزاهد وسيدى مدين ، وكان يقع داخل درب يعرف بالطباخ(٤) من جملة خط سويقة بنى الوفا(٥) المتفرعة من حى باب البحر ، كما وصلنا من منشآت سنة ١١٩٧ هـ جميع المكان المستجد الإنشاء(٦) والعمارة ، الواقع بخط المقسم المبارك بسويقة الحمام بدرب مندورة .

ومن المنشآت التى وصلتنا أسماؤها وتعود إلى سنة ١٢١٤ هـ جميع المكان والجفار المتداخل ، الكائن ذلك بمصر المحروسة بخط المقسم المبارك بسويقة العياطين ، داخل درب التركمانى على يمنة الداخل فى الدرب المذكور المعروف بسكن الحاج مصطفى دبل البسطاينى(٧) . وقد اشتمل هذا المكان إلى جانب استخدامه كسكن على قاعة حياكة مجر ثمانية أنوال كاملة العدة والآلة (٨) .

ومن هذا السرد التاريخى لتطور الحركة العمرانية داخل حى باب البحر ، يتضح لنا: أن هذه المنطقة كانت دائما موضع عناية الخلفاء والسلاطين والأمراء فى كل العصور التى

---

(١) سجلات الزاهد ، سجل عام ١١٦٥ هـ ، وثيقة ٣١١ ، ص١٣١ .
(٢) انظر : معجم المصطلحات ، برقم (٤) .
(٣) سجلات الزاهد ، سجل عام ١١٦٨هـ ، وثيقة ٨٧٨ ، ص٣٦٥ بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٤) سيأتى وصف مفصل لهذا المنزل فى الحديث عن الآثار الدارسة بالباب الثالث .
(٥) سجلات الزاهد ، سجل عام ١١٨٩ هـ ، وثيقة ١٤١ ، ص٥٧ بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٦) سجلات الزاهد ، سجل عام ١١٩٧ ، ١١٩٨ هـ ، وثيقة ١٦٨٦ ، ص٦٧٦ .
(٧) الحاج مصطفى دبل البسطاينى ، وثيقة رقم ٦٥٠ / أوقاف ، سطر ٨ .
(٨) الوثيقة السابقة ، سطر ١٠ ، ١١ .

تعاقبت عليها ، كذلك وجد الصناع والحرفيون فى هذا الموقع متنفسا لهم بالخروج من ضيق المدينة إلى حيث الاقتراب من المصادر الخام التى تصل إلى هذا الحى عن طريق الميناء ببولاق ، ومنه إلى الخليج المتصل بالنيل والذى يطل عليه الحى ، وقد أدى توافد الصناع بهذه المنطقة إلى ظهور العديد من الصناعات والحرف ـ سوف نشير إليها فى الباب الثانى بالفصل الثانى ـ وبالتالى تزايد العمران فى هذا الحى .

كذلك من العوامل التى ساعدت على جذب العمران إلى هذه المنطقة : وجود عدد من المتصوفة الذين توافدوا إلى السكنى بهذا الحى فى العصرين المملوكى ، والعثمانى ، وقد كان لهؤلاء مريدون كثيرون ، مما يجعلنا نرجح سكناهم بالقرب من شيوخهم [1] . وقد أدت هذه الأسباب إلى التحام المنشآت بعضها ببعض ، وتكونت من الدروب والأزقة والحارات حى باب البحر ، الذي أطلق على أجزائه الثلاثة ثلاثة أسماء هى :حى الخراطين ، حى العروسى ، حى باب البحر وذلك ابتداء من أول حى الجيش وحتى حى كلوت بك .

ويبأ القسم الأول من هذا الحى من آخر باب الشعرية وآخره حى سوق الخشب ، وفى هذا الجزء يقع الدرب المعروف بدرب سيدى مدين . أما القسم الثانى والذى يطلق عليه الآن : سوق الخشب ، فيبدأ من آخر حى الخراطين (القسم الأول) وآخره حى باب البحر .

وفى هذا الجزء جهة اليسار :

١ ـ عطفة الفرن غير نافذة .

٢ ـ درب السنينات ، وقد عرف بذلك نسبة إلى الشيخ سنينات الذى قطن به [2].
ويقع بهذا الدرب عطفة شمس ، وعطفة شهاب .

أما جهة اليمين ، فيقع درب الركراكى ، وهو درب غير نافذ وبداخله الجامع المعروف باسمه ، وهو يطل على حى باب البحر بواجهة الضريح ، وكذلك يطل على الدرب . كذلك يوجد بهذه الجهة درب سعيدة ، ومن هذا الدرب نصل إلى سوق البقر العتيق الذى تردد ذكره فى وثائق العصر العثمانى [3] .

---

(١) مثل الشيخ عبد الله الركراكى ، والشيخ مدين ، والشيخ أحمد الزاهد ، والشيخ عبد الرحمن البكتمرى ، والشيخ عبد الرؤوف المناوى ، والشيخ أحمد العريان ، والشيخ العروسى .

(٢) سجلات أحمد الزاهد ، سجل عام ١١٤٢ ـ ١١٤٤ هـ ، وثيقة ٦ ، ص٥ ، حجة ٣١٤٧ ، الأوقاف .

(٣) سجلات أحمد الزاهد ، سجل عام ٩٧٢ هـ ، وثيقة رقم ١٦ ، ص٥ من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى .

أما القسم الثالث والأخير ، فهو حى باب البحر ، وأوله من آخر شارع سوق الخشب وآخره شارع قنطرة الدكة . به جهة اليسار ثلاث عطف غير نافذة ، ثم الدرب المعروف بالتركمانى ،وجهة اليمين يوجد بها تسع عطف غير نافذة هى :

١ ـ عطفة سوق البقر .	٢ ـ عطفة الأخضر .	٣ ـ عطفة العراقى.
٤ ـ عطفة الأشعل .	٥ ـ عطفة الصغير .	٦ ـ عطفة الجنينة .
٧ ـ عطفة السيوفى .	٨ ـ عطفة الغنامة .	٩ ـ عطفة أبى المجد .

هذا هو الوضع الحالى للحى الذى تفرعت منه الدروب ، ومن الدروب الحارات ومن الحارات الأزقة ، غير أن الدراسة الوثائقية التى قمت بها تبين أن العمران عند هذا الحى قد تركز فى سويقة الحمام ، وسويقة بنى الوفا ، ودفع الصقايين ، والفوطية ، ودرب الركراكى ، ودرب التركمانى ، فضلا عن المنشآت التى شيدت مطلة على الحى ذاته (١) .

وسوف نتحدث عن النشاط الذى كان يقوم به الحى ودروبه من خلال المنشآت التى وجدت به ، وذلك فى الباب الثانى .

---

(١) انظر : التطور العمرانى للحى بالفصل الثالث من هذا الباب .

الباب الثانى

دور الحى الحضارى

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول

الدور التجارى

استعرضنا فى الفصل الثانى من الباب الأول : العامل التجارى المؤثر فى نشأة الحى، ورأينا كيف ساعد وجود الميناء بالقرب من موقع الحى على ازدهاره تجاريا وانتشار العمران به ، حيث انتشرت الأسواق المختلفة التى كان لها دورها البارز فى جذب السكان إلى هذه المنطقة خلال العصور المتلاحقة .

وعلى الرغم من انحسار النيل عن المنطقة فى العصر المملوكى ، وبالتالى فقدان الموقع لوظيفته كميناء ، إلا أن النشاط التجارى ظل باقيا خلال العصرين المملوكى والعثمانى ؛ وذلك نتيجة لقرب الحى من الميناء الجديد ، واتصاله بهذا الميناء من فنادق وخانات ووكالات تعود لهذين العصرين .

ولكى نبرز دور الحى التجارى منذ العصر الأيوبى وحتى نهاية العصر العثمانى ، نتناول ما ضمه الحى من أسواق ومنشآت تجارية منذ ذلك العصر ، والتى ورد ذكرها بالمصادر التاريخية ، والوثائق المعاصرة للعصرين المملوكي والعثمانى .

ففى العصر الأيوبى ظلت الأسواق ـ التى ورد ذكرها فى خطط المقريزى فى المنطقة الممتدة من باب البحر إلي باب اللوق حتى عهده ـ عامرة . وقد بلغ عدد المتبقى من هذه الأسواق على عهد المقريزى اثنين وخمسين سوقا ، أدركها عامرة ، وكان كل سوق من هذه الأسواق يحتوى على عدد من الحوانيت يزيد عن الستين حانوتا ، تُعرض داخلها البضائع والسلع ، ومن المحتمل أن تكون هذه الأسواق قد أنشئت فى العصر الفاطمى ، وظلت مستمرة فى العصر الأيوبى حيث كان الميناء لا يزال يقوم بأداء مهمته ، واستمرت كذلك فى العصر المملوكى حتى أدركها المقريزى عامرة ثم أصابها الدمار .

وقد أغفل المقريزى عند حديثه عن هذه الأسواق ذكر أسمائها ونوعيات التجارة التى كانت تقوم بها ، ونحن إذا ما تتبعنا نشأة الأسواق ونظامها؛ لتبين لنا ما كانت تحويه هذه الأسواق وأقسامها ، فالأسواق ـ على وجه العموم ـ نظام عرفته الأمم عربية وغير عربية، واتسمت الأسواق العربية بسمات ميزتها عن مثيلتها غير العربية حيث قسمت الأسواق أقساما ، وخصصت سوق لكل حرفة أو تجارة ، بحيث يكون هناك تجانس بين السلع التى يتصل بعضها ببعض ، فبجوار المساجد تكون تجارة الشموع التى تستخدم فى الإنارة،

وبجانبها تجارة الكتب للعلاقة الوثيقة بينهما [1] ، كما انتشرت أسواق المواد الغذائية فى جميع أنحاء البلاد سواء فى القاهرة أو الأقاليم ، وهو أمر يتمشى بالضرورة مع توزيع التجمعات السكانية[2].

وعلى الرغم من أن المقريزى قد أغفل ذكر أسماء الأسواق ـ التى انتشرت بظاهر القاهرة الغربى ابتداء من باب البحر ـ موضوع الدراسة ، إلا أننا استطعنا أن نقف على بعض أسماء لسويقات[3] انتشرت فى حى باب البحر فى العصر المملوكى ، وذلك من خلال الوثائق التى تعود لهذا العصر ، حيث إننا لم نوفق فى الوصول لأسماء الأسواق التى وجدت بهذا الحى قبل هذا العصر . وهذه السويقات هى :

١ ـ سويقة العياطين . ٢ ـ سويقة البلبيسى . ٣ ـ سويقة الحمام.

٤ ـ سويقة القباطى . ٥ ـ سويقة الملطى .

(انظر : توزيع هذه السويقات على الخريطة شكل٢) .

وتبين من أسماء السويقات السابقة أن بعضها ارتبط اسمها بحادثة معينة ، وبعضها ارتبط اسمها باسم منشئها، والبعض الآخر ارتبط اسمها بنوع التجارة التى كانت تقوم بها.

سويقة العياطين [4] :

وهى تقع داخل درب التركمانى على يمنة الداخل فى الدرب المذكور ضمن حى باب البحر، وقد عرفت هذه السويقة بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط لسكنه بالقرب منها ، وكان له مسجد بها شيده فى سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ م ، وترجع تسميتها بالعياطين إلى ما رواه المقريزى من أن النشو ناظر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة عدة أمطار عسل قصب ، وألزمهم فى

---

(١) محمد الحسينى عبد العزيز : المدينة الإسلامية تخطيطها ومرافقها الحيوية ، مقال بمجلة الكويت ، العدد ١٢، ص٥٣ .

(٢) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى (عصر سلاطين المماليك) ، دار المعارف ، ١٩٧٩م، ص٣٧ .

(٣) السويقة : متفرعة من السوق ، وهى صيغة تصغير لكلمة سوق ، ويبدو من اللفظة نفسها أن السويقة كانت سوقا صغيرا ، كما يبدو أنه يحدث أحيانا خلط بين السوق والسويقة ، وأحيانا كانت تغلب صيغة التصغير على أسواق كثيرة .

انظر: آمال العمرى: المنشآت التجارية فى العصر المملوكى (مخطوط)، رسالة دكتوراه، ١٩٧٤م، ص١٠٧ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٧ .

Raymond (A.),. et Wiet, (G.) ,. Le Marches du Caire , p.245 .

ثمن كل قنطار بعشرين درهما فوقفوا إلى السلطان وعيطوا (١) حتى أعفاهم من ذلك فقيل لها حينئذ : سويقة العياطين (٢) ، مع نسبتهم لبلدة العياط .

ويفهم من نص المقريزى عن هذه السويقة : أنها كانت تقوم ببيع عسل القصب الذى كان لوجوده فى هذه السويقة أهمية كبرى فى إمداد صناع الحلوى باحتياجاتهم من العسل، الذين كانت لهم أماكن مخصصة يقومون فيها بممارسة عملهم الخاص بصناعة الحلوى ، ومما يؤكد ذلك إحدى الوثائق التى أطلقت على أماكن صناعة الحلوى اسم «قاعة حلاوة» (٣) ، وكذلك استمرارية وجود مصانع لإنتاج الحلوى لازالت قائمة إلى اليوم تؤدى وظيفتها داخل هذا الحى العتيق ـ خاصة فى حارة سيدى مدين . وقد استمرت هذه السويقة فى أداء وظيفتها التجارية ـ سواء فى العسل أو فى سلع أخرى ـ فى العصر العثمانى ، حيث ورد ذكرها فى الكثير من الحجج التى تعود لهذا العصر (٤) .

سويقة الحمام (٥):

تقع هذه السويقة داخل حى باب البحر فيما بين رأس الدرب الواسع وزقاق يعرف بالحمار بالقرب من جامع سيدى على الفرا ، وقد سميت هذه السويقة بهذا الاسم نسبة إلى الحمام الذى شيده بداخلها المرحوم بدر الدين الونائى ، والتى ورد ذكرها ضمن وثيقة وقفه لعدة أماكن بحى باب البحر والمؤرخ بسنة ٩٠٢ هـ ، وقد جعل الحمام برسم الرجال والنساء ، واستمرت السويقة معروفة بهذا الحمام فى العصر العثمانى كذلك ، حيث تشير إحدى الوثائق التى رجعت إليها إلى وجود هذا الحمام داخل هذه السويقة المعروفة بسويقة الحمام حيث قام الناظر على وقف بدر الدين الونائى بإيجار الحمام إلى الحاج شرف الدين ابن الحاج موسى بن مقيم الحمامى(٦) .

وقد ضمت هذه السويقة فى العصر العثمانى العديد من التجار الذين قاموا بممارسة التجارة فى أنواع مختلفة من المتاجر منها : تجار الفول ، والعطارة ، والجبن .

---

(١) ما زالت كلمة عياط مستعملة بالصعيد حتى الآن فيقال : عيط عليه أى نادى عليه بصوت مرتفع . كما أن هناك قرية تعرف بالعياط تابعة لمحافظة الجيزة .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٧ .

(٣) وثيقة رقم ١٢٨٢ / دار الوثائق القومية ، وسوف يرد تفصيل عن حرفة الحلوانية فى الدور الصناعى والحرفى فى الفصل الثانى ، ص١٥٠ .

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل سنة ٩٩١ هـ ، وثيقة ١٨ ، ص٥ ، وسجل ١٠٠٧ هـ ، وثيقة ٣٣٥ ، ص١١٥ بالشهر العقارى ، وسجل عام ١٠٠٨ هـ ، وثيقة ٢٤٥ ، ص٧٧ ، ووثيقة ٢٤٨ ، ص٧٨ ، بالشهر العقارى .

(٥) وثيقة ٢٢١ / الأوقاف .

(٦) وثيقة ٩٢٠ ، ص٢٢٧ ، سجل ١٠٣٨ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى .

فأما الاتجار فى حبوب الفول داخل هذه السويقة يؤكده النص الوثائقى الذى وصل إلينا من خلال وثيقة تضمنتها سجلات محكمة الزاهد[1] ، وقد مارس هذا النوع من التجارة التجار المدنيون إلى جانب العسكريين ، وكانت مصدر تمويل التجار من النوعين بالحبوب أقاليم الصعيد التى كانت المصدر الأساسى لكافة أنواع الحبوب ، حيث كانت هذه الحبوب تنقل من أماكن إنتاجها إلى أماكن تخزينها ببولاق [2] ، حيث الميناء ، وإلى هذا الميناء كان التجار يتوافدون لأخذ ما يلزمهم من كميات الحبوب حيث يتم نقلها إلى الأماكن التى تتركز تجارتهم بها ، وقد كان حى باب البحر من أقصر الطرق المؤدية إلى الميناء ببولاق، ومن ثم فقد تركزت بداخله أنواع عديدة من المتاجر ، كما أنه كان همزة الوصل بين الميناء وبين أسواق القاهرة الواقعة داخل أسوارها .

وإلى جانب هذا النوع من التجارة التى كانت تضمها السويقة ، كان هناك كذلك تجار للعطارة انتشروا بتجارتهم داخل العديد من السويقات ، مثل سويقة بنى الوفا [3]، وخط ميدان الغلة [4] ، إلى جانب سويقة الحمام .

فقد كان لكل تاجر فى هذا النوع من التجارة حانوت داخل السويقة يمارس فيه تجارته، وقد أمدتنا الوثائق التى تضمها سجلات محكمة الزاهد باسمين ممن مارسوا هذه التجارة وهما : الشمسى محمد ابن المرحوم الشهابى بن أحمد العطار بسويقة الحمام[5] ، والآخر هو الشيخ زين الدين سلامة العطار بنفس السويقة ولكن فى فترة لاحقة للأول[6] .

وقد مارس التاجران تجارتهما فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ، ومارسها إلى جوارهما رجال أوجاق مستحفظان ، لكن لم تصل إلينا معلومات تؤكد قيامهم بهذا النشاط داخل حى باب البحر ، على الرغم من أنهم مارسوا نشاطهم على نطاق واسع فى أماكن متعددة من القاهرة ، خاصة فى خط خان الخليلى ، والأزهر ، وباب الخرق ، والسيدة زينب ، ودرب الجماميز [7] .

---

(١) وثيقة ٦٠٨ ، ص١٩٤ ، سجل ١٠١١ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى .

(٢) د . عراقى يوسف : الوجود العثمانى المملوكى فى مصر فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى، دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص٣٥٦ .

(٣) وثيقة ٢٢١ ، ص٢٠ ، سجل عام ١١٢٤ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٤) وثيقة ٢٣٥ ، ص١١٣ ، سجل ١١٣١ ـ ١١٣٤ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٥) وثيقة ١١٣ ، ص٣٣٩ ، سجل عام ١٠١١ هـ ، محكمة الزاهد أرشيف الشهر العقارى .

(٦) وثيقة ٢٤ ، ص٩ ، سجل عام ١١٥٤ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٧) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٥٨ .

ولما كان الاتجار فى العطارة ـ خاصة تجارة أصناف من النباتات الطبية ـ قائما لاستخدامه فى ذلك الوقت كوسيلة رئيسية للعلاج ، فإننا نعزى انتشار هذه التجارة إلى هذا السبب الرئيسى والحيوى فى حياة الإنسان .

كذلك ضمت السويقة إلى جانب النوعين السابقين من التجارة نوعا ثالثا من التجارة هو تجارة الجبن ، حيث أطلقت الوثائق على من يقوم بها اسم : الجبَّان . وكان القائم بهذا النوع من التجارة يعتمد على الفلاحين القاطنين بقرى الجيزة ، والتى يفصل بينها وبين الحى نهر النيل خاصة قرية بولاق الدكرور [١] ـ فى إمداده بما يحتاجه من جبن والذى كان يشترط فيه أن يكون حالوما ربيعيا مقطوعا رقيقا مصنوعا من اللبن الجاموسى والبقرى بالسوية[٢] .

كما كان تجار الجبن يأخذون من الفلاحين أيضا القشطة الطيبة السالمة من الخلط ، المصنوعة من اللبن البقرى والجاموسى بالسوية ، حيث كان يقوم بيعها ـ إلى جانب «الجبان» ـ تاجر آخر أطلقت عليه الوثائق اسم : « القشاط » [٣] .

سويقة البلبيسى [٤]:

يبدو من اسم هذه السويقة أنها كانت تضم جماعة التجار الذين كانوا يأتون بتجارتهم من إقليم بلبيس . أو أن التجار أنفسهم ـ الذين كانوا يمارسون تجارتهم بداخلها ـ كانوا من بلبيس ، وأيا ما كان الأمر ، فهى مدينة تتبع محافظة الشرقية الآن ، وتبعد عن الفسطاط عشرة فراسخ (٤٠ كليو مترا) [٥] . ولم تذكر الوثيقة نوع التجارة التى كانت تقوم بها هذه السويقة ، ولم يرد لها ذكر بعد ذلك فى حجج العصر العثمانى .

سويقة الملطى [٦] :

يشير المعنى الاسمى لهذه السويقة أنها تخصصت فى بيع طيور المالطى (الديوك الرومى) حيث كان يطلق عليها اسم : مالطى ، وهذه اللفظة لازالت مستعملة حتى الآن فى صعيد مصر .

---

(١) وثيقة ٦٣٥ ، ص٢٢٨ ، سجل عام ٩٩٩هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٢) وثيقة ٦٠٨ ، ص١٩٤ ، سجل عام ١٠١١ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٣) وثيقة ٥٦٣ ، ص٢٠٢ ، سجل عام ٩٩٩ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٤) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .

(٥) ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، ص٢٦٢ ، طبعة القاهرة ١٩٠٦م.

(٦) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .

سويقة القباطى [1] :

تقع هذه السويقة بالقرب من سويقة الحمام التى كانت تجاور جامع على الفرا ، والتى كان يسلك إليها من باب البحر على يمنة السالك منه ، ويبدو أن هذه السويقة كانت تقوم ببيع المنسوجات التى كان يطلق عليها اسم : القباطى Tapestry حيث كانت المكان الذى ترد إليه منتجات القاعات المخصصة لصناعة النسيج بهذا الأسلوب ليتم بيعه فيها.

ولم يرد عن سويقة الملطى وسويقة القباطى أية معلومات فى وثائق العصر العثمانى تفيد استمرارها فى أداء مهامها التجارية فى ذلك العصر. ولا تعتبر هذه السويقات الخمس - التى وصلتنا أسماؤها من خلال الوثائق - الأسواق الوحيدة التى اعتمد عليها الحى فى العصر المملوكى ، وإنما هى التى استطعنا الوقوف عليها على الرغم مما ذكره المقريزى عن أسواق منطقة باب البحر ، وباب اللوق ، والتى بلغ عددها اثنين وخمسين سوقا.

ونستطيع أن نستنتج من خلال المعلومات التى أوردها ابن دُقماق[2] ، والمقريزى عن أسواق مصر فى ذلك العصر : أن أسواق وسويقات باب البحر كانت تشبه هذه الأسواق من حيث وجود السوق فى أماكن يراعى أن يكون فيها منافذ متعددة ، حتى يسهل على رواده أن يدخلوا إليه ويخرجوا منه ، كذلك يمكن القول : إنه كان لهذه الأسواق مخازن خاصة بها .

كذلك فقد عرفت الأسواق المصرية - على عصر المماليك - نظام الصيارفة الذين كانت مهمتهم استبدال العملات وتغييرها لرواد الأسواق[3] ، غير أننا لم نوفق فى التوصل إلى معلومات تفيد وجود مثل هذا النظام فى أسواق باب البحر فى ذلك العصر ، لكننا توصلنا إلى المعلومات التى تفيد ذلك فى العصر العثمانى .

إلى جانب ذلك ، فقد عرفت الأسواق جميعها - فى القاهرة والأقاليم - الرقابة الصارمة من قبل الدولة طيلة العصور الوسطى ، حيث خصصت لهذه الأسواق موظف مختص وكلت إليه مهمة الإشراف عليها ، وقد أطلقت المصادر[4] على هذا الموظف

---

(١) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .

(٢) ابن دُقماق (إبراهيم بن محمد أيدمر العلائى ت ٨٠٩هـ) : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ١٣٠٩هـ ، جـ٤، ص٣٢ ، ٣٣ ، والمقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٤ .

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، ص٩٦ .

(٤) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة .

اسم: المحتسب[1] الذى كان له عرفاء[2] يأخذ من كل طائفة حرفية أنشط أعضائها ليتخذه عريفا على طائفته وهؤلاء العرفاء كانوا الواسطة بين الدولة من ناحية وبين أرباب الصنائع والتجار من ناحية أخرى ، وعلى الرغم من امتناع المصادر المعاصرة للعصر المملوكى عن ذكر أية معلومات عن الرقابة على أسواق ظاهر القاهرة الغربى ، وكيفية الإشراف عليها إلا أننا نرجح وجود مثل هذه الرقابة ، خاصة وأن هذه المنطقة ظلت منذ العصر الفاطمى، وحتى العصر المملوكى ميناء القاهرة الذى كان يعج بالبضائع الواردة من الأقطار العربية والأجنبية .

وكانت هذه السويقات تخضع فى نظامها لنظام الأسواق فى تلك الفترة من حيث اشتمالها على حوانيت تتقدمها مصاطب ، وإن كان عددها فى السويقة أقل من عدد الحوانيت فى السوق .

وبمرور الزمن تغيرت هذه السويقات من حيث الوضع المكانى ، أو التخصص التجارى ، وأبيد بعضها بفعل العوامل التى منها :حدوث هبوط كبير فى عدد السكان فى مصر عامة ـ منذ منتصف القرن الرابع عشر ـ مما انعكس على أسواق البلاد من حيث عددها ، وحركة البيع والشراء ، فقد ذكر المقريزى أيضا : أن كثيرا من أسواق القاهرة ـ التى شهد بنفسه مدى رواجها ـ تقلصت بعد القرن الخامس الميلادى إلى مجرد عدة حوانيت لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة . وإلى جانب السبب السابق ، فهناك أسباب أخرى ، ذكرها الأستاذ الدكتور قاسم فى كتابه [3] ، والتى كان من جراء حدوثها نقص عدد الأسواق فى مصر عامة والحى خاصة .

وقد حل محل هذه السويقات أسواق وسويقات أخرى جديدة فى عصر جديد هو العصر العثمانى ، ومن الأسواق والسويقات التى وصلتنا أسماؤها والتى توزعت داخل

---

(١) كان من مهام المحتسب : الإشراف على الأسواق إلى جانب العرفاء الذين كانوا يمارسون أيضا الإشراف على أعضاء الطائفة التى ينتمون إليها .انظر : المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص٢٨ .

وقد تركزت مهام المحتسب فى أسواق القاهرة وظواهرها على عدم غش البضائع والسرقة فى الموازين، والمكاييل ، ونظافة الأوانى والقدور ، ومعاقبة من يغش البضائع ، ومصادرة المأكولات الفاسدة وإعدامها ، كما كان المحتسب يلزم الباعة فى الأسواق بكنس الحى ورشه بالمياه ، ويعاقب كل من يمتنع عن ذلك . للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر :

ـ د. سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة فى مصر حتى نهاية عصر المماليك ، ص٩٠ .

ـ د . قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ٣٩ .

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(٣) د. قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص٥٦ .

الحى فى ذلك العصر ـ العثمانى : سوق السمك [١] ، سوق النيلة[٢]،سوق القطن[٣]، سوق الأقباعين[٤]، سوق الحطب [٥]، سوق الخشب[٦] ، سوق البقر[٧] ،سوق الغلة[٨]، سوق البرادعين [٩] .

ومن السويقات التى ورد ذكرها فى حجج ذلك العصر ، سويقة الجيزى[١٠]، سويقة اللبن [١١] ، سويقة بنى الوفا [١٢] ، سويقة الزلط [١٣] ، سويقة البسطانية[١٤]. سويقة القطانين [١٥] ، سويقة الحرير[١٦] ، وذلك إلى جانب السويقات التى استمرت تعمل فى ذلك العصر والتى شيدت فى العصر المملوكى ، والتى سبق الإشارة إلى استمراريتها فى هذا العمل ، وإلى جانب وجود بعض أنواع التجارة الأخرى المتعلقة بالصرافة [١٧] ، وتجارة الرقيق [١٨] . (انظر : الخريطة شكل٣) .

ويتضح من الأسماء التى ذكرناها للأسواق والسويقات : أنها كانت تتبع التقسيم النوعى للسلع ، فكل سوق كان عبارة عن شارع به حوانيت خصصت لبيع السلع التى ترد لكل سوق ، وهذه الأسواق هى :

سوق السمك :

كانت هذه السوق تقع داخل سويقة بنى الوفا [١٩] بالقرب من جامع أحمد

---

(١) وثيقة ٢١٩١ / أوقاف ، سطر ١٥ . (٢) وثيقة ٢٧٨ / أوقاف ، سطر ٢٦ .

(3) Raymond (A.) ,. et wiet (G.) , Op.Cit . 256.

(4) Raymond (A.) ,. Ibid: p.244 .

(٥) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ١٠٣ .

(٦) وثيقة ١٠٩ ، ص٦٣ ، سجل عام ١١٤٢ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٧) سجل ١٠٠٧ هـ ، وثيقة ١٢٨ ، ص٣٩ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٨) سجل ١٠٠٧هـ ، وثيقة ٤٩٥ ، ص١٥٠ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة .

(٩) وثيقة ٢٨٧ ، سجل ٩٨٢ هـ ، ص٨٢ ، سجلات محكمة الزاهد ، والشهر العقارى بالقاهرة .

(١٠) وثيقة ٤٩٠ ، ص١٧٥، سجل ٩٩٩هـ، ص٨٢ ، سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(١١) وثيقة ٨٠٢ ، ص٢٢٨ ، سجل ٩٩٢ ، سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(١٢) وثيقة ٥٦٩ ،ص١٧٣،سجل ١٠١١هـ ،سجلات محكمة الزاهد ،أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة .

(١٣) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٢٦ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة .

(١٤) وثيقة ٢١٩١ / أوقاف ، سطر ١٠٢ ــ ١٠٦ .

(١٥) وثيقة ١٠٣ ، ص٨٩ ، سجل ١٠١٠هـ ، محكمة الزاهد ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

(١٦) وثيقة ٦٤٠ ، ص١٨ ، سجل ٩٩١هـ ، الزاهد ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

(١٧) وثيقة ٤٢٨ ، ص١٣٢ ، سجل ١٠٣٧ هـ ، محكمة الزاهد ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

(١٨) وثيقة ٢١١ ، ص٧٩ ، سجل ٩٧٢هـ ، سجلات الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(١٩) سجلات محكمة الزاهد، وثيقة ١٨٥ ، ص٧٢ ، سجل عام ١١٦٤هـ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

العريان، وكان صيد الأسماك فى مصر يتم فى كل مكان ـ سواء فى نهر النيل ، أو البحار والبحيرات ، أوالترع والمصارف فى الأرياف ـ غير أن مصر قد قامت فى ذلك العصر بصيد الأسماك بانتظام من بحيرتى البرلس والمنزلة ، وأعطت هذا النوع من التجارة على هيئة التزام إلى بك يعمل لديه حوالى ٤٠٠ صياد ، مقابل أن يسدد مبلغ الالتزام المقدر بحوالى ٣٣٠٠ ريال . وكان يقع على عاتق هؤلاء الصيادين إمداد أسواق القاهرة باحتياجاتها من الأسماك التى يزيد الإقبال عليها فى فصل الربيع ، مما يدعو الملتزم إلى زيادة أعداد الصيادين لديه إلى الضعف ، كى يوفوا باحتياجات الشعب من الأسماك . ويبدو أنه كانت تقوم بمعظم الصيد فى بحيرة المنزلة هيئة من الصيادين مركزها قرية المطرية . وكانت تدفع للباشا ضريبة عن سفن الصيد ، وكانت الأسماك ترد إلى حى باب البحر عن طريق نقلها فى النيل حيث الميناء ببولاق ، ثم تؤخذ من هناك ليتم بيعها فى سوق السمك بباب البحر .

وتشير الوثائق إلى أن هذا السوق قد ضم حرفيين بمهنة قبانى فى سوق السمك [١]، مما يجعلنا نعتقد أن هذا السوق كان ينقل احتياجاته من الأسماك من ميناء بولاق ؛ ليتم بيعها إلى تجار التجزئة الذين كانوا موزعين داخل أحياء القاهرة المختلفة ، إلى جانب تلبية احتياجات المواطنين داخل الحى والمناطق المجاورة له . وفى حالة بقاء الأسماك بلا بيع داخل السوق ، فإنها كانت ترد مرة أخرى إلى دمياط حيث كانت تملح لحفظها . وهذا السوق يتشابه فى ذلك مع السوق الموجود اليوم بالقرب من المطرية الذى ترد إليه الأسماك، ويتم بيعها بداخله إلى تجار التجزئة والرواد من عامة الشعب .

سوق النيلة :

كانت هذه السوق أيضا تقع داخل سويقة بنى الوفا . وقبل أن نتحدث عن هذه السوق ونشاطه يتبادر إلى الذهن سؤال : لماذا هذه السوق بالتحديد فى حى باب البحر؟ وكيف تكون هناك سوق داخل سويقة ؟ وللإجابة عن هذين السؤالين نقول : إن حى باب البحر قد ضم فى ذلك العصر العديد من دور الحياكة[٢] التى تخصصت فى نسج الخيوط، سواء قبل صبغها أو بعده ، لتصبح بذلك منسوجات يتم صنعها ملابس للخاصة والعامة . وكان يمد هذه الدور باحتياجاتها من الخيوط [٣] المناسج ، التى كانت تستعين فى سبيل إنتاج هذه الخيوط بالقطن الذى كان يباع داخل سويقة القطانين بالحى نفسه .

---

(١) السجل السابق ، الوثيقة والصفحة نفسها .

(٢) انظر : الفصل الخامس عن دور الحى الصناعى من هذا الكتاب .

(٣) كانت الخيوط المغزولة تبيض قبل صبغها . انظر : وثيقة رقم ٤٥٩ ، ص١٦٢ ، سجل عام ٩٩٩هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

ولما كانت هذه المنسوجات التى تنتج من دور الحياكة فى حاجة إلى صبغها ، فإنها كانت تعهد بها إلى المصابغ التى انتشرت داخل هذا الحى ، والتى وصلنا منها : مصبغة بالقرب من سويقة بنى الوفا قام بشرائها الذمى سليمان النحرير من الأمير عثمان بن محمد ابن مبارك شاه الجاويش بالخدمة العالية[١] ، وهى تعود إلى سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م ، ومصبغة قام بشرائها أحمد بن إسماعيل من الشيخ الإمام العالم زين الدين عبد الواحد ابن الشيخ زين الدين عبد القادر ابن الشيخ شهاب الدين أحمد ، وكانت تقع داخل الخط المذكور داخل درب البوارين [٢] ، ومصبغة قام باستئجارها الحاج أحمد بنفس حى باب البحر[٣] ، ومصبغة أخرى قامت بشرائها المرأة الذمية صبحية ابنة الذمى تادرس من والدها تادرس ، وكانت تقع داخل خط باب البحر داخل خوخة تعرف بالحيرة[٤] : «ظاهر الأزبكية الشمالى » . وهذه المصابغ هى التى استطعنا الوقوف عليها من خلال الوثائق، ومن المحتمل أن يكون هناك أعداد أخرى من المصابغ كانت منتشرة داخل دروب تضم الحى والأماكن المجاورة له ؛ وكان لابد إزاء وجود هذه المصابغ[٥] من وجود سوق يمدها باحتياجاتها من الأصباغ خاصة اللون الأزرق المعروف بالنيلة ، وعلى هذا الأساس أنشئ سوق النيلة داخل سويقة بنى الوفا ، ومن المحتمل أن يكون هذا السوق هو عبارة عن سوق مصغر ، يضم حوانيت بائعى الصباغ اشتملت عليه سويقة بنى الوفا .

ومن المحتمل أن يكون لهذه الحوانيت أماكن ملحقة بها يتم فيها استخلاص صبغة النيلة من النباتات المعروفة باسمه . وهذا النبات لا يقوم بزراعته إلا مُلاك ميسورو الحال، وغالبا ما كانت تتم زراعته فى المناطق المدارية فى الصعيد ، حيث إنها من أكثر المناطق صلاحية لزراعة هذا النبات مثل جرجا والأقصر ، وكانت البذور اللازمة لاستنباته يتم استيرادها من سوريا ؛ نظرا لأن البذور التى تنتجها مصر أقل قيمة ، وبعد زراعته يمكث ثلاثة أشهر - من يوليو وحتى سبتمبر - بعد ذلك يقطع النبات على ارتفاع قيراطين من الأرض ، ويبدأ الناس فى استخلاص اللباب بمجرد إتمام الحصاد.

بعد ذلك ينقل النبات بعد أن يقطع إلى مستودع صغير مسقوف ، يبلغ طوله خمسة أمتار وعرضه أربعة أمتار ، ثم يخرط ويقطع إلى قطع بواسطة سكينة كبيرة ، ويوضع

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٤هـ ، وثيقة رقم ٩٠ ، ص٢٨ ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة.

(٢) وثيقة ١٧١٦ ، ص٥٢٣ ، سجل ١٠١١ هـ ، محكمة الزاهد ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) وثيقة ٤٥٢ ، ص٢١٥ ، سجل عام ١١٣٣هـ ، محكمة الزاهد ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

(٤) وثيقة ٩٦٧ ، سجل عام ١١٩٧ ، ١١٩٨ هـ ، ص٣٨٤ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى ، بالقرب من سوق السمك الموجود داخل سويقة بنى الوفا .

(٥) انظر : مكونات هذه المصانع والعاملين بها فى الفصل الخاص عن دور الحى الصناعى من هذا الكتاب .

وهو مقطع على هذا النحو فى جرار كبيرة من الفخار يبلغ ارتفاعها ٨٠ سم ، وقطرها ٦٠سم ، وتغرس هذه الجرار ثم تسد حتى بداية رقبتها ، ويصب على اللباب المقطع ماء فاتر حتى ثلثى ارتفاع هذه الجرار ، ثم تسد بغطاء يتكون من سعف النخل به ثقبان يستخدمان فى إدخال عصوين يحركهما عاملان لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات لتحريك قطع النبات واستخلاص المادة الملونة منها (١) .

بعد ذلك تنقل المياه المحملة باللباب من هذه الجرار إلى جرار أخرى أصغر حجما ، وموضوعة فوق الأرض ، وتبلغ سعة الجرة منها حوالى ١/٣ سعة الجرة الكبيرة ، ثم تصفى الأوراق المنقوعة فى الجرار ، وذلك بأن توضع هذه الأوراق فى أطباق مصنوعة من سعف النخيل موضوعة بدورها فوق الجرار ، وتترك المياه ساكنة فى هذه الجرار فيترسب اللباب فى القاع ، ويكون قد اكتسب قدرا من التماسك عن طريق ثلاثة ثقوب فى جدار الجرة موضوعة بشكل أفقى ابتداء من حافتها العليا ، يبعد كل منها عن الآخر ١٦ سم ، وبعد مضى ٦ ساعات من عملية نقل المياه إلى الجرار الصغرى تفتح العليا أو الثقب الأعلى ليسكب كمية محدودة من المياه .

بعد ذلك تفتح الفتحتان الأخريان على التوالى ، فتسيل المياه المتبقاة ، ولا يبقى فى قاع الجرة سوى اللباب الذى يكون قد اكتسب قدرا من التماسك ، يتم بعد ذلك وضع النيلة فى قوالب حتى تجف بشكل تام ، وتتداول فى التجارة فى شكل قوالب جافة يزن القالب رطلا ونصف الرطل أو رطلين(٢) ؛ كى يستخدمها الصباغون فى صبغ المنسوجات الواردة إلى مصانعهم المنتشرة داخل باب البحر والأماكن المجاورة له . وكان القالب الواحد فى هذا العصر يبلغ ثمنه ١٨ نصف فضة ، أى أقل من قرش الفضة(٣) الذى انتشر أو عم وجوده فى ذلك العصر منذ منتصف القرن السابع عشر ، ومن المحتمل أن هذه السوق قد ضمت إلى جانب الصبغة الزرقاء صبغات أخرى لتلبية احتياجات هذه المصانع .

سوق الغلال :

تردد ذكر هذه السوق فى وثائق العصر العثمانى بكثرة حيث نعتتها باسم : ميدان الغلة ، وهو نفس الاسم الذى أطلق عليها فى العصر الفاطمى ، عندما كانت تصل إلى هذا الميدان ـ الواقع على ساحل الخليج على رأس حى باب البحر ـ صبر الغلال الواردة

---

(١) ب.س جيرار : موسوعة الحياة الاقتصادية ، وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، ص١٠١

(٢) ب . س جيرار : موسوعة الحياة الاقتصادية ، وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، ص١٠٢ ، ١٠٣.

(٣) القرش الفضة فى العصر العثمانى فى القرن السابع عشر والثامن عشر كان يعادل ثلاثين نصف فضة ، انظر : وثيقة ٢٥٨ ، ص٧٣ ، سجل عام ١٠٣٧ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة .

من الأقاليم عبر النيل والخليج ، حيث كانت تكدس وتشون فى أرض هذا الميدان ، ومن ثم أطلق عليه اسم : ميدان الغلة ، واستمر الاسم مرتبطا بالميدان حتى العصر العثمانى.

ومهما كان الأمر ، فإن هذا الميدان لم يقتصر نشاطه التجارى فقط على الغلال التى كان التجار يأتون إليه ليأخذوها من هذا المكان جملة واحدة ؛ ليقوموا ببيعها داخل حوانيتهم ووكالاتهم المنتشرة فى أحياء القاهرة بالتجزئة لجمهور الشعب فى ذلك العصر[١].

وتشير الوثائق العثمانية إلى وجود تجار لبيع حبوب الحمص [٢] داخل هذا الميدان ، كما يشير البعض الآخر إلى وجود تجار لبيع الخضروات [٣]، وتجار لبيع الزيت[٤] ، غير أن هذه الوثائق جاءت معلوماتها مقتضبة جدا ، فلم توضح : هل كانت هذه النوعيات من التجارة تباع بالجملة أم كانت تباع بالتجزئة ؟ كما أنها أغفلت ذكر نوعيات الخضر التى كانت تباع داخل هذا الميدان وكيفية وصولها إلى هذا الميدان .

إلى جانب هؤلاء التجار كان فى هذا الميدان ـ وفقا لما تذكره الوثيقة ـ رجال تسببوا فى بيع النطرون والعطريات [٥] ، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال : لماذا وجد مثل هذا النوع من التجارة فى هذا المكان من باب البحر ؟

فإذا ما عرفنا أن النطرون يستخدم كأحد الأملاح اللازمة فى صباغة الأقمشة والكتان ـ داخل المصابغ المختلفة التى انتشرت داخل هذا الحى ـ يتبين لنا السبب فى وجود مثل هذا النوع من التجارة فى هذا الحى،وكان إقليم الطرافة ـ التابع لإقليم الجيزة ـ هو مصدر إمداد اماكن بيع هذا الملح به التى انتشرت بالقرب من أماكن الصباغة. وكانت مصر فى العصر العثمانى المصدر الرئيسى لتزويد بلدان أوربا بما تحتاجه من النطرون ، وقد كان استخراج هذا الملح من الالتزامات الهامة بولاية مصر ، وشارك الجنود من أوجاق أودة باشية ومستحفظان فى هذه التجارة إلى جانب الأهالى ، وقاموا إلى جانب تسويقه محليا بنقله إلى استانبول حيث احتياجات الدولة العثمانية [٦] .

وإلى جانب تجارة النطرون تجارة العطريات ، وتعد العطور من اللوازم الضرورية للنساء خاصة إلى جانب الرجال ، ومن المحتمل أن يكون قرب حمامى الخراطين من هذا

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧ هـ ، وثيقة ١٥١ ، ص٤٦ ، وسجل العام نفسه ، وثيقة ٤٩٥،ص١٥٠.

(٢، ٣) وثيقة ١٢٠ ، ص٣٣ ، سجل ١٠٣٧ هـ ، سجلات محكمة الزاهد ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٤، ٥) وثيقة ٢٣٥ ، ص١١٣ ،سجل ١١٣١ ـ ١١٣٤ هـ، سجلات محكمة الزاهد ، الشهر العقارى بالقاهرة.

(٦) د . عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٦١ .

الميدان ، إلى جانب انتشار العديد من منازل علية القوم حول هذا الميدان ، السبب المباشر فى وجود هذا النوع من التجارة لتلبية حاجة الحمام من العطور والعطارة المستخدمة فى معالجة بعض الأمراض ، وإعطاء رائحة زكية للمستحم بعد أخذه الحمام ، فضلا عن ذلك، فإنها كانت مصدرا لإمداد الدور باحتياجاتها من العطور وأصناف العطارة ، وقد وصلتنا بعض أسماء الدور التى كانت قريبة من الميدان المذكور أو شيدت بداخله ، ومن هذه الدور : دار الأمير عثمان بن محمد بن مبارك شاه الجاويش بالخدمة العلية ، والتى كانت تقع بالقرب من ميدان الغالة القريب من سويقة بنى الوفا[١] . ومنها كذلك منزل الحرمة شامية ابنة المعلم محمد بن سلامة المزاحى التى اشترت هذه الدار من زوجها ـ الصدر الأجل ـ الحاج جمال الدين يوسف ، والتى كانت تقع بهذا الميدان[٢] ، ومن المحتمل ألا يكون هذا التاجر هو وحده الذى مارس تجارته داخل هذا الميدان ، إذا أخذنا فى الاعتبار العدد الكبير من المصانع التى انتشرت بالقرب من هذا الميدان خاصة وباب البحر عامة ، وحاجة المصابغ لمثل هذا الملح اللازم لتثبيت الصبغة ، مما يجعلنا نرجح الاحتمال الذى طرحناه .

سوق القطن :

كانت تقع هذه السوق بالقرب من ميدان الغلة ، وقد أورده ريموند وفيت فى القائمة التى أعدوها عن الأسواق العثمانية التى انتشرت بالقاهرة فى ذلك العصر على وجه العموم [٣] . وإلى جانب وجود هذه السوق على رأس حى باب البحر عثرنا فى إحدى الوثائق[٤] على سويقة للقطانين كانت تقع بالقرب من سويقة الزلط القريبة من عطفة شهاب الدين ، ومن المحتمل أن تكون سوق القطن قد اختصت بتمويل بعض دور الحياكة القريبة منها ، واختصت السويقة بتمويل الجزء الآخر القريب منها . وقد عمل فى تجارة القطن ـ فى ذلك العصر إلى جانب التجار المدنيين ـ رجال من الفئة العسكرية من طائفة عزبان ، غير أنه لم يصلنا معلومات تؤكد قيام العسكريين بهذه التجارة داخل سوق باب البحر .

وقد كانت زراعة القطن معروفة فى مصر على نطاق ضيق، كما كانت تصل إلى مصر كميات من ضمن الواردات حيث استعمل فى كافة الأغراض المنزلية ، ولم يكن تجار

---

(١) سجلات الزاهد ، سجل عام ٩٩٤هـ ، وثيقة رقم ٩٠ ، ص٢٨ ، من سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .
(٢) السجل نفسه ، وثيقة ١٣٨ ، ص٤٦ .
(3) Raymond (A.) ,. et wiet (G.) OP . Cit . p . 256 .
(٤) وثيقة ٣٠٣ ، ص٨٥ ، سجل ١٠٣٠ هـ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة .

القطن على مستوى مرتفع من الثراء كالتى تمتع بها تجار البن والتوابل فى ذلك العصر[1].

سوق الخشب :

احتلت هذه السوق الجزء الذى يبدأ من آخر حى أبو بدير ، وآخره أول حى باب البحر[2]. وكان يعمل بهذه التجارة إلى جانب المدنيين بعضُ الأجناد العسكريين من طائفة أوده باشى ومستحفظان ، فكانوا ينقلون الأخشاب المحلية بواسطة معاتيقهم بالمراكب من أماكن تواجدها بالأقاليم المصرية ، عبر النيل إلى ساحل بولاق ، حيث كانت تنتشر هناك مغالق الأخشاب ، وكانت هذه السوق القائمة بباب البحر تستمد احتياجاتها من الأخشاب العالمية والمحلية من خلال ميناء بولاق ، التى كانت ترد إليها كافة أنواع الأخشاب من الزان والقرو وغيرها ، والتى تستخدم فى صنع الأثاث والأدوات المختلفة من مشربيات ونوافذ ومستلزمات القصور والمساجد وغيرها ، وقد حفل حى باب البحر بالعديد من ورش الخراطة التى كانت تعتمد فى عملها على هذا السوق الذى كان يمدها بما تحتاج إليه من أنواع الأخشاب اللازمة لتنفيذ أعمالها .

سوق الحطب :

كانت هذه السوق تقع بخط باب البحر بالقرب من الجامع الأحمر[3]، وقد تخصصت هذه السوق فى بيع الحطب الذى كانت الحاجة إليه ماسة فى ذلك العصر ، حيث كان يستخدم كوقود للأفران التى كانت مخصصة لإنتاج الخبز ، إلى جانب تسخين المياه الخاصة بالحمامات ، إلى جانب استخدامات أرباب بعض الحرف له مثل الحلوانيين ، ومبيضى الأقمشة الذين كانوا يستخدمون الكانون لتسخين المواد اللازمة لتبيض الأقمشة[4].

وقد كان يقوم بجمع الحطب فى ذلك العصر أفراد من المدنيين وآخرون من العسكريين، الذين كانوا ينقلون الأحطاب من الأقاليم بمراكبهم فى النيل إلى العاصمة [5] - حيث ميناء بولاق - حيث كان يشون فى العديد من الشون التى خصصت لهذا الغرض، وقد أشارت إحدي الوثائق التى تعود إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادى إلى وجود حرفة قبانى بشون الحطب الكائنة ببولاق [6] ، مما يؤكد أن التجار فى الحطب كانوا

---

(١) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٢٧٩ .

(٣) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ١٣ .

(٤) وثيقة ٤٥٩ ، ص١٦٢ ، سجل عام ٩٩٩هـ ، سجلات محكمة الزاهد ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٥) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٦٠ .

(٦) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٨ هـ ، وثيقة ٦٤٣ ، ص١٩٩، الشهر العقارى بالقاهرة.

يتوافدون إلى بولاق ، ويتعاقدون على الكميات المطلوبة مع القائمين على أمر البناء ، فيتم وزنها لهم ثم بعد ذلك يأخذونها وينقلونها إلى الأسواق التى تباع بداخلها ، وقد ساعد قرب الحى من ميناء بولاق على سرعة نقل مثل هذا النوع من التجارة على ظهور الدواب ، حيث لا يفصل بين الميناء والحى أى عائق مائى ، ويتم تخزينها داخل شونة خاصة بالحطب ربما تكون ملك تاجر واحد تخصص فى بيع الحطب بالتجزئة ، أو ربما تكون هذه الشونة مخصصة لبيع الحطب لتجار أسواق القاهرة ، ويؤكد ذلك وجود شونة للحطب (١) داخل ميناء الغلة المواجه للخليج .

سوق البقر القديم :

كانت هذه السوق تقع داخل باب البحر بالقرب من سويقة بنى الوفا . وقد وصلت أقدم وثيقة استطعنا الوقوف عليها هذه السوق بأنها قديمة ، مما يؤكد أنها كانت قائمة فى هذا الموضع منذ زمن بعيد حيث كانت تشيد بداخلها الزرائب التى تربى بداخلها الأبقار والجمال ، ونستطيع أن نتبين شكل الزريبة التى كانت مخصصة لعلف الأبقار فى هذه الفترة من خلال المعلومات الواردة عن ذلك داخل وثيقة تعود إلى النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادى ، حيث تذكر أنها كانت تشتمل على فسحة وحاصل وطبقة علوة ومتبن وأربع زروف(٢) وحوض حجر معد لسقى الدواب (٣) . ومن المحتمل أن تكون الطبقة العلوية التى بداخل هذه الزريبة قد أعدت برسم الزراب(٤) الذى يتولى الإشراف على علف الأبقار وتسمينها .

ومن المحتمل أن تكون هذه الزرائب هى مصدر إمداد القصابين باحتياجاتهم من اللحوم التى يقومون بذبحها فى المذابح التى كانت موجودة بباب الشعرية والتى لا يزال الجزارون يذبحون بداخلها مواشيهم .

كما كان هناك زرائب لتربية الجمال ، منها واحدة كانت تقع بالقرب من سويقة العياطين يعود تاريخها إلى سنة ٩٩١هـ (٥) .

سوق البرادعين (٦) :

كانت هذه السوق توجد داخل خط ميدان الغلة خارج باب القنطرة بخط المقسم

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٨٢ هـ ، وثيقة ٢٨٧ ، ص٨٢ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) ربما خصصت لوضع التبن بداخلها ، حتى يتيسر على الأبقار إلتهامها .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٧٢ هـ ، وثيقة رقم ١٦ ، ص٥ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٤) وثيقة ١٦٨٦ ،ص٦٧٦، سجل عام ١١٩٧، ١١٩٨ هـ، سجلات محكمة الزاهد ،بالشهر العقارى بالقاهرة.

(٥) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩١هـ ، وثيقة ٢٧٦ ، ص٧٤ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٦) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٨٢هـ ، وثيقة ٢٨٧ ، ص٨٢ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

المبارك . وقد تخصصت هذه السوق فى بيع البرادع التى كانت توضع على ظهور الدواب، خاصة الحمير التى كانت تستخدم فى نقل البضائع من أماكن الإنتاج إلى أماكن البيع ، أو الإتيان بمواد التصنيع إلى هذه المؤسسات ، ووجود مثل هذه السوق داخل الحى يؤكد مدى ازدهار الحركة التجارية فى هذا الحى ، ومن المحتمل كذلك أن يكون هناك موقف لهذه الدواب داخل الحى ، استحدث كضرورة ملحة لتزايد النشاط الصناعى والتجارى الذى يتطلب سرعة نقل المواد اللازمة للتصنيع ، وكذلك المواد ذات الصفة التجارية .

سوق الأقباعين :

ذكرت هذه السوق فى قائمة ريموندوفيت[1] ، وكذلك عثرنا من خلال الوثائق على درب الأقباعين[٢]،كان موجودا داخل هذا الحى بالقرب من جامع الطواشى جوهر السحرتى اللالا المتوصل إليه من سويقة الزلط ، وقد تخصصت هذه السوق فى بيع اللباد المخصص لغطاء الرأس[٣] ، وكذلك الطرابيش التى كان يقوم بصناعتها صناع متخصصون فى هذا المجال يقال لهم : اللبادون . والحق أن وجود مثل هذه السوق فى داخل حى باب البحر يثير تساؤلا :لماذا هذه السوق داخل الحى ؟ والإجابة عليه تجعلنا ننظر إلى ما كان داخل الحى من مؤسسات دينية وتعليمية[٤] ،فربما كان شيوخ هذه المؤسسات يرتدون مثل هذه الطرابيش إلى جانب إقبال العامة من الشعب على ارتداء اللباد فى ذلك العصر فوق رؤوسهم .

سويقة بنى الوفا :

يبدو من اسم هذه السويقة أنها ضمت أبناء منشئها ، ومن المحتمل أنها ترجع إلى العصر المملوكى حيث شيد بدر الدين الونائى فى هذا الحى عدة منشآت منها : معصرة للزيت وحماما برسم الرجال والنساء ، ومنزلا وقاعة حياكة ، ويبدو أن هذه الأماكن قد توجها بإنشاء سويقة أخذت اسمه بعد تحريفه من الونائى إلى الوفائى ، وقد استمرت هذه السويقة فى العصر العثمانى وأطلق عليها : سويقة بنى الوفا .

وقد أمدتنا وثائق ذلك العصر بالعديد من أنواع المتاجر التى تباع داخل هذه السويقة

---

(1) Raymond(A.) ,. et wiet (G.) ,. Op Cit ., p.244 .

(٢) وثيقة ٢٧٨ / أوقاف ، سطر ٣٠ .

(3) Abou seif (Doris) ,. Azbakiyya and Its Envirans,p.64 .

(٤) مثل زاوية المناوى ، ومسجد أحمد العريان .

والتى منها : العطارة[1] ، المتسبب فى بيع ورق الدخان[2] ،المتسبب فى القصب السكرى[3] ، المتسبب فى بيع البن والدخان[4]، المتسبب فى بيع العجوة [5] الجبان[6]، الزيات[7] .

وقد أشرنا عند الحديث عن سويقة الحمام إلى وجود التجار فى العطارة والجبن بداخلها ، إلى جانب الزياتين ، وهو أمر انتشر فى جميع الأسواق والسويقات داخل هذا الحى ، وذلك لخدمة أرباب الصنائع والدور المجاورة لكل سوق أو سويقة ، فوجود باعة الزيت بالأسواق والسويقات جاء نتيجة لانتشار معاصر الزيت داخل الحى ؛ حيث كان هذا النوع من التجارة من أهم ما يلزم الإنسان العادى داخل منزله حيث يستعين به فى الإضاءة بالمنزل أو بالمنشأة الدينية الخاصة بالعبادة والتعليم ، كما كانت تلزم الصانع الذى يعتمد على الزيت فى صناعته كالحلوانيين ، ويؤكد ذلك وجود درب للحلوانية خاص بهم داخل سويقة الحمام [8] ، وهو أمر وجد بهذا الحى منذ العصر المملوكى ، حيث كان داخل الحى فندق لتجار الزيت هو فندق طرنطاى خارج باب البحر . وسوف نشير إلى انتشار معاصر الزيت داخل هذا الحى عند الحديث عن الزياتين فى دور الحى الصناعى[9]. وقد ضمت سويقة بنى الوفا ـ مثلها مثل سويقة الحمام[10] ـ الزياتين والجبانين والعطارين، تلك الأصناف التى كانت من مستلزمات الحياة اليومية لعامة الناس.

وإلى جانب هذه الأصناف ، فقد ضمت السويقة بين تجارها المتسببين فى بيع القصب السكرى والعجوة ، والمتسببين فى بيع البن وورق الدخان .

وتعنى كلمة متسبب : متعهد فى بيع هذه الأصناف ، ومن المحتمل أن يكون هذان

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٢٤ هـ ، وثيقة ٢٢١ ، ص٢ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) وثيقة ٨٨١ ، ص٣٦٦ ، سجل عام ١١٦٨ هـ ، سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) وثيقة ١٦٩ ، ص٤٩ ، سجل عام ٩٩١هـ ، سجلات الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

(٤) وثيقة ٣٩ ، ص٢٠ ، سجل عام ١١٢٨ ــ ١١٣٠ هـ ، سجلات الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

(٥) وثيقة ٥٨ ، ص٧٩ ، سجل عام ٩٨٧ هـ ، وسجل عام ١٠٤١ هـ ، وثيقة ٢٦٦٨ ص ٧٢١ ، محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة.

(٦) وثيقة ٣٢٠ ، ص٩٦ ، سجل ١٠٣٧ هـ ، سجلات الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

(٧) وثيقة ٤٣٠ ، ص١١١ ، سجل ١٠٣٠هـ ، سجلات الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٨) سجلات الزاهد ، سجل ١٠٠٨ هـ ، وثيقة ٨٩٤ ، ص٢٦٩ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٩) انظر : الفصل الثانى من هذا الباب .

(١٠) وثيقة ٢٠ ، ص٥ ، سجل عام ١٠١٠هـ ، ووثيقة ٤٦٩ ، ص١٣٦ ، سجل ٩٨٢هـ ، محكمة الزاهد، أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة.

التاجران ممن كانا يقومان ببيع سلعتهما جملة واحدة للمنشآت الصناعية والتجارية القريبة منهم ، ونعنى بها مصانع السكر التى لم تصلنا أية معلومات تؤكد ذلك ، أو أماكن إنتاج العجوة أو المقاهى القريبة من هذه السويقة . وسوف نتناول كل نوع من هذه الأنواع على حدة ، والسبب فى وجود هذه التجارة داخل هذه السويقة المتفرعة من الحى .

فمن حيث التجارة فى القصب السكرى نجد أن قصب السكر فى ذلك الوقت كان من المحاصيل الهامة التى قام بزراعتها المشتغلون بالزراعة من رجال الأوجاقات العسكرية المختلفة ، وعلى وجه الخصوص أوجاق مستحفظان والسباهية الذين استقر غالبهم بالأقاليم ، وتركزت زراعته فى ولايات الوجه القبلى ، حيث ينتج الجزء الأكبر من هذا المحصول ، فضلا عن بعض الولايات الأخرى بالدلتا مثل : البحيرة ، والغربية ، والقليوبية .

وقد انتشرت المصانع المعدة لاستخراج السكر فى بولاق ومصر القديمة[١] ، ولم تصل إلينا معلومات تفيد وجود مثل هذه المصانع داخل باب البحر ، اللهم إلا ما تذكره الوثيقة عن وجود مثل هذه التجارة بالحى والتى كانت تصل إلى الحى عن طريق نقلها من الميناء ببولاق على ظهور الدواب إلى حيث أماكن بيعها .

كما تخصص بعض التجار داخل هذه السويقة فى بيع العجوة المصنوعة من التمر ، حيث تنتشر أشجار النخيل فى أقاليم مصر وخاصة بالوجه القبلى . وقد حققت مصر فى ذلك العصر نجاحا كبيرا فى إنتاج سكر القصب والعجوة ، تلك المنتجات التى كان يشتد عليها الطلب فى مقر السلطنة باستانبول بوجه خاص ، وفى الولايات العربية المجاورة .

أما فيما يختص بتجارة البن وورق الدخان بهذه السويقة فإنه جاء لتلبية احتياجات المقاهى التى كانت تقع بالقرب منها ، والتى وصلنا منها مقهى الدشاش والكائنة داخل السويقة المذكورة[٢] ، وقهوة أبو السرور وهى أيضا كانت تقع داخل السويقة المذكورة[٣]، وقهوة سوق الخشب المجاورة لسويقة بنى الوفا[٤] ، وقهوة القشر[٥] . حيث كانت تعتمد هذه المقاهى على هذه الحوانيت المتخصصة فى بيع البن وورق الدخان (التمباك) .

وقد اعتمدت مصر فى ذلك العصر علي ما تستورده من اليمن من كميات البن

---

(١) د . عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٥٨ .

(٢) وثيقة ٢٧١ / أوقاف مؤرخة ١١٤٤ هـ ، باسم فاطمة خانون ، سطر ٢١٤ ، وثيقة ١٣٠٤ ، مؤرخة ١١١٩هـ، باسم الحاج حجازى أحمد سعيد ، سطر ١٤ .

(٣) وثيقة ٢٧٨٥ / أوقاف ، مؤرخة ١١٨٠هـ باسم صالحة خاتون ، سطر ٢٩ .

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٩٨ هـ ، وثيقة ٤٨٢ ، ص١٨٤ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٥) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٢٤ .

اللازمة لها ، ، وقد حقق التجار فى البن أرباحا طائلة ؛ نظرا لما كانت تنعم به هذه التجارة من رواج لدى خاصة الشعب وعامته فى ذلك العصر . أما تجارة التمباك فيبدو أن استخدام التمباك قد انتشر فى مصر فى القرن الثامن عشر ، وكانت مصر تعتمد على ما تستورده من الديار الرومية (آسيا الصغرى) من الدخان ، وانتشرت حوانيت القائمين بهذا النوع من التجارة فى بولاق ومصر القديمة والغورية وخان الخليلى وباب البحر ، وذلك لتلبية احتياجات المقاهى التى كانت تنتشر فى هذه الأحياء .

وعلى هذا يتضح لنا أن أصناف التجارة داخل هذا الحى ودروبه إنما جاءت تلبية لحاجة المؤسسات ذات الصفة الصناعية أو التجارية لها إلى جانب الشعب .

سويقة الجيزى :

كانت هذه السويقة تقع بالقرب من سويقة الزلط المتوصل منها إلى جامع الطواشى جوهر السحرتى ، ويلاحظ أن هذه السويقة منسوبة إلى إقليم الجيزة التى ربما كان لمنتجات قراها دور فى نشاط السويقة ، حيث كان لإقليم الجيزة دور فى إمداد التجار داخل هذا الحى بحاجياتهم من ملح النطرون ، وكذلك القرطم النمرسى [١] اللازم لاستخراج الزيت منه ، وأيضا إمدادهم بالجبن واللبن البقرى والجاموسى خاصة من قرية بولاق الدكرور ، كما أشرنا من قبل .

وقد ضمت هذه السويقة بداخلها تجارا للزيت[٢] ـ شأنها شأن السويقات التى أسلفنا الحديث عنها اللازم لاستخدامات القاطنين بالقرب منها .

سويقة اللبن :

كانت هذه السويقة تقع بخط الخشابين [٣] المجاور لسويقة بنى الوفا الواقعة داخل خط باب البحر ، ويبدو من اسم هذه السويقة أنها تخصصت فى بيع الألبان، التى سبق وأن تحدثنا عن دور إقليم الجيزة فى هذا الشأن . ولم تكن هذه السويقة بالشىء الجديد فى هذا العصر ، وإنما كان هناك فى العصر المملوكى قاعات خاصة ببيع الألبان استمرت أيضا جنبا إلى جنب مع هذه السويقة فى العصر العثمانى ، ويؤكد ذلك وثيقة تعود إلى سنة ٩٩١ هـ [٤] .

---

(١) التابع لقرية أبو النمرس التابعة للجيزة ، انظر : وثيقة ٨٦٨ ، ص٢٦٢ ، سجل ٣٨ ١٠ هـ .

(٢) وثيقة ١٧١٦ ، ص٥٢٣ ، سجل عام ١٠١١ هـ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٢ هـ ، وثيقة ٨٠٢ ؛ ص٢٢٨ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩١ هـ ، وثيقة ٦٤٠ ، ص١٨٠ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

سويقة الحرير :

كانت هذه السويقة تقع بداخل حى باب البحر بالقرب من درب البوارين المتوصل منه إلى جامع الطواشى جوهر السحرتى الكائن بخط سويقة الزلط . وقد تخصصت هذه السويقة فى بيع منتجات القزازة التى كانت منتشرة فى هذه الحى فى العصر المملوكى(١). غير أن الوثائق العثمانية لا تشير إلى استمرارية قاعات القزازة المملوكية فى ذلك العصر ، وربما تكون الدولة فى ذلك العصر قد اعتمدت على ما تستورده من القسطنطينية وأزمير والبندقية (٢) ، والتى كانت تصل إلى ميناء بولاق ثم تنقل إلى أسواق القاهرة المختلفة ومنها هذه السويقة الكائنة بباب البحر .

سويقة البسطانية :

كانت هذه السويقة تقع داخل حى باب البحر بالقرب من الجامع الأحمر على يمنة السالك طالبا للأزبكية . وقد تخصصت هذه السويقة فى بيع الأبسطة التى تنتجها القاعات المعدة لصناعة البسط والتى وصلنا منها قاعة معدة لعمل البسط قام باستئجارها الحاج إبراهيم شيخ طائفة البسطيين بمصر المحروسة (٣) ، وقاعة أخرى كانت تقع بالقرب من سويقة بنى الوفا يعود تاريخها إلى سنة ٩٩٤ هـ (٤). ويلاحظ أن هذه السويقة المعدة لبيع البسط كان بها شيخ هذه الطائفة سنة ١١٩هـ ، كما أن الشيخ الذى كان قبله والمشار إليه سابقا كان قد استأجر قاعة لحسابه ليتولى عملية صناعة البسط ويبيعها داخل هذه السويقة(٥) .

سويقة الزلط :

كانت تقع هذه السويقة فى العصر العثمانى بالقرب من جامع الزاهد والعريان ، ولا زال الاسم مستمرا حتى اليوم ، حيث يطلق على الحى المتوصل منه إلى جامع جوهر السحرتى ، ويبدو من اسم هذه السويقة أنها تخصصت فى بيع الزلط المستخدم فى أعمال البناء ، كما كانت تستخدم إلى جانب ذلك فى بيع مواد البناء ؛ من جبس وآجر ورمل وغير ذلك ، حيث كانت الجباسات قريبة من الحى عامة وهذه السويقة خاصة ، يؤكد ذلك ما ذكرته وثيقة تعود إلى عام ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م عن وجود جباسة بالقرب من

---

(١) انظر : الفصل الثانى ، دور الحى الصناعى .

(٢) ج . دى . شايرول : وصف مصر ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة : زهير الشايب ، الطبعة الثانية ، الخانجى ، المجلد الأول ١٩٧٩م ، ص٢٤١ .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧ هـ ، وثيقة ٤٧٥ ، ص١٤٣ بالشهر العقارى .

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٤هـ ، وثيقة ٩٠ ، ص٢٨ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٥) سجلات محكمة الزاهد ،سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ٤٧٥ ، ص١٣٨ ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

ميدان الغلة المخصصة لصناعة الجبس [(١)] ، كما أن الزلط يأتى إليها من محجر بالقرب من باب الفتوح [(٢)] .

ونستطيع أن نستخلص من المعلومات السابقة عن الأسواق والسويقات التى وصلت إلينا من خلال الوثائق أن أسواق المواد الغذائية كانت قليلة جدا بالنسبة لأسواق المواد الصناعية ، وذلك فى العصر العثمانى ، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى ما امتاز به الحى من دور صناعى جعل الأسواق التى وجدت به تخدم هذه المنشآت ، فضلا عن ذلك ، فإن كل سويقة من السويقات ـ وكذلك الأسواق ـ قد ضمت إلى جانب التخصص الذى كانت تقوم به الاتجار فى نوعيات أخرى من السلع التى يحتاج إليها العامة فى حياتهم اليومية ، مثل : الخضر ، والزيت ، والجبن ، واللبن . . . وغيرها ، والذى كان ينتج البعض منه داخل المنشآت الصناعية التى كان يضمها الحى ، والبعض الآخر كان من الأقاليم التابعة للقطر ، والبعض الآخر من البلاد العربية والأجنبية .

هذا وقد بلغ عدد الأسواق والسويقات التى انتشرت فى هذا الحى فى العصر العثمانى ستت عشرة سوقا وسويقة ، ضمت كافة التخصصات التجارية والصناعية .

كذلك استرعى انتباهى وجود سويقات للقطن ، واللباد ، والحرير ، والبسط داخل الحى ، هى من الأسواق المخصصة للصناعات النسجية التى كان ينتجها الحى ، مما يرجح وجود رابطة تضم الطوائف[(٣)] العديدة المتخصصة فى النسج والتى كان يضمها الحى فى العصر العثمانى .

وإلى جانب الأسواق والسويقات التى انتشرت داخل حى باب البحر منذ العصر الأيوبى وحتى نهاية العصر العثمانى وجدت كذلك منشآت تجارية داخل الحى نفسه ، منها ما يعود إلى العصر الأيوبى والمملوكى والعثمانى .

فمن النشآت التجارية التى تعود للعصر الأيوبى فندق « الحجر » ، وقد أنشأت هذا الفندق المرحومة خوند والدة السلطان العزيز الشهيد الملك العادل فى سنة ست وثلاثين وستمائة [(٤)] . وقد ظل هذا الفندق حتى سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م يقوم بمهامه إلى أن حدث به التصدع وخشى من وقوعه ، فتم استبداله لجهة الوقف نظيرمبلغ من المال يدفعه

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ١٥١ ، ص٤٦ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) حديث شفهى مع أحد المعمرين بالحى ويدعى : مدبولى محمود .

(٣) سيأتى تفصيل عن هذه الطوائف المتخصصة فى النسج عن الحديث عن دور الحى الصناعى فى الفصل التالى.

(٤) وثيقة ٥٨٥ ج / الأوقاف ، ونوعها استبدال باسم على بن عثمان ، مؤرخة سنة ٨٩٢ هـ .

المستبدل على بن عثمان إلى مستحق ريع هذا الفندق .

وقد أمدتنا الوثيقة المذكورة (استبدال) بوصف مفصل لما كان عليه الفندق من تخطيط ؛ حيث كان عبارة عن صحن مستطيل على أضلاعه شيدت الحواصل التى كانت عدتها ثلاثة وعشرين حاصلا ، إلى جانب اشتمال الصحن على بئر ماء معين وحوض وسُلم يؤدى إلى الدور العلوى الذى يشتمل على طوابق عدتها تسعة ، سقط غالبها وباقيها متداعٍ للسقوط (سنة تحرير الوثيقة ٨٩٢ هـ) . وخارج الفندق من جهاته الأربع فتحت حوانيت عدتها اثنان وعشرون حانوتا إلى جانب وجود خمسة حوانيت بواجهة الفندق . (انظر : المسقط التصورى للفندق ، شكل ٤) .

وقد استمر هذا الفندق منذ العصر الأيوبى على حالته دون تغيير يذكر لمعالمه حتى سنة تحرير الوثيقة التى تم فيها الاستبدال ، خشية وقوعه على المارة . غير أن هذا الفندق لم ينته أمره فى ذلك العصر [(١)] والعصر التالى له [(٢)] ، حيث تشير الوثائق إلى وجوده ، حيث أطلقت عليه بالتناوب : خان الحجر[(٣)] ، أو وكالة الحجر .

وتعتبر الفنادق من المنشآت التجارية الهامة التى خصصت لإيواء التجار وغير التجار من الأجانب ، ولفظة « فندق » كلمة يونانية الأصل ، وقد عرفت الفنادق منذ بداية العصر الإسلامى ، واستمرت مستخدمة خلال العصور المتعاقبة ، ففى العصر الفاطمى أذنت الحكومة للتجار الإيطاليين وغيرهم بإنشاء الفنادق الخاصة بهم ، وقد كثر عدد هذه الفنادق فى ذلك العصر نتيجة التوسع التجارى الذى شهدته مصر فى ذلك العصر ؛ حيث كان لكل جالية بالإسكندرية فندق يتفق تخطيطه والتخطيط الذى أسلفناه عن تخطيط فندق الحجر .

واستمرت الحركة التجارية مزدهرة فى العصر الأيوبى ؛ مما جعل الحكومة تقوم بإنشاء الفنادق لإيواء التجار القادمين إلى مصر . وتشير المصادر المعاصرة للعصر المملوكى إلى وجود الكثير من هذه المنشآت التى شيدت فى تلك الفترة ، غير أن أيا من هذه المصادر لم يُعْنَ بإعطاء وصف معمارى لها [(٤)] ، وتعتبر الوثيقة الخاصة بفندق الحجر المصدر الوحيد الذى أعطانا وصفا متكاملا لتخطيط الفندق وما كان يحتوي عليه من حواصل وحوانيت خارجية [(٥)] .

---

(١) الوثيقة السابقة سطر ١٧ .

(٢) وثيقة ٣٩٦/ أوقاف باسم يوسف بن عبد الله باشجاويش ، سطر ٦ .

(٣) ابن دقماق ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٥ .

(٤) د. آمال العمرى :المنشآت التجارية فى العصر المملوكى، (مخطوط) ،رسالة دكتوراه ١٩٧٤م ،ص١٤٥ .

(٥) وثيقة ٥٨٥ ج / أوقاف ، سطر ١٧ ـ ٢٢ .

وكما ذكرنا سابقا ، فإن هذا الفندق قد استمر طيلة العصرين المملوكي والعثمانى ، وأطلق عليه اسم خان الحجر ، أو وكالة الحجر فى بعض الوثائق . و « الخان » كلمة فارسية معناها : منزل أو سوق ، وقد استخدمت منذ أقدم العصور للدلالة على ذلك المبنى الهندسى الذى يتكون من العديد من الحجرات تحيط بفناء مكشوف يضم غالبا طابقين ، يحوى الدور الأرضى من الداخل اصطبلات للدواب وحواصل للغلال ، وبجواره من الخارج صف من الحوانيت الصغيرة ذات الشكل المألوف ، فهى عبارة عن مساحة مربعة تبلغ أربعة أمتار تقريبا ، تضم أرففا للبضائع ، ومصطبة للبائع والمشترى ، أما الأدوار العلوية فكانت مقسمة إلى مساكن ، وكانت هذه المبانى تضم سبيلا أو بئر ماء معين ، ومن الملاحظ أن هذه الأوصاف تؤكدها المعلومات الواردة داخل الوثيقة الخاصة بفندق الحجر الذى شيد فى العصر الأيوبى .

وفى العصر المملوكى شيد بالحى فندق أطلق عليه فندق « طرنطاى » وكذلك وكالة عرفت بوكالة الجبن ، وقد شيد الفندق خارج باب البحر ، وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام .

وهنا لنا وقفة . . . فالمعروف أن معاصر الزيت قد انتشرت داخل حى باب البحر سواء لإنتاج الزيت الحار أم الزيت الحلو [1] ، فلماذا إذا كان نزول هؤلاء التجار القادمين من الشام إلى هذا الفندق ؟ ويمكن أن نجيب عن هذا التساؤل الذى يفرض نفسه بأنه ربما كان هؤلاء التجار ينزلون إلى هذا الفندق لأخذ احتياجاتهم من الزيت الذى كان ينتج داخل المعاصر الكائنة بباب البحر ، يؤكد هذا الافتراض قرب الفندق من النيل الذى كان يمر بالمقس فى ذلك الوقت .

ويعطينا المقريزى وصفا لبعض ما كان يحويه هذا الفندق ، فيقول : إنه كان بداخله ستة عشر عمودا من رخام ، طول كل عمود ستة أذرع بأذرع العمل فى عرض ذراعين ، ويعلوه ربع كبير . وقد تعرض هذا الفندق للحريق فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة حيث أتت النار على جميع مشتملات الفندق حتى أصبحت أحجاره جيرية [2] .

وأما وكالة الجبن[3] ، فهى منشأة اختصت بالاتجار فى الجبن ، الذى ربما يأتى إليها من القرى المنتشرة بإقليم الجيزة القريب من النيل ؛ حيث كان الأمر لا يتطلب إلا عبور النيل والوصول إلى الحى لتسويق الفلاحين لمنتجاتهم من جبن وألبان وقشدة وغيرها.

(١) انظر : الفصل الثانى من هذا الباب .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٩٤ .

(3) Raymond (A.) ,. et wiet (G.) ,. OP. Cit ., p. 245 .

والمعروف عن الوكالة أنها منشأة تخصصت كذلك فى إيواء التجار المسافرين والقوافل، وهى بذلك تتشابه مع الخانات والفنادق . وهى عادة ما تتألف من فناء أوسط مستطيل التخطيط تحيط به مبانٍ من عدة طوابق أسفلها عبارة عن حجرات أو حواصل تفتح على الفناء ، وكانت تودع فيها المتاجر ، ويعلوها غرف للسكنى ، وتمتاز الوكالة بمدخلها الضخم الذى تعلوه العقود ، وتحفّ به الأبراج[1]. (انظر موقع هذه المنشآت على الخريطة ، شكل ٥) .

وفى العصر العثمانى وصلنا من المنشآت التجارية المشيدة داخل هذا الحى عدد من الحوانيت والوكالات ، فمن الحوانيت التى ورد ذكرها فى وثائق ذلك العصر نستنتج أنها كانت مقسمة إلى ثلاثة أنواع : حوانيت ملحقة ضمن وكالات ، وحوانيت ملحقة ضمن منازل ، وحوانيت ملحقة ضمن مقاهى ، وأخرى ملحقة ضمن أفران ، وأخرى مستقلة.

ومن أمثلة الحوانيت التى ألحقت بالوكالات ما ألحق بالوكالات الكائنة بخط سويقة بنى الوفا وعددها ثلاثة حوانيت[2] . ومن المحتمل أن تكون هذه الحوانيت مخصصة لعرض السلع الخاصة بالتجار المقيمين بالوكالة . ومن تلك الحوانيت الملحقة بالمنازل حانوت ملحق بظاهر المكان المقابل لحمام الخراطين الكائن بميدان الغلة فى ذلك العصر من جملة حى باب البحر [3] ، ومن المحتمل أن يكون هذا الحانوت قد أعد للإيجار . ومن الحوانيت الملحقة ببعض المقاهى ، الحوانيت الملحقة بواجهة قهوة الدشاش التى كانت تقع بخط سويقة بنى الوفا [4] .

ومن الحوانيت الملحقة بالأفران حانوتان متلاصقان لطابونة بخط الرويعى بالقرب من سويقة بنى الوفا [5] ، إلى جانب الحوانيت المستقلة والتى وصلنا منها ثلاثة حوانيت كانت مشيدة داخل سويقة الزلط [6] ، ومن المحتمل أن تكون الحوانيت الملحقة بالمقاهى والأفران قد أعدت لتقوم ببيع البن اللازم لإدارة المقهى وكذلك الخبز الذى تنتجه الأفران واللازم لأهل الحى ، وكل هذه الحوانيت كان يتم تأجيرها ، حيث إنها لم تكن ملكا للعاملين بها بأى حال من الأحوال ، بل كانوا يشغلونها فى مقابل إيجار يدفع كل سنة .

وكان امتياز امتلاك حانوت أو الترخيص بالقيام بأى عمل صناعى أو تجارى يسمى

---

(١) د. حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص١٩٢ .

Lanepoole , (Stanley) , The Art of The Saracens in Egypt , p. 68 .

(٢) وثيقة ٢٧٨ / أوقاف ، سطر ٥ .

(٣) وثيقة ٣٩٦ / أوقاف ، سطر ٥ .

(٤) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ١٤ .

(٥) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٧٠ ، ٧١ .

(٦) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٢٦ .

بالتركية : « كريك »[1]، وهذا الكريك فى حد ذاته من الممكن رهنه أو ابتياعه على اعتباره نوعا من الملكية ، وكذلك يمكن نقله حين وفاة المالك إلى ورثته ، وكان بإمكان الابن أن يحتل مكان والده إذا كان أهلا لذلك ، بمعنى أن يكون قد وصل إلى مرتبة الأُسْطَى فى نفس منظمة الطائفة[2] .

وكانت هذه الحوانيت صغيرة جدا يصل مسطحها إلى ٤,٥٠م٢تقريبا ، وليس لها فى مقدمها مكان تعرض فيه البضائع ، اللهم إلا مصطبة يجلس عليها صاحب الحانوت مع زبائنه للمساومة فى سعر السلعة [3] .

وإلى جانب هذه الحوانيت التى شيدت فى الحى سواء مستقلة أم مدمجة ، شيدت أيضا بعض الوكالات التى شيدت داخل حى باب البحر فى ذلك العصر :

١ ـ وكالة القمح . ٢ ـ وكالة القطن .

٣ ـ وكالة الفوطية . ٤ ـ وكالة الفراخ .

٥ ـ وكالة السمسم . ٦ ـ وكالة الجلابة .

٧ ـ وكالة صالحة خاتون . ٨ ـ وكالة معدة لربط الدواب باسم الحاج حجازى.

٩ ـ وكالة البكرى . ١٠ ـ وكالة الحجر .

١١ ـ وكالة شمس الدين محمد بخط الخشابين .

(انظر : توزيع هذه الوكالات على خريطة الحى ، شكل ٦) .

وقد أغفلت بعض الوثائق ـ إلى جانب المراجع ـ ذكر الوصف المعمارى المكون لكل وكالة من هذه الوكالات ، وقد استعضنا عن ذلك بما جاء فى البعض الآخر من الوثائق من وصف لبعض هذه الوكالات ، مثل الوثيقة التى تخص وكالة شمس الدين محمد بخط الخشابين [4] .

---

(١) كان الكريك نوعان : نوع يسمح لحامله بممارسة حرفته فى أى مكان يشاء . والآخر يربطه بمكان محدد . والنوع الأول كان نادرا نظرا لرغبة الحكومة فى التحكم فى عدد الصناع وأرباب الحرف العاملين فى كل جهة ، وكانت الأرباح التى تجنى من وراء إيجار هذه الحوانيت تستخدم فى الصرف على مستحقى ريع الوقف .
انظر : د. ليلى عبد اللطيف : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام ، ص٧٣ .

(٢) جب هاملتون : المجتمع الإسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص١٢١ .

(٣) كلوت بك : لمحة عامة عن مصر ، جـ١ ، ص٣٩٧ ، إدوارد لين : المصريون المحدثون ، عاداتهم وشمائلهم ، ترجمة : عدلى طاهر نور ، ١٩٧٧ ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٤) سجلات الزاهد ، وثيقة ٨٠٢ ، ص٢٢٨ ، سجل عام ٩٩٢ هـ ، حيث ذكرت أنها تشتمل على ثمانى حواصل فقط دون ذكر أية تفاصيل أخرى .

وكالة القمح :

اختصت هذه الوكالة ببيع حبوب القمح التى كانت تَرِد إلى القاهرة من أقاليم الوجه القبلى ، والتى كانت بمثابة المصدر الأساسى لكافة أنواع الحَبوب ؛ حيث كانت تنقل هذه الغلال من الصعيد بواسطة المراكب التى تصل إلى ميناء بولاق ، حيث تخزن هناك [١] ، ثم يحملها التجار من هذا المكان إلى وكالاتهم المنتشرة داخل القاهرة . (انظر : موقع الوكالة على الخريطة ، شكل ٦) .

وكالة القطن :

إلى جانب سوق القطن الذى وجد داخل هذا الحى فى ذلك العصر شيدت كذلك وكالة لهذا الغرض أيضا ، واختصت ببيع هذا النوع من التجارة ، وقد اعتمدت مصر على المزروع فيها من هذا النبات بنسبة محددة إلى جانب الوارد من البلاد المصَّدرة لهذا النبات إلى مصر ، وكانت هذه الوكالة تقع بالقرب من سويقة العياطين على يمنة السالك من باب البحر .

وكالة الفوطية :

اختصت هذه الوكالة ببيع الفوط التى كانت من متطلبات المنازل والحمامات ، ويحتوى الحى على درب متفرع منه أطلق عليه اسم : حى الفوطية الذى أخذ اسمه من الوكالة الكائنة بداخله[٢] . ومن المحتمل أن تكون هذه الوكالة قد أنشئت لتوزيع ما كانت تنتجه قاعات نسيج الفوط التى لم تصلنا عنها معلومات تفيد ذلك .

وكالة الفراخ :

عرفت مصر صناعة التفريخ بشكل واسع فى ذلك العصر ، حيث انتشرت معامل التفريخ[٣] فى القاهرة ، والتى كان يقع عليها إمداد الوكالات وأسواق الطيور باحتياجاتها من الدواجن اللازمة للاستهلاك الآدمى ، ومن اسم هذه الوكالة يتبين لنا أنها تخصصت فى بيع الدواجن والطيور الأخرى اللازمة لاستهلاك أهل الحى . (انظر : موقع الوكالة على الخريطة ، شكل ٦) .

وكالة السمسم :

تخصصت هذه الوكالة فى بيع حبوب السمسم ، والذى كان يستخدم فى إنتاج زيت

---

(١) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٥٦ .

(2) Abou seif (Doris) ,. Op . Cit . p. 66 .

(٣) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٤٣ .

السيرج ؛ لهذا وجدت مثل هذه الوكالة داخل هذا الحى لتلبية احتياجات المعاصر الخاصة بإنتاج هذا الزيت . وقد أطلقت الوثائق على المعاصر المنتجة لهذا الزيت اسم السيرجة . وقد كان هناك زقاق داخل سويقة بنى الوفا أطلق عليه درب السيرجة[1] . وسوف نفصل القول عن هذه المعاصر فى دور الحى الصناعى .

وكالة الجلابة :

قامت هذه الوكالة بالاتجار فى العبيد التى كانت مصر تعتمد عليهم فى تولى مهام الخدمة بالمنازل الخاصة بأثرياء القوم ، وكان هؤلاء العبيد يأتون من بلدان مختلفة منها السودان ، وكانت هذه الوكالة تقع بالقرب من خان أو وكالة الحجر الكائنة بميدان الغلة . وقد كان التاجر الذى يقوم بتوريد هؤلاء العبيد إلى الوكالات الخاصة ببيعهم يسمى تاجر البربر[2] .

وإلى جانب هذه الوكالات التي تخصصت فى بيع سلعة معينة وجدت وكالة بالحى خصصت لربط الدواب . ومن المحتمل أن تكون هذه الوكالة قد أعدت لربط الدواب بها وعرضها للبيع للقصابين ، حيث كانت بمثابة سوق يأتى التجار بما لديهم من دواب ليتم عرضها داخل هذه الوكالة ، ومن ثم يتم بيعها لمن يعملون فى حرفة الجزارة . وقد أعطيت الوثيقة وصفا لهذه الوكالة ؛ حيث تذكر أنها تشتمل على صحن ، جزء منه مسقف غشيما[3] ، والجزء الآخر كشف سماوى[4] شيد على أحد الجدران ثلاث حواصل معقودة ، وفى واجهة الوكالة حانوت واحد ، وهى تقع داخل الدرب المعروف بسويقة الزلط [5] .

كذلك وجدت وكالة أخرى تذكرها وثيقة أخرى وتعطينا وصفا معماريا لها دون أن تذكر وظيفتها ؛ مما يجعلنا نعتقد أنها للإيجار فقط ؛ كى يتم الصرف من ريع ذلك فى وجوه البر المختلفة ، وهى الوكالة الكائنة بخط سويقة بنى الوفا ، وهى تتكون من واجهة بها أربعة أبواب ، ثلاثة منها حوانيت والرابع مقنطر [6] يؤدى إلى دهليز لطيف ، جزء منه مسقف والآخر كشف سماوى ، على يسار الداخل منه باب سلم يؤدى إلى رواق به طبقة ويؤدى الدهليز السابق إلى مساحة مستطيلة كشف سماوى بها ثمانى حواصل متقابلة

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل سنة ١٠١٠ هـ ، وثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ ، وثيقة ٩١٨ ، ص٢٧٧ ، سجل٩٨٢ هـ .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٧٢ هـ ، وثيقة ٢١٠ ، ص٥٩ بالشهر العقارى .

(٣) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢٤) .

(٤) انظر : معجم المصطلحات برقم (٨).

(٥) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٥٢ ، ٥٣ .

(٦) انظر : معجم المصطلحات برقم (١٥) .

لبعضها بعضا [١] خصصت لخزن البضائع التى يقوم بعرضها التجار للبيع . (انظر : المسقط التصورى لهذه الوكالة ، شكل ٧) .

وإلى جانب هذه الوكالات وجدت مخازن لخزن البن اللازم لإمداد المقاهى باحتياجاتها منه ، سواء داخل هذا الحى أم الشوارع التى داخل أسوار القاهرة . وقد كان الحاج حجازى أحمد السعيد من طائفة عزبان من أعيان التجار فى البن بمصر المحروسة بخان المرحوم سليمان بخط الغورية ، وكانت مخازن البن الخاصة به تقع داخل هذا الحى[٢] .

ومن المعروف أن تجارة البن قد جذبت انتباه الكثير من العسكريين ، لما تدره هذه التجارة من أرباح طائلة . وقد احتل أفراد طائفة عزبان ومستحفظان فى النصف الأول من القرن الثامن عشر مكانة هامة فى تجارة البن بما تمتعوا به من كيان خاص ، وفى النصف الثانى تضاءل دورهم فى تجارة البن ، وذلك نتيجة لما أصاب الأوجاقات من التفكك[٣]، ومن خلال الأوقاف التى أوقفها صاحب هذه الوثيقة نتبين مدى الثراء الذى حققه من وراء هذه التجارة .

وإلى جانب ما قام به العسكريون من تجارة ، نجد أن المشايخ قاموا كذلك بالانضمام إلى طائفة التجاريين وإن لم يباشروا التجارة بأنفسهم فنرى الشيخ البكرى يشيد وكالة عرفت باسم السيد أحمد وأخيه السيد إبراهيم البكرى ، مؤرخة سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م وقد أعطتنا الوثيقة وصفا مفصلا لما كانت عليه الوكالة ، فقد كانت عبارة عن صحن أوسط على جانبيه أحد عشر حاصلا مسقف ذلك جميعه غشيما [٤] ، يغلق على كل منهم فردة باب خشب نقى يعلو كل باب شباك حديد يرسم النور والهوى ، وبالواجهة المبنية بالحجر الفص النحيت[٥] خمسة حوانيت كاملة المنافع والأبواب والمصاطب ، ولهذه الوكالة باب كبير معقود بالحجر الفص النحيت يغلق عليه فردتى باب خشب نقي ، يؤدى هذا الباب إلى دهليز على يمنة الداخل ، ويساره يوجد خزانتان مسقف ذلك نقيا [٦]، وبالجهة البحرية من الوكالة كان يوجد مدخل آخر يؤدى إلى فسحة بها سلم يؤدى إلى الطابق العلوى الذى كان يحتوى على رواق كامل المنافع ، وعلى يسرة الفسحة المذكورة من الجهة اليسرى دهليز مستطيل به خمسة مساكن ، أربعة منها تطل على الحى الأعظم

(١) وثيقة ٢٧٨ / أوقاف ، سطر ص٣٥١ ، ٣٥٢ .

(2) Abou Seif (Doris) ,. Op . Cit . p . 66 .

(٣) د . عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٤) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢٤) .

(٥) انظر : معجم المصطلحات برقم (٥) .

(٦) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢٥) .

علو الواجهة ، الواجهة المذكورة ، والخامس يطل على الوكالة ، ويتوصل من باب الدهليز إلى مسكنين مطلين على الوكالة [1] . (انظر : المسقط التصورى لهذه الوكالة شكل ٨, ٩) .

وكان يواجه هذه الوكالة التى كانت تقع داخل سويقة بنى الوفا مبنى تجاري آخر ، تعطينا الوثيقة وصفا له ؛ حيث تذكر أن لهذا المبنى واجهتان : أحدهما غربية ، والثانية بحرية ، فالواجهة الغربية تشتمل على خمسة حوانيت وباب مقنطر يؤدى إلى مجاز لطيف مسقف نقيا ، به جهة اليمين باب يدخل منه إلى حاصل مسقف غشيما يجاوره مصطبة صغيرة أسفلها خزانتان صغيرتان ،يتم التوصل من المجاز السابق إلى فسحة كشف سماوى بها ستة أبواب يؤدى كل منها إلى حاصل مسقف غشيما وبير ماء معين ، يجاورها حنفية ومرحاض ، وبالفسحة المذكورة عقد مبنى بالطوب يعلوه سلم ، ويدخل من العقد المذكور إلى فسحة ثانية كشف سماوى صغيرة بها بابين أحدهما يدخل منه إلى طبقة كاملة المنافع ، والآخر يدخل منه إلى كرسى راحة .

وأما الواجهة البحرية فبعضها مبنى بالحجر ، وباقيها بالطوب الأحمر ، بها باب يدخل منه إلى سلم يصعد من عليه إلى باب يدخل منه إلى فسحة بها كرسى راحة وسلم يصعد من عليه إلى طبقة ، يعلو الفسحة المذكورة باب يتوصل منه إلى رواق مسقف نقيا يطل على الحى ، ويتوصل من البسطة المذكورة إلى بسطة ثانية وباب يدخل منه إلى مجاز مسقف نقيا به أربعة أبواب اثنان يمنة ، واثنان يسرة ، يدخل منهما إلى رواق مسقف نقيا كامل المنافع[2] ، ومن المحتمل أن يكون هذا المبنى قد خصص لإيواء التجار إلى جانب تخزين السلع[3] داخل الحواصل التى يشتمل عليها المبنى .

ومن الملاحظ أن هذه الوثيقة قد أغفلت ذكر نوع التجارة التى كانت تقوم بها هذه الوكالة ، مما يجعلنا نرجح أن هذه الوكالة قد قام بتشييدها الشيخ البكرى ، وشيد فى مواجهتها مكانا للسكنى وتخزين البضائع ؛ لتكون برسم الإيجار حتى ينتفع بهذا الإيجار كنوع من الوقف على وجوه البر المختلفة .

وقبل أن ننهى هذا الفصل يجب أن نذكر بعض الحرف التى تعلقت بالتجار داخل أسواق هذا الحى ؛ من ذلك حرفة : الصراف ، القبانى .

وقد أشارت إلى الحرفة الأولى الوثائق المتعلقة بسويقة الحمام ، وميدان الغلة [4].

---

(١) وثيقة ٣٣٠٤ / أوقاف ، سطر ١٨ ـ ٢٨ . (٢) الوثيقة السابقة ، سطر ٢٩ ـ ٣٩ .

(٣) انظر : المسقط التصورى ، شكل ٩ .

(٤) سجلات الزاهد ، سجل سنة ١٠٣٧ هـ ، وثيقة رقم ٤٢٨ ، ص١٣٢ ، وثيقة ٧٦٥ ، ص٢٣٣ ، سجل١٠٣٨ هـ .

وأشارت إلى الحرفة الثانية الوثائق المتعلقة بسويقة بنى الوفا ، وسوق السمك [1] .

والمعروف أن وجود الصراف داخل هذه الأسواق كان يخدم التجار الأجانب القادمين إلى هذه الأسواق ؛ كى يتيسر لهم استبدال العملات الخاصة بهم بعملات مصر السائدة فى تلك الفترة ، وهذه الحرفة ووجودها يدل على مدى ما كان يتمتع به هذا الحى من رواجٍ وازدهار اقتصادى . كذلك يمكن القول أن وجود الصراف فى سويقة الحمام وميدان الغلة فقط - وفقا للمعلومات التى توصلنا إليها - يفيد فى أن هذه السويقات قد ضمت الكثير من السلع التى تخدم طلبات الأجانب .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن وجود حرفة القبانى داخل سويقة بنى الوفا وسوق السمك الذي كان بداخلها أيضا تلقى الضوء على ما كانت تقوم به هذه السويقات والأسواق من بيع السلع التى بها جملة واحدة إلى تجار التجزئة .

وعلى هذا يتبين لنا مدى ما تمتع به هذا الحى من حركة تجارية مزدهرة ظلت به منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثمانى ، فلم يتأثر بعوامل الطبيعة التى جعلت النيل يبتعد عنه ولم يتأثر بالأحوال السياسية والبيئية التى كان لها تأثيرها على وجود بعض الأسواق في العصر المملوكى ، فرغم ما تهدم به من أسواق فى العصر المملوكى إلا أنه ظل مستمرا يؤدى مهامه التجارية منذ ذلك الحين وحتى وقتنا الحاضر .

---

(١) وثيقة رقم ٢٢١ ، ص٢ ، سجل عام ١١٢٤ هـ ، وثيقة ١٨٥ ، ص٧٢ ، سجل عام ١١٦٤ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

الفصل الثانى

الدور الصناعى والحرفى

تشير المصادر التاريخية ـ وكذلك حجج الوقف ـ إلى وجود نشاط حرفى وصناعى داخل حى باب البحر خلال العصور المتلاحقة التى مرت عليه ، ودراسة هذا النشاط تلقى الضوء على جانب هام من جوانب الحياة داخل هذا الحى الذى امتاز بأنه ميناء للقاهرة خلال العصرين الفاطمى والأيوبي وبداية العصر المملوكي ، وهذه الأهمية التى انفرد بها قد ساعدت على اجتذاب العديد من أرباب الحرف والصناعات لخدمة أغراض كثيرة ساعدت على إيجادها مكانة الحى التجارية .

ويمكن تقسيم الحرف التى استطعنا استخلاصها من المصادر التاريخية وحجج الوقف إلى الأقسام الآتية :

١ ـ حرف متعلقة بالأخشاب والبناء . وقد وصلنا منها : حرفة صناعة السفن التجارية والحربية ـ النجارون ـ الخراطون ـ البناءون ـ الجباسون ـ الخواصون ـ القفاصون ـ الخشابون .

٢ ـ حرف متعلقة بالحبوب . وقد وصلنا منها : الطحانون ـ الخبازون ـ الفرانون ـ الزياتون .

٣ ـ حرف متعلقة بالنسيج. وقد وصلنا منها : الحياكون ـ القزازون ـ مبيضو الغزل ـ الصباغون ـ البسطيون ـ الإقباعيون ـ الفتالون .

٤ ـ حرف متعلقة بالغذاء . وقد وصلنا منها : الحلوانيون ـ اللبانيون ـ الجزارون .

٥ ـ حرف متعلقة بالمياه . وقد وصلنا منها : السقاءون ـ الحمامية .

٦ ـ حرف متعلقة بالأدوات المنزلية . وقد وصلنا منها : النحاسون [١] .

وتعود معظم هذه الحرف إلى العصرين المملوكى والعثمانى ، حيث إنه لم يصلنا من العصرين الفاطمى والأيوبى إلا الحرفة التى وجدت فى العصر الفاطمى والمتعلقة بصناعة السفن ، والتى عملت على إيجادها نشأة دار الصناعة داخل هذا الحى فى ذلك العصر.

---

(١) وردت هذه الحرف والصناعات مرتبطة بأسماء القائمين بها داخل الحجج الشرعية التى رجعنا إليها ، وسوف نشير إلى رقم الحجة وتاريخها عند تناول كل حرفة على حدة .

أولاً : الحرف المتعلقة بالأخشاب والبناء :

وصلنا من هذه الحرف التى تعود إلى العصر الفاطمى حرفة صناعة السفن والمراكب، حيث كانت هذه الصناعة من اختصاص ديوان العمائر ، وكان لهذا الديوان رئيس يتولى الإشراف على الديوان والصناع الذين يعملون به ، وقد اختص هذا الديوان بالإشراف على إنتاج السفن الحربية التى كانت الدولة تحتاجها لتكوين أسطول حربى يحمى سواحلها، كما كانت الدولة تقوم ببناء الكثير من المراكب التجارية ، وتبيعها لخدمة أغراض التجارة الداخلية[1] . وهذا التنظيم الذى كان عليه الديوان فى ذلك العصر يتشابه إلى حد كبير مع نظام الطائفة[2] التى بدأت مصر تعمل به منذ ذلك العصر ، فقد كان للديوان رئيس مثل (شيخ الطائفة) ، وتحت إمرته صناع الديوان المختصون بإنتاج السفن والمراكب فهم منتظمون فى سلك يشبه تماما سلك الطائفة (٣) .

وقد كان السبب المباشر الذى أدى إلى وجود هذه الصناعة بالحى هو قربه من النيل الذى استخدم كميناء تجارى وحربى ، ومن ثم كان من اللازم إيجاد دار بالقرب منه تخدم الأسطول الحربى والتجارى سواء من حيث إنشاء سفن ومراكب جديدة أم إصلاح ما يخرب من أجزاء الأسطول .

وقد استلزمت مثل هذه الصناعة ضرورة تواجد شون للأخشاب لتلبية احتياجات هذه الدار ، غير أننا لم نعثر على معلومات تؤكد وجود مثل هذه الشون فى ذلك العصر ، غير أننا استطعنا التوصل إلى ما يفيد ذلك من خلال حجج العصر المملوكى ، حيث وجد خط داخل الحى أطلقت عليه الوثيقة: خط الخشابين[4]، ومن المحتمل أن يكون هذا الخط هو نفسه الذى كان يمد صناعة السفن بالأخشاب إذا أخذنا فى الاعتبار موقع هذا الخط بالقرب من الخليج ، حيث كان يقع بالقرب من ميدان الغلة ـ على رأس حى باب البحر، حيث كانت السفن القادمة من أقاليم الصعيد المختلفة والأخرى القادمة من البلدان العربية والأجنبية تأتى إلى هذا المكان لتفرغ حمولتها من الأخشاب التى كانت تلزم لصناعة

---

(١) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٥٣ .

(٢) قام الفاطميون بإنشاء نظام الطوائف لتكوين قوة تستطيع قلب الخلافة وكل ما تمثله ، وذلك قبل أن يكونوا لأنفسهم خلافة مستقلة بالقاهرة ، وكذلك لاستغلال أصحاب الحرف والسيطرة عليهم .
انظر : برنارد لويس : النقابات الإسلامية ، ترجمة : عبد العزيز الدروى ، عدد ٣٥٦ ، مجلة الرسالة، ص٧٣٥.

(٣) تمتعت الطائفة فى العصر الفاطمى برخاء عظيم ، فقد كان معترفا بها من قبل الدولة ويبدو أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة ، وأنها لعبت دورا هاما فى النشاط التجارى الذى شهدته مصر فى ذلك العصر .
انظر : برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص٧٣٥ .

(٤) على بن عثمان ، وثيقة ٥٨٥ / أوقاف ، ونوعها تصديق مؤرخة ، ٨٩٢ هـ ، سطر ٣ .

السفن ، حيث كانت تشون داخل هذا الخط للأخذ منها فى تمويل دار الصناعة ، وهو مجرد احتمال لا يرقى إلى درجة اليقين .

واستكمالا للاحتمال الذى طرحناه فإن تحول النيل عن الحى وبطلان استعمال دار الصناعة من المحتمل أن يكون وراء اتجاه الخشابين فى الخط المذكور بمهنتهم نحو خدمة أغراض البناء والعمران خاصة ، وأن الحى قد اكتظ بالمنشآت الصناعية التى تدخل فى صناعة معداتها الأخشاب ؛ مثل الطواحين، وقاعات الحياكة ، والقزازة ، والبسط ، إلى جانب احتياجات المنازل والمؤسسات الدينية لمثل هذه الأخشاب فى صنع أبوابها وأسقفها والعديد من المستلزمات الخشبية الأخرى ، ومن ثم وجد هؤلاء الصناع فى نشاط الحى الصناعى والتجارى متنفسا لحرفتهم فى ذلك العصر . لتوجيهها فى أغراض العمران المختلفة بعد أن ظلت حكرا على دار الصناعة فى العصر الفاطمى والأيوبى .

وقد كان هؤلاء التجار يقومون بشراء الأخشاب سواء من داخل البلاد أم من خارجها، وينقلونها عبر النيل والخليج إلى حيث الحوانيت التى ضمت تجارتهم فى داخل الحى ، وكانت لدى هؤلاء الصناع آلات ومعدات تساعدهم على القيام بنشر الأخشاب ، وصقلها ، وقطعها ؛ كى تتلاءم مع الأطوال المطلوبة ، ولما كانت مصر فقيرة في إنتاج الأخشاب فقد عمل الخشابون على إيجاد بعض الأنواع من الأقطار المجاورة ؛ حتى يتمكنوا من تلبية احتياجات الصناع من الخشب الجيد مثل خشب القرو ، والماهوجنى ، والبلوط ، والأبنوس ، والزان ، وهو من أكثر أنواع الأخشاب استخداما فى أعمال الأثاث والتصميمات وبعض أنواع الخرط [(١)] ، وبعد أن تصل إليهم مثل هذه الأخشاب المحلية والأجنبية كان على هؤلاء الصناع أن يقوموا بإجراء عمليات تجفيف للأخشاب، قبل استخدامها بطريقتين : إحداهما طبيعية ، والأخرى صناعية [(٢)] ، ثم بعد ذلك يتم عرضها داخل الحوانيت مهيأة للبيع ، سواء لأهل الحى أم لمن يأتى من القاهرة لشراء حاجياته من الأخشاب .

وقد استمر هذا الخط المذكور طيلة العصر العثمانى[(٣)] ، فى إمداد الحى باحتياجاته من الأخشاب التى كانت ترد إلى ميناء بولاق من الأقاليم المصرية والبلاد العربية والأجنبية، ومن هذا الميناء كان الخشابون يأخذون احتياجاتهم من الخشب للاتجار فيها وإمداد النجارين بها .

---

(١) د . نعمت أبو بكر : المنابر فى مصر فى العصرين المملوكى والتركى ، مخطوط ، (رسالة دكتوراه) ، كلية الآثار ، ١٩٨٥ ، ص ١٤ ـ ٢١ .

(٢) انظر تفاصيل هاتين الطريقتين في : د . نعمت أبو بكر ، المرجع السابق ص٢٤ .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٩٨ هـ ، وثيقة ٤٨٢ ، ص١٨٤ بالشهر العقارى بالقاهرة .

وقد أدى وجود سوق للأخشاب داخل باب البحر إلى وجود حرفة النجارين والخراطين بداخله . فأما فيما يختص بحرفة النجارة فقد وصلتنا من خلال اسم القائم بها، حيث تشير الوثيقة الخاصة بوقف الحاج حجازى السعيد[1] إلى اسم القائم بهذه الحرفة ، وهو مصطفى النجار .

وقد شاعت فى ذلك العصر أساليب زخرفية جديدة فى صناعة الأخشاب بعضها يمت بصلة للأساليب المملوكية والبعض الآخر يعتبر وليد هذه الفترة [2] .

ومن الأساليب الصناعية التي سادت فى هذه الفترة داخل المنشآت التى بالحى :

١ ـ طريقة التجميع والتعشيق :

وقد استمرت هذه الطريقة مستخدمة فى زخرفة الأخشاب التى كانت داخل المنشآت المشيدة بالحى والتى تبقى منها مجموعة أحمد العريان ، والعروسى ، فنجد استعمال هذه الطريقة فى الباب الرئيسى الخاص لمسجد العريان ، ولم تقتصر هذه الطريقة على الأبواب فقط ، وإنما نراها قبل ذلك فى ريش المنابر والنوافذ ودكك المبلغين والمقرئين ، وذلك منذ بداية القرن السادس عشر الميلادى وحتى نهاية القرن الثامن عشر دون انقطاع .

٢ ـ طريقة السدايب :

وهى من الطرق الصناعية التى تعتمد على استخدام أشرطة رفيعة من الخشب تعرف باسم السدايب تثبت مباشرة على السطح الخشبى ، وأحيانا تثبت هذه السدايب بعضها فى بعض ، مكونة بذلك الشكل الزخرفى المطلوب دون وجود سطح خشبى خلفها ، وقد استعملت هذه الطريقة فى تنفيذ أحد جوانب الروضة بمنبر جامع العريان الكائن بحى باب البحر .

ولم تكن هذه الطريقة الزخرفية وليدة العصر العثمانى ، وإنما عرفت فى العصر المملوكى الجركسى[3] ، غير أن النماذج التى نفذت بها قليلة إذا ما قورنت بالنماذج التى نفذت فى العهد العثمانى ؛ إذ شاع هذا الأسلوب الصناعى فى زخرفة التحف الخشبية بصفة عامة ، وذات الصفة المعمارية بصفة خاصة ، والتى على رأسها الأسقف ، ومن أبرز استخدامات طريقة السدايب الزخرفية تنفيذ الأطباق النجمية والأشكال المربعة والدائرية بواسطتها .

---

(١) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف . سطر ٤٣ .

(٢) د . ربيع حامد خليفة : فنون القاهرة فى العهد العثمانى . نهضة الشرق ، ١٩٨٤ م ، ص١٦٣ .

(٣) د. ربيع حامد خليفة ، المرجع السابق ، ص١٦٥ .

Lanepoole (S.) ,. The Art of The Saracens in Egypt , Fig . 65 .

وإلى جانب هذه الفئة من النجارين التى كانت مهمتها صنع التحف الخشبية التى تحتاجها المنشآت وجدت طائفة أخرى منهم وكل إليهم تأمين سلامة المنازل وأبواب المنشآت عن طريق صنع أقفال خشبية أطلق عليها اسم « ضبة » ، ومن ثم أطلق على القائمين بهذه الحرفة اسم « الضبية » .

وقد عثرنا ـ من خلال الوثائق ـ على ما يفيد سكن شيخ طائفة الضبية داخل حى باب البحر[١]. وقد أطلقت الوثيقة على هذه الفئة « النجارين فى الضبب » ، والحقيقة أن سكن شيخ هذه الفئة داخل حى باب البحر يدل على أن الضببية كانت أماكن ممارسة حرفتهم تنتشر داخل باب البحر والأماكن الأخرى المجاورة ، حيث يؤكد ذلك وجود حى بالقرب من باب الشعرية المجاور لحى أمير الجيوش أطلق عليه حى الضببية ، تلك الفئة من النجارين الذين تخصصوا فى صنع أقفال المنشآت ، وقد أشار إدوارد لين فى كتابه عن العادات والتقاليد إلى طريقة عمل مثل هذه الأقفال وكيفية فتحها[٢] .

كذلك تفرع عن الحرف المرتبطة بالأخشاب تخصص آخر وجد داخل هذا الحى الهام وهو التخصص فى الخراطة . وقد توطنت هذه الطائفة داخل حى باب البحر ، حيث كان لكل خراط حانوت خاص به يمارس فيه حرفته ، وتشير الوثيقة رقم ٢٢٣ / دار الوثائق القومية [٣] إلى هذه الحرفة مقترنة باسم حمام كان على رأس حى باب البحر الذى عرف باسم هؤلاء الصناع (حمام الخراطين) مما يدل على شيوع هذه الحرفة وانتشارها .

وقد تبين لى أثناء زيارتى الميدانية للحى وجود حوانيت تمارس فيها هذه الحرفة وفقا للأسلوب القديم ، وقد قمت بإجراء محادثة شفاهية مع أحد الصناع وجدته يمارس حرفته أمام حانوته ، وقد تقدم به العمر [٤] ، فذكر لى أن هذه الحرفة كانت تملأ حى باب البحر، وكانت الآلة المستخدمة فى الخراطة عبارة عن ماكينة تشبه المنجلة فى وقتنا الحاضر، والتى لا يزال يعمل عليها ، تتكون من عمود حديد يرتكز على فخذين من الخشب ، يرتكزان على لوحة خشبية وغرابين تثبيت ، بها قطعة الخرط ، ثم قوس يربط بالقطعة الخشبية المراد خرطها ، ويستخدم فى تشكيل القطعة الخشبية أزميل ومرزاب إلى

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، وثيقة ١١٧ ، ص٦٩ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(2) Lane, (Edward) ,.An , Account Of The Manners and Custams,. London ,1971 ,Vol ., 1 . p 23 - 24 .

(٣) وثيقة إيجار، باسم: محمد أبو العلا الأطفيحى بوكالة عن: نفيسة خاتون ، وهى مؤرخة ٢٠ شوال ١١٧٤ هـ ، وقام بنشرها د. محمود عباس حمودة : إلى دراسة الوثائق العربية ،دار الثقافة للنشر، ١٩٨٤م ، ص٣٤٤.

(٤) أحد المعمرين ، ويدعى : مدبولى محمود (١٠٠ عام) .

جانب وجود الفارة والقادوم .

وهذه المعلومات تتفق وما جاء فى كتاب وصف مصر ، حيث يذكر : أن الخراط فى هذا العصر كان يستخدم يده وقدمه كي يمسك بأزميله ويعمل وهو جالس منكفئا وهو يدير مثقابه على الآلة (١) . والتى تحدثنا عنها ، كان هؤلاء الصناع يقومون بخرط النوافذ والمشربيات التى كانت تستخدم فى تجهيزات المنازل والمنشآت الدينية ، وقد تبقى لنا من شغل الخرط الذى من المحتمل أن يكون خراطو هذا الحى هم المنفذون له : القندليات البسيطة التى داخل جامع العريان ومشربيات واجهة منزل العروسى (٢). إلى جانب الخرط المستخدم فى كرسى المقرئ الموجود بالمسجد المذكور .

ومن خلال أشكال الخرط التى يحتفظ بها جامع العريان يمكن القول بأنها تنقسم إلى نوعين :

الأول : ويعرف باسم : الخرط الميمونى ، وقد استخدم فى تغشية القندليات التى تعلو الشبابيك الخمسة التى بالواجهة الرئيسية للمسجد .

والنوع الثانى : ويعرف باسم : المسدس المفوق ، وتتكون الوحدة الرئيسية منه من شكل سداسى تتكرر وتتصل كل وحدة بأخرى عن طريق لسان يخرج من زوايا الشكل السداسى ، ونرى ذلك واضحا فى كرسى المقرئ الخاص بالمسجد المذكور .

فضلا عن ذلك فقد استخدم فى هذا العهد نوع من الخرط عرف باسم الصليب الفاضى والصليب المليان ، وهذا الأخير استخدم بكثرة فى عمل ستائر النوافذ ، وهو من الأساليب الجديدة التى بدأت تظهر في العصر العثمانى بعد أن كانت تغش فى العصر السابق بالزجاج الملون المعشق فى الجص .

بالإضافة إلى ذلك فقد قام خراطو باب البحر باستخدام الخشب المخروط فى عمل مشربيات بالمنازل وطاقاتها المشرفة على الطريق ، أو المطلة على الحوش الداخلى للمنازل الموجودة داخل هذا الحى ، ومن ذلك واجهة منزل العروسى ، التى قامت لجنة حفظ الآثار العربية بنشر صور لها من تقاريرها الصادرة فى عام ١٩٢٦م ، والتى أوصت بالحفاظ عليها باعتبارها نموذجا هاما لواجهات المنازل ، كذلك شاع استخدام الخرط في القاهرة على وجه العموم وفى داخل الحى بصفة خاصة فى عمل الرواشن وشبابيك

---

(1) Description de L`Egypte , Etat Moderm 11 , Tome , paris , Mdcccxxiii, 2nd , edition PL .

(2) Comite de Conservation de Manements de L`Art Arabe Exercies, 1925 - 26 , p. 109 . pi . ll .

المنازل إلى جانب استخدامه فى عمل الدرابزينات الخاصة بالمنابر ودكك المبلغين ، ولكن بحجم كبير .

ولم تقتصر تخصصات النجارين على الطوائف الثلاث السابقة ، وإنما كان هناك تسع تخصصات تجمعهم تسع طوائف تخصصت فى صناعة الأخشاب ، ومنهم إلى جانب ما ذكرناه أيضا الصنادقية والكرسجية والأويمجية ... إلخ ، وكان عدد الخراطين فى هذا العهد ما يقرب من ستمائة شخص موزعين على ٢٥٠ حانوت [١] . ومن المحتمل أن تكون أماكن تواجدهم كانت داخل هذا الحى الذى ربما ضمهم جميعا .

ثانيا : الحرف المرتبطة بالصناعات النسجية :

انتشرت داخل حى باب البحر - منذ العصر المملوكى - قاعات القزازة والبسط ، واستمرت هذه المنشآت قائمة فى العصر العثمانى إلى جانب قاعات الحياكة والمصابغ ، وسوف نشير إلى هذه المنشآت الصناعية فى هذين العصرين والحرف التى ارتبطت بها .

قاعات القزازة :

أشارت وثيقة وقف الأبناسى إلى إيقافه ثلاث قاعات لعمل القزازة [٢] ، كما أشارت وثيقة وقف بدر الدين الونائى [٣] إلى إيقافه قاعة قزازة ، وتلك القاعات جميعها شيدت داخل حى باب البحر ، ومن المحتمل ألا تكون هذه القاعات هى وحدها التى شيدت داخل هذا الحى فى ذلك العصر ، إذا أخذنا فى الاعتبار الرواج الاقتصادى الذى شهدته مصر فى ظل سلاطين المماليك ، الأمر الذى أدى إلى ظهور تقدم واضح فى الصناعات المختلفة فى ذلك العصر إلى جانب ظهور روح البذخ والترف فى حياة السلاطين والأمراء وأثرياء القوم .

وقد كان هذا دافعا وراء إنشاء مثل هذه القاعات التى كانت تلبى احتياجاتهم من الحرير الذى كان يضفى عليهم طابعا من البذخ والثراء ، كما ساعد على إنشاء مثل هذه القاعات أيضا إباحة الإسلام لاستعمال الحرير بالنسبة للمرأة ، كما رخص للرجال في ارتدائه عند الضرورة ، وقد ساعد ذلك على إعطاء دفعة قوية لصناعة الحرير، ورواجا

---

(١) د . ربيع حامد خليفة ، المرجع السابق ، ص١٨٠ .

(٢) ٧١٩ ج / أوقاف ، سطر ٥٧ ، ١٠٩ ، ١٢٦ .

والقزازة : لفظة فارسية معناها : من يربى القز أو بائع القز ، وهى هنا بمعنى : المنشأة المعدة لعمل نسيج الحرير الناتج من شرانق ديدان القز .

انظر : عبد النعيم حسنين : قاموس الفارسية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٥١٦ ، د . حسن باشا : الالقاب والوظائف ، جـ٢ ، ص٨٩٢ .

(٣) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .

عظيما لتجارته وغنما كبيرا للحياة الفنية[1] .

ورغم أن الوثائق التى تذكر هذه القاعات لا تذكر وصفا مفصلا لما كانت تشتمل عليه من مكونات معمارية ، اللهم إلا عدد الأنوال التى كانت تشتمل عليها هذه القاعات ، والتى كانت تتراوح ما بين نول واحد وثلاثة أنوال ، إلى جانب بعض المرافق والحقوق ، إلا أننا نستطيع أن نكوّن فكرة مبسطة عن طريقة عمل مثل هذه القاعات من خلال المعلومات العامة التى تذكرها المراجع فى هذا الشأن والمعمول بها حتى يومنا هذا .

كانت مثل هذه القاعات تشتمل على مغزل فتالة ، مهمته فتل الخيوط الحريرية الناتجة من شرانق دودة القز وتجميعها فى هيئة خيط واحد مكوّن من عدة شعرات ، ثم تجمع هذه الخيوط فى هيئة شلل ، وتوضع فى وعاء به ماء مغلى مضافا إليه صابون وزيت زيتون بما يتناسب مع ١/٢ وزن الشلل الموجودة بالحوض وتترك بداخله لمدة ٣٠ دقيقة ، وذلك بهدف إخراج المواد الصمغية ، ثم تنشر الشلل على قطعة من الخشب لتجفف فى الهواء ، ولتزداد خيوطها متانة ، وتصبح بيضاء بطبيعتها ، بعد ذلك تنقل هذه الخيوط الملفوفة على بكر إلى مكان النسيج والذى كان يشتمل على النول المخصص لهذا الغرض، حيث كان يقسم إلى خيوط رأسية تسمى : السَّداة ، وخيوط أفقية تسمى : اللُّحمة . وكانت خيوط السداة تنقسم إلى أطوال متساوية حسب المطلوب ، وترتب بعضها بجانب بعض خيطا خيطا ترتيبا يتفق مع عددها في السنتيمتر أو البوصة وعرض القماش المطلوب نسجه ، ثم بعد ذلك تتم عملية إدخال الخيوط فى عيون النسج خيطا تلو الآخر[2] ، حتى يخرج المنسوج وفقا للمطلوب .

ويمكن أن نستنتج من مكونات القاعة أنها كانت تشتمل على عدد من الحرفيين المختصين بإنتاج الحرير ، منهم : النَّسَّاج ، ومهمته أخذ الخيوط وإخراجها ـ من خلال نول النسيج ـ منسوجات حريرية وفقا للمطلوب ، كذلك كانت تشتمل على فَتَّال ، مهمته تجميع الخيوط الرفيعة التى تنتجها دودة القز إلى جانب بعضها ، وتكوين خيط متصل يمكن أن يستعمله النساج فى إخراج الثوب الذى يريد إنتاجه .

إلى جانب الحرفتين السابقتين كانت مثل هذه القاعات تشتمل على صبية مهمهتم ملاحظة العمل ، والعمل على نظافة المنشأة ، حيث كان كل صبى يلازم الصانع الذى يريد أن يتعلم منه أسرار صنعته ، كما نستطيع أن نستنتج من وجود مثل هذه القاعات أنها

---

(١) جمال مرسى : المنسوجات الحريرية فى مصر المملوكية (مخطوط) رسالة ما جستير ، آداب القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص١٨ .

(٢) جمال مرسى ، المرجع نفسه ، ص١٧ ، ١٨ .

ساعدت على رواج تجارة الحرير فى كافة أرجاء القاهرة على وجه العموم وحى باب البحر على وجه الخصوص .

ولم أعثر من خلال قراءتى لوثائق محكمة الزاهد والأوقاف ودار الوثائق على ما يفيد استمرارية هذه القاعات فى العصر العثمانى ، غير أنى عثرت على ما يفيد وجود سويقة للحرير داخل هذا الحى فى ذلك العصر ، ومن المحتمل أن تكون هذه السويقة قد تخصصت فى بيع المنسوجات الحريرية الواردة إليها من بلاد استانبول والبندقية وغيرها والتى أشرنا إليها عند الحديث عن دور الحى التجارى .

قاعات البسط :

تشير الوثيقة الخاصة بوقف بدر الدين الونائى إلى إيقافه قاعة لعمل البسط داخل حى باب البحر [(١)] . وهذه الصناعة لم تكن وليدة العصر المملوكى ، وإنما عرفت منذ أقدم العصور ، فقد استعملها البابليون والصينيون [(٢)] .وكانت المواد الخام التى تصنع منها البسط ، سواء كليم أو سجاد ، تختلف من بلد إلى آخر ، فالمصريون يستعملون الكتان فى صناعتهم إلى جانب استخدام الصوف فى هذه الصناعة[(٣)] .

ولم تعطنا الوثيقة أية معلومات تفيد فى توضيح المواد التى كانت تستخدم فى تنفيذ البسط أو الصناع الذين كانوا يعملون بداخل هذه القاعات ، غير أننا من خلال المعلومات العامة التى تناولت هذه الصناعة نستطيع أن نستشف منها الصناع القائمين بالصناعة ، وكذلك مكونات النول المستخدم فى هذه الصناعة[(٤)] .

وتتكون السجادة المصنوعة على النول من خيوط طولية تسمى السَّداة ، وتكون هذه الخيوط من القطن أو الكتان أو الصوف أو الحرير من الأنواع الثمينة ، وإن كان يفضل القطن لأنه يعطى بعض الصلابة للسجاد ، وهذه السداة تبنى عليها السجادة [(٥)] .

ويمكن أن نستنتج من إنشاء هذه القاعة داخل هذا الحى إمداد الحوانيت بحاجتها من البسط التى كان عليها إمداد المنازل ـ أيضا ـ والحمامات والمنشآت الدينية داخل الحى

---

(١) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .

(٢) د . سعاد ماهر الكليم : بحث منشور فى مجلة الآثار ، العدد الثانى ، ١٩٧٧م ، ص١١ .

(٣) د. حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص٣٣٧ .

(٤) انظر : أحمد محمد أحمد : المنشآت الصناعية فى العصر المملوكى ، (مخطوط) ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٥م ، ص٢٢٥، ٢٢٦ ، وأحمد فؤاد ، ومصطفى محمد حسين : فن السجاد اليدوى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م ، ص٤٣ .

(٥) أحمد محمد أحمد ، المرجع نفسه ، ص٢٢٦ ، وأحمد فؤاد ، ومصطفى محمد حسين ، فن السجاد اليدوى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م ، ص٤٣ .

والمناطق المجاورة ، ومن المحتمل أنها انتشرت داخل أحياء القاهرة لإمدادها باحتياجاتها من البسط ، ويدل إنشاء مثل هذه القاعات داخل حى باب البحر وحرص الواقف على إنشائها على أن هذه الصناعة قد لاقت قبولا وشيوعا مما يسر الإقبال عليها ، ومن ثم در ربحًا كبيرًا ، جعل الواقف يتجه إلى إنشائها للصرف من ريعها على وجوه البر المختلفة .

وقد استمرت هذه القاعات فى العصر العثمانى داخل هذا الحى تؤدى دورها فى إنتاج البسط ، وقد وصلنا من هذه القاعات واحدة قام بشرائها الذمى سليمان بن النحرير من الأمير عثمان بن محمد بن مبارك ، وكانت تقع بالقرب من سويقة بنى الوفا[١] .

كما قام الحاج أبو النصر بن الحاج إبراهيم شيخ طائفة البسطيين بمصر المحروسة باستئجار القاعتين المتلاصقتين الكائنتين بخط المقسم المبارك (باب البحر) المعدة إحداهما لعمل البسط ، والثانية معدة لعمل السدى ، وذلك من الحرمة أم الحسن بنت المرحوم أبى بكر بن على[٢] ، ينتفع المستأجر المذكور بذلك سكنا وإسكانا وكيف شاء الانتفاع الشرعى على الوجه الشرعى ، وذلك لمدة ثلاث سنوات كاملات متواليات بأجرة ، مبلغها عن ذلك لطول المدة المذكورة : خمسمائة نصف وأربعة أنصاف فضة ، حسابا عن كل شهر أربعة عشر نصفا ، قام المستأجر المذكور بدفع أجرة سنتين مقدما ، ومبلغ ذلك ثلاثمائة نصف وستة وثلاثون نصفا ، وباقى الأجرة تدفع للمؤجرة فى سلخ كل شهر أربعة عشر نصفا من الفضة ، كما وصلتنا قاعة أخرى ضمن دار عرفت هذه الدار باسم الدار الجوانية الكائنة بخط المقسم المبارك[٣] .

ويمكن أن نستشف من إنشاء هذه القاعات أنها كانت تلحق إما داخل منزل أو تنشأ قائمة بذاتها ، كذلك فإن هذه القاعات كانت تعد للإيجار أو البيع ، وتدل كذلك على رواج كبير فى هذه الصناعة في ذلك العصر ، إذا أخذنا فى الاعتبار وجود سويقة داخل هذا الحى خصصت لبيع منتجات هذه القاعات ، كذلك أمدتنا هذه القاعات بالقيمة الإيجارية التى كانت تدفع سنويا وشهريا ، بالمبلغ فضة[٤] ، كذلك أوضحت لنا الوثائق السابقة قيام شيخ الطائفة باستئجار هذه القاعات لحسابه الخاص مما يدل أيضا على ممارسة المهنة إلى جانب وظيفته كشيخ للطائفة ، كذلك أوضحت أن قاعات البسط كانت تلحق بها قاعات لعمل السدى التى من المحتمل أنها خصصت لإمداد النول الخاص بالبسط باحتياجاته من السدى التى تشكل عليها السجادة.

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٤ هـ ، وثيقة ٩٠ ، ص٢٨ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ٤٧٥ ، ص١٤٣ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠١١ هـ ، وثيقة ١٣٥ ، ص١٤٥ ، الشهر العقارى بالقاهرة.

(٤) أى ما يوازى نصف قرش فضة الذى كانت قيمته فى هذه الفترة من ٣٠ ـ ٤٠ نصف فضة .

قاعات الحياكة [1]:

تشير وثيقة وقف بدر الدين الونائى أيضا إلى إيقافه دارا وجفارا معدة لعمل الحياكة داخل حى باب البحر بالقرب من سويقة العياطين [2] (انظر : المسقط التصورى ، شكل ١٠) ، وبالرجوع إلى كتاب ابن الإخوة للوقوف على ما كتبه عن القائمين بهذه الحرفة وجدت أنه فرق بين الحياكة والخياطة - فالخياطة كما هو معروف وشائع هى التفصيل[3]، كذلك الحياكة فالمعنى الظاهر لها هى التفصيل أيضا . لكنه يذكر أن هذه الحرفة كانت مهمة القائمين بها هى نسج الخيوط التى يريدها أصحابها أثوابا ، حيث كان التعامل بين أصحاب هذه القاعات والعميل يتم بأن يأخذ الصانع من العميل الخيوط التى يريد صنعها ثوبا ، بعد وزنها ، ثم يردها إليه بعد صنعها بالوزن أيضا [4] . ومما يؤكد أن هذه القاعات قد استخدمت فى نسج الخيوط وليس خياطتها ، ما أشارت إليه وثائق العصر العثمانى من أن هذه القاعات هى قاعات لنسج الخيوط « العبارة التى تذكرها الوثيقة عند ذكرها الأنوال التى بداخل القاعة » [5] .

وقد كان يدير هذه القاعات شيوخ الحرفة ، ويعمل لديهم الصانع والصبى ، ومن المحتمل أن يكون سكن هؤلاء الصناع داخل الدار التى كانت تجاور هذه القاعة المعدة لعمل الحياكة ، وقد استمرت هذه القاعات تمارس نشاطها فى العصر العثمانى ، وقد وصلنا منها العديد ، نذكر منها :

قاعة كانت تقع داخل ميدان الغلة لها واجهة مبنية بالحجر الفصى النحيت[6]، تشتمل على ثلاثة أنوال كاملة العدة والآلة[7] .

وقاعة أخرى كانت تقع داخل درب فضول بحى باب البحر (المقسم المبارك) بالقرب من جامع سيدى مدين تشتمل على خمسة أنوال [8].

وقاعة أخرى كانت تقع بالقرب من سويقة العياطين تشتمل على أربعة أنوال[9] .

ومنها قاعة أخرى قام باستئجارها الزينى بن العلائى على بن الناصرى محمد من طائفة الينكجرية ، وكانت هذه القاعة تقع بالقرب من ميدان الغلة ، ومخصصة لعمل

---

(١) انظر : لوحة (٢) . (٢) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .

(٣) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص٢١٩ - ٢٢٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص٢١٨ ، و د. حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية ، جـ١ ، ص٤١٧ .

(٥) وثيقة ٢٢١ / القلعة (٦) انظر : معجم المصطلحات برقم (٥).

(٧) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٤ هـ ، وثيقة ١٣٨ ، ص٤٦ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٨) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٩ هـ ، وثيقة ٤٥٩ ، ص١٦٢ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٩) سجلات الزاهد ، سجل عام ١٠٠٨هـ ، وثيقة ٢٤٥ ، ص٧٧ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

الحياكة إلى جانب السكنى بداخل الطبقة المعدة لذلك نظير أجرة مبلغها عن كل شهر يمضى لمدة ثلاث سنوات اثنى عشر نصفا فضة عددية ، تقدم له بذلك كل شهر فى آخره (١).

ومنها قاعة أخرى بالقرب من سويقة بنى الوفا على يسرة السالك طالبا لباب البحر ، وهى كانت تجاور مصبغة الصوف التى كانت تجاورها (٢) .

وقد جاءت معلومات إحدى الوثائق مفصلة عن المكونات المعمارية لمثل هذه القاعات المعدة للحياكة (٣) ، حيث كان لها واجهات بها الباب الرئيسى للقاعة ، يتوصل من هذا الباب إلى دهليز ، فى صدر الدهليز باب يتوصل منه إلى جفار ، على يمين ويسار الجفار قاعتان : اليمنى كان بها ثمانية أنوال ، واليسرى بها ستة أنوال ، إلى جانب اشتمال هذه القاعات على بعض المرافق والحقوق مثل بئر الماء ، وسلم يصعد من عليه إلى بسطة بها باب يدخل منه إلى فسحة مسقفة بها كرسى راحة ، وباب يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ، ودور قاعة بها خزانة نومية(٤) ، وربما يكون هذا المسكن قد كان مخصصا لصاحب المنسج الذى كان يتولى الإشراف على منسجه من خلال إقامته داخل منزله الملحق بالمنسج (انظر : المسقط التصورى ، شكل ١١) .

وقد أعطانا كتاب وصف مصر شكلا للعمل فى مثل هذه القاعات التى كانت تشتمل على عدة أنوال يقوم بالعمل على النول شيخ الحرفة إلى جانب الصبية المعاونين (٥) .

ويتبين لنا مما سبق أن كل قاعة حياكة كانت تحوى ما بين ثلاثة أنوال كحد أدنى ، وخمسة عشر نولا كحد أقصى ، وقد أنشأ الواقف المشار إليه فى الوثيقة (٣١٠٤ / أوقاف) فى حى باب البحر ثمانى قاعات حياكة ، بلغ عدد أنوال أكبرها اثنى عشر نولا(٦)، وأصغرها أربعة أنوال (٧) . (انظر : مسقط أفقى تصورى ، شكل ١٢) .

وكانت هذه المناسج تستمد الخيوط اللازمة لها من أناس تخصصوا فى تحويل القطن أو الصوف أو الكتان إلى خيوط ، أطلقت عليهم الوثيقة اسم : الفتالين (٨) ، وكان لهم

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ١٥١ ، ص٤٦ ، الشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٤٢ هـ ، وثيقة ١٠٩ ، ص٦٣ ، الشهر العقارى .

(٣) الحاج مصطفى دبل البطاينى ، وثيقة ٦٥٠ / أوقاف ، سطر ٩ ـ ١٢ ، الحاج حجازى أحمد السعيد ، وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٣٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، مؤرخة ١١١٩هـ .

(٤) الوثيقة السابقة ، سطر ١٢ ، ١٣ .

(٥) كان النول الذى يعمل عليه يتكون من أربعة أعمدة أو أوتاد خشبية مثبتة فى الأرض ، وعارضتين تربطان بين هذه الأعمدة الأربعة ، وضرابة ، وثلاث لفات ودواسة ، وتحمل العارضتان درأة بها الدواسات التى يحركها العامل وهو جالس فوق كرسى أو جزع شجرة .

(٦) وثيقة رقم ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٩٧ .

(٧) الوثيقة السابقة ، سطر ١٣٢ .

(٨) وثيقة ٢٦٥ ، ص١٤٦ ، سجل عام ١١٤٢ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

درب مخصص لإقامتهم داخل سويقة بنى الوفا ، سمى : درب الفتالين ، ومن المعتقد أن هؤلاء الصناع كانوا يستخدمون مغازل تساعدهم على عملية الفتل إلى جانب المغازل اليدوية .

وإلى جانب هؤلاء الصناع الذين كانوا يمدون المناسج باحتياجاتها من الخيوط كان يعمل بدار النسج الأسطى ، وهو الذى يملك قاعة الحياكة بما فيها من أدوات الإنتاج والصناع والصبيان الذين يتعلمون أسرار المهنة ، كما كان يلحق فى معظم الأحيان بهذه القاعات لصبغ الغزل أو صبغ المنسج بعد حياكته .

قاعات الصباغة [1] :

وصلنا من هذه القاعات التى تعود إلى العصر العثمانى الكثير ، ونذكر منها واحدة ملاصقة لقاعة كانت معدة لعمل البسط بالقرب من سويقة بنى الوفا[2]، وأخرى قام بشرائها أحمد بن إسماعيل بن محمد [3] بماله لنفسه من بائعها الشيخ زين الدين عبد الواحد . وكانت هذه القاعة تقع داخل درب البوارين بالقرب من جامع الطواشى جوهر السحرتى المتوصل إليه من سويقة الزلط . وقد أعطتنا الوثيقة وصفا للقاعة ، حيث تذكر أنها تشتمل على باب مربع[4] يغلق عليه فردة باب يؤدى هذا الباب إلى دهليز مستطيل مسقفة غشيما ، بها عمود فلك [5] ، هى التى خصصت للصباغة [6] .

ولم تتعرض الوثيقة لذكر التخصص الذى كانت تقوم به هذه المصبغة من حيث اللون أو المادة ؛ إذ كان هناك تخصص فى هذه المصابغ تذكره الوثائق ؛ فمن حيث اللون تقول: إنها مصبغة متخصصة فى صبغ الثياب بالأزرق [7] ، ومن حيث المادة تذكر الوثيقة أنها مصبغة معدة لصبغ الصوف[8] .

ومن المشتملات التى كانت تلحق بهذه القاعات ، جرار خاصة بالصبغة وأحبال تنصب داخل الحوش المكشوف لنشر الأقمشة عليها [9] ، وإلى جانب هذه المصابغ

---

(١) انظر : لوحة (٣) .

(٢) وثيقة ٩٠ ، ص٢٨ ، سجل عام ٩٩٤هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) كان هذا الرجل يعمل زياتا بسويقة الجيزى ، وشراؤه لهذه المصبغة يدل على حرية التنقل من مهنة إلى أخرى ، أو قام بشرائها بقصد الربح من وراء إنتاجها الذى كان يعين له صناعا فى هذه المهنة .

(٤) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢) .

(٥) عبارة عن كتلة من الخشب غير المهذب وهى فى الغالب من أفلاق النخيل .

(٦) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠١١ هـ ، وثيقة ١٧١٦ ، ص٥١٣ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٧) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٤٥٢ هـ ، وثيقة ٢١٥ ، ص١١٣٣ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٨) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٩ هـ ، وثيقة ٦٣ ، ص١١٤٢ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٩) وثيقة ٤٥٢ ، ص٢١٥ ، سجل عام ١١٣٣ هـ ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

وصلتنا أخرى قامت بشرائها الذمية صبحية المرأة بنت الذمى تادرس ولد الذمى سعيد المدعو سعد الصباغ فى الأزرق من بائعها والدها تادرس ، وهى عبارة عن مكانين يجاور بعضهما بعضا ، وكانت تقع بمصر المحروسة بخط الأزبكية بالقرب من سويقة بنى الوفا التى كان يقع بها جامع صفي الدين اللاوندى(١) ، ومصبغة أخرى كانت معدة لصباغة الأقمشة بالأزرق ، وكانت تقع أيضا بنفس الخط المذكور(٢) ، غير أنها تعود إلى فترة تسبق هذه المصبغة السابق ذكرها ، كما وجد من نفس هذه الفترة مصبغة أخرى داخل سويقة بنى الوفا أيضا ، لكنها خصصت لصباغة الصوف (٣) .

والحقيقة أن وجود مثل هذه المصابغ يعد أمرا ضروريا لخدمة قاعات الحياكة التى كانت تجاورها والتى زاد انتشارها فى ذلك العصر ، حيث كانت قاعات الحياكة تعهد بما لديها من منسوجات إلى مثل هذه القاعات لصباغتها بالألوان المطلوبة ، وقد كان هؤلاء الصباغون ينقسمون فى القرن الثامن عشر الميلادى إلى خمس طوائف متخصصة وعلى دراية كاملة بالألوان ، وكانت أهم الألوان المستعملة فى ذلك الوقت اللون الأحمر والأصفر ، إلى جانب استعمال اللون الأزرق المستخرج من التيلة(٤) ، والذى كانت تجلبه من سوق التيلة الذى كان موجودا داخل حى باب البحر بالقرب من سويقة الحمام، حيث كانت طائفة الصباغين فى الأزرق .

وقد ارتبطت بمهنة الصباغة حرفة أخرى ولكنها كانت تختص بالغزل وهى حرفة «المبيض فى الغزل» .

وقد أشارت إلى هذه الحرفة العديد من الوثائق (٥)، وكانت هذه الحرفة يقوم صاحبها باستخدام ملح النطرون (النترون) الذى كان يجلب من إقليم الطرافة التابع للجيزة ، والذى كان يباع داخل حى باب البحر ، ومن ثم فقد كان المبيض يستعين بهذا الملح الذى من المحتمل أنه كان يسخن فوق كانون(٦) ؛ كى يتم الاستعانة به فى تبييض الغزل الذى كانت تستعين به دور الحياكة فى تبييضه فى إخراج المنسوجات المطلوبة . ومن المحتمل أن

---

(١) وثيقة ٩٦٧ ، ص٣٨٤ ، سجل عام ١١٩٧ ـ ١١٩٨ هـ ، محكمة الزاهد بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) وثيقة ٤٤٩ ، ص٢٨ ، سجل عام ١١٤٢ ـ ١١٤٤ هـ ، محكمة الزاهد بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) وثيقة ١٠٩ ، ص٦٣ ، سجل عام ١١٤٢ هـ ، محكمة الزاهد سجلات الشهر العقارى بالقاهرة ، ود . ربيع حامد خليفة ، المرجع السابق ، ص١٥٨ .

(4) Raymond (A.) ,. Artisanset Coommercnts au Caire , au XVIII Siecle , Tome 1 Damas, 1973 , p . 231 .

(٥) سجلات محكمة الزاهد سجل عام ١١٣١ ـ ١١٣٤ ، وثيقة ٣٣٩ ، ص١٦٠ ، وثيقة ٢٤ ، ص١٣ ، سجل ١١٣٢ ـ ١١٤٤ هـ .

(٦) وثيقة ٤٥٩ ، ص١٦٢ ، سجل عام ٩٩٩هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

يكون هؤلاء الحرفيون الذين عملوا بهذه المهنة قد كانوا يعملون داخل المبيضة السلطانية[1] التى من المحتمل أن تكون هذه المبيضة - والتى كانت تقع داخل حى باب البحر بالقرب من ميدان الغلة - قد تخصصت فى تبييض الغزل أو المنسوجات الخاصة بمقر السلطنة العثمانية فى تركيا ، وبعد انتهاء عملهم كانوا يزاولون التبييض فى الغزل الخاص بدور الحياكة المنتشرة داخل حى باب البحر ، أو أن يكون هناك طائفتان من مبيضى الغزل: طائفة اختصت بالمبيضة السلطانية وأخرى كانت تعمل فى تبييض غزل دور الحياكة .

والحقيقة أن وجود هذه المبيضة السلطانية داخل هذا الحى أمر له أهمية كبرى ، فلماذا وجدت داخل هذا الحى ؟ والحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال تجعلنا نعتقد أن قرب حى باب البحر من الميناء ببولاق كان السبب وراء وجود هذه المبيضة ، والتى كانت تقع بالقرب من الخليج المصرى ، فقد شيدت فى موقع ممتاز فى الوقت الذى كان فيه الميناء ببولاق مشغولا بالبضائع والمنشآت الأخرى ، ومن ثم استعيض عن ذلك بتشييدها فى موقع باب البحر بحيث لا تبعد عن وسيلة الاتصال بالميناء مسافة كبيرة . وعلى هذا شيدت هذه المبيضة السلطانية داخل حى باب البحر لخدمة أغراض الامبراطورية العثمانية فى تركيا فيما يخص النسج والخيوط وغير ذلك .

الأقباعيون [2] :

وهى من الحرف المرتبطة أيضا بالنسج والخيوط ، وكان للقائمين بهذه الحرفة درب خاص بهم كان يقع بالقرب من جامع سيدى مدين داخل الحى المذكور والقائمون بهذه الحرفة كانت مهمتهم صنع اللباد ، حيث يبدو أنه كانت لهم حوانيت خاصة أو قاعات خاصة لهذا الغرض داخل هذا الدرب تتم فيها صناعة اللباد ثم بعد ذلك إلى السوق الذى أشرنا إليه عند الحديث عن دور الحى التجارى ، والذى أطلق عليه سوق الأقباعيين [3].

وكانت هذه الصناعة تتم بعد تجهيز الخيوط المستخلصة من صوف الخراف والحملان أو وبر الجمال ، ولفّها حول نفسها ، ثم تُغْمر هذه الخيوط فى محلول من صابون ساخن لإعطائها قدرا من المتانة ، ثم تغزل وتصنع منها اللبدة ، وقد انتشر استخدام اللباد فى أغراض كثيرة ؛ حيث استخدمت كأغطية للرأس تبعث على الدفء الشديد ، وكانت تلف فوق اللبدة أغطية رأس حريرية أو تيلية ، يطلق عليها اسم طربوش،والطربوش هو غطاء للرأس مصنوع من اللباد الأحمر فوقه كانت توضع العمامة وتلف حول الرأس [4].

---

(١) وثيقة ١٣٥٠ ، ص٤١٥ ، سجل عام ١٠١١ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) انظر : لوحة (٤) .

(3) Raymond (A.) ,. et Wiet , (G.) ,. Op. Cit . p. 244 .

(٤) زهير الشايب : وصف مصر ، جزء اللوحات ، لوحة ١٧ ، تعليق ٢ .

وقبل أن ننهى الحديث عن قاعات الصناعة والحرف المتعلقة بالنسيج نود الإشارة إلى نقطة هامة هى سكنى شيوخ الحرف المتعلقة بالنسيج داخل منطقة ظاهر القاهرة الغربى دون تحديد من الوثيقة للمكان بالضبط ، مثال ذلك شيخ طائفة القطانين(١)، وشيخ طائفة الحياكين(٢) وشيخ طائفة البسطيين (٣) ، وشيخ طائفة الصباغين(٤) فى الأزرق ، ووجود شيوخ هذه الحرف داخل منطقة ظاهر القاهرة الغربى يثير الدهشة ؛ مما يجعلنا نعتقد أن هذه المنطقة قد ضمت بداخلها الصناع الذين كان يمارس عليهم شيخ كل حرفة مهمته فى داخل الطائفة التى يتولى رئاستها ، والتى كانت تنحصر مهامه فى أنه كان بمثابة حلقة الاتصال بين الطائفة والحكومة ، وكان له الإشراف على جميع الشؤون العامة المختصة بالصناع الموجودين داخل الطائفة ؛ حيث كان يجيز للصانع مزاولة صناعته عندما يأنس فيه القدرة على العمل بعد اجتيازه الاختبار الذى يعقد له ، وعليه كذلك تقدير أجور أتباع طائفته ويفصل فى الخلافات التى تنشب بينهم ،ويعاقب من يخرج عن تقاليد الطائفة(٥).

وعلى هذا كان السبب فى وجود شيوخ الحرف داخل هذه المنطقة بصفة عامة والحى بصفة خاصة . ومن الممكن القول : إن هذه المنطقة قد ضمت رابطة العاملين فى النسيج؛ إذ احتوت شيوخ الحرف والصناع والصبية الذين كانوا يعملون فى الصباغة والحياكة ، والبسط ، والغزل ، والمبيضة السلطانية ، والقزازة ، والفوطية . وهو من الاحتمالات القوية والذى يؤكده وجود هؤلاء الصناع داخل هذا الحى فى ذلك العصر.

الحرف المتعلقة بالحبوب والبذور :

تنوعت الحرف المتعلقة بالحبوب والبذور في حى باب البحر ابتداء من العصر المملوكى وحتى نهاية العصر العثمانى ، فقدم الحى الطحانون والخبازون والزياتون ، والذين كانوا يعملون داخل منشآت خاصة بكل حرفة .

---

(١) وثيقة ٤٩ ، ص٢٢٨ ، سجل عام ١١٤٢ـ ١١٤٤ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى .

(٢) وثيقة ٨٢ ، ص٥٠ ، سجل عام ١١٤٢ـ ١١٤٤ هـ ، وثيقة ١ ، ص٢ ، سجل عام ١١٢٤ هـ محكمة الزاهد ، أرشيف الشهر العقارى .

(٣) وثيقة ٤٧٥ ، ص١٤٣٣ ، سجل عام ١٠٠٧ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد بالشهر العقارى .

(٤) وثيقة ٤٩ ، ص٢٨ ، سجل ١١٤٢ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد بالشهر العقارى .

(٥) عن ترشيح هذا الشيخ وطريقة انتخابه ، انظر :

السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى الاحتلال البريطانى ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ، ص٤٨ .

د. ليلى عبد اللطيف: دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام ،الخانكى ، ١٩٨٠ م ،ص٦٣ ـ٦٥.

برنارد لويس : النقابات الإسلامية ، ترجمة : عبد العزيز الدروى ، عدد ٣٦ ، ص٩٧٢ .

فأما فيما يختص بالحرفة الأولى ، فتشير الوثائق التي تعود للعصر المملوكى إلى وجود عدد من الطواحين كان يضمها حى باب البحر فى ذلك الوقت ، تخصص بعضها فى طحن الحبوب الخاصة بإنتاج الدقيق ،وتخصص البعض الآخر فى طحن نبات السدر.

وأما النوع الأول الذى اختص بإنتاج الدقيق ، فقد وصلنا منها واحدة كانت تقع ظاهر باب الشعرية على يمنة السالك طالبا لباب البحر [١] ، وطاحونة أخرى كانت تقع بخط سويقة بنى الوفا بالقرب من جامع الزاهد[٢] ، وطاحونة ثالثة كانت تقع بالقرب من سويقة العياطين القريبة من جامع التركمانى [٣] .

وتمدنا الوثائق التى تعلقت بهذه الطواحين الثلاثة بمعلومات قيمة عن مكونات الطاحونة المعمارية والمشتملات المتعلقة بالمرافق والحقوق إلى جانب الأدوات الداخلة فى الصناعة .

فمن حيث المكونات المعمارية للطاحونة ، نجد أنها كانت تشتمل على باب قد يكون مربع أو مقنطر فى الغالب ، يغلق عليه زوجا باب، منه يدخل إلى الطاحونة التى تشتمل على مخازن ، ومسطحان برسم درس القمح [٤]،وتابوت برسم الدقيق[٥]،وحوض خاص بغسل الحبوب ، وتابوت برسم النخل ، ومضارب برسم خزين القمح ، وقد وزعت هذه المشتملات داخل كل طاحونة من الطواحين السالفة الذكر ما بين الطابق الأرضى والطابق العلوى ، الذى كان يضم فى الغالب القمح المخزون داخل المضارب التى بلغ عددها فى الطاحونة التى كانت تقع خارج باب الشعرية بالقرب من باب البحر خمسة مضارب [٦].

فضلا عن ذلك فقد اختلفت عدد الأحجار التى تضمها كل طاحونة عن الأخرى ، فكان عددها يتراوح بين مدار حجر واحد [٧] وبين حجرين وقاعدتين [٨] ، بالإضافة إلى اشتمال كل طاحونة على مرافق وحقوق والتى ضمنها دار دواب تشتمل على طوالات

---

(١) وثيقة رقم ١٧٣ ، القلعة ، قام بنشرها : أحمد محمد أحمد فى رسالته عن المنشآت الصناعية فى العصر المملوكى ، ص٩٤ .

(٢) وثيقة رقم ١٤٠ ، دار الوثائق القومية ، منشور بالمرجع السابق ، ص١١١ .

(٣) وثيقة ٧١٩ ج / الأوقاف ، هذا الجزء منشور بالمرجع السابق ، ص١٢٢ .

(٤) وثيقة رقم ١١٠ / دار الوثائق منشورة بالمرجع السابق ، ص١٠٠ ،ووثيقة رقم ١٧٣ / القلعة ، ص٩٤ ، بالمرجع السابق .

(٥) الوثيقة رقم ١٧٣ / القلعة ، ص٩٤ ، من المرجع نفسه ، والوثيقة رقم ١١٠ / ص١٠٠ من المرجع نفسه .

(٦ ، ٧) وثيقة رقم ١٧٣ / القلعة ، ص٩٤ ، من المرجع السابق .

(٨) وثيقة ٧١٩ج / الأوقاف ، ص١٢١ بالمرجع نفسه.

وقد أشارت الوثائق إلى نوع الحجر الذى كان يستعمل فى طواحين باب البحر والتى وصلنا منها الحجر النجدى ، والحجر الفارسى .(انظر : الوثيقة ١٤٠ / القاعة بالمرجع نفسه ، ص١١١) .

لوضع التبن ومراغة ومتبن وبئر ماء معين وسلم يؤدى إلى الطابق العلوى الذى كان به فى الغالب مخازن القمح . (انظر : المسقط التصورى ، شكل ١٣) .

ويبدو أن عدد العاملين بهذه الطواحين قد اختلف بين طاحونة وأخرى يتحكم فى ذلك اشتمال الطاحونة على حجر واحد أو حجرين ، ويبدو كذلك أن هذه الطواحين قد ضمت شخصا اختص بغسل القمح داخل الحوض الموضوع بالطاحونة بعد تنقيته من الشوائب العالقة به ، وشخصا آخر أو أشخاصا كانوا يأتون بالقمح من المخازن التى تضمها الطاحونة ، والتى كانت تخزن بداخلها بعد جلبها من أقاليم الصعيد المختلفة التى كانت تمد مصر بكافة أنواع الحبوب ، وشخصا آخر كانت مهمته مباشرة عملية الطحن واستخلاص الدقيق ، وبعد ذلك يخزن داخل التابوت المخصص لذلك الغرض ، ومن المحتمل أن يكون شيخ هذه الحرفة هو نفسه صاحب المنشأة الخاصة بإنتاج الدقيق .

وإلى جانب طحن الحبوب ، وجدت كذلك طواحين لطحن نبات السدر [١] والدقاق والأشنان [٢] وعبرت عنها الوثائق باسم : مقشرة معدة لطحن السدر . وقد وصلنا من هذه المقاشر اثنتان كانتا تقعان بحى باب البحر ذكرتهما وثيقة وقف الأبناسى[٣] ، وذكرت مكوناتهما بما نصه:

« . . . تتكون من باب يتوصل منه إلى مجاز يقع على يمينه سلم يصعد من عليه إلى طبقتين متجاورتين ، ويتوصل من المجاز المذكور إلى أربعة مدارات ، منها مداران بكل منهما حجر وقاعدة وعجلة وهرمين ودائرة كاملة الدارة ، معد ذلك لطحن السدر وغيره ، والمداران الباقيان لكل منهما حجر وقاعدة ، معد ذلك لكسر السدر » [٤] .

ويفهم من هذا النص أن هذه الطاحونة قد ضمت حجرين : الأول لتكسير نبات السدر ، والحجر الآخر لطحنه ، وقد كانت هذه الطواحين تستمد هذا النبات من المنازل التى كانت تشتمل فى الغالب على هذا النبات إلى جانب أشجار النخيل مزروعا داخل حوش المنزل أو فى الجنينة الملحقة . وكانت تطلق عليه الوثائق لفظ « أصل سدر » ، والذى كانت زراعته فى الغالب داخل المنازل المنتشرة فى الحى أو البعيدة عنه بقصد

---

(١) هو نبات يتميز برائحة مميزة ، وتستخدم أوراقه الخضراء كغسول ، ويعتقد البعض أنه نبات مبارك يشفى من الأوجاع ، ويبارك الإنسان الذى يستعمله .

(٢) نبات لا ورق له ، وأغصانه رقيقة ، وطعمه يميل إلى الملوحة ، يستعمل فى غسل الثياب ، ويسمى : الغاسول.

انظر : أحمد محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص١١٢ .

(٣) وثيقة ٧١٩ج / الأوقاف ، سطر ١١٩ ـ ١٢٤ .

(٤) وثيقة ٧١٩ج / سطر ١٢٠ ـ ١٢٣ .

التجارة ، وبيعه إلى هذه الطواحين .

كذلك ضمت الطاحونة دارا للدواب ، وطوالة ومتبنا وبئر ماء معين ، ومراغة ، ومسطاحا خصص لتقشير هذا النبات قبل طحنه ، كما كانت تضم الطاحونة ملحقات أخرى فيها مخزن خاص لتخزين نبات السدر المعد للاستخدام بعد ذلك ، ومنشر استخدم لتجفيف النبات أولا قبل الإقدام على طحنه ، ولما كان هذا النبات إلى جانب النبات المعروف بالأشنان يستخدمان فى النظافة ، فإننا نرجح أن تكون هذه الطواحين قد عم وجودها داخل أحياء القاهرة لخدمة أهل كل حى وإمدادهم بما يحتاجون إليه من هذا النبات .

وقد استمرت طواحين الغلال مستمرة فى أداء عملها - فى العصر العثمانى - حيث وصلنا منها طاحونة كانت تقع بالقرب من الجامع الأحمر ، وأخرى كانت تجاورها باسم الحاج حسن الخادمى[١] . ومكونات هذه الطواحين هى نفسها المكونات التى اشتملت عليها الطواحين المملوكية من حيث وجود ميسطاح برسم القمح ، وتابوت برسم الدقيق ، ومدارات الأحجار التى تختلف أعدادها من طاحونة إلى أخرى ، إلى جانب اشتمال الطاحونة، على بعض الملحقات الخاصة بخدمة العمال فى الطاحونة ، منها دار دواب ، ومراغة وبئر ماء معين ، وسلم يؤدى إلى السطح العالى . (انظر : المسقط التصورى شكل١٤).

وكانت هذه الطواحين تحصل على الغلال المختلفة من خلال سوق أو ميدان الغلة الذى كان موجودا على رأس باب البحر ، والتى كانت تصل إليه الغلال خاصة القمح من الصعيد ومصر السفلى[٢] ، إلى جانب الغلال الأخرى ، مثل : الذرة الشامية ، والذرة العادية .

وكان يدير هذه الطواحين حصان أو حمار أو أبقار ؛ حيث كان يربط أحد هذه الحيوانات إلى جذع شجرة مقوس ، حيث يدور فى مدار دائرى حول شقى الرحى المركب أحدهما فوق الآخر ، ويركب فوقهما صندوق خشبى ، يوضع به القمح حيث ينزل منه إلى شقى الرحى ، حيث يتم طحنة [٣] .

وتشير الوثائق إلى نوعية الحجر المستخدم فى الطحن ، كما فى الوثيقة ٣١٠٤/

(١) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٩٤ ، ١٢٠ .

(٢) ب . س . جيرار : موسوعة الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر الميلادى ، علماء الحملة الفرنسية ، ترجمة : زهير الشايب ، الجزء الأول ، ص٥١ .

(٣) زهير الشايب ، وصف مصر ، جزء اللوحات ، لوحة ١٠ ، تعليق ١ .

أوقاف [١] ، والوثيقة رقم ٢١٩١ / أوقاف [٢] ، حيث تنص كلتاهما على أن الحجر المستخدم ـ « ... طاحون فارسى » [٣] ـ قد يكون مفردا أو زوجا[٤] . وهذا يتوقف على كمية الحبوب التى يقوم بطحنها الحجر ، فإذا كانت كمية قليلة كانت تطحن على حجر فردى ، وإذا كانت كمية كبيرة يستخدم الحجر الزوجى .

وقد أشارت وثائق سجلات محكمة الزاهد إلى وظيفة الطحّان ، تلك الوظيفة التى كان يعمل بها صانع متمرس على هذه الحرفة ، يساعده صبية فى أداء عمله ، كذلك يتعلمون منه كيفية سير العمل[٥] ، ومنهم من كان يشغل منصب طحان وخباز فى آن واحد ، حيث وصل إلينا ما يفيد ذلك من خلال سجل عام ١٠١١ هـ الصادر من محكمة أحمد الزاهد [٦] . إذ من المحتمل أن يكون هناك فترة مخصصة لهذا الرجل يعمل بها كطحان ، ثم فترة ثانية يعمل بها كخباز فى أحد الأفران . وكان يرأس الصناع جميعهم الموجودين بالطاحونة رجل أطلقت عليه الوثيقة لقب المدولب فى الطواحين[٧]. وكان هذا الرجل يقطن داخل حى باب البحر ، مما يؤكد أنه كلف بالإشراف على الطواحين داخل هذا الحى ، كما نلاحظ من اسم هذا الرجل أنه ذمى ، ووصل إلى هذه المرتبة كرئيس لجميع الصناع العاملين فى الطواحين الواقعة بباب البحر .

وإلى جانب طواحين الدقيق ـ التى ترجع للعصر العثمانى ـ وجدت كذلك فى نفس العصر طواحين لكسر نبات السدر ، وهى الصناعة التى قامت على أنقاض الطواحين المملوكية ، وقد وصلنا من هذه الطواحين واحدة ترجع إلى عام ٩٨٢ هـ ، كانت تقع بخط المقسم المبارك على يمنة السالك طالبا باب البحر[٨] . وقد كانت هذه الطواحين المخصصة لطحن هذا النبات تتضمن نفس المكونات التى وجدت فى نظيرتها المملوكية ، غير أن الوثائق أضافت معلومة تتعلق بالشخص الذى كان يقوم بإمداد هذه الطواحين

(١) الحاج حجازى أحمد السعيد ، سطر ١٢١ .

(٢) زين الدين عبد الفتاح الجوهرى ، مؤرخة ١٢١٠ هـ ، سطر ١٠٤ .

(٣) ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ١٤٨ .

(٤) الحاج مصطفى دبل البطينى ، وثيقة ٦٥٠ / أوقاف ، سطر ٩ ــ ١٢ ، والحاج حجازى أحمد، وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٣٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٥) سجلات الزاهد ، سجل عام ١٠٠٨هـ ، وثيقة ٨٩٩٤ ، ص٢٦٩ ، ووثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ ، سجل ١٠١٠هـ ، محكمة الزاهد .

(٦) وثيقة ١٢٨٩ ، ص٣٩٩ ، سجل ١٠١١ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، الشهر العقارى .

(٧) وثيقة ٦٦٨ ، ص١٨٩ ، سجل ٩٩١هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى ، ويدعى هذا الرجل : سمعان بن مساعد النصرانى اليعقوبى . .

(٨) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٨٢هـ وثيقة ٢٧٦ ، ص٧٨ ، بالشهر العقارى .

بنبات السدر ، حيث أطلقت عليه لقب « السدّار » نسبة إلى عمله في جلب هذا النبات من أماكن مختلفة ، منها المنازل التى كانت تزرعه وكذلك الحدائق الواقعة فى أماكن متعددة من القاهرة والأقاليم، وبعد جلبه يقوم « السدار » [1] ببيعه إلى مثل هذه الطواحين التى تقوم بطحنه وإعادة بيعه لحوانيت تخصصت فى توزيعه على الحمامات وأعمال النظافة فى المنازل .

الخبازون :

كان أرباب هذه الحرفة يعملون داخل أفران تخصصت فى إنتاج الخبز ، وقد كانت هذه الأفران تستمد احتياجاتها من الدقيق من الطواحين القريبة منها ، حيث كان يتم خبزه وبيعه لأهل الحى . وقد أشارت وثيقة وقف الأبناسى[2] إلى أن الواقف قد أنشأ أفرانا داخل هذا الحى تجاور الطاحونة المخصصة لطحن القمح التى سبق الإشارة إليها.

وقد اعتمدت الكثير من المنشآت الدينية فى العصر المملوكى على الخبز كراتب عينى يصرف للموظفين العاملين بالمنشأة ، إلى جانب طلاب العلم ، وكان لكل فرد منهم مقدار معين حسب رتبته ووظيفته ، حيث كان يوزن لكل فرد منهم الخبز بالرطل ، وقد ورد ذلك فى وثيقة وقف الأبناسى الخاصة بزاويته التى يضمها حى باب البحر ، بما نصه « . . . ويصرف الناظر المذكور عن قيامه بذلك كله فى كل يوم أربعة أرطال خبز ، وفى كل شهر ثلاثين درهما » [3] .

ولما كان حى باب البحر يضم العديد من المنشآت الدينية التى كانت تقوم بمهمة التدريس إلى جانب الصلاة ، مثل : منشأة الأبناسى السابقة ، وسيدى أحمد الزاهد ، وسيدى مدين ـ فإن هذه الأفران قد قامت بتمويل هذه المنشآت باحتياجاتها من الخبز اللازم للطلبة والموظفين والعاملين بكل منشأة .

وتتكون الأفران التى أشارت إليها الوثيقة السابقة من أربعة أجزاء رئيسية هى «الزلاقة» و « المعجن » و « مخزن الدقيق » و « بيت النار » ، كما كان يلحق بهذه الكتل المعمارية ملاحق لخدمة المنشأة ، مثل : دورة للمياه (بيوت خلاء) وبئر للماء ، ومدخنة لتصريف الدخان .

أما الزلاقة ، فهى الجزء المتسع المقابل لمدخل الفرن مباشرة ، وكان يوضع بها الخبز

---

(١) السجل السابق ، والوثيقة نفسها ، سطر ٣ .

(٢) وثيقة وقف الأبناسى ، رقم ٧١٩ ج / الأوقاف ، سطر ٤٣ ، ٤٤ ، سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٨ هـ ، وثيقة ٨٦٤ ، ص٢٩٠ ، بالشهر العقارى .

(٣) وثيقة الأبناسى ، ٧١٩ ج / الأوقاف ، سطر ٢١٥ .

الناضج للتهوية . أما مخزن الدقيق ، فكان عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة تخصص لخزن أجولة الدقيق الذى سيستخدم فى صنع الخبز . أما المعجن ففيه يتم عجن الدقيق بواسطة شخص يسمى العجّان [1] .

وقد استمر تشييد الأفران داخل هذا الحى فى العصر العثمانى بقصد الوقف أو الإيجار ، ومن النوع الثانى واحدة استأجرها الحاج محمد بن الحاج محمد بن صارم الصعيدى من الشيخ زين الدين بن اليسر ، وكانت هذه الأفران تقع بخط المقسم المبارك داخل درب سيدى مدين ، وكانت تشتمل على قاعتين برسم العجين وشونة للوقود ، ومنافع ومرافق وحقوق .

وكانت مدة الإيجار ثلاث سنوات كاملات بأجرة مبلغها عن كل شهر يمضى من الفضة العددية ثمانية عشر نصفا ، كان يتم دفع نصف المدة المحددة للإيجار مقدما ، ثم يبدأ العمل فى الفرن لمدة عام ونصف ـ وهى المدة التى قام بدفع إيجارها مقدما . وعقب انتهائها كان المستأجر يقوم بدفع الإيجار المتبقى عن كل شهر ثمانية عشر نصفا من الفضة العددية [2] .

وقد كان إيجار هذه المنشآت يمنح لمن تربطه صلة بهذه الحرفة ؛ إذ كان مستأجر هذه الأفران السابق يعمل خبازا ، والمستأجر الذى أتى بعده كان يعمل طحانا خبازا فى آن واحد ، ويبدو أن انخفاض القيمة الإيجارية لمثل هذه المنشآت قد مكنت هؤلاء الصناع من استئجارها لحسابهم الخاص .

ومن الأفران التى كانت توقف على أعمال الخير واحد أوقفه الحاج حجازى أحمد السعيد ، وأطلقت عليه الوثيقة اسم « طابونة » وكانت تشتمل على بيت نار وزلاقة ، وفسحة كشف سماوى بها قاعة عجين وسلم يصعد عليه إلى السطح العالى[3] .

ونلاحظ أن تكوين الأفران فى هذا العصر لم يختلف عن تكوين الأفران المملوكية ، غير أن اسم الأفران اضمحل فى هذا العصر وصار يطلق عليها اسم الطابونة[4]. (انظر: المسقط التصورى ، شكل١٥) .

ومن المعروف أن الواقف وهو التاجر فى البن بخط الغورية كان من إحدى الطوائف

---

(١) أحمد محمد أحمد : المنشآت الصناعية ، ص١٢٨ .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، الشهر العقارى ، سجل عام ١٠١١ هـ ، وثيقة ١٢٨٩ ، ص٣٩٩ .

(٣) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، سطر ٢٥ .

(٤) فاطمة خاتون ، وثيقة ٢٧١ / أوقاف ، مؤرخة ١٥ رجب ١١٤٤ هـ ، سطر ٤٥ .

العسكرية ، وهى طائفة عزبان[1] . ومن المعروف أن إقبال رجال الطبقة العسكرية على العمل فى الحرف قد بدأ منذ أواخر القرن السابع عشر ؛ حيث كانوا يمارسون النشاط الحرفى إلى جانب مهامهم العسكرية[2] ، وعلى الرغم من أن الواقف المشار إليه كان من أعيان التجار فى البن بخط الغورية ، إلا أننا نراه ينشئ هذه الأفران لإنتاج الخبز الذى كان يباع لأهل الحى ، ومن ثم تدر عليه دخلا يضاف إلى الدخل الذى كانت تدره عليه المنشآت الأخرى التى قام بتشييدها داخل هذا الحى .

وقد استمر عمل العسكريين فى طوائف الحرفيين طيلة القرن الثامن عشر ، حيث كانت تتكون طوائف الحرف فى مصر من جنود وأبناء جنود ولم يكن ذلك عن رغبة من جانب السلطة الحاكمة ، حيث يشير الجبرتى فى أحداث سنة ١١٢١ هـ إلى أن القاضى أمر بجمع مشايخ الحرف ، وعرض عليهم أنه ورد أمر يتضمن ألا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة بأحد الأوجاقات السبعة ، فأجابوه بأن غالبهم عسكرى وابن عسكرى وقاموا على غير امتثال [3] .

الزياتون[4] :

وهذه الفئة ممن كان عملهم يرتبط ارتباطا وثيقا بالبذور؛ حيث كانوا يعملون فى عصر بذور متعددة ، منها : بذور الكتان والقطن والسمسم والقرطم . . . إلخ لاستخلاص الزيت منها ، وكان عمل هؤلاء داخل منشآت أطلق عليها اسم معاصر الزيت ، تلك المعاصر التى اختلف تخصصها حسب نوع الزيت الذى تنتجه ؛ فإذا كانت تعمل فى عصر بذور الكتان كان يطلق عليها : معصرة الزيت الحار ، وإذا كانت تعمل فى عصر بذور القطن كان يطلق عليها : معصرة الزيت الحلو ، وإذا كانت تعمل فى عصر بذور السمسم كان يطلق عليها اسم : السيرجة . وأحيانا تتخصص معصرة واحدة فى إنتاج الزيت الحار والحلو معا ، ومن هذه المعاصر التى وصلتنا ـ والتى تعود إلى العصر المملوكى واحدة أطلقت عليها الوثائق اسم : المعصرة الجديدة . وقد كانت تقع على يمنة السالك طالبا

---

(١) هو أحد أوجاقات المشاة التى عملت أثناء فتح السلطان سليم لمصر ، وقد اختص هذا الأوجاق بمهام الحراسة داخل ممرات القلعة ، وضواحى القاهرة .

انظر : عبد الوهاب بكرة الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، دار المعارف، ١٩٨٢ م ، ص١٩٤ ، حاشية ٣٦ .

(٢) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٣٦ .

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، مطبعة الأنوار المحمدية ، جـ١ ، أحداث سنة ١١٢١ هـ ، ص٥٠ .

(٤) انظر : لوحة (٥) .

سويقة العياطين بالقرب من درب التركمانى [١] .

وكانت هذه المعاصر - الخاصة بإنتاج الزيت الحار والحلو والسيرج - تشتمل على أماكن لطحن البذر ، ويستخدم لذلك طواحين خاصة ، كما كان هناك تحديد وثائقى لعدد الأعواد الخاصة بعصر الزيت الحار ، والأعواد الخاصة بعصر الزيت الحلو ، وكان العود يشتمل على قاعدة حجر صوان وميزان ولولب كامل الأخشاب ، وكان بأسفل كل عود طحن حجر مبنى فى تخوم الأرض برسم وضع الزيت .

وكان عدد هذه الأحجار يختلف من معصرة لأخرى ، فمنها ما يحتوى على سبعة أحجار ، ومنها ما كان يحتوى على عشرة أحجار ، وكان من ملاحق المعصرة مخازن لخزن البذور بالإضافة إلى بئر الماء المعين ، والطوالات ، والتبن ، ودار البقر ، والشونة، والمراغة ، والمسطاح المستخدم فى غربلة البذور ، ومضارب مخصصة لخزن البذور ، ومرحاض . (انظر : المسقط التصورى لإحدى هذه المعاصر ، شكل ١٦) .

وكانت الحبوب تأتى إلى هذه المعاصر من أماكن عديدة ، ما وصلنا منها بلدة أبى النمرس الواقعة فى إقليم الجيزة ، حيث كان يجلب منها القرطم النمرسى [٢] ، الذى كان يصنع منه الزيت الحار فى العصر العثمانى ، ومن المحتمل أن تكون هذه البلدة هى التى أمدت معاصر الزيت الحار بهذا النوع من البذور فى العصر المملوكى ، ومن المحتمل أيضا أن تكون بلدان الصعيد المختلفة هى التى كانت تمد معاصر الزيت الحلو والسيرج بحبوب القطن والسمسم فى ذلك العصر ، حيث كانت تنتشر بها زراعة القطن والسمسم.

وإلى جانب معاصر الزيت الحار والحلو فقط وصلتنا معصرة تخصصت فى إنتاج زيت السيرج ، كانت تقع ظاهر القاهرة خارج باب الشعرية على يمنة السالك طالبا باب البحر ، حيث تذكر الوثيقة الخاصة بهذه السيرجة مكوناتها فتذكر أن بها مسطبة ، يجاورها باب مربع يؤدى إلى مخزن ، يجاوره فرن مبنى بالطوب خصص لتحميص بذور السمسم قبل طحنها ، ثم مداران بكل منهما حجر وقاعدة لإتمام عملية الطحن ، ثم أماكن وظيفية لخدمة المعصرة ، منها : بئر ماء معين ، وخمسة معاجن برسم غسل السمسم ، كانت تجاور الفرن المذكور [٣] .

وقد كانت طريقة استخراج زيت السمسم هى نفسها طريقة استخراج الزيت الحار والحلو ، غير أن بذور السمسم كان يجب قليها فى أفران خاصة بذلك قبل الإقدام على

---

(١) وثيقة ٦٣٥ ج / الأوقاف ، منشورة ضمن رسالة الباحث أحمد محمد ، عن المنشآت الصناعية .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٨هـ ، وثيقة ٢٦٨ ، ص٢٦٢ ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

(٣) وثيقة ١٧٣ / القلعة ، قام بنشرها أحمد محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص٩٣ .

طحنها واستخراج الزيت منها ، وكان استخلاص الزيت فى هذه المعاصر يخضع لرقابة المحتسب ، حيث كان يعين عليهم رجلا ثقة بصير بصناعتهم ، يمنعهم ألا يعملوا السمسم إلا بعد غليه وتحميصه ودقه حتى تطير القشرة منه ، ثم بعد ذلك يطحن ، ولا يمكّن أحدا من الصناع من أن ينزل لعصر السيرج إلا بعد غسل رجليه بالمحكة وطهارته ، وأن يكون ذو ثياب ضيقة الأكمام لئلا يعرق ، فيقطر شىء منه فى السيرج ، ويكون ملثما ، ويلزمهم بالنظافة والطهارة فى جميع أحوالهم ، وتغطية المعاصر بالأبراش بعد العمل[١].

وقد وقع على هذه المعاصر إمداد التجار الذين كانوا يفدون من الشام إلى القاهرة حيث كانوا ينزلون فندق طرنطاى الذى كان خارج باب البحر ، باحتياجاتهم من الزيوت المختلفة .

وتشير وثائق دفتر خانة وزارة الأوقاف ، وأرشيف دار الوثائق القومية إلى أن هناك أكثر من شخص امتلك معصرة الزيت المعروفة بالجديدة الكائنة بخط المقسم المبارك ، وكان يطلق عليها اسم : معصرة ابن درهم ونصف ، وهو أول مالك لها . وذكر ذلك فى وثيقة ٧٥١ج / الأوقاف ، وذكر فى وثيقة أخرى باسم : عزيزة بنت شهاب الدين ٥٨٧/ أوقاف ، ثم انتقلت باسم : فتح أبو الفتوح محمد شهاب الدين ٦٣٥ج/ أوقاف[٢]. ويدل هذا على أهمية امتلاك مثل هذه المعاصر أو استئجارها فى ذلك العصر ؛ نظرا للأهمية التى كانت للزيت فى ذلك العصر .

وقد استمرت معصرة ابن الدرهم ونصف فى العصر العثمانى تؤدى عملها فى إنتاج الزيت[٣] إلى جانب تشييد معاصر أخرى ، وصلنا منها معصرة معدة لعصر الزيت الحار كانت تقع بخط المقسم المبارك بالقرب من باب البحر . وكانت تشتمل على أحد عشر حجرا وأربعة عيدان وطاحونتين وبئر ماء معين ومنافع ومرافق [٤] ، وأخرى كانت تقع بخط المقسم المبارك فيما بين باب البحر وسويقة الحمام[٥] ، والتى كانت تعرف قديما بابن سرور ، وهى أيضا كانت معدة لإنتاج الزيت الحار .

وقد استمرت المعصرة الأولى تعمل منذ عام ٩٩٤هـ حتى عام ١٠٠٧هـ إلى أن تم استئجارها على يد المعلم محمد بن بدر الدين المعصرانى إلى المعلم الأجل الكبير المحترم الحاج شمس الدين بن المعلم الأجل إبراهيم المعصرانى لمدة ثلاث سنوات بأجرة مبلغها

---

(١) ابن الإخوة ، المصدر السابق ، ص٣١٢ .

(٢) أحمد محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص١٩ .

(٣) سجل دشت رقم ١١١ ، مادة ٨٦ ، مؤرخة بسنة ٩٢٩هـ،محكمة الباب العالى ، الشهر العقارى بالقاهرة.

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، وثيقة ٥٥١ ، ص١٨٦ ، سجل عام ٩٩٤هـ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٥) وثيقة ٩٧٧ ، ص٣٣٥ ، سجل عام ٩٩٥هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

ثلاثة آلاف نصف، المقبوض بيد المؤجر المذكور ألفا نصف ،والباقى ـ وقدره ألف نصف ـ يقومان للمؤجر المذكور فى آخر المدة المذكورة (1) .

كما وصلتنا معصرة أخرى كانت تقع بخط المقسم المبارك بالدرب الواسع بالقرب من سويقة الحمام ، كانت معدة لعصر الزيت الحار والحلو المشتملة كاملها على ثلاثة عيدان وطاحونتين وعشرة أحجار وزريبة وبئر ماء معين ومنافع ومرافق وحقوق ، وقد كانت هذه المعصرة معدة للإيجار بأجرة مبلغها عن مدة ثلاث سنوات كاملات خمسمائة نصف وخمسة وثلاثون نصفا ، الحالّ من ذلك أجرة السنة الأولى مائة نصف وثمانية أنصاف فضة ، على أن يدفع الباقى كل سنة على حدة (2).

كما كان هناك درب داخل سويقة بنى الوفا أطلق عليه اسم : درب السيرجة ، وهو الدرب الذى كان به معصرة لإنتاج الزيت المعروف بالسيرج ، غير أنه لم تصلنا معلومات عن هذه السيرجة .

ويتضح لنا مما سبق أن المعاصر فى ذلك العصر قد استمرت فى مكوناتها وإنتاجها على ما كان متبع فى العصر المملوكى ، غير أن هناك اختلاف فى القيمة الإيجارية بين المعصرة المؤرخة بسنة ١٠٠٧هـ ، والأخرى المؤرخة بسنة ١٠١٠هـ ؛ حيث إن القيمة الإيجارية فى الأولى كانت ١٠٠٠ نصف فى السنة فى حين أنها فى الثانية ١٠٨ نصف فقط مما يجعلنا نعتقد أن الاختلاف فى القيمة الإيجارية راجع إلى أن البذور فى عام ١٠٠٧هـ قد عز وجودها مما جعل الزيت يرتفع سعره ومن ثم ازتفعت القيمة الإيجارية للمعصرة ، أما فى عام ١٠١٠هـ أصبح سعر البذور معتدلا ، ومن ثم أصبح الإقبال على الزيت معتدلا ولم يحدث الغلاء ولم ترتفع القيمة الإيجارية .

وقد كان يعمل داخل هذه المعاصر عدد من الصناع وصلنا منهم : المغربل فى معاصر الزيت الحار(3) ، والذى كانت وظيفته تنحصر فى تنقية حبوب الكتان من الشوائب التى قد تكون عالقة بها ، وأيضا : المدولب بمعاصر الزيت الحار بخط المقسم المبارك(4) ، والذى يشغل منصب الرئيس المباشر لجميع الصناع الذين كانوا يعملون داخل المعاصر المنتشرة بحى باب البحر . كما كانت هذه المعاصر تشتمل على كاتب (5) يختص بكتابة كميات الزيت المنتجة داخل المعصرة ، وكذلك الكميات المباعة إلى التجار الذين كانت لهم

---

(1) وثيقة ١٧٢ ، ص٥٤ ، سجل ١٠٠٧هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(2) سجلات الزاهد ، سجل عام ١٠١٠هـ ، وثيقة ٢٠ ، ص٥ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(3) وثيقة ١٦٨ ، ص٥٩ ، سجل عام ١١٤٢ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(4) سجلات أحمد الزاهد ، سجل عام ١٠٣٨هـ ، وثيقة ٨٦٨ ، ص٢٦٢ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(5) وثيقة ٣٤ ، ص١٣ ، سجل عام ١١٥٤ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

حوانيت لتجارة الزيت داخل سويقة بنى الوفا وميدان الغلة وسويقة الجيزى وسويقة الحمام؛ حيث أطلقت الوثائق على تجار الزيت وظيفة المتسبب فى الزيت (١) .

وقد أمدتنا إحدى الوثائق بما كان يشتمل عليه حانوت الزيات من أدوات كانت موضوعة داخل الحانوت الكائن بخط المقسم المبارك بسويقة الحمام بالقرب من الدرب الواسع ، وهى تشتمل على طسوت نحاس بأغطية نحاس ، وعشرة أغطية من زجاج ، وخمسة عشر غطاء نحاس ، وخمسة قنينات نحاس ولوح خشب (٢) . ويبدو كذلك أن الزيت كان يوضع داخل أوعية من النحاس ، وربما كانت توزن أو تعاير عن طريق القنينات النحاس التى كانت موجودة داخل الحانوت عند بيعها لأهل الحى .

الحرف المرتبطة بالبناء :

لما كان الإقبال على تشييد المنشآت الصناعية متزايدا داخل حى باب البحر منذ العصر المملوكى وحتى نهاية العصر العثمانى ، فإن ذلك قد استتبع ظهور بعض الحرف التى تخدم أغراض العمران ، ومن ذلك حرفة البناء المون الذى كان يمد البنائين باحتياجاتهم من الرمال والجبس والزلط . . . إلخ .

ومن العصر المملوكى وصل إلينا ما يفيد أن هذا الحى قد ضم داخله من عمل بوظيفة بناء ، وجاءت هذه الحرفة مقترنة باسم القائم بها ، وهو الحاج : على البنا (٣) ، والذى أطلق اسمه على الدرب الذى كان يقطن بداخله وهو درب على البنا .

ويعتبر العصر المملوكى العصر الذهبى فى تاريخ العمارة الإسلامية فى مصر ، وتشهد العمائر التى لا تزال باقية بين ظهرانينا إلى اليوم على مدى التقدم الفنى الذى حققه المعمارى المسلم فى ذلك العصر . وعادة ما كان يعمل البناءون وهم واقفون ، ويستخدمون ملاطا (مونة) من جير وتراب ، يضرب إلى اللون الأسود .

وقد تحدث كتاب « وصف مصر » عن هذا النوع من الأعمال ، وليس هناك شك فى أن هذه الطريقة قد تم توارثها عبر العصور ، وليس هناك اختلاف بين ما يمكن ذكره عن طريقة تنفيذ العمائر العثمانية ، ونظيرتها المملوكية ،اللهم إلا الاختلاف فى الثراء الزخرفى الذى امتازت به العمائر المملوكية ، ولا نجده فى معظم العمائر العثمانية .

وقد كان القائمون بهذه الحرفة يشملهم التدرج الوظيفى الذى عم كافة الصناع فى ذلك العصر ؛ فكان بينهم الصبى ، والحرفى ، والمعلم ، فكان لقب المعلم يطلق على

---

(١) انظر : الفصل الأول من هذا الباب .

(٢) سجل عام ٩٨٢ هـ ، وثيقة ٤٦٩ ، ص١٣٦ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) وثيقة ٧١٩ ج / الأوقاف ، سطر ٥٠ .

الصانع الذى بلغ درجة من المهارة تمكنه من الإشراف على غيره من الصناع (١) . وقد كان البناء فى بعض الأحيان يقوم بتصميم وإعداد الرسوم والإشراف على العمال الذين يقومون بالتنفيذ (٢) .

ومن المحتمل أن يكون هناك العديد من البنائين الذين مارسوا حرفة البناء داخل حى باب البحر ؛ نظرا لما امتاز به هذا الحى من نشاط صناعى وتجارى منذ تاريخ نشأته ، وربما كانت توجد داخل الحى المصادر اللازمة لتمويل هؤلاء الحرفيين بما يحتاجون من مواد البناء ، غير أننا لم نعثر على ما يفيد ذلك فى العصر المملوكى ، لكننا استطعنا أن نتعرف - من خلال الوثائق التى تعود للعصر العثمانى - على ما يفيد وجود جباسات داخل الحى ، وسويقة للزلط ، وهما من المصادر اللازمة لإمداد البنائين باحتياجاتهم من المون .

فأما فيما يختص بالجباسات فقد وصلنا منها واحدة كانت تقع بخط ميدان الغلة على رأس حى باب البحر(٣) ، وواحدة أخرى ذكرها علي مبارك فى خططه كان يطلق عليها: جباسة المعلم عبادة أحمد (٤) نسبة لمالكها . وقد قام بهذه الحرفة فى ذلك العصر - إلى جانب المدنيين - فئة من العسكريين من فرق مستحفظان عزبان والمتفرقة . واستلزم ذلك حيازتهم للمراكب اللازمة لنقل المواد الداخلة فى صنعه من مصادرها إلى العاصمة . وتشير الوثائق إلى وجود الجباسات الخاصة بهؤلاء وغيرهم فى عدة أحياء بالقاهرة (٥) ، وعلى وجه الخصوص بالقرب من باب الشعرية فى الحى المسمى بالجباسة .

وكانت أحجار الجبس تجلب من منطقة بياض بالقرب من بنى سويف ، ويتكون الفرن المستخدم فى تحويل الأحجار إلى جبس من قسمين أو طابقين : طابق علوى يوضع به أحجار الجص ، والسفلى حيث يوضع الوقود ، وبالفرن بابان لإدخال الأحجار أو لإخراجها بعد تمام نضجها ، ويظل هذان البابان مغلقين أثناء العملية ، وتوجد عند قمة الفرن فتحة لتصريف الدخان (٦) .

وكانت الطاحونة المخصصة لسحق الجير تجر بواسطة الثيران ؛ ثوران يتغيران كل أربع ساعات ، ويلزم يومان أو ثلاثة أيام لسحق الجبس الناتج عن فرن واحد ، وكان يباع

---

(١) د. حسن الباشا : الفنون الإسلامية والزخرفية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م ، جـ٣ ، ص١١١٠ .
(٢) د. حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص٣٠٩ .
(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ١٥١ ، ص٤٦ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٧٩ . (٥) د. عراقى يوسف ، المرجع السابق ، ص٣٥٠.
(٦) زهير الشايب ، المرجع السابق ، لوحة ١٢١ (شكل ٧ ، ٨) .

الإردب من الجبس المسحوق - والذى يتكون من ست أجولة - بواقع ١٣٢ بارة بالنسبة لجبس ألوان و٦٠ بارة بالنسبة لجبس بياض أو الجبس العادى ، ويطلق على النوع الأول اسم الجبس السلطانى ، وهو بالغ النعومة شديد البياض ، ويستخدم لطلاء الجدران والقباب وتبلغ نعومته حد أنهم يرسمون فوقه زهورا وثمارا ورسوما أخرى على الذوق العربى[١] .

والحقيقة أن وجود هذه الجباسات داخل الحى يدل على مدى الإقبال المتزايد على الإنشاء والتعمير ، الأمر الذى أدى إلى ظهور المتخصصين فى البناء ، وكذلك المتخصصين فى المون .

وبالإضافة إلى هذه الجباسات ضم الحى أيضا فى ذلك العصر سويقة أطلقت عليها الوثائق : سويقة الزلط [٢] ، والتى اختصت ببيع الزلط والرمال التى كانت ترد إليها من المحاجر القريبة من باب النصر والفتوح إلى أرباب الحرفة الخاصة بالبناء والتشييد .

الحرف المتعلقة بالغذاء :

تعددت الحرف المرتبطة بالغذاء ليس فقط فى هذا الحى وإنما فى مصر عامة ، ومن هذه الحرف التى كانت موجودة داخل هذا الحى وترجع إلى العصر المملوكي والعثمانى : الحلوانية - اللبانون - الجزارون .

وكانت هذه الحرف تمارس داخل حوانيت أو قاعات مخصصة لهذا الغرض .

أما فيما يختص بالحلوانية ، فقد ذكرت لنا الوثيقة ٢٨٢ / دار الوثائق قاعة حلاوة كانت موجودة داخل سويقة بنى الوفا . ولم تعطنا هذه الوثيقة وصفا يذكر لهذه القاعة ، اللهم إلا ذكر اسمها فقط [٣] .

وقد حظيت صناعة الحلوى فى مصر الإسلامية باهتمام بالغ ؛ حيث خصص لها سوق عرف باسم : سوق الحلاونيين ؛ حيث أعد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى ، وقد كانت هذه القاعة مخصصة لصناعة الحلوى التى كان يدخل فى صناعتها السكر والزيت ، والذى كان وجودهما متوفرا داخل هذا الحى ، مما أدى إلى وجود مثل هذه الحرفة ، وقد استمرت هذه الحرفة فى العصر العثمانى حيث وجد لهم درب عرف باسم : درب الحلوانية [٤] ، وهذا يؤكد لنا انتشار هذه الحرفة وشيوعها فى ذلك العصر .

---

(١) زهير الشايب ، المرجع السابق (تعليق ٨) .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٨هـ ، وثيقة ١١٧ ، ص٣٩ ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) أحمد محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص١٤٩ .

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٠٠ هـ، وثيقة ٧٣٧ ،ص٢٦٢ ،سجلات الشهر العقارى بالقاهرة.

وقد تعددت أنواع الحلوى ؛ حيث ذكرت كتب الحسبة عدة أنواع من الحلوى بلغت اثنين وستين نوعا ، من المحتمل أن صناعتها قد تم توارثها من أبناء الحرفة فى العصر المملوكى واستمرت فى العصر العثمانى .

وقد خضعت هذه الحرفة لرقابة المحتسب المشددة ، حيث كان ينهى صانع الحلوى عن الغش بأى وسيلة من الوسائل ، كما كان يشترط على قلايين الزلابية أن تكون مقلى الزلابية من النحاس الأحمر الجيد ، وأن يكون الدقيق من أجود ما يكون وألا يشرع الصانع فى قليها قبل أن تتخمر العجينة . ومن المحتمل أن يكون مثل هذا النوع من الحلوى قد تمت صناعته داخل الحى نظرا لتوفر المواد اللازمة لهذه الصناعة داخل الحى(1).

اللبانون :

تذكر الوثيقة رقم ٣٨٩ ج / الأوقاف وجود قاعة للبن داخل حى باب البحر تعود للعصر المملوكى (٢) ، وكانت الألبان تستخرج من الجاموس والبقر والأغنام والإبل التى من مقتنيات الفلاح بالريف ، ولما كانت الجيزة من الأقاليم القريبة للقاهرة ، فإنه يعتقد أن هذه الألبان كانت تأتى إلى هذه القاعات عن طريق هذه المناطق الريفية التابعة لإقليم الجيزة؛ حيث تأتى إلى مثل هذه القاعات لتباع بداخلها جملة واحدة ، وبعد ذلك يتولى اللبان بيعها على الراغبين من أهل الحى .

وفى العصر العثمانى وجدت سويقة للبن كانت تقع بالقرب من خط الخشابين القريب من سويقة بنى الوفا(٣) ضمت العديد من حوانيت بيع الألبان الواردة من الريف لتسويقها على المنازل وصناع الحلوى وغير ذلك .

وقد خضعت هذه الحرفة لرقابة المحتسب الذى كان يأمرهم بتغطية أوانيهم ، وأن يكون المكان مبيضا مبلطا ، مع العناية الدائمة بتغطية المحالب بغطاء للمحافظة على النظافة ، ويلزمهم كل يوم بغسل المواعين ، وينهاهم عن غش اللبن بالماء ، ولا يستعملون فى معاملاتهم إلا اللبن الحليب (٤) .

الجزارون :

أشارت وثائق العصر العثمانى إلى وجود عدد من الجزارين داخل حى باب البحر فى

(١) ابن الإخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٩٢هـ ، وثيقة ٨٠٢ ، ص٢٢٨ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ٩٧٢ هـ ، وثيقة ٤٦٢ ، ص١٣٩ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٤) صلاح أحمد هريدى : الحرف والصناعات فى عصر محمد على ، ص٦٥ ، ٦٦ .

هذه الفترة ؛ حيث لم يصلنا ما يفيد وجود هذه الحرفة فى العصر المملوكى ، ومن المحتمل أنها استمرار لنظيرتها المملوكية . وقد كان هؤلاء الجزارون ممن تخصصوا فى بيع نوع من اللحوم أطلقت عليهم الوثائق هذا التخصص ، فذكرت مثلا : القصاب [1] مفردا دون تخصيص ، وذكرت القصاب فى البقرى[2] . ومن المحتمل أن يكون هناك جزارون تخصصوا في الجاموس والجمال والماعز والضأن إلى غير ذلك من الأنواع .

وعلى الرغم من هذا التخصص إلا أن القائمين بهذه الحرفة كانوا قليلى العدد فى ذلك العصر ، ويعود هذا إلى عدم إقبال الشعب المصرى على هذه المهنة[3] بالرغم أنها كانت من صناعات الأشراف . فقد كان عمرو بن العاص جزارا [4].

وقد امتاز أرباب هذه المهنة - فى هذا العصر - بأنهم أناس متينو البنية ، حادو الطباع، تربطهم تقاليد طائفية قوية ، وقد شارك بعضهم في الحركات الشعبية فى حى الحسينية ، وذلك للعلاقة التى كانت قائمة بينهم وبين إحدى الطرق الصوفية .

وقد كان الجزارون داخل حى باب البحر يقومون بإنشاء زرائب لتربية الدواب التى تلزمهم فى عمليات الذبح والبيع ، وقد تخصصت بعض هذه الزرائب فى علف الجاموس والأبقار [5] والبعض الآخر فى علف الجمال [6] .

وقد بلغ عدد الجزارين بالقاهرة - على العهد العثمانى - ٢٣٠٠ جزارا ، موزعين على ثلاثة طوائف : جزارى الضأن ، وطائفة جزارى اللحم البقرى ، وطائفة جزارى اللحم الجاموس ، إلى جانب هؤلاء المدنيين الذين كانوا يعملون فى هذه الحرفة ، شارك أفراد من الطبقة العسكرية عمل هؤلاء حيث عمل عزبان ومستحفظان [7] . ويؤكد وجود هؤلاء الجزارين داخل هذا الحى انتشار الزرائب داخله ، مما أدى بطبيعة الحال إلى وجود هذه الحرفة التى تلبى احتياجات سكان الحى من اللحم .

---

(١) د. حسن الباشا : الألقاب والوظائف ، جـ١ ، ص٣٥٢ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٩ . (٣) أحمد محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٤) سجل عام ٩٩٢ هـ ، وثيقة ٨٠ ، ص٢٨ ، الزاهد سجلات الشهر العقارى .

(٥) وثيقة رقم ١٦ ، ص٥ ، سجل عام ٩٧٢ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٦) وثيقة ٢٧١ ، ص٧٤ ، سجل عام ٩٩١هـ من سجلات محكمة الزاهد بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٧) أوجاق مستحفظان يتكون أعضاؤه من الانكشارية ، ويتولى أعضاء هذا الأوجاق حفظ الأمن فى مقر الحكم (القلعة) وهم مشاة مسلحون بالبنادق .

انظر : عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ص٢٣ ، حاشية ٤ .

حرف متعلقة بخدمة حرف أخرى :

ومن هذه الحرف التى يعود بعضها للعصر المملوكى والأخرى للعصر العثمانى حرفة : القفاصين - الخواصين - النحاسين .

فأما حرفة الخواصين فقد أشارت إلى وجودها داخل الحى الوثيقة رقم ٥٨٥ / أوقاف[١] ؛ حيث ذكرت أن القائمين بها كان لهم درب بأول حى باب البحر من جهة ميدان الغلة ، أطلق عليه : درب الخواصين .

ويشير كتاب « وصف مصر » إلى طريقة عمل هؤلاء الحرفيين ، حيث يذكر أنهم كانوا يقومون بصناعة القفف من سعف النخيل الأخضر والقديم على حد سواء ، أما القفف بالغة النعومة فتصنع من السعف الصغير الذى يأخذ اللون الأصفر عند تجفيفه،ويتم جدل سعف النخيل باليد ، وهم يبيعون هذه القفف ، كى تستخدم فى أغراض عديدة بالنسبة للمطاحن وأسواق التجارة[٢] التى ضمها الحى ، فضلا عن ذلك فقد كان الخواصون يصنعون من الخوص أغطية الأزيار المصلبة بالجريد ؛ كى يستخدمها السّقّاءون فى تغطية أزيار حوانيتهم [٣] ، وكذلك تغطية أزيار المنازل . ومن المحتمل أن يكون أسلوب تنفيذ هذه المنتجات الخوصية واحدا خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، والتى من المحتمل أن تكون هذه الصناعة قد استمرت بالحى خلال العصر العثمانى لخدمة المنشآت الصناعية العديدة التى تحتاج لمثل هذه المنتجات فى نقل مصنعاتها كالمطاحن والأفران .

القفاصون :

تشير نفس الوثيقة إلى وجود حرفة القفاصين بحى باب البحر [٤] ، كما كان لهم حمام خاص بهم ، أطلق عليه اسمهم : حمام القفاصين ، ويبدو أن القائمين بهذه الحرفة كانوا ينتجون الأقفاص التى كانت تصنع من الجريد ، وكانت هذه الأقفاص لازمة للأفران التى انتشرت داخل الحى خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، وكذلك فى نقل السلع الغذائية إلى الأسواق للبيع .

وقد أشار المقريزى فى خططه[٥] إلى وجود سوق للقفيصات أمام القبة المنصورية ؛ حيث أوضح أن هذه السوق أعدت لجلوس أناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية (بالنحاسين) ، وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من

---

(١) وثيقة استبدال باسم : على بن عثمان ، مؤرخة ٨٩٢ هـ .
(٢) انظر : الفصل الأول من هذا الباب.
(٣) ابن الإخوة ، المصدر السابق ، ص٣٤٨ .
(٤) أى: الوثيقة رقم ٥٨٥ / أوقاف، سطر١١ .
(٥) جـ٢ ، ص٩٧ .

الخواتيم والفصوص ، ويبدو أن هذه الحرفة قد انقسمت إلى طائفتين : الأولى لصنع الأقفاص التى يستخدم فيها الجريد ، والأخرى تخصصت فى صنع الأقفاص الحديدية .

النحاسون :

وصلتنا هذه الحرفة من خلال وثيقة للعصر العثمانى ، حيث جاءت مقترنة باسم القائم بها وهو نور الدين النحاس (١) . وقد اشتغل - إلى جانب المدنيين بهذه الحرفة - فئة من العسكريين من أوجاق مستحفظان والسباهية ، وكانت مهمتهم صنع الأدوات النحاسية الشائع استخدامها داخل المقاهى وحوانيت الزيت والمنازل التى ضمها الحى . وكان هؤلاء النحاسون يعملون فى أماكن أطلقت عليها الوثائق اسم : المسبك (٢) . وقد ضم الحى من هذه المسابك واحدا كان يقع بحى باب البحر بالقرب من سوق السمك الكائن داخل سويقة بنى الوفا . ويدل وجود هذا المسبك داخل هذا الحى على مدى الإقبال الذى لاقته هذه الصناعة من أهل الحى ، خاصة وأن الكثير من المنشآت وحوانيت التجارة كانت تعتمد على مثل هذه الأدوات فى بيع سلعها أو فى وضع السلع المباعة داخلها كالتى ضمها حانوت يبيع الزيت الذى أشرنا إليه سابقا .

الحرف المرتبطة بالمياه :

وصلنا من الحرف المرتبطة بالماء والتى يمارسها القائمون بها داخل هذا الحى حرفة السقائين والحمامية .

فأما الحرفة الأولى ، فقد وصلنا ما يفيد وجودها داخل الحى فى العصر المملوكى؛ حيث تشير وثيقة بدر الدين الونائى (٣) إلى اسم حانوت للسقا تم فتحه فى هذا الحى لبيع المياه ، وقد أطلقت المراجع على القائمين بهذا العمل اسم « سقائين الكيزان » . ومن المحتمل أن يكون هذا الحى قد ضم إلى جانب الفئة السابقة أعدادا كبيرة من السقائين لخدمة المنازل والمنشآت الدينية التى كان يضمها الحى . ومما يرجح هذا الاحتمال قرب الحى من النيل ومن الخليج ؛ حيث كان يحرص طوائف السقائين على القرب من مصدر المياه ؛ نظرا لما كانوا يتكبدونه من معاناة أثناء سيرهم لجلب المياه ، فكلما كانت المسافة أقل، زاد توطن هذه الطوائف بالقرب من المصدر الخاص بالمياه .

بالإضافة إلى قيام هؤلاء السقائين بجلب مياه النيل وحملها فى قرب أو على ظهور الجمال (٤) وتوزيعها على المنازل التى يضمها الحى ، فإنهم كانوا أيضا يقومون بتوزيع المياه

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٧ هـ ، وثيقة ٣٢٠ ، ص٩٦ ، سجلات الشهر العقارى بالقاهرة.

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٩٧ هـ، وثيقة ٨٤٢ ، ص٣٢٨ ،سجلات الشهر العقاري بالقاهرة.

(٣) وثيقة ٢٢١ / القلعة .

(٤) طافور : الرحلة ، ترجمة : حسن حبشى ، دار المعارف ، ١٩٦٨، ص٩٨.

على المناطق المجاورة للحى ابتداء من باب البحر وحتى باب اللوق ، ومما يؤكد ذلك وجود طائفة خاصة بالسقاء كانت تقطن خارج باب زويلة وصلتنا أخبارها من خلال الوثائق التى تعود للعصر العثمانى [1] ، وهى التى اختصت بتوزيع المياه داخل القاهرة ، وعلى هذا يتأكد لنا اختصاص فئة السقائين الموجودة بباب البحر بخدمة هذه المنطقة من القاهرة .

ومما يؤكد استمرارية طوائف السقائين فى أداء عملها بباب البحر خلال العصر العثمانى ما وصلنا من معلومات عنها من خلال الوثائق التى تعود للعصر العثمانى ، حيث تشير هذه الوثائق إلى تركز السقائين داخل هذا الحى خط كامل أطلقت عليه الوثائق اسمهم ، فأسمته : خط دفع السقائين « كان يقع بالقرب من ميدان الغلة القريب من سويقة بنى الوفا ، إلى جانب إشارة الوثائق إلى بعض من كان يعمل بهذه الحرفة مرتبطة باسمه ، ومنها . . . شهد على نفسه فخر أمثاله المكرمين الزينى سليم بن عبد الله معتوق المرحوم الحاج على الشهير بالسقا » [2] .

ووجود هذا الخط الذى ضم العديد من طوائف السقائين داخل هذا الحى يؤكد قيام هؤلاء بتوزيع المياه على ظاهر القاهرة الغربى ، حيث كانت تختص كل مجموعة منهم بتوزيع المياه على منطقة معينة من هذا الجزء من القاهرة .

وتشير قائمة الطوائف المهنية التى نشرها علماء الحملة الفرنسية فى القاهرة عام ١٨٠١م إلى وجود ما لا يقل عن ثمانى طوائف للسقائين فى القاهرة عامة . وكان الانضمام لهذه الطائفة يسبقه اختبار مبدئى ، كان المتقدم إليه أن يستطيع حمل قربة وكيس ملىء بالرمال يزن ٦٧ رطلا لمدة ثلاثة أيام ، وثلاث ليال ، دون أن يسمح له بالاستناد أو الاتكاء أو الاستراحة أو النوم طيلة هذا الوقت [3] .

وكان السقاءون يجلبون المياه من الخليج الذى يشق العاصمة أثناء الفيضان مدة الشهور الأربعة التى تعقب فتح الخليج ، ويجلبون من النيل فى غير ذلك الوقت [4] ؛ حيث كانوا يحملون الماء فى قرب تحملها حيوانات أو يحملونها هم فوق ظهورهم ، وهذه الطريقة لم تتغير فى شىء منذ فترة المقريزى ؛ حيث أشار طافور فى رحلته إلى وجود

---

(١) انظر : أندريه ريمون : فصول من تاريخ مصر الاجتماعى ، الفصل الخاص بالسقائين .

(٢) الخواجا الحاج : حمودة المغربى ، وثيقة ٤٧٤ / أوقاف ، سطر ٣١ ، سطر ٤٥ ، وثيقة الزينى سليم ، ووثيقة ٤٢٥ / أوقاف ، سطر ١٠ .

(٣) أندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص٩٧ ، ٩٨ .

(٤) إدوارد وليم لين : المصريون المحدثون ؛شمائلهم وعاداتهم ، نقله إلى العربية : عدلى طاهر نور ، الطبعة الثانية، ١٩٧٥ ، ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

عدد كبير من السقائين يروحون ويجيئون لبيع المياه التى يحملونها على ظهور الجمال والحمير وفى القرب على ظهورهم ، وذلك لكثرة عدد الناس ولا سبيل إلى الماء إلا من النهر أو الخليج (١) .

بعد حصول السقائين على حاجتهم من المياه كانوا يتوجهون إلى عملائهم فى المنطقة الممتدة من باب البحر إلى باب اللوق ؛ حيث يقومون بصب المياه فى خزان أو زير ، ولكى يحصل السقا على ثمن خدماته كان يلجأ إلى عدة وسائل تختلف فى دقتها ، فقد كان يكتفى أحيانا بأن يسجل على باب المشترك خطوطا بعدد القرب التى أحضرها له وأحيانا أخرى كان يستخدم عقودا من الخرز الأزرق ، يسحب منها خرزة عن كل قربة يحضرها له ، وعندما تنتهى كل خرزات العقد كان السقا يسوى حسابه مع عميله (٢) .

وقد استلزم هذا الإقبال المتزايد على المياه من قبل السقائين إلى ظهور حرفة : الفاخورى (٣) والقِربى(٤) .

وقد أشارت إلى الحرفة الأولى ـ والتى وجد القائم بها داخل الحى فى بداية القرن السابع عشر الميلادى ـ بعض الوثائق العثمانية(٥) . وكان هؤلاء الصناع يقومون على ما يبدو بصنع الأوانى الفخارية من قُلل وأزيار وغير ذلك. وقد كان هناك مصنع يصنع هذه الأدوات ، كان يقع بالقرب من الأزبكية غير بعيد عن باب البحر(٦) . إلى جانب ذلك فقد كان هناك سوق للقِرَب كان يقع بالقرب من تواجد السقائين بالقرب من باب زويلة وحتى باب البحر ، وكان هذا السوق يفتح كل أيام الجمع حتى الظهر وذلك لخدمة طوائف السقائين التى تركزت داخل حى باب البحر وباب زويلة .

الحمامية :

وهى من الوظائف المرتبطة بالمياه ، وتشير الوثيقة ٢٣٧ / القلعة إلى وجود هذه الحرفة بحى باب البحر ؛ حيث تذكر : « استأجر المكرم الحاج أحمد بن المرحوم الحاج محمد شيخ طائفة الحمامية بمصر سائقا والمدولب هو بحمامى الخراطين » بأول حى باب البحر.

وقد كان هذا الرجل يشغل وظيفة شيخ طائفة الحمامية ، ثم عمل مدولبا بالحمام المذكور بعد تركه الوظيفة الأولى . والمدولب هو مدير أو معلم الحمام ، وكانت مهمته إدارة الحمام ، سواء كان مالكه أم مستأجره . والواقع أن الحمامات العامة لم تكن تدار

---

(١) طافور : الرحلة ، ص٩٨ . (٢) أندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) سجلات الزاهد ، سجل عام ١٠٠٧هـ ، وثيقة ٤٩٥ ، ص١٥٠ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٤ ـ ٦) أندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص١٠٨ .

بواسطة مُلاكها أنفسهم ، وإنما كانت توكل عادة إلى مستأجرين يديرونها ، ويدفع كل منهم ما يخصه من الإيجار مشاهرة أو سنويا ، وكان يأخذ على عاتقه الإصلاحات الطارئة التى قد تنتج عن الاستهلاك اليومى ، فى نفس الوقت كان يدفع إيجار الوقف المقام عليه الحمام[1] .

وكان مدير الحمام هو الذى يختار العاملين معه بالحمام ، كما كان عليه أن يحسن اختياره لهم على أساس من الأخلاق والأدب والصحة أيضا ، وكان المحتسب هو الذى يملك سلطة الإشراف على هؤلاء العاملين ومتابعة سير العمل فى جميع الحمامات ، ومن الملاحظ أن الحمامى كان له حق الإشراف على عدة الحمام، فهى من اختصاصاته ، والعدة هى الأدوات التى يستعملها العمال بداخل الحمام ، وبها يسير العمل ، كما كان الحمامى يقوم بالإشراف على نظافة الحمام فى بعض الأوقات ، فهو يمارس بنفسه مسألة تعطير الحجرات وإعداد ماء الورد ، وكان يحصل عادة فى مقابل ذلك على ما يلزمه ويكفيه من رواده الأثرياء[2] .

وكان المكان المعين لجلوس الحمامى معروفا ، فهو يتصدر مدخل الحمام وفى مقدمة قاعة الاستقبال ، وهو لا يترك مكانه قط إلا عند حلول أحد العاملين مكانه ، فهو المسئول الأول عن الأمانات ومتعلقات الجمهور ، وهو الحافظ لأموالهم ومتاعهم ، ويتحتم عليه أن يكون رقيقا لينا يستطيع أن يجذب إليه الزبائن ، وفى الوقت نفسه يكون حازما مع العمال رادعا لكل من يهمل فى عمله ، وهو وحده الذى يستطيع تحديد السعر الذى يتكلفه الزبون نظير أخذه الحمام [3] .

وكان يعمل بالحمام عدد من العمال منهم : القيم ، الناطور ، المزين ، (فى حالة حمام الرجال) ، ويختص القيم (اللاونجى)[4] بتدليك الجسم ، وطقطقة المفاصل ، وإزالة الأوساخ من راحة القدم ، وإزالة الجلد الميت عن طريق « حَجر الحمام » ، ويأمر المحتسب اللاونجى بأن يدلك يده بقشور الرمان لتصير خشنة ، فيخرج الأوساخ ويستلذ بها المستحم .

أما الناطور فكان عمله ملاحظة الثياب وأشياء المستحمين ، وفى حالة ضياعها يعوض

---

(١) أندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص١٠٨ .

(٢) سعاد حسين : الحمامات فى مصر الإسلامية ، مخطوط ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سعاد حسين ، المرجع نفسه ، ص٢٣ .

(٤) هذه التسمية تحريف لكلمة « ليوانجى » ، أى : خادم الليوان .
انظر : إدوارد لين ، المرجع السابق ، ص٢٩٨ .

صاحبها لضياع متاعه ، ويعتبر الناطور رئيس الخدم ، وعمله أن يكسو الداخل إلى الحمام بأنواع المناشف والفوط ، وبعد تمام غسله وخروجه أيضا يكسوه بالمناشف الجافة النظيفة ويتعهد بتغييرها دائما ، كما يقوم بحراسة الحمام أيضا (١) .

وكانت مهمة المزين الحلاقة إلى جانب قيامه بالختان وعمليات النظافة ، كما كان يستدعى لإجراء بعض العمليات الجراحية .

وإلى جانب هؤلاء العمال كان هناك عدة وظائف أخرى لكنها غير متصلة بجمهور المستحمين ، منها : الوقاد والزبال والسواق والقهوجى .

وبصفة عامة فإن دراسة النشاط الصناعى لهذا الحى جعلنا نقف على العديد من النتائج منها :

١ ـ كان اشتمال الحى على دار الصناعة حتى العصر الأيوبى سببا فى توطن حرفة الخشابين داخله لخدمة هذه الدار ، وبعد أن أبطل استعمالها صارت هذه الحرفة مهيأة لخدمة أغراض العمران والمنشآت الصناعية ، وتفرع عنها حرف أخرى مثل : النجارين والخراطين.

٢ ـ ساهمت الحرف المتعلقة بالحبوب فى خدمة بعضها بعضا ؛ فاشتمال الحى على سوق للغلال قد كان مصدرا لإمداد الطواحين باحتياجاتها من الحبوب ، والتى كانت هى نفسها مصدرا لإمداد الأفران باحتياجاتها من الدقيق ، والتى وقع عليها أيضا مهمة إمداد الناس باحتياجاتهم من الخبز .

٣ ـ اشتمال الحى على من قام بوظيفة المدولب فى الطواحين تؤكد انتشار الطواحين داخله خلال العصر العثمانى .

٤ ـ وقع على المعاصر مهمة إمداد الزياتين باحتياجاتهم من الزيوت ؛ حيث كانوا يتسببون فى بيعه فى أسواق وسويقات الحى خلال العصرين المملوكى والعثمانى . كذلك أدى إنشاء العديد من معاصر الزيت فى داخل الحى خلال العصر المملوكى إلى وجود فندق كان ينزله تجار الزيت الشوام لجلب الزيت من هذه المعاصر إلى حيث أوطانهم.

٥ ـ ظهور وظيفة المدولب فى معاصر الزيت الحار داخل الحى فى العصر العثمانى تؤكد انتشار هذه المعاصر فى ذلك العصر ، خاصة إذا كان استخدامه قاصرا على الإضاءة.

(١) سعاد حسين ، المرجع السابق ، ص٢٥ .

٦ - ضم الحى منذ العصر المملوكى وحتى نهاية العصر العثمانى رابطة النساجين ، حيث وجد داخله الحياكون والقزازون والبسطية والأقباعيون والصباغون والفتالون ومبيضو الغزل . وتمركز شيوخ هذه الحرف داخل منطقة ظاهر القاهرة الغربى يدل على حرصهم على متابعة سير العمل لدى كل طائفة .

٧ - كان من نتائج وجود معاصر للزيت ، وكذلك وجود تجار فى قصب السكر ، أن ظهرت حرف تعلقت بالزيت والسكر والدقيق ، ونعنى بذلك : حرفة الحلوانية الذين ضمهم درب متكامل داخل سويقة الحمام عرف بالدرب الواسع .

٨ - إنشاء الزرائب داخل حى باب البحر قد وقع عليها إمداد القصابين باحتياجاتهم من اللحوم ، إلى جانب إمداد قاعات اللبن بما تحتاج إليه من ألبان ، إلى جانب ما كان يرد إليهم من الريف .

٩ - كان تمركز السقائين بمنطقة باب البحر دليل على حرصهم على الاقتراب من مصدر المياه ؛ حيث كانوا يقطنون بالقرب من الخليج عند بداية حى باب البحر ، وقد وقع عليهم إمداد منطقة ظاهر القاهرة الغربى باحتياجاتها من الماء .

١٠ - ظهرت حرفة النحاسين داخل الحى نتيجة لوجود إقبال عليها من قبل القهوجية والزياتين . . . إلخ .

الفصل الثالث

الدور الاجتماعى

تشير الوثائق والمصادر التى وقفنا عليها إلى وجود نشاط اجتماعى لحى باب البحر طيلة العصور - موضوع الدراسة - وإن بدت المعلومات المتعلقة بالعصرين الفاطمى والأيوبى قليلة . غير أنها تشير إلى وجود هذا النشاط الذى تمثل فى وجود المساجد التى كانت تقوم بمهمة التعليم والدعوة إلى جانب مهمة العبادة ، كما وجد كذلك العديد من الأسواق التى انتشرت فى هذا الموقع من القاهرة ، ولا يخفى علينا ما كانت تقوم به الأسواق من نشاط اجتماعى .

وقد بلغ نشاط الحى الاجتماعى ذروته خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، حيث تعددت المنشآت التى تقوم بمهمة التعليم ، وكذلك تلك التى ينقطع بها المتصوفة للعبادة ، والمنشآت التى تخدم العامة كالحمامات ، والكتاتيب ، والمقاهى ، والمحاكم الشرعية .

ففى العصر الفاطمى شيد الحاكم بأمر الله فى هذا الحى مسجده ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة [١] بالقرب من شاطئ النيل ، حيث أوقف عليه أوقافا كثيرة للصرف منها على ما يحتاجه الجامع[٢] ، وقد كان الهدف من إنشاء هذا المسجد على ما يبدو هو الدعوة للمذهب الشيعى بين جموع الشعب القاطنين هذه الجهة من القاهرة ، والتى كان يرتادها الخلفاء أثناء خروجهم لجبر الخليج ، أو ملاقاة الجند القادمين من المعارك ؛ حيث إن تشييده يؤكد أن هذه المنطقة قد ضمت الكثير من السكان ؛ نظرا لما امتازت به من نشاط تجارى كبير فى هذه الفترة ، حيث كان يرتادها الأجانب والمحليون الذين يعرضون تجارتهم بها ، ومن ثم كان لإنشاء هذا المسجد دوره فى بث تعاليم المذهب الشيعى بين الأفراد والدعوة له فى كافة الأرجاء التابعة للدولة الفاطمية من خلال الأشخاص الوافدين عليه [٣] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٣٦٥ ، .Abdou Seif (Doris),. Op .Cit .,p.4

(٢) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ، ص١٣٠ ، .Abdou Seif (Dors),.Ibid,p.4

(٣) تحقيقا لهذا الهدف زوّد الخلفاء - على جملتهم - الجوامع بالعديد من المؤلفات التى تخدم هذا الغرض ، كما أذنوا لعلمائهم أن يقوموا بتدريسه فى الجامع الأزهر والجوامع الأخرى التى غدت مدارس تبث تعاليم هذا المذهب بين جموع الشعب المصرى فى كافة أرجاء القاهرة وأقاليمها ، غير أن ذلك لم يؤد بالتبعية إلى القضاء على المذهب السنى ، بل ظل قائما فى ظل الدولة الفاطمية .

انظر : حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص١٣٠ .

ومن المنشآت الأيوبية التى شيدت داخل حى باب البحر مسجد الأمير ابن منقذ[١] الذى شيده سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢م ، أى بعد سنة واحدة من قيام الدولة الأيوبية ، بهدف أداء الصلوات وتعليم أهل المنطقة المذهب السنى الذى عطل فترة بقاء الحكم الفاطمى ، وبمجىء العصر الأيوبى أصبح هدف حكامه القضاء على كل آثار المذهب الشيعى الذى استمر زهاء قرنين ونصف ، ومن ثم عملوا على التوسع فى تشييد المنشآت التى تحقق هذا الهدف .

وبمجىء العصر المملوكى أصبحت مصر مقرا لنشاط علمى ودينى منقطع النظير ، كانت له أسبابه المتعددة ، والتى منها ما يتعلق بسلاطين المماليك وأمرائهم ، ومن هذه الأسباب : شعور المماليك بأنهم مغتصبون للعرش سواء من أساتذتهم الأيوبيين أم من ورثة السلطان السابق ، هذا فضلا عن إحساس المماليك أنهم أغراب عن أهل البلاد ، كما أن أصلهم أرقاء ، فلم يجدوا إلا التمسح بالدين الإسلامى ، واستغلال العاطفة الدينية عند الشعب ، وذلك بالإكثار من تشييد المبانى الدينية ، وحبس الأوقاف عليها للصرف من ريعها عليها حتى تتمكن المنشأة من أداء رسالتها المنوطة بها[٢] .

وقد حفل حى باب البحر بالعديد من هذه المنشآت فى ذلك العصر التى قام بإنشائها سلاطين وأمراء ذلك العصر ، إلى جانب قيام الشيوخ بتشييد زوايا لهم للانقطاع للعبادة بداخلها ، ومن هذه المنشآت : زاوية الركراكى ، وجامع أحمد الزاهد ، وزاوية عبد الرحمن البكتمرى ، وجامع سيدى مدين .

ومن أسماء المنشآت السابقة يتبين لنا أن بعضها استخدم كمسجد جامع تؤدى فيه صلاة الجمعة إلى جانب الصلوات الأخرى ، واستخدم بعضها كزوايا خصصت بعضها لتعليم مجموعة من الطلبة وإقامة الصلاة ، والبعض الآخر خصص لانقطاع المتصوفة بداخلها للعبادة ، حيث كان يوقف على هذه المنشآت أوقاف تدر عليها دخلا يكفى للقيام بمهمتها .

ولما كان تخطيط المنشآت الدينية فى العصر المملوكى متعددا ، حيث وجد المسجد ذو الظلات ، كما فى جامع الظاهر بيبرس [٣] ، وجامع المؤيد شيخ ، وأيضا النظام المتعامد كما فى مدرسة السلطان حسن ، والظاهر برقوق ، وكذا النظام المدرسى المتطور ، كما فى

---

(١) حسن قاسم: المزارات الإسلامية ، جـ٦ ، ص١٢٦ .

(٢) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ، ص١٧٩ ، ١٨٠ ، وسعيد عاشور : المجتمع المصرى على عصر السلاطين المماليك ، ص١٤٣ .

(3) Wiet (G.),. the Mosques of Caire . Translated From The French by Johns Hardman , libraine Hachette , 1966,p.104 .

مسجد سيدى مدين ، ومدرسة قايتباى بالصحراء ، فإننا نرجح أن المنشآت الدينية التى ضمها الحى فى ذلك العصر قد اتبع فى تخطيطها نفس النظم التخطيطية التى كانت سائدة فى جميع منشآت هذه الفترة .

وقد استغلت المنشآت جميعها ، سواء ما كان منها يتبع التخطيط ذا الظلات ، أو التخطيط الإيوانى ، أو التخطيط المدرسى المتطور للقيام بمهمة الصلاة والتعليم فى آن واحد . فالمسجد ذو الظلات ـ والذى من المرجح أن يكون الحى قد ضم بين منشآته واحدا على نفس التخطيط [1] ـ قد كان يقوم بمهمة التعليم ؛ حيث كان يتحلق الطلبة حول شيخ يختارونه ، ويتعلمون على يديه أحد فروع العلم التى يبغونها ، كذلك فإن المنشآت ذات النظام الإيوانى نجدها تقوم بمهمة الصلاة إلى جانب مهمة التعليم ؛ حيث خصص كل إيوان لمذهب من المذاهب الأربعة يتعلمه الطلبة على يد شيخ هذا المذهب ، كما كانت المنشآت الأخرى التى اتبعت التخطيط المتطور بنفس المهمة التى قامت بها المنشآت الأخرى التى تختلف عنها فى التخطيط .

والحقيقة أن اشتمال الحى على العديد من هذه المنشآت الدينية التى ترجع إلى فترات زمنية مختلفة يؤكد حرص منشئيها على الاهتمام بهذه الجهة من القاهرة ؛ نظرا لما امتازت به من نشاط تجارى وصناعى كبير ، ومن ثم فإن إنشاء هذه العمائر الدينية كان هدفه بث تعاليم الدين بين صفوفهم ، إلى جانب القيام بمهمة اجتماعية بالغة الأهمية ، وهى : تعليم أولادهم وذويهم العلوم الدنيوية إلى جانب العلوم الدينية .

وإلى جانب هذه المنشآت وجد بالحى نوعان من الزوايا :

الأول : زوايا فردية تحمل أسماء ساكنيها أو منشئيها ،كزاوية الأبناسى والركراكى ، حيث خصصتا لإيواء شيخ ينقطع بها للعبادة.

والنوع الثانى : وهو الزوايا الجماعية ، وقد تباينت الأغراض التى أنشئت من أجلها، فمنها ما احتفظ بالطابع الدينى الأول فشابهت المدارس فى مهمتها ، أى كانت زوايا تعليمية يتحلق الطلاب حول شيخهم لتلقى درس من علوم الدين ، أو الاستماع للوعظ ، كما فى زاوية الأبناسى [2] (انظر : موقع هذه الزاوية على الخريطة ، شكل ١٦) .

فأما النوع الأول ، فقد خصص للمتصوفة حيث كانوا ينقطعون بداخلها للعبادة والتهجد إلى جانب إلقاء الدروس على مريديهم ، مثل : زاوية الركراكى وزاوية سيدى

---

(١) من المحتمل أن يكون جامع الأمير بدر الدين التركمانى على نفس نمط التخطيط ذى الظلات ؛ إذ أطلق عليه المقريزى اسم : جامع التركمانى ، وكذلك جامع الشيخ أحمد الزاهد الذى يعود للعصر الجركسى .

(٢) وثيقة ٧١٩ ج / الأوقاف .

مدين وزاوية المناوى فى العصر العثمانى .

وقد كان الحافز وراء إنشاء هذه الزوايا هو اعتناق التصوف ، وقد كان وراء انتشار التصوف فى العصر المملوكى أسباب ،منها :ما أحاط بالعالم الإسلامى من أحوال قاسية، منها هجوم التتار من ناحية الشرق ، والمسيحيين من ناحية الأندلس ؛ مما أدى إلى توافد الكثير من مشايخ الصوفية إلى مصر ، حيث وجدوا المسرح معدا لنشاطهم ، والناس مهيؤون لتلبية مطالبهم ، والتربة صالحة لاستنبات آرائهم ومذاهبهم ، فاندفع الكثيرون إلى الدخول تحت لواء مشايخ الصوفية (١) .

وقد وجد هؤلاء المتصوفة فى منطقة باب البحر - نظرا لقربها من طرق المواصلات المحيطة بها من جهة الشرق وجهة الغرب - أرضا صالحة لتشييد منشآتهم بها ، حيث كانت هذه المنطقة نقطة التقاء للقادمين من خارج القطر ، حيث نلحظ أن معظم هؤلاء المتصوفة من بلاد عربية وإقليمية ، مثل : الشيخ الركراكى القادم من المغرب ، وسيدى مدين المنتسب إلى المغرب أيضا ، والشيخ الأبناسى القادم من الريف من إقليم أبناس التابع للغربية . ويبدو أن هذا المكان قد كان به عدد من الوافدين الذين استقروا به ، ومن ثم فإن إقامة هؤلاء المتصوفة داخله قد ساعد على التصدي لما يهم هذه الأعداد من الوافدين، حيث يؤكد ذلك ما يرويه المقريزى من تصدى الشيخ الركراكى لأشغال المغاربة داخل هذا الحى ، فضلا عن ذلك فإن وجود أحد الشيوخ داخل هذا المكان قد ساعد على جذب مريديه إليه ، ومن ثم فإن من تتلمذ على يدى هذا الشيخ قد عمل على إنشاء زاوية له بجوار أستاذه ، مثلما نلحظ فى مسجد أحمد الزاهد وتلميذه سيدي مدين الأشمونى ، ومن بعدهم زاوية المناوي المجاورة لمنشآتهم .

وعلى هذا أصبحت منشآت المتصوفة داخل هذا الحى دليلا على حرص كل متصوف على البقاء بجوار من تتلمذ على يديه ، وكانت منشآت هؤلاء المتصوفة عبارة عن زوايا ينقطعون فيها للعبادة ، ولم تكن تقام فيها الجمعة أول أمرها ، ثم تغير الحال ، وأقيمت الجمعة . ويشير المقريزى فى سياق حديثه عن الزوايا إلى أنها كانت دورا لعبادة الصالحين من الصوفية وفقراء العجم والخدام من الحبش والأبناء وغيرهم من أهل الصلاح والورع (٢) .

وبعض هذه الزوايا قامت بإنشائها زوجات السلاطين ، مثلما فعلت الخوند مغل

(١) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص١٦٢ وتوفيق الطويل : التصوف فى مصر إبان الحكم العثمانى ، ص٣٩ ، ودولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس ، ص٥٢ .

(٢) توفيق الطويل ، المرجع السابق ، ص٣٩ .

زوجة السلطان جقمق[1]، حيث شيدت للشيخ مدين جامعا برسم مسجد وزاوية ، إلى جانب تشييد الأمراء ورجال الدولة العسكريون لمن يعتقدون فيه من المتصوفة ؛ حيث كانوا يوقفون عليها أوقافا كثيرة تفى باحتياجات المسجد والشيخ ومريديه .

وفى العصر العثمانى نجد أن الحالة فى مصر ـ فى ظل هذا العصر ـ قد ساعدت على نمو التصوف وازدياد انتشاره ، وكان من أظهر مميزات التصوف فى هذا العصر تحوله من ظاهرة وجدانية إلى ظاهرة اجتماعية تتمثل فى حياة أتباعه فى رحاب الزوايا تحت إرشاد شيوخهم ممن مكنتهم شخصيتهم من اجتذاب المريدين ، ويسرت لهم ثقة المحسنين من الأمراء والأثرياء الذين يتكلفون بكل ما تتطلبه حياة هؤلاء المجاورين المنقطعين لعبادة الله فى زواياهم ؛ إذ كانوا يعيشون مع زوجاتهم من فيض الأوقاف التى تحبس عليهم ، والأرزاق التى تجرى من أجلهم[2] .

ومن الزوايا العثمانية التى شيدت داخل الحى زاوية الشيخ عبد الرءوف المناوى[3]، والتى شيدها برسم زاوية وقبة ضريحية ، وذلك فى سنة ١٠٣١ هـ ، حيث انقطع بها للعبادة والتأليف حتى تاريخ وفاته السابق ، وإلى جانب هذا النوع من الزوايا الفردية التى شيدت للصوفية وجدت الزوايا الجماعية .

وقد وجد من هذا النوع من الزوايا ـ داخل حى باب البحر ـ زاوية تعود للعصر المملوكى عرفت بزاوية الأبناسى ، وقد أوقف المنشئ عليها أوقافا كثيرة للصرف من ريعها على المنقطعين بها للعبادة وتحصيل العلوم ، ومن خلال المعلومات الواردة بوثيقة الوقف نستطيع أن نستخلص بعض الأمور المتعلقة بالموظفين الدينيين المخصصين بهذه المنشأة . ومن أهم هذه الوظائف : وظيفة الإمامة ، واشترطت الوقفية أن يكون القائم بها من «أهل الخير والدين والعلم والصلاح ، وأن يكون حافظا لكتاب الله تعالى ، شافعى المذهب ، أهلا للإفادة فى علم الفقه والحديث والعربية ، وأن يكون شيخا مدرسا بالمكان المذكور ومقيما فيه »[4] .

ونرى من خلال النص الوثائقى السابق أن القائم بهذه الوظيفة فى هذه الزاوية قد حددت له شروط منها : أن يكون شافعى المذهب ، وأهلا للإفادة فى علم الفقه والحديث والعربية ؛ مما يجعلنا نستشف أن هذه المنشأة كانت تدرس لطلبتها المذهب الشافعى والفقه على هذا المذهب إلى جانب الحديث النبوى واللغة العربية ، فضلا عن شرط إقامة هذا الشيخ فى المنشأة لا يبرحها .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٧٠ .
(٢) توفيق الطويل ، المرجع السابق ، ص٥٦.
(٣) انظر ترجمته فى الفصل الثالث من الباب الثالث.
(٤) وثيقة ٧١٩ج/ أوقاف ، سطر ٢٠٠ ، ٢٠١ .

كما حددت هذه الوثيقة اختصاص هذا الشيخ من أن يقوم بوظيفة الإمامة بالمسلمين فى الصلوات الخمس وقيام شهر رمضان من كل سنة ، كما حددت الوثيقة أجر هذا الشيخ حيث ذكرت « . . . أجر هذا الشيخ نظير قيامه بهذه المهام . . . يصرف له فى كل يوم أربعة أرطال خبز ، وفى كل شهر ثلاثين درهما »[1].

ومن الوظائف الأخرى التى ذكرتها الوثيقة : وظيفة المؤذن والبواب والفراش والوقاد ، وتجمع وثائق العصر المملوكى جميعها على أن يكون المؤذن « طيب الصوت ، حسن الهيئة ، عارفا بالأذان وطرقه » [2] .

أما البواب والفراش ، فكانت مهامهما رعاية المنشأة والقيام على نظافتها ، والحرص على بقائها نظيفة ، ومعرفة الداخلين إلى المنشأة حيث كان لا يصرح لغير الطلبة بالدخول للتعليم .

أما وظيفة الوقاد ، فهى من الوظائف الرئيسية فى المنشآت الدينية ، ويشترط فى الوقاد أن يكون ثقة أمينا قويا قادرا على العمل الذى هو عبارة عن غسل القناديل وتنظيفها وتعميرها وتعليقها ووقدها وطفيها وشيلها وحطها ، وكان الزيت المستخدم فى تعمير هذه القناديل هو زيت الزيتون [3] فى مسارج من الخزف أو المعدن ذات فتيل للاشتعال من شعبة أو شعبتين أو يوضع الزيت فى القرايات ، فوق كمية من الماء ، والتى توضع بدورها فى المشكاوات الزجاجية أو فى التنور النحاسى حسب الوسائل التى استعملت فى إضاءة المنشأة .

وقد اختصت هذه الزاوية بتعليم عشرة طلبة من طلبة الفقه والحديث واللغة العربية، حيث شيد لهم الواقف بالزاوية خمس عشرة خلوة للسكنى ومعهم جملة من الطلبة المعينين على وقف الشيخ مهدى ، ويحضر معهم خمسة من الطلبة الذين يشملهم وقف المرحوم سيف الدين قرقماس الخطيرى الذى بباب الشعرية وغيره حسبما قرر له من النفر والربع ، ويشتغلون بوظيفة الدرس المذكور على العادة [4].

وإلى جانب ذلك كان بعض الواقفين يشترطون إقامة مولد شريف لهم بعد وفاتهم فى شهر معين يحددونه فى وقفياتهم .

ومن ذلك ما تذكره وثيقة تصديق من الزينى سليم لجهة وقف زاوية المرحوم عبد الرحمن البكتمرى عن إقامة مولد شريف سنوى فى شهر شعبان لسيدى عبد الرحمن البكتمرى المذكور على العادة فى ذلك ، وكذلك على مُتَوَلِّى شئون الوقف الحرص على

---

(١) وثيقة ٧١٩ ج / أوقاف ، سطر ٢٤٥ .
(٢) محمد محمد أمين ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .
(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ٢٢٠
(٤) الوثيقة ٧١٩ ، سطر ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .

شئون الزاوية فيختص بشراء حصر فرش ، وزيت وقود ، وقناديل وشمع ، وأجرة إمام للزاوية [1] .

وهكذا يتبين لنا أن هذه المنشآت قد قامت بدورها من حيث التعليم ، وإقامة الشعائر بداخلها ووفرت للموظفين والطلبة القاطنين بها حياة مستقرة ، كما سهلت على أهل الحى أداء العبادات وحضور الدروس المختلفة .

وإلى جانب هذه المنشآت التى اهتمت بالتعليم والعبادات ، هناك بعض المنشآت التى كانت تخدم عامة الناس ، ومن هذه المنشآت : الحمامات ، والأسبلة ، والمقاهى ، والمحاكم الشرعية ، وما وصلنا منها يعود إلى العصر المملوكى والعثمانى ، فمن هذه المنشآت التي شيدت خلال هذين العصرين والتى كان لها دورها الاجتماعى البارز .

الحمامات :

تشير وثيقة بدر الدين الونائي إلى إيقافه حماما برسم الرجال والنساء داخل حى باب البحر [2] بما نصه « . . . وملكه جميع المكان الكائن بظاهر القاهرة المحروسة بخط المقسم المبارك بسويقة الحمام المشتمل على حمامين : أحدهما معد لدخول الرجال كامل ، والآخر معد لدخول النساء ، وحوانيت ومعالم طباق ومنازل ومساكن ومنافع ومرافق وحقوق » ويبدو من النص السابق أنه خلو من أى وصف معمارى لهذا الحمام .

غير أننا عثرنا على وثيقة تعود للعصر العثمانى وبالتحديد سنة ١٠٣٨هـ ، أعطتنا وصفا لهذا الحمام وقيمته الإيجارية ؛ حيث كان هذا الحمام يشتمل على مسلخ وفسقية وبيت أول وحرارة ومطهرة ومغطس وأربعة أحواض ودبكونية [3] وبئر ماء معين وساقية مركبة على فوهتها ، وحاصل وأربعة قدور رصاص ، ومنافع وحقوق [4] .

وقد استمر هذا الحمام فى العصر العثمانى يؤدى مهامه ، ويؤكد ذلك الوثيقة المشار إليها ، والتى أعطتنا الوصف المعمارى للحمام ، كما أمدتنا بالقيمة الإيجارية له، حيث قام الأمير محمد جاويش الناظر الشرعي على وقف المرحوم القاضى بدر الدين الونائى فى سنة ١٠٣٨ هـ بتأجير هذا الحمام إلى الحاج شرف الدين بن الحاج موسى بن نعيم الأشبيلى الحمامى ، ينتفع بها المستأجر سكنا وإسكانا وكيف شاء الانتفاع الشرعى لمدة سنتين كاملتين متواليتين وشهرين ، ابتداء من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة

---

(١) الوثيقة ٤٢٥ / أوقاف ، سطر ٣٥ .
(٢) وثيقة ٢٢١ / دار الوثائق القومية .
(٣) انظر : معجم المصطلحات، برقم (٩) .
(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٨ هـ ، وثيقة ٩٢٠ ، ص٢٧٧ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
انظر : معجم المصطلحات ، برقم (١٤) .

بأجرة مبلغها عن كل يوم يمضى من التاريخ المذكور سبعة أنصاف فلوسا . أى بمبلغ شهرى قدره ٢١٠ نصف ، أى مبلغ سنوى قدره = ٢٥٢٠ نصف فلس[1]. وكان على المستأجر أن يدفع من الأجرة المذكورة [2] .

وإلى جانب هذا الحمام الذى استمر فى العصر العثمانى ، وجد حمام آخر برسم الرجال والنساء كان يعرف باسم : حمام الخراطين ، كان يحتل المساحة التى هى جزء من ميدان الغلة المطلة على حى الجيش الحالى والتى يشغلها الآن سوق للخضر ، وهو من الحمامات الذى يكثر تردده فى الحجج الشرعية التى يعود أقدمها إلى سنة ١٦٨٠ م [3] . (انظر : موقع هذا الحمام ، شكل ١٧) .

وقد ورد ذكر هذا الحمام ضمن حجة إسقاط يعود تاريخها إلى عام ١١٤٣هـ [4] ، وأيضا ضمن حجة استئجار يعود تاريخها إلى عام ١١٧٤ هـ [5]، وكذلك ضمن حجة استئجار أخرى يعود تاريخها إلى سنة ١١٨٣ هـ [6] .

وقد جاءت هذه الوثائق جميعها بوصف لهذا الحمام ، غير أن أكثر هذه الوثائق تفصيلا فى بيان تكوين الحمام ومشتملاته هى الوثيقة التى يعود تاريخها إلى سنة ١١٨٣هـ؛ حيث تذكر أن هذا الحمام يشتمل على واجهة شرقية مبنية بالحجر الفصى النحيت ، فتح بهذه الواجهة ثلاثة أبواب : اثنان منها مقنطران كان بينهما حانوت معدة لبيع السدر وغيره متداخلة الآن بحمام الرجال ، والباب الثالث مربع يعلوه ماوردة وأضلاع خشب بارزة حاملة لواجهة رواقين علو حمام النساء .

أما الباب الأول المقنطر فكان يدخل منه إلى دهليز مرخم ، يؤدى هذا الدهليز إلى مسلخ حمام الرجال المشتمل على أربع أواوين متقابلة وأربع مقاطع ومسطبات وفسقية كبيرة بوسط المسلخ ، يعلوها منور وباب بصدر المسلخ يؤدى إلى بيت الحرارة وسلم يؤدى إلى سطح الحمام ، مفروشة أرض الحرارة المذكورة بالرخام الملون مسقف بالجامات

(١) يبدو أن هذه العملة قد حلت محل أنصاف الفضة ، ربما لتعذر وجودها فى هذه الفترة ؛ حيث حملت الفلوس لفظ نصف وهو ما كان يطلق على الفضة .

(٢) وثيقة ٩٢٠ ، ص٢٧٧ ، سجل عام ١٠٣٨ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٣) أندريه ريمون : فصول من تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر العثمانى ، ص١٢٦ .

(٤) سجلات أحمد الزاهد ، سجل عام ١١٤٣ هـ ، وثيقة ١٩١ ، ص١٤٤ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٥) حجة رقم ٢٣٣ / القلعة ، باسم المستأجر الحاج أحمد محمد المدولب بحمامى الخراطين قام بنشرها د.عباس حمودة ضمن كتابه : المدخل لدراسة الوثائق العربية ، ص٤٦ .

(٦) سجلات القسمة العسكرية ، سجل رقم ١٨٤ ، وثيقة ٩٨٣ . ص٤٦٩ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

الزجاج ، مسبل الجدر بالبياض ،كامل المنافع والمرافق والخلاوى والمغاطس والحنفيات[1] .

ويؤدى الباب الثانى بالواجهة إلى دهليز مستطيل يتوصل منه إلى مسلخ حمام النساء المشتمل على أربعة إيوانات وفسقية يعلوها منور (شخشيخة) وسلم يتوصل منه إلى سطح الحمام المذكور وباب يدخل منه إلى بيت الحرارة المشتمل على مغطسين وخلوتين وفسقية وحوض معد للماء البارد وحنفيتين ، مفروشة أرض ذلك جميعه بالرخام ، مسقف بالجامات الزجاج الملون ، مسبل الجدر بالبياض ، كامل المنافع والحقوق .

وأما الباب الثالث الذى بالواجهة فإنه كان يؤدى إلى مستوقد الحمامين المذكورين والساقية الماء المعين وعدتها المركبة على فوهتها ودار الدواب والمخزن والشون ومدار الساقية [2] .

وقد اشتمل هذا الحمام بقسميه على العدة المعدة لصناعة الحمام ، ومنها : فوط خاصة بالحمامين ، وقدرها ستة وأربعون محزم كحلي وخمسة محازم نقش جدد وثلاثة محازم حبشى وستة محازم شلبى وثلاثون محزم كهنة وعشرة محازم سمسمي وعشرة سود تجاري وستة صنهور وسطانى وأربعة قطانى غزل بشفة وثلاثة وعشرون محزم حشيشى ، وكان بالتنور خمسة وأربعون محزم حرير وستة مدورة قطن ، كل ذلك كان موضوع بالحمام الكبير الخاص بالرجال ، أما الحمام الصغير فكان يشتمل على عشرة محازم حبشى، وأربعة عشر صنهورة حمر وأربعة محازم حمر وخمسة مدورة قطن وخمسة قطانى كهنة ، واثنين وثلاثين فوطة حبشى وخمسة بذر كهنة ، وأربع وثلاثين كحلى بالتنور ، وأربع وأربعين محازم وصنهورة بالتنور ، وخمس عشرة زوج نراجيل إلى جانب السجاجيد والقرايات المعدة لإضاءة الحمام ليلا [3] .

ومن خلال مكونات الحمامين وما حواه كل منهما من مشتملات نستطيع أن نقول : إن هذا الحمام قد قام بنشاط اجتماعي كبير لأهل الحى ، حيث تشير المشتملات المعبر عنها بالعدة إلى وجود إقبال على هذه النوعية من المنشآت فى ذلك العصر ، ويبدو أن الفوط والمحازم بأنواعها وألوانها المختلفة قد خصصت لاستخدام العريس والعروس قبل عقد القران أثناء قدومهم للحمام لأخذ حمام العرس ، وخصصت القطع المعبر عنها

(١) لا يطلق اسم حنفية عادة على الصنابير وحدها ، بل على الغرفة التى تحويها .

انظر : إدوارد لين : المصريون المحدثون ، ص٢٨٥ .

(٢) وثيقة ٢٣٣ ، سطر ١٧ ــ ٢٥ ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٨٤ ، وثيقة ٩٨٣ ، ص٤٦٩ ، بالشهر العقاري .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٤٣ هـ ، وثيقة ٢٩١ ، ص١٤٤ ، بالشهر العقاري بالقاهرة .

بالكهنة (١) لاستخدام العامة من أهل الحى عند أخذهم الحمام اليومى أو الأسبوعى .

وهناك وثيقة تعود إلى سنة ١١٤٤هـ (٢) تذكر لنا القيمة الإيجارية التى كان يدفعها المستأجرون للحمام فى تلك الفترة بأجرة قدرها عن الحمامين المذكورين فى كل يوم يمضى ستة وأربعون نصفا أى بواقع ثلاثة وعشرين نصفا للحمام الواحد .

وعلى هذا تكون الأجرة الشهرية للحمامين مبلغها ألف وثلاثمائة وثمانون نصف فضة . فلو فرضنا أن الوافدين إلى هذا الحمام فى اليوم ٤٠ ـ ٥٠ شخصا فإن ما يدفعه العميل نظير أخذه الحمام كان يتراوح بين ٨ ، ١٠ ، ١٥ نصف (٣) ، أى بمتوسط قدره ١١ نصف ، وعلى هذا فإن الدخل اليومى الناتج عن تردد ٤٥ عميل كان يصل إلى ٤٩٥ نصف ، ويذكر أندريه ريموند نقلا عن شايرول : أن صيانة الأثاث تتكلف يوميا ١٠ ـ ٤٠ نصف ، وإطعام الماشية ٢٠ نصف ، وتسخين المياه من ١٢٠ ـ ١٨٠ نصف ، ومن المرجح أن عدد العاملين بالحمام كان كبيرا لحد ما ، وقد قدر أولياجلبى عدد العاملين داخل خمسة وخمسين حماما بألف خادم و١٢٠٠ مدلك ، أى بمتوسط ٤٠ عاملا للحمام الواحد .

وكان الحارس يتقاضى وحده ٣٠ نصفا يوميا ، وكان العاملون يحصلون على أجورهم على هيئة « بقشيش » أو يحصلون على ربع متوسط ما كان يدفع العميل ، ومن خلال الجدول الآتى نتبين مدى الربح الذى كان يحققه الحمام .

الدخل اليومى	أوجه الصرف	القيمة
٤٩٥	صيانة الأثاث	١٠ أنصاف
	تغذية الماشية	٢٠ نصف
	وقود	١٢٠ نصف
	مرتب الحارس	٣٠ نصف
	إيجار الحمام	٤٦ نصف
	أجور عمال	١٢٤ نصف

وعلى هذا يكون مجموع المصاريف ٣٥٠ نصف فى اليوم ، والدخل العام للحمام

(١) من المرجح أن تكون هذه الكلمة تعنى الفوط القديمة وليست البالية ، والتى تكون أقل متانة من الفوط الأخرى.

(٢) إدوارد لين : المصريون المحدثون ، ص٢٩٧ ، ٢٩٨ ، وأندريه ريموند : فصول من تاريخ مصر الاجتماعى، ص١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٤٤ هـ ، وثيقة ١٥٦ ، ص١٤ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

مبلغه ٤٩٥ نصف ، فيكون الربح المقدر لهذا الحمام فى اليوم مبلغه ٤٩٥ ـ ٣٥٠ = ١٤٥ نصف ، وهى نسبة تقريبية تختلف باختلاف عدد المترددين على الحمام ، فقد يكون عدد المترددين قليلا ، ومن ثم فإن أوجه الصرف تكون قليلة وأجور العمال قليلة ، وبالتالى فإن الربح للحمام يكون قليلا ، والعكس صحيح .

وعلى هذا فإن هذا الربح المتواضع الذى كان يخرج به مستأجر الحمام كان لا يتيح له أن يكوّن ثروة كالتى يقوم بتكوينها طبقات التجار ، وعلى هذا فإن بناء الحمامات كان يتم استجابة لدوافع أبعد من أن تكون بقصد الربح وحده ، فالدوافع الدينية الخالصة تفسر نشأة الكثير منها ، كأن تلحق مثلا بالمسجد حيث تعتبر عنصرا مكملا له ، أو إيقافها على مؤسسة دينية تُدرّ لها دخلا ثابتا ،أو يكون الهدف من إنشائها الاهتمام بالشئون الحضارية.

وقد اختلفت القيمة الإيجارية لهذه الحمامات من فترة لأخرى ؛ فحين كان إيجارها فى الوثيقة سالفة الذكر ستة وأربعين نصفا يوميا ، نجد أن هذه القيمة اختلفت فى وثيقة أخرى ـ تعود إلى عام ١١٧٤هـ ـ حيث نجدها عن كل شهر خمسة دنانير ذهبا محبوبا[١] حسابا عن كل سنة ستون دينارا ذهبا محبوبا أجرة الحمام ، يقوم بدفعها المستأجر للحمامين، إلى جانب قيامه بعمل المرمات وعمارة الحمامين ، حيث إن المؤجّرة ، وتدعى: نفيسة ، ليس لها من هذا الأمر شيء ، كما كان على المستأجر أن يسدد قيمة الأرض القائمة عليها الحمام ، ذلك لمدة الثلاث سنوات المحددة بالوثيقة[٢] وقدرها أربعمائة ريالا حجرا بطاقة ، بموجب ذلك يكون الحمام من حق الحاج أحمد الحمامى المستأجر ، يتصرف فيه على اعتباره مالكا له ، وإن لم يقم بتسوية هذا المبلغ قبل مدة الثلاث سنوات يكون هذا الحمام من حق المصونة نفيسه فى ملكها وتصرفها .

والحق أن قيمة الحمام الإيجارية فى هذه الفترة قد انخفضت انخفاضا كبيرا حيث وصلت إلى ٥ × ١٢٠ نصف = ٦٠٠ فى الشهر ، أى : ما يعادل ٢٠ نصف فضة فى حين أنها كانت عام ١١٤٤ تصل إلى ٤٦ نصف فى اليوم ، وربما هذا راجع إلى ما كانت تريده المؤجرة من بيع هذا الحمام والأرض القائم عليها ، وعلى هذا قامت بتخفيض الإيجار كى يتمكن المستأجر من تسديد قيمة الأرض الحاملة للحمام ، وكذلك القيمة الإيجارية للحمام ، والمصاريف التى كانت تنفق عليها .

ومن المنشآت الاجتماعية التى اشتمل عليها الحى ، والتى تعود إلى العصر العثمانى:

---

(١) كان الدينار الذهب المحبوب يعادل ١٢٠ نصف فضة،أى ما يعادل ٤ قروش،حيث كانت قيمة القرش فى هذه الفترة تعادل ٣٠ نصف فضة ،وكان البوطاقة يعادل ٨٥ نصف فضة،أى أن الدينار كان يعادل ريالا ونصفا.

انظر : شايرول ، المرجع السابق ، ص٢٤٩ .

(٢) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٤ هـ ، وثيقة ٢٨١٠ ، ص٧٥٤ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

سبيل أحمد العريان ، والذى أنشأه ضمن مجموعته الدينية فى عام ١١٨٤هـ وهى عبارة عن غرفة مربعة الشكل يتصدر الجهة الجنوبية الغربية فتحة السلسبيل ، والجهة المواجهة لها شباك عليه مصبعات يطل على الطريق الرئيسى ، يتقدمه بلاطة من الرخام خصصت لوضع كيزان الماء عليها ، حيث كانت تربط بسلاسل فى فتحات الشباك فيسهل أخذها والشرب منها ، إلى جانب هذا الشباك من أسفله كان يوجد شباك لتسبيل الماء للدواب ، ولكنه سد الآن ، ويجاوره فتحة السبيل التى كانت توضع بداخلها المياه .

وإلى جانب هذه المنشآت شيد بالحى - فى العصر العثمانى - عدد من المقاهى خصصت لجلوس الناس عليها لتناول بعض المشروبات ، خاصة البن ، وسماع القصص التاريخية وغيرها من المنشدين الذين كانوا يجلسون عليها ، ومن هذه المقاهى التى ورد ذكرها في حجج ذلك العصر ، مقهى استأجرها محمد بن على القهوجى الأخميمى ، وكانت هذه المقهى تقع بخط سويقة الحمام فيما بين حانوت سكنى خليل المعتبر ، وحانوت سكنى أبى الخير المعتبر ، الجارية الحوانيت المذكورة فى وقف جامع سيدى الفرا(١) .

ومقهى أخرى استأجرها المعلم منصور بن عطا البصيلي القهوجى من افتخار الأمثال الزينى موسى بن أحمد طائفة الينكجرية بمصر المحمية ، وهى مقهى مستجدة الإنشاء والعمارة ، كانت تقع بخط المقسم المبارك قريبا من سويقة بنى الوفا بالحى المسلوك على يسرة السالك طالبا لباب البحر وغيره تجاه درب سعيدة ، والتى كانت تعرف قديما بالطاحون(٢).

وقهوة أخرى عرفت بقهوة القشر التى أغلقت واستعملت بعد ذلك كطابونة لإنتاج الخبز(٣) .

وقهوة عرفت بقهوة الدشاش ، وكانت تقع داخل سويقة بنى الوفا (٤) .

وقهوة عرفت بقهوة السادات ، وكانت تقع أيضا داخل سويقة بنى الوفا(٥) .

وقهوة عرفت بقهوة بنى السرور وكانت أيضا تقع داخل سويقة بنى الوفا (٦).

ومن أسماء المقاهى السابقة يتضح لنا أن ست مقاهٍ ، كان مقرها سويقة بنى الوفا ،

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٧ هـ ، وثيقة ٣٢٨ ، ص٩٩ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٢) وثيقة ٣١٠٤ / الأوقاف ، سطر ٢٤ .

(٣) وثيقة ٢٧١ / الأوقاف ، سطر ٤٧ ، ووثيقة ٣١٠٤ ،سطر ١٤.

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٤٤هـ ، ووثيقة ٢٣٨ ، ص١٣١ ، بالشهر العقارى بالقاهرة.

(٥) وثيقة ٢٧٨/ الأوقاف ، مؤرخة ١١٨٠ هـ ، باسم صالحة خاتون ، سطر ٢٩ .

(٦) درويش مصطفى : من تاريخ القهوة ، مجلة الدوحة ، العدد ١٢٣ ،جمادى الآخرة،١٩٨٦م،ص٨٠ - ٨٢.

وواحدة بخط سويقة الحمام ، كما أن أسماءها توضح أن بعضها نسب إلى أسماء العاملين بها أو ملاكها ، والبعض الآخر نسب إلى التخصص الذى كانت تقوم به ، مثل قهوة القشر التى تخصصت فى صنع شراب القهوة من قشر البن بطريقة معينة ، وبعضها نسب إلى من كان يجلس بها مثل قهوة السادات والتى من المرجح أنها خصصت لجلوس عِلْية القوم الذين كانوا يقطنون الحى .

وقد تخصصت جميع هذه المقاهى فى طبخ القهوة وبيعها لرواد المقهى إلى جانب قشر البن والذى تخصصت فى بيعه القهوة المنسوبة إليه ، وقد ظهر شرب القهوة بمصر فى العشر الأوائل من القرن العاشر الهجرى ، حيث كانت تشرب فى الجامع الأزهر برواق اليمن كل ليلة اثنين وجمعة ، وكانوا يصنعونها فى ماجور كبير من الفخار الأحمر ، ويأخذ منها النقيب ويسقى الطلبة الأيمن فالأيمن [١] .

وقد قيل : إن أول من اهتدى إلى هذا الشراب هو أبو بكر بن عبد الله المعروف بالعيدروسى ، وكان أصل اتخاذه له أنه مر فى سياحته بشجر البن ، فاقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته فوجد فيه تخفيفا للدماغ واجتلابا للسهر وتنشيطا للعبادة فاتخذه قوتا وطعاما وشرابا [٢] .

وقد ظهر بشأن هذا الشراب الذى أطلق عليه لفظ « قهوة » عدة آراء دينية بعضها يدعو إلى تحريم شربها، والبعض الآخر يدعو إلى إباحتها. والمعروف أن لفظة «قهوة» تعنى فى فقه اللغة: أحد أسماء الخمر. ويبدو أن هذا ما حذا بالمصريين إلى تحريمها؛ نظرا لما فيها من الضرر ، وخالفهم آخرون ، ومنهم المتصوفة ، وقالوا بإباحتها ؛ لأنها ليست مسكرة ولا مغيبة ، وإنما فيها تنشيط النفس لأشغالها ، وما يطلب منها ، ومن المرجح أن تكون المقاهى التى انتشرت داخل حى باب البحر قد كانت تخدم الزوايا العديدة التى ضمها الحى، ممثلة فى تلبية احتياجات المتصوفة المقيمين داخلها ، وكذلك طلبة العلم .

أما الذين حرّموها فقد استندوا إلى أنها تحاط عند شربها بطقوس كالتى تحاط بها الخمر كتصفيق شاربها ، وإنشاد أشعار الغزل والحب ، ولأن المقاهى تجمع الصغار والكبار والأراذل الذين يروجون الأكاذيب، ويغتابون الناس، ويلعبون الشطرنج وألعاب الميسر[٣]، وبمرور الزمن أصبح شراب القهوة أمرا شائعا ، فأنشئت المقاهى فى العديد من أحياء القاهرة وأخذ أصحابها يتنافسون فى اجتذاب الناس[٤] .

---

(١) محمد سيد كيلانى : الأدب المصرى فى العصر العثمانى ، ص١٩ .

(٢) محمد سيد كيلانى ، المرجع نفسه ، ص٢٢ ، ٢٣ ، وإدوارد لين ، المرجع السابق ، ص٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٣) محمد سيد كيلانى ، المرجع نفسه ، ص٢٣ ، وإدوارد لين المرجع السابق ، ص٢٩٠ .

(٤) وثيقة ٣١٠٤ / الأوقاف ، سطر ١٤ .

ونتيجة لما سبق انتشرت المقاهى داخل حى باب البحر ، حيث كان الحى خلية نحل يعمل الصناع داخل منشآتهم الصناعية ، ويعمل التجار فى تسويق بضائعهم ، ومن ثم تطلّب الأمر برهة من الراحة كانوا يقضونها على هذه المقاهى ، ولم تعطنا الوثائق - سالفة الذكر - وصفا لما كانت تحويه المقهى من مشتملات معمارية ، اللهم إلا معلومات طفيفة ورد ذكرها في وثيقة وقف الحاج حجازى أحمد السعيد [1] ، حيث ذكرت بعض المعلومات عن مشتملات مقهى الدشاش بما نصه « ... جميع منفعة الخلو السكنى والانتفاع بكامل القهوة المعروفة بالدشاش ، الكائنة بمصر المحروسة بخط سويقة بنى الوفا، وما استجد بها من البناء المقعد والفسقية بوسطها ... » .

وتشير العبارة السابقة إلى أن المقهى كانت موجودة قبل تاريخ الوثيقة ، حيث إن واقف هذه المقهى قد استجد بها بعد وقفها مقعدا ربما يكون عبارة عن أريكة خشبية ، أو مصطبة من الطوب ، مفروش عليها قطع من الحصر لجلوس الوافدين عليها ، إلى جانب اشتمال المقهى على فسقية تلطف جو المقهى وتشعر الجالسين بالراحة أثناء سماعهم للمنشدين والقصاصين الذين كانوا يلقون على مسامعهم بعض القصص التاريخية أو الدينية .

وقد انتقلت هذه المقهى فى سنة ١١٤٤ هـ إلى السيدة فاطمة خاتون ؛ حيث قامت بشرائها وحررت لها حجة وقف[2] للاستفادة منها تجاريا واجتماعيا ، ومن المحتمل أنها استمرت لفترات زمنية أخرى .

ونستطيع أن نعطى تصورا لشكل المقهى المعمارى من خلال المعلومات البسيطة السالفة ، وكذلك من خلال الوصف الذى أورده المستشرق إدوارد لين فى كتابه عن العادات والتقاليد المصرية ، فتذكر الوثيقة اشتمال المقهى على مقعد بجواره فسقية .

ويذكر لين[3] أن المقهى عبارة عن غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود، ويقوم على طول الواجهة ما عدا المدخل مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثة وعرضها كذلك تقريبا ، وفى داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة .

ويبدو أن ثمة تشابه بين معلومات الوثيقة والمعلومات التى ذكرها لين فى كتابه ، مما يؤكد استمرارية نفس الطابع المعمارى حتى عهد هذا المستشرق وكان بكل مقهى عدد من الأدوات،بعضها مخصص لطبخ القهوة ،والبعض الآخر مخصص لوضع القهوة بداخلها

---

(١) وثيقة ٢٧١ / أوقاف ، سطر ٤٧ .

(٢) إدوارد لين ، المرجع السابق ، ص٢٩٠ ، و كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، جـ١ ، ص٤٠١ .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١١٤٣ هـ ، وثيقة ٢٣٨ ، ص١٣١ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

وتقديمها للرواد . وفى ذلك تذكر الوثيقة الخاصة بمقهى السادات التي كانت تقع داخل سويقة بنى الوفا « . . . العدة المعدة لطبخ القهوة وبيعها على العادة الموضوعة بالقهوة الكائنة بخط سويقة بنى الوفا بخط المقسم المبارك المعروفة بالسادات . . . المشتملة العدة المذكورة على مائة فنجان وواحد وأربعين فنجانا صينى صحيح ومجور ، ودست نحاس كبير وغلايتين تلقيم ، وثلاث بطط وغلايتين بيع وثلاثة تالى ، وأربع مصبات وبططتين صغيرتين ، وسبع صوانى ، وطبق عشاء صغير ، الجميع نحاس ، وسيخ وجاروف حديد، وعلبتين خشب مجلدين ومنخلة وطاولتين خشب وسدرية وطاسة وميزان حديد بكفتين صغير وشمعدان زيت أصفر وعدد من القرايات »[1] .

وهذا النص الوثائقى يوضح لنا أنه كان بالمقهى فناجين مخصصة لصب القهوة ، وغلايتان تعد بداخلهما القهوة ، والتى كانت تحمص أو تقلى داخل بطط مخصصة لهذا الغرض ، والتى من المحتمل أن البن الناتج عن القلى كان يوزن قبل بيعه لبيان مدى المكسب أو الخسارة بعد بيعه ، وقد استخدم السيخ الموضوع بالمقهى فى تسليك الشبك أو النراجيل التى كان يستعملها الرواد . كما استخدم الشمعدان فى إضاءة المقهى ليلا ، مما يؤكد استمرارية فتح المقاهى ليلا أثناء المناسبات أو بقائها هكذا فى الأيام العادية .

وقد ذكرت لنا بعض الوثائق السابقة القيمة الإيجارية للمقهى فى الشهر ، فقد ذكرت الوثيقة الخاصة بالمقهى التى كانت تقع داخل سويقة بنى الوفا ، والتى يعود تاريخها إلى سنة ١٠٣٧هـ أن القيمة الإيجارية عن كل يوم عشرة أنصاف فضة وملىء بكرج قهوة بن قيمتها نصف فضة يقوم المستأجر بدفعها للمؤجر عقب عمل كل يوم [٢] ، وقد أشارت الوثيقة الخاصة بمقهى السادات التى كانت تقع بالسويقة ذاتها إلي القيمة الإيجارية لهذه المقهى خارج عنها الدولاب الخاص بالعدة المعدة لطبخ القهوة ، حيث تذكر أن هذه القيمة كانت خمسة أنصاف فى اليوم الواحد . ويتبين لنا أن القيمة الإيجارية خلال ست سنوات قد قلّت إلى النصف ، وربما ذلك راجع إلى كثرة هذه المنشآت فى هذه الفترة ، مما جعل المنشئين لها يقللون من قيمة الإيجار ، وكان يتردد على المقهى الفخمة ما بين مائتين إلى مائتين وخمسين فردا فى اليوم الواحد ، ويتناول الفرد عادة ما بين ٢ ـ ٣ فناجين من القهوة فى مقابل ١,٥ بارة للفنجان ، ويكسب مدير المقهى كثيرا إذا ما ارتاد مقهاه زبائن أثرياء [٣] .

---

(١) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠٣٧ هـ ، وثيقة ٣٢٨ ، ص٩٨ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٢) ج. دى شايرول ، المرجع السابق ، ص١٣٩ .
(٣) وثيقة رقم ٤٨٢ ، ص١٨٤ ، سجل سنة ١١٩٨ هـ ، بالشهر العقارى ، سجلات محكمة الزاهد .

وقد أشارت الوثائق إلى وجود وظيفة المدولب فى مقهى سوق الخشب وقهوة الدشاش[1] ؛ مما يؤكد وجود عدد من العاملين بداخل المقهى يعمل عليهم هذا الرجل رئيسا لهم ، ومن المحتمل أن يكون هذا الرجل هو صاحب المقهى أو القائم باستئجارها .

وقد أطلق على رئيس صانعى القهوة فى تركيا : القهوجى باشى ، وهو مسئول عن كل الأوانى والأدوات المستعملة فى صنع القهوة ، وكانت هذه الأوانى والأدوات المستعملة فى صنع القهوة تحفظ غالبا فى دواليب حائطية ، وحين إصابتها بالتلف كان عليه أن يستبدلها بأخرى على حسابه الخاص[2] ، ويقوم كذلك بتقديم القهوة بعد إعدادها إلى السلطان بعد صلاة الفجر ، وبعد الغداء والعشاء ، ثم يقدمها بعد ذلك إلى كبار الموظفين أمثال شيخ الإسلام وكبار القوم والوزراء وقضاة العسكر الذين يتجمعون حين كان السلطان يركب خارجا من القصر . ويبدو أن المدولب فى المقهى كان عمله يتشابه مع عمل القهوجى باشى فى تركيا ، إلا أن المدولب يقدم القهوة إلى رواده وليس للسلطان .

وقد كانت المقاهى فى ذلك العصر تخضع للإشراف المباشر من قبل رئيس يشترى لنفسه حق التزامها ، وتدفع كل مقهى رسما صغيرا فى بداية السنة الهجرية ، ويبلغ هذا الرسم ١٠ ـ ٤٠ نصف ، وتعفى من دفع هذا الرسم المقاهى الصغيرة ، ويستطيع كل من يريد أن يبنى قهوة أن يفعل ذلك بمطلق حريته ، لكنه لا يستطيع مباشرة العمل فيها قبل الحصول على تفويض من المشرف على الحرفة الذى كان يلتزم بتقديم مرتكبى المخالفات من أبناء هذه الحرفة إلى العدالة ، وتوكل مهمة الإشراف هذه عادة إلى أغا الإنكشارية (الكخيا المتولى) الذى يدفع حق هذا الالتزام إلى السلطة[3] .

ويمكن اعتبار المقاهى منتدى اجتماعيا يجتمع عليه أهل الحى يتحدثون فى أمورهم ويتناولون شرابهم وشبكهم ، كما أنها كانت إحدى وسائل البهجة عند قدوم الأعياد . وفى ذلك يذكر الجبرتى فى حوادث شهر ذى الحجة سنة ١٢١٦ هـ : فى يوم الاثنين تاسع ذى الحجة كان يوم الوقوف بعرفة ، وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، ونحرت أغنام وعجول كثيرة للأضحية ، حتى امتلأت بها الطرقات وازدحم الناس وأفراد العسكر على الشراء ،وغيمت السماء وأمطرت مطرا كثيرا حتى توحلت الأزقة ونودى بفتح الحوانيت والقهاوى والمزينين ليلا وإظهار الفرح والسرور وإظهار بهجة العيد [4] .

---

(١) ج . دى شايرول ، المرجع السابق ، ص١٣٩ .

(٢) ربيع حامد خليفة : الصور الشخصية فى العصر العثمانى ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، ١٩٨١م ، ص٢٢٠ ، وجب هاملتون : المجتمع الإسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص١٨ .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص٢١١ .

(٤) انظر : هذه السجلات التى تحتفظ بها مصلحة الشهر العقارى بالقاهرة .

بالإضافة إلى هذه المنشآت السابقة وجد بالحى نوع آخر من المنشآت اختص بالنظر فى الأمور القضائية ، وقد استغلت منشأة أحمد الزاهد الواقعة بباب البحر كمحكمة تختص بالنظر فى الأمور القضائية والمتعلقة بأهل الحى ومنطقة ظاهر القاهرة الغربى جميعها . وتشير سجلات محكمة الزاهد هذه إلى قيامها بهذا الدور خير قيام ، حيث احتفظت هذه السجلات بالكثير من الأمور التى كانت تخص أهل هذه المنطقة من دعاوى وزواج ، ووقف ، وشراء ، وبيع ، واستئجار ... إلخ . وقد بلغ عدد هذه السجلات التى استطعت الوقوف عليها ستة وعشرين سجلا يرجع أقدمها إلى سنة ٩٣٢ هـ وأحدثها إلى سنة ١١٩٨هـ [١] .

والواقع أن تخصيص محكمة بهذه المنطقة كان مرجعه تزايد العمران بهذه المنطقة عامة والحى خاصة ، وكثرة المشاكل القضائية المتعلقة بأهل هذا الحى على وجه الخصوص؛ نظرا لما امتاز به هذا الحى من نشاط صناعى وتجاري كبير ، الأمر الذى دعا إلى ضرورة إيجاد محكمة للنظر فى هذه الأمور . وقد وقع الاختيار على جامع أحمد الزاهد الكائن بحى باب البحر للقيام بهذه المهمة بعد تحويله إلى محكمة .

وتشير سجلات هذه المحكمة إلى أسماء القضاة الذين كانت ترسلهم القسطنطينية ليتولوا أمر القضاء بهذه المحكمة على أساس المذهب الحنفى الذى يتبعونه ، وهو نفس مذهب السلطان ، وكذا شريف مكة ، وقد بدأ هذا الأمر منذ بداية القرن السادس عشر الميلادى[٢] .

وكان القضاء فى تركيا يشبه فى تكوينه الطائفة المهنية التى لها رؤساؤها الخاضعون للإشراف المباشر للمفتى الأكبر ، وكل مناصب هذه الهيئة قابلة للتغيير فالتغييرات فيها بالغة الشيوع ، ويمكن لنفس الشخص أن يصبح بالتناوب شاغلا وظيفة أعلى أو أدنى من تلك التى كان يشغلها ، ويقوم أحد أعضاء هذه الإدارة القضائية بتعيين كل قضاة مصر وعددهم ستة وثلاثون قاضيا بما فيهم قاضى العسكر المكلف بإدارة شئون القضاء فى القاهرة [٣].

وكان نفوذ قاضى القاهرة يمتد إلى مصر القديمة وبولاق ، أما الجيزة فكانت لها محكمة خاصة بها ، وكان القاضى يعين ممثلين له فى دوائر القاهرة المختلفة ، وتشير سجلات محكمة الزاهد إلى وجود أربعة قضاة على المذاهب الأربعة : الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية . وأقل هؤلاء القضاة عملا قاضى الحنابلة[٤] .

---

(١) دى شابرول ، المرجع السابق ، ص١٢ . (٢) شابرول ، المرجع السابق ، ص١٩٣ .

(٣) سجلات محكمة الزاهد ، سجل عام ١٠١٠هـ ، وثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

(٤) سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

وكانت مدة تولى أى من وظائف القضاة لا تتجاوز السنتين ، بل كثيرا ما كان يخرج القاضى من وظيفته بعد عام واحد ، وكان كل واحد من هؤلاء القضاة يتلقى عند رحيله من القسطنطينية قرارا يحدد المحكمة التى سيدير شئون القضاء فيها ، كما يحدد المدة التى سيقضيها فى وظيفته ، وقد حفلت سجلات محكمة الزاهد بالعديد من هذه القرارات(١)، وإذا لم يتلق القاضى بعد هذا القرار أمرا بتثبيته فإنه يوقف مباشرة أعماله القضائية ، وقد جرت العادة فى هذه الحال أن يترك مقره المعتاد كشىء انتقالى إلى أن يتم تثبيته أو وصول بديل (٢) .

وكان لهذه المحكمة رئيس معين من قبل قاضى العسكر ، يتولى الإشراف على القضاة الثلاثة الذين معه ، ويسمى قاضى مساعد لقاضى العسكر ، الذى كانت مهمته تنحصر فى الفصل فى القضايا واختيار أئمة المساجد وإدارة الأوقاف الخيرية وتقسيم التركات ، وتحصيل الرسوم المقررة على بيع ونقل الملكيات ، وكانت هذه الهيئة القضائية تستعين بمترجمين يقرؤون لهم النصوص ويترجمونها ؛ نظرا لجهلهم بلغة البلاد .

ومن خلال الوثائق التى تعود لهذا العصر أمكن الوقوف على العديد من أسماء المحاكم التى كان يمارس فيها القضاة مهام وظائفهم ، ومنها : محكمة الصالحية النجمية ، ومحكمة الباب العالى ، ومحكمة القسمة العسكرية ، ومحكمة القسمة العربية ، ومحكمة سعادة والخرق ، ومحكمة قوصون ، ومحكمة باب الشعرية ، ومحكمة طولون، ومحكمة أحمد الزاهد ، إلى جانب وجود محكمة فى مصر القديمة ، ومحكمة فى بولاق ، حيث كان عدد هذه المحاكم فى ذلك العصر إحدى عشرة محكمة تغطى القاهرة كلها.

وقد أشارت سجلات محكمة الزاهد إلى الأمور القضائية التى كان يلجأ المرء فيها إلى القضاء ؛ ومن هذه الأمور : الدعاوى ، ومنها دعوى لجأ فيها الحاج خضر إلى القاضى الحنبلى بمحكمة الزاهد ـ وكان هذا الرجل يعمل طحانا ـ مضمونها : أن الرجل المدعو محمد بن غازى النقيب بالحسبة الشريفة قد تعدى على طاحونته التى كانت تقع داخل سويقة بنى الوفا بدرب السرجة ، ووضع يده على جميع ريع الخشب وقدحين ، وذلك بغير حق وبلا طريق شرعى ، وأنه أخذ منه لمدة عشر سنوات فى كل شهر نصفين فضة بغير حق وبلا طريق شرعى ، ونظرا للغبن الذى وقع عليه لجأ إلى قاضى المحكمة لينصفه من هذا الرجل الذى أرسل إليه وسأله عن ذلك ، فأجاب بالإنكار فى وضع يده

(١) شايرول ، المرجع السابق ، ص١٩٤ .

(٢) وثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ ، سجل عام ١٠١٠هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، الشهر العقارى بالقاهرة .

على الربع والقدحين والاعتراف فى قبض الفضة فى كل شهر [١]. وهذه الوثيقة تشير إلى استغلال أولى النفوذ مراكزهم لفرض إتاوات على أرباب الحرف داخل هذا الحى، ومن ثم كان على الطحان أن يلجأ للقضاء لإنقاذه من هذا الرجل الذى استمر يمنحه النصفين مدة عشر سنوات خوفا منه .

كما كانت تتم بهذه المحكمة كتابة عقود الإيجار لمنشأة ما . ولإتمام هذا العمل كان المؤجر يحضر صحبة المستأجر ويمثلان بين يدى القاضى ، ويحددان أمامه المدة المقررة للإيجار وقيمته ومساحة المكان المؤجر ، وقد حفلت سجلات محكمة الزاهد بالكثير من هذه العقود التى تخص العديد من المنشآت مثل : المعاصر[٢]، والطواحين [٣] ، والمقاهى[٤]، والحمامات[٥] ، والمنازل [٦]،وغيرها . وإلى جانب الإيجار كانت عمليات البيع تتم كذلك داخل هذه المنشآت إلى جانب إجراءات الوقف وغيرها من الأمور.

بالإضافة إلى ذلك ، فإن عقود الزواج كان كذلك يتم إبرامها داخل هذه المحكمة ، حيث يحضر الزوج والزوجة أو وكيلها أمام الحاكم الممثل للمذهب الذى يتبعانه ويحدد أمامه قيمة الصداق من الذهب السلطاني أو من الفضة معاملة تاريخه بالديار المصرية ، وكذلك يحدد له قيمة مؤخر الصداق الذى كان يحل للزوجة بموت أو فراق ، كما كان يقرر الزوج أمام القاضى القيمة المادية التى كان يحددها لزوجته كل شهر بدلا من كسوتها، كما كان يتعهد أمام القاضى بعدة أمور إن فعلها كانت زوجته، وإن لم يف بها كان من حقها طلب الطلاق منه ، ومنها : إذا نقلها من مصر والقاهرة المحروستين إلى غيرهما من الجهات بغير رضاها [٧] أو تزوج عليها ، أو منع والدتها من الإقامة معها إذا اشترطت عليه ذلك قبل الدخول بها [٨] ، كل هذه الأمور كان يتم الحديث فيها أثناء مباشرة عقد الزواج داخل المحكمة .

أما عن مصاريف التقاضى ، فإن هذه المصاريف كانت منظمة بحيث كان قاضى العقد أو ممثلوه يحصّلون حوالى ٢,٥٪ من قيمة الأشياء موضوع النزاع ، لكنهم فى العادة كانوا يفرضون رسما أكبر ، وكان ذلك أمر بالغ السهولة لدرجة أنهم كانوا يحددون الرسوم

(١) وثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ ، سجل عام ١٠١٠هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٢) وثيقة ٢٠ ، ص٥ ، سجل عام ١٠١٠هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة.
(٣) وثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ ، سجل عام ١٠١٠ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة.
(٤) وثيقة ٢٨١٠ ، ص٧٤٤ ، سجل عام ١٠٣٤هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٥) وثيقة ٩٢٠ ، ص٢٧٧ ، سجل عام ١٠٣٨هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٦) وثيقة ١٣٨ ، ص٤٦ ، سجل عام ٩٩٤هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٧) وثيقة ٤٦٢ ، ص١٣٤ ، سجل عام ٩٨٢ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .
(٨) وثيقة ١٥٥ ، ص٤٤ ، سجل عام ٩٨١ هـ ، من سجلات محكمة الزاهد ، بالشهر العقارى بالقاهرة .

حسبما يتراءى لهم ، ومن هنا كانت مصاريف الدعاوى تصل فى بعض الأحيان إلى ٨٪ أو ١٠٪ بما فى ذلك أجور الكتبة والمترجم ، ولم يكن القاضى يتقاضى شيئا من الفقراء، ومن المبادئ التى شاعت بين القضاة آنذاك أن الفقير طرف له قداسته [(١)].

وعقب دخول الفرنسيين مصر أغلقت ـ لبعض الوقت ـ كثير من المحاكم الخاصة فى المدينة ، وتوقفت العلاقات المدنية ، ثم أعيد فتحها بعد عام واحد من وجود الفرنسيين بمصر ، وقد أغلقت محكمة أحمد الزاهد بعد سنة ١١٩٨هـ ، حيث أن هذا التاريخ هو الذى يحمله آخر سجل صدر من هذه المحكمة ، ويبدو أن اختصاصات المحكمة هذه قد نقلت إلى محكمة أخرى بعد هذا التاريخ .

ومن المظاهر الاجتماعية الأخرى التى سادت مصر عامة ، وشارك فيها الحى نظرا لما اشتمل عليه من طوائف الحرف التى كانت تشارك فى هذه الاحتفالات خاصة : الاحتفالات الدينية مثل : الاحتفال برؤية هلال شهر رمضان وخروج المحمل .

وهكذا يتبين لنا من دراسة هذا الفصل أن الحى قد قام بدور اجتماعى بالغ الأهمية تمثل فى :

- اشتماله على العديد من المنشآت التى قامت بمهمة التعليم ، وكذلك المنشآت التى انقطع فيها المتصوفة للعبادة .
- كذلك اشتمل الحى على العديد من الحمامات التى كانت تشارك فى حفلات الزواج والختان .
- كذلك ضم الحى فى العصر العثمانى سبيلا قام بمهمة التسبيل للإنسان والحيوان .
- كما ضم الحى العديد من المقاهى التى كانت بمثابة منتدى اجتماعى لأهل الحى بعد انقضاء يوم العمل .
- كان تعدد المقاهى فى هذا الحى دليلا على حرص منشئيها على زيادة الإقبال عليها من قبل أهل الحى .
- اشتمال الحى على محكمة يفسر كثرة الأمور القضائية المتعلقة بأهل هذا الحى على وجه الخصوص ؛ نظرا لما امتاز به من نشاط صناعى وتجارى .
- شاركت المحكمة فى إنهاء عقود الإيجار والشراء ، والبيع ، والوقف ، والزواج ، والفصل فى القضايا ، وغيرها من الأمور .

---

(١) شايرول ، المرجع السابق ، ص١٩٧ .

الباب الثالث

المنشآت المعمارية

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : منشأة سيدى مدين .

الفصل الثانى : منشأة أحمد العريان .

الفصل الثالث : الآثار الدارسة .

الفصل الأول

مسجد سيدى مدين

(رقم الأثر / ٨٢)

ترجمة المنشأة :

هذا المسجد أمرت بإنشائه الخوند [١] مغل بنت القاضى ناصر الدين محمد بن محمد ابن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم البارزى كاتم السر [٢] بالديار المصرية فى عهد الملك المؤيد شيخ ، ولدت فى رمضان سنة ثلاث وثمانمائة ، وكانت بديعة فى الجمال وتزوجها ابن الشهاب محمود ، لكنه مات قبل الدخول بها ، فتزوجها العلم داود بن الكويز بكرا على رغم من والدها لكون المؤيد هو الآمر بذلك[٣] ، وذلك في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠ م ،فلم تمكث معه طويلا حتى طلقت منه فى سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢م، فتزوجها الملك الظاهر جقمق [٤] ، وهو إذ ذاك أمير [٥] فى عهد الملك الأشرف برسباى وهى أول زوجاته ، وتزوج عليها فى سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م بالخوند نفيسة ابنة الأمير ناصر الدين بن الغار ، وظلت معه حتى تم طلاقها فى سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م بعد توليته حكم مصر بخمسة أعوام ، وتزوج بعدها بالخوند زينب بنت جرياش الكريمى ، وهى دون العشرين من عمرها ، وقد أنجبت منه ابنتين : خديجة ، وفاطمة ، تزوجت إحداهن بالأمير جانبك الظريف ، وتزوجت الأخرى بالأمير أزبك الأشرفى [٦] . وفى سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م مات أخو الخوند مغل كمال الدين محمد كاتب السر للسلطان جقمق ، وعاشت حتى أدركت من ملوك مصر بعد زوجها وابنه الملك المنصور عثمان والملك

---

(١) لفظ فارسى ، عرفته كذلك اللغة التركية ، وأصله « خداوند » ومعناه : السيد أو الأمير ، ويخاطب به الذكور والإناث ،وقد غلب استعماله فى العالم الإسلامى كلقب عام بمعنى:السيدة أو الأميرة ،وقد استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك كلقب من ألقاب النساء . وكان هذا اللقب يطلق على زوج السلطان أيضا .
انظر : د. حسن باشا : الألقاب الإسلامية ، ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢) شايرول ، المرجع السابق ، ص١٩٧ .

(٣) د. حسن قاسم : المزارات الإسلامية ، جـ٣ ، ص١٠١ .

(٤) لقب يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية .
انظر : د. حسن باشا ، المرجع السابق ، ص٤٩٦ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ، الجزء الثانى عشر ، المجلد السادس ، ص١٢٦ .

(٦) الأمير فى اللغة ذو الأمر والتسلط ، وهو لقب من ألقاب الوظائف التى استعملت كذلك كألقاب فخرية .
للاستزادة عن هذا اللقب ، انظر : د. حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص١٧٩ ــ ٢١٤ .

الأشرف أينال وابنه الملك المؤيد أحمد ، ثم الملك الظاهر خشقدم ، والظاهر بلباى والعادل تمربغا ، وماتت فى عصر الأشرف قايتباى فى ذى القعدة سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م ، عن ٧٣ سنة [١]، بعد أن حجت مرارا آخرها فى سنة إحدى وسبعين فى الركب الرجبى، وتصدقت فى الحرمين الشريفين بثلاثة آلاف دينار ، بل أرسلت فى مرض موتها صحبة الخواجا الشمسى بن الزمن ثلاثمائة دينار ليفرقها على فقرائها ، سوى ما فعلته من القرب فى حجها وأوصت بفعله بعد موتها ، وكذا زارت بيت المقدس ، كل ذلك مع متين الديانة والرياسة الوافرة[٢] ، وهى التى عمرت جامع الشيخ مدين موضوع الدراسة ، وأوقفت عليه أوقافا كثيرة ، وكانت دائما ناظرة إلى فعل الخير[٣] ، وماتت بعد أن ثكلت ابنتها فى يوم الثلاثاء الخامس من ذى القعدة سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وصلى عليها بحضور السلطان ومن دونه ، ودفنت بحوش (بتربة) أسلافها تجاه شباك قبة الإمام الشافعى ، وهى التربة المعروفة بالبكرية [٤] .

وقبل أن نترجم للشيخ مدين الأشمونى الذى ينسب إليه المسجد ، نشير أولا إلى أن الشيخ محمد بن عبد الدايم المدينى أحد علماء المالكية المتوفى سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م وهو ابن أخت الشيخ مدين ، كان هو الوسيط بين الخوند مغل هذه وبين خاله فى طلب إنشاء هذا الجامع ، وذلك بحكم صلته بابنة أخيها زينب بنت الكمال البارزى ، إذ كان فقيها لها ومعلما [٥] .

ترجمة الشيخ مدين :

هو مدين بن أحمد بن عبد الله بن على بن يونس الحميرى [٦] ،مغربى الأصل من بيت كبير معروف بالصلاح والعلم ، قدم جده عبد الله من المغرب الأوسط إلى مصر فاستقر بأشمون جريس من أعمال المنوفية ، التى ولد بها الشيخ مدين سنة٧٨١هـ/ ١٣٧٩م[٧] ، فحفظ القرآن الكريم وتفقه مالكيا كآبائه ، ثم سافر من أشمون إلى القاهرة فاجتمع بشيوخها وسمع عليهم فنونا من العلم ، وصحب الشيخ شمس الدين محمد الحنفى ولزم الشيخ أحمد الزاهد حتى مات ، فجلس بجامعه فترة من الزمن ، ثم انتقل منه إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن البكتمرى السند بسطى المتوفى سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م[٨]، وظل بها إلى أن بنيت له بجوارها زاوية هائلة فى الحسن والنضارة قلّ أن

(١) حسن قاسم ، المرجع السابق ، ص١٠١ . (٢) حسن قاسم ، المرجع السابق ، ص١٠٢ .
(٣) السخاوى ، المصدر السابق ، ص١٢٦ . (٤) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ٣، ص٧٠.
(٥ ، ٦) حسن قاسم ، المرجع نفسه ، ص١٠٢ .
(٧) السخاوى ، المصدر نفسه ، جـ١٠ ، المجلد الخامس ، ص١٥٠ .
(٨) السخاوى ، المصدر نفسه ، جـ١٠ ، المجلد الخامس ، ص١٥١.

ينى شيخ أو عالم نظيرها [١] ، وظل شيخنا مقيما بها مقصودا بالزيارة من الأمراء والعلماء والأعيان والأكابر وغيرهم الذين كانوا يأتون إليه للتبرك به ويهدونه الهدايا والتحف ، حتى أثرى وكثرت أملاكه وأراضيه وعظم الانتفاع به وبشفاعاته لمبادرة أرباب الدولة إلى قضاء مأربه حتى قل أن ترد له مسألة [٢] .

ومن جلة أصحابه الشيخ زين الدين عبادة بن على الأنصارى شيخ المالكية بالقاهرة المتوفى سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م ، والشيخ المؤرخ شمس الدين السخاوى الذى ذكر أنه اجتمع به كثيرا ، وتلقن منه الذكر [٣] .

وقد كان لآباء الشيخ مدين أضرحة مقصودة بالزيارة بالمنوفية ، أحدها لجده سيدى عبد الله بن على بن يونس (بطبلوها) ، والثانى لأبيه وجده بأشمون ، وخلفه بالزاوية التى بباب البحر ولده أبو السعود بن مدين بعد أن توفى شيخنا فى التاسع من ربيع الأول سنة اثنين وستين وثمانمائة [٤] .

وقد دفن له من أصحابه وأولاده بهذا المسجد جماعة منهم ولده أبو السعود وولده الآخر عبد القادر وابن أخته الشيخ محمد بن عبد الدايم المدينى أحد علماء المالكية الذى توفى سنة٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م وأم أبو السعود ابن الشيخ مدين ماتت سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م.

موقع المسجد وتاريخه :

يقع هذا المسجد بحارة سيدى مدين المتفرعة من حى باب البحر (الخراطين سابقا)، ومن حى الطنبلى .

أما عن تاريخ هذا المسجد ، فلا يوجد بداخله أو خارجه من النصوص الكتابية ما يشير إلى ذلك ، غير أن المؤرخ ابن إياس أورد لنا التاريخ الفعلى الذى تم فيه تشييد هذا المسجد ؛ حيث ذكر أن الخوند مغل أنشأت هذا المسجد برسم زاوية ومسجد جامع للصلاة فى سنة ٨٤٢ ـ ٨٤٣ هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩م [٥] . وعلى ذلك فالتاريخ الذى قررته

---

(١) حسن قاسم ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الواقع أن الشيخ مدين لم يكن هو المشيد لهذه الزاوية ، ولكن خوند مغل زوجة الظاهر جقمق ، ويبدو أن السخاوي لم يحط علما بذلك .

انظر : السخاوى ، المصدر نفسه ، ص١٥١ .

(٣ ، ٤) السخاوى المصدر نفسه ، ص١٥١ .

(٥) بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ٣ ، ص١٥٢ .

ويذكر الشعرانى فى طبقاته أن الشيخ مدين قد دفن بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوشى . انظر : عبد الوهاب الشعرانى : لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، بولاق ، ١٢٨٦هـ ، ص١٧٠.

أما السخاوى فيذكر أنه قد دفن بزاويته التى بباب البحر . وهو أقرب إلى الصواب . انظر : الضوء اللامع جـ١٢، ص١٥٢.

مصلحة الآثار عن هذا الجامع وهو ٨٧٥هـ/ ١٤٦٥م هو تاريخ خاطئ لا يستند إلى دليل.

الوصف المعمارى للمسجد
(لوحة ١ ـ ٢٦)

الواجهة الشمالية الغربية :

لهذا المسجد واجهة رئيسية شمالية غربية عرضها ٢٥,٥٠م ، تبدأ من الجهة الجنوبية الشرقية بمدخل معقود بعقد مدبب ، يؤدى إلى منطقة خربة ، من المحتمل أنها كانت مشغولة كحوش جنائزى دفن به مريدو الشيخ مدين ، هذا الباب يتوسط واجهة خاصة به، عرضها ٢,٧٥ ، وعرض باب الدخول ٩٦ سم ، وارتفاعه حاليا ١٢٥ سم ، يعلوه عتب مستقيم ارتفاعه ٥٨سم وعرضه ١١٥ سم ، يعلوه نفيس ثم عقد عاتق ارتفاعه ٦٨ سم . (انظر لوحة رقم ٦) .

وكذلك المسقط الأفقى للمسجد رقم (١) يغلق على هذا المدخل المعقود باب خشبى حديث ، ترتفع الأتربة والقاذورات إلى ما يقترب من منتصفه ، وكذلك خلف هذا الباب مما حال من التعرف على ارتفاع هذا المدخل الفعلى .

تمتد الواجهة بعد ذلك لتتكون منها كتلة المدخل الرئيسى ، وواجهة الضريح ، وواجهة الإيوان الشمالى الغربى .

١ ـ **كتلة المدخل :** عرض هذه الكتلة ٣,٩٥م ، وعمقها ١٢٨ سم ، يتكون من هذا العمق حجر المدخل ، الذى استغل فى بناء مكسلتين على الجانبين ، يقع فى نهاية الحجر فتحة الباب التى يبلغ عرضها ١,٢٧م وارتفاعها ٢,٣٥م ، يعلوها عتب مستقيم محمول على صفين من المقرنصات ، ارتفاعه ٤٤سم وطوله ١,٧٧م ، يحدده جفت لاعب يلتقى فى ميمة سداسية ، يعضد حجر المدخل شريط كانت تشغله كتابات لكنه الآن خالٍ من هذه الكتابات ، عرضه ٣٣سم (انظر : لوحة رقم ٧) .

يعلو العتب المستقيم الذى يحدد فتحة الباب من أعلى نفيس، ثم عقد عاتق من صنجات معشقة يعلوه نافذة مستطيلة برسم إضاءة دركاة المدخل، على جانبيها حشوتين زخرفيتين مشغولتين بالزخارف الهندسية المنحوتة فى الحجر بهيئة بارزة ، يعلو ذلك طاقية المدخل التى تبدو من الخارج بهيئة عقد مدائنى ثلاثى الفصوص يرتكز على خمسة صفوف من المقرنصات ذات دلايات ، يحدد هذا العقد المدائن جفت لاعب يلتقى فى قمة العقد فى ميمة دائرية ، أما طاقية المدخل ، فهى مزخرفة بزخارف حجرية تأخذ شكلا مروحيا مدهونة على النمط المشهر .

وقد بلغت المداخل حتى منتصف العصر الجركسى قمة تطورها، فقد كانت فى عصرى المماليك البحرية والجراكسة تمتلئ طاقيتها بالمقرنصات المتعددة الحطات ذات الدلايات مثلما فى مداخل مسجد يشتاك، وخانقاه شيخو، ومدرسة السلطان حسن، وظلت هذه المقرنصات على كثرتها بطاقية المدخل فى بداية عصر الجراكسة ، حيث ظهرت بمدخل مدرسة الظاهر برقوق ، ومدخل مسجد المؤيد شيخ [1] ، ومدخل مسجد سيدى مدين ٨٤٢ ـ ٨٤٣ هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩ م ثم ظهر بعد ذلك نمط جديد من المداخل فيه ترتكز طاقية المدخل على صف أو صفين من المقرنصات [2] وبالتدريج بدأ يظهر العقد المدائنى الخالى من المقرنصات كما فى عقد مدخل تربة أبناء السلطان قايتباى بالجبانة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م .

٢ ـ واجهة الضريح : تمتد هذه الواجهة ابتداء من نهاية كتلة المدخل الرئيسى للمنشأة مسافة قدرها ٧,٣٥م ، تتكون فى هذه الواجهة كتلة المئذنة التى تقع على يسار المدخل وهى كتلة مصمتة ترتفع بارتفاع الواجهة ، يبلغ عرضها ٢,٥٠م تلتحم من الداخل مع جدار القبة الضريحية ، وتسير هذه الواجهة بعد ذلك لتكون واجهة الضريح التى فتح بها دخلة جدارية عمقها ٢١سم٢ وعرضها ١,٨٣م٢ يتوسطها شباك عرضه ١,١٥م٢ غشيت فتحة الشباك بالمصبعات الحديدية المدهونة بدهان أخضر حديث .

يعلو النافذة عتب مستقيم من الصنجات المعشقة (انظر شكل ١٨ ، ولوحة ٣)، طول العتب ١,٥٥ م وارتفاعه ٦١سم ، هذا العتب على هيئة صنجات معشقة عبارة عن ورقة نباتية خماسية الفصوص ، يعلو هذا العتب المستقيم عقد عاتق يفصل بينهما نفيس خال من الزخارف ، يعلو الشباك من أعلى قندلية بسيطة عبارة عن نافذتن مستطيلتين معقودتين بعقد مدبب يعلوهما قمرية . تنتهى هذه الدخلة من أعلى بصدر مقرنص مكون من ثلاث حطات من المقرنصات ويبدو أن الواجهة كانت تنتهى بصف من الشراقات ، مثلها مثل غيرها من منشآت ذلك العصر، إلا أنها مفقودة جميعها.

٣ ـ واجهة الإيوان الشمالى الغربى : عرض هذا الجزء من الواجهة ١١,٢٠م٢ يتوسط الواجهة دخلة جدارية عرضها ٢,٠٦م٢ ، وعمقها ١٨سم ، يتوسطها فتحة شباك عرضها ١,٤٢م٢ ، يعلوه عتب مكون من صنجات معشقة على هيئة ورقة نباتية ثلاثية ، وهذا العتب يختلف عن العتب الذى بالشباك السابق الذى كانت صنجاته عبارة عن ورقة نباتية خماسية ، يغشى فتحة الشباك مصبعات حديدية تلتقى فى كرات صغيرة ، يعلو الشباك فى المستوى العلوى فتحة مستديرة يطلق عليها عين الثور ، ثم بعد ذلك صدر مقرنص مكون من ثلاث صفوف من المقرنصات .

---

(١) د. حسنى نويصر: منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، مخطوط ، رسالة دكتوراه، ١٩٧٥م، ص٧٣ .

(2) Ⓡ ≤ Ⓒ+ Wiet (G.) , et Hautcaur (S.),. Les mosques du Caire , p.317 - 18 .

الواجهة الشمالية الشرقية :

هذه الواجهة تهدمت الحجرات التى كانت بمثابة جدارها الشمالى الشرقى ، حيث كانت تحتوى هذه الواجهة على حجرة فتح بابها فى الإيوان الشمالى الغربى وحجرة أخرى على يسار السدلة الشمالية الشرقية من الداخل ،وحجرة أخرى على يمين السدلة الداخلية، لكن هذه الحجرات جميعها مفقودة ، والأبواب التى كانت تؤدى إليها مسدودة الآن. وقد استغلت بعض هذه الحجرات فى الدفن ، حيث دفن بها أولاد الشيخ مدين ، وغيرهم ، (المسقط الأفقى للمسجد شكل ٢١) .

الواجهة الجنوبية الشرقية :

هذه الواجهة يبدو واضحا بها الجداران اللذان يشكلان الحجرات التى على يمين ويسار المحراب والتى كان عددها اثنين فى كل جهة ، غير أن هذه الحجرات فقدت ولم يتبق منها سوى الجدارين التى تشير إلى أنها كانت موجودة .

كذلك يحتفظ المسقط الأفقى الذى رسمته لجنة حفظ الآثار العربية للمسجد ببعض الحجرات التى كانت تقع على يمين المحراب والتى يبدو من الرسم أنها كانت غير منتظمة الأضلاع ، ويبدو أنها كانت مخصصة لشيخ المدرسة ، أو المؤذن ومقيم الشعائر وحجرة أخرى تجاور المحراب كانت تشتمل على كتبية فى صدرها مما يجعلنا نعتقد أنها كانت للشيخ مدين نفسه . (انظر المسقط شكل ١٩) .

الواجهة الجنوبية الغربية :

هذه الواجهة مثلها مثل الواجهتين السابقتين ، فقدت الحجرات التى كانت تقع عليها، ويبدو بها الجدران التى كانت تشكل هذه الحجرات ، والتى كانت عبارة عن حجرتين صغيرتين تقعان فى الجدار الجنوبى الغربى من إيوان القبلة . أعطانا المسقط الأفقى الذى رسمته لجنة حفظ الآثار شكلا لها ، وكذلك اشتملت هذه الواجهة على الباب الذى كان يؤدى إلى الميضأة والذى كان يقع على يسار السدلة الجنوبية الغربية من الداخل . وقد سدت جميع هذه الفتحات الآن نظرا لفقدان الحجرات التى كانت تمنع من الوصول إلى داخل المسجد من خلال الفتحات التى كانت تؤدى إليها .

وبعد هذا الوصف المفصل لواجهات المنشأة نشير إلى أبرز العناصر المعمارية التى تضمها هذه الواجهات ، والتى تنحصر فى الواجهة الشمالية الغربية نظرا لبقائها بحالة جيدة من الحفظ .

ومن هذه العناصر :

الحنايا الرأسية :

تعد هذه الحنايا من الظواهر المعمارية التى يمتاز بها الفن الساسانى ، إلا أن استعمالها على العمائر كان يجاور بعضها البعض وتتوج من أعلاها بالعقود فى صفوف تعلو بعضها بعضا . وكان الغرض من تلك الحنايا زخرفيا أكثر منه إنشائيا [١] ، وبدأت تظهر هذه الدخلات فى العمارة المصرية فى العهد الفاطمى ، حيث نراها فى بوابات القاهرة الفاطمية، ثم فى جامع الأقمر ٥١٩هـ / ١١٢٥م ، ثم فى الصالح طلائع ، ثم شاع انتشارها بعد ذلك فى عمارة القاهرة الأيوبية ، فنراها فى واجهة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب بالنحاسين ، وانتقل هذا العنصر إلى عصر المماليك البحرية ، فظهر على مدخل مسجد الظاهر بيبرس ، وعلى واجهة مدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين ، وواجهة زاوية ابنه فرج المعروفة بالدهيشة بتحت الربع وواجهة مسجد المؤيد شيخ ، وخانقاه الأشرف برسباى بالصحراء[٢] ، وفى مسجد سيدى مدين بباب البحر[٣] ، واستمر هذا العنصر بعد ذلك فى العصر العثمانى .

الصنجات المعشقة :

عرفت الصنجات المعشقة فى العمارة الرومانية والعمارة البيزنطية ، وانتقلت منهما إلى العمارة الإسلامية ، وظهرت أقدم أمثلتها فى قصر الحير الشرقى ، وهو أبسط أشكال هذه المقرنصات ، وأقدم أمثلة هذه الظاهرة فى القاهرة حيث توجد فى أبواب القاهرة الفاطمية التى تنسب إلى أعمال بدر الجمالى[٤] .

وتطورت هذه الصنجات البسيطة التى ظهرت فى العصر الفاطمى إلى صنجات عديدة رائعة ومتطورة اختصت بها العمارة الإسلامية فى العصر المملوكى ، فنراها فى أعتاب الشبابيك التى بالواجهة الشمالية الغربية من منشأة سيدى مدين ، حيث استطاع المعمارى أن يجعل عتب أحد الشبابيك على هيئة ورقة نباتية ثلاثية متداخلة ، والشباك الآخر جعل عتبه على هيئة ورقة نباتية خماسية متداخلة . (انظر : لوحة رقم ١٥) .

---

(١) د. فريد شافعى : العمارة العربية فى عصر الولاة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص١٦٩ .

(٢) د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ص١١١ .

(٣) إلى جانب وظيفة هذه الدخلات الزخرفية فإن لها وظيفة إنشائية ، تبدأ من أسفل الجدار حتى قمته ، وهذا من شأنه تفادى الملك فى الأسطح الصماء للمبنى إلى جانب مقاومة الجدار لذاته ، بمعنى مقاومة ثقل ارتفاع الجدار.

(٤) د. فريد شافعى ، المرجع السابق ، ص٢٠٩ ـ ٢١١ .

المقرنصات :

وجدت المقرنصات فى منشأة سيدى مدين فى نهاية الحنايا الرأسية التى بالواجهة الشمالية الغربية ، وكذلك فى المئذنة أسفل الدورات التى ترتكز عليها . وهذا النوع من صفوف المقرنصات ذات الأحجام المختلفة من أهم ما تتجلى فيه موهبة المعماريين العرب والمسلمين . والتى يرجع الفضل فى ابتكارها وتطويرها إلى أولئك الفنانين من المهندسين والنحاتين الذين جعلوا منها إحدى المميزات الرئيسية ذات الروعة الخاصة للعمارة العربية الإسلامية [1]. وقد وجد هذا العنصر فى واجهة جامع الأقمر الفاطمى ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، يزين الحنايا من أعلى ، وظهر بعد ذلك فى العصر الأيوبى فى واجهة المدارس الصالحية ، وعم انتشاره بعد ذلك فى العصر المملوكى ، فنراه ممثلا فى جامع الشيخ مدين فى الواجهة والمئذنة .

حوش القبور :

كان هذا الحوش يطل على الحى بواسطة فتحة باب مقنطرة ، تؤدى إلى حوش القبور الذى ربما خصص لدفن مريدي الشيخ . وكذلك توجد فتحة باب أخرى تفتح على الدركاة تؤدى أيضا إلى حوش القبور المذكورة ، وقد وصلنا أخبار هذا الحوش من خلال تقارير زيارة الأثر المحفوظة بأرشيف هيئة الآثار ؛ حيث ورد فى أحد هذه التقارير التى بمثابة خطاب مواطن من أفراد الشعب ذكر فيه « . . . ملحقات المسجد التى هى عبارة عن أرض فضاء كانت مدافن لسيدى مدين كان عليها سور تم عمله بمعرفة لجنة حفظ الآثار لحماية هذه المنطقة من عدوان الأفراد » [2] . وبالفعل يتطابق كلام المواطن مع ما هو مثبت بالمسقط الأفقى للمسجد ؛ من حيث عزل هذه المنطقة عن بقية أجزاء المسجد ، واشتماله على مدخل خاص بها بالواجهة الشمالية الغربية .

وقد ظهر هذا العنصر منذ عهد السلطان برسباى ؛ فنجد أنه ترك مساحة فضاء خلف المصلى المشيد داخل خانقاته بالجبانة التى يعود تاريخها إلى سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣٢م يضم قبور أخيه وأقاربه ، ويتوصل إليه من باب بصدر الدركاة بالمدخل [3]، وتكرر هذا العنصر فى منشأة سيدى مدين حيث ألحق بالمسجد هذا الحوش الذى خصص له مدخلان: الأول بالطريق العام ، والآخر يفتح على الدركاة ، وذلك لدفن عتقاء الشيخ ومريديه . ثم تكرر هذا العنصر بعد ذلك فى منشأة قايتباى بجبانة المماليك ٨٧٧هـ / ١٤٧١م .

---

(١) د. فريد شافعى ، المرجع السابق ، ص٢٠٩ ـ ٢١١ .

(٢) ملف الأثر رقم ٨/ ١٥٠/ ٨٢ بأرشيف المجلس الأعلى للآثار ، تقرير ١٨/٢/١٩٥٩م .

(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، جـ٢ ، ص٢٢٧ .

المئذنة (لوحة ٦ ، ٧) :

تقع المئذنة على يسار المدخل الرئيسى للمنشأة ، ويتوصل إليها من الباب الأول الذى يقع على يمين الداخل من الدهليز المؤدى إلى دور قاعة المسجد ، وهذا الباب مسدود الآن، كان يؤدى إلى سلم يصعد منه إلى سطح الجامع الذى يتوصل منه إلى الباب الرئيسى للمئذنة والذى يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية منها ، وهى تبدأ بكتلة مربعة مصمتة تتحول إلى بدن مثمن عن طريق شطف الأركان ، وقد حددت منطقتى الشطف بجفت لاعب يحصر بينه حشوة مربعة محددة بجفت لاعب يلتقى فى ميمة دائرية ، يتحول البدن المربع إلى مثمن ، فتح فى أربع أضلاع منه فتحات مستطيلة تتقدمها مشطرفات ، وهذه الفتحات متوجة من أعلاها بعقود منكسرة ترتكز على أعمدة مدمجة .

أما الأضلاع الأربعة الأخرى فقد فتح بها مضاهيات كالسابقة تماما . وقد زخرفت الأجزاء السفلية من هذه المضاهيات بحشوات مربعة يبدو أنها قد زخرفت بالزخارف النباتية والهندسية ، غير أنها الآن مفقودة ، ينتهى البدن المثمن بشرفة أولى ترتكز على أربعة صفوف من المقرنصات ، وقد فقد درابزين هذه الشرفة الآن ، يتحول البدن المثمن بعد ذلك إلى بدن اسطوانى ينتهى بالشرفة الثانية التى فقدت درابزينها كذلك ، ثم يعلو ذلك بدن آخر قصير اسطوانى الشكل أيضا ينتهى بالقمة العثمانية التى على هيئة القلم الرصاص، وهى من إضافات ذلك العصر .

وقد شهد العصر المملوكى الجركسى تطورا معماريا وزخرفيا فى مآذن المنشآت الدينية، فمن حيث التكوين المعمارى غلب المسقط الدائرى على تصميم الطابق الثانى فى مآذن ذلك العصر ، وهذا ما نلحظه فى مئذنة سيدى مدين ، فضلا عن زيادة عدد حطات المقرنصات التى تحمل الدورات التى تحيط بطوابق المآذن ، بالإضافة إلى ذلك فإن البدن المثمن الذى غالبا ما كان يمثل الطابق الأول من المئذنة بعد القاعدة ، فكان يزدان بالعقود المنكسرة المحمولة على أعمدة مندمجة ، فضلا عن اشتمال هذا البدن على شبابيك فى أضلاع المثمن تؤدى إلى مشطرفات صغيرة [1] .وبالإضافة إلى المقرنصات والعقود المنكسرة والأعمدة المندمجة والمشطرفات كحليات معمارية ، نجد أن نحاتى هذا العصر قد برعوا فى تزيين المآذن بزخارف نباتية وهندسية ، بلغت درجة عالية من الرقى الزخرفى والتنوع فى أشكال العناصر ، ودقة تنفيذها وذلك فى حشوات مربعة أو مستطيلة فى أضلاع البدن المثمن ، وكذلك فى أشرطة زخرفية تفصل بين أبدان المئذنة المختلفة ، وقد

(1) Wiet (G.),. et Hautecaur (S.) Op . Cit ., p.320 .

خالفت مئذنة سيدى مدين بقية مآذن عصرها من حيث وضعها المكانى ، فهى تقع على يسار المدخل الرئيسى للمنشأة ، وربما يعود ذلك إلى محاولة المعمارى الابتعاد بالمئذنة عن جانب الواجهة الجنوبى الغربى الذى شغل بحوش القبور ، وتذكر دوريس أبو سيف أن هذه المئذنة بعد أن تم تركيبها ، بدأت تميل ، مما أفزع أهل الحى ؛ ولذلك قرر المهندسون ضرورة فكها ، ولكن الشيخ مدين ـ وفقا لرواية الشعرانى ـ حلت بركاته على المئذنة وتم اعتدالها[1] . وهى منذ ذلك الحين باقية كما هى[2] ، وقد حدث لها إضافات للقمة بعد فقدها فى العصر العثمانى التى تنتهى بهيئة القلم الرصاص .

دركاة الدخول ، والدهليز ، والمزيرة (لوحة ٨ ـ ١٤) :

يؤدى المدخل السابق وصفه إلى دركاة مستطيلة التخطيط ٣,٢٠ × ٢,٤٥م يتصدرها مصطبة ارتفاعها ٨٢ سم ، وعمقها ١م ، وعرضها ٢,٢٨م٢ ، يوجد على جانبى هذه المصطبة دخلتين ، اليمنى اتساعها ٦٠ سم وارتفاعها ١,٩٥م٢ واليسرى ارتفاعها ٢م وعرضها ٦٠ سم . يفتح على هذه الدركاة بابان الأيمن مقنطر اتساعه ١,٢٥م٢ وارتفاعه ٢,٤٥م٢ ، ويعلوه فتحة شباك مستطيلة .وهذا الباب كان يؤدى إلى (الحوش الجنائزى)، أما الباب الأيسر فهو يؤدى إلى الدهليز الذى يأخذ شكل حرف (ل) يفضى إلى الصحن . وبلغ اتساع الباب ١٢٥ سم ، وارتفاعه ٢,٥٠م٢ . أما الدهليز فيبلغ طوله ٣,٩٠ وعرضه ١,٣٠م٢ ، أما الضلع الآخر للدهليز ـ والذى يكون مع امتداده حرف (ل) ـ فهو عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها ٢,٣٨ × ١,٥٠م٢ ، على يمين الداخل من هذا الدهليز توجد فتحة باب كانت تؤدى إلى درج السلم الذى يصعد منه إلى المئذنة وسطح المسجد ، وهذه الفتحة مسدودة الآن تجاورها فتحة أخرى يغطيها قَبْو متقاطع ، تفتح على الدهليز فتحة باب اتساعها ١,٤٢م ، وعمقها ١,٦٤م٢ . ومن المعتقد أن هذه الفتحة قد استخدمت كمزيرة للمسجد ، ويبدو أن بابها الخارجى كان يغشيه حجاب من الخشب الخرط ، ولكنه مفقود الآن . ينتهى الدهليز بفتحة باب معقودة من الجهة الشمالية الشرقية ، يعلوها نافذة معقودة أيضا بعقد مدبب ، يؤدى هذا الباب إلى داخل المنشأة .

ومن العناصر المعمارية التى يضمها هذا الجزء : الدركاة ـ المدخل المنكسر ـ المزيرة.

---

(1) Abou seif (DORIS) ,. The Minarets of Cairo , American University, Cairo press,p . 132 .

(٢) وفقا لما أورده الشعرانى ، فإن اعتدال هذه المئذنة قد تم بعد أن ذهب إليها الشيخ مدين وأسند ظهره فى مكان ميل المئذنة ، فتم اعتدالها ، وهذه الرواية التى أوردها الشعرانى مبالغ فيها جدا ، ولا تخضع للمنطق السليم وهى من خرافات العصور الوسطى .

الدركاة [1] :

من أهم العناصر المكونة للمداخل إذ إنها تمثل حلقة الوصل بين التكوين الخارجى للمدخل وبين داخل المبنى فى كثير من المداخل ، ومن أقدم أمثلة الدركاوات توجد فى مدرسة زين الدين يوسف بحى القادرية ، وعادة ما تكون الدركاة مستطيلة أو مربعة ، يفتح على يمينها ويسارها مدخلان : أحدهما يؤدى إلى داخل المنشأة ، والآخر يؤدى إلى الملحقات أو إلى السلم الذى يصعد منه إلى سطح الجامع . وقد ظل هذا الوضع قائما طوال العصر المملوكى بشقيه البحرى والجركسى مع اختلافات قليلة مثل وجود مصطبة بصدر الدركاة ، كما فى منشأة سيدى مدين .

المدخل المنكسر :

يؤدى باب فتح بالجهة اليسرى من الدركاة إلى دهليز منكسر على هيئة حرف (ل) . وهذا الطراز من المداخل لازم النظام المدرسى المتعامد فى المنشآت المملوكة الدينية ذات الأغراض المتعددة ، ويرجع تأصيل هذا العنصر المعماري أنه انتقل إلى المنشآت الدينية من الدور وتخطيطها ، وأن أقدم مثال للمدخل المنكسر فى مصر والعالم الإسلامى يرجع إلى العصر الطولونى [2].

المزيرة[3] :

اشتمل الدهليز السابق على المزيرة والسلم الذى يصعد منه إلى المئذنة وسطح المنشأة.

وقد ألحق هذا العنصر المعمارى بالمنشأة لخدمة روادها من مريدى الشيخ وطلبته ، ولم يظهر هذا العنصر سوى فى العصر الجركسى ؛ حيث ضمه كثير من العمائر مثل مدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين ، ومسجد المؤيد الشيخ ، ومدرسة عبد الغنى الفخري بحى بور سعيد ، ومدرسة الأشرف برسباى بالنحاسين ، ومسجد سيدى مدين بباب البحر، ووجدت بعد ذلك فى المنشآت التى تلى منشأة سيدي مدين فى التاريخ مثل منشأة

---

(١) الدركاة : لفظ فارسى مركب من كلمتين : « در » بمعنى : باب ، و « كاة » بمعنى : محل ، وهى المساحة الصغيرة المربعة أو المستطيلة التى تلى باب الدخول إلى داخل المبنى .

انظر :سيف النصر أبو الفتوح :مداخل العمائر المملوكية،مخطوط رسالة ماجستير ،١٩٧٥م ،ص٨١.

(٢) راجع المساقط الأفقية للمنازل التى تم الكشف عنها بحفائر الفسطاط ، فى : على بهجت وألبير جبرائيل : حفائر الفسطاط ، القاهرة ، ١٩٢٨م ، د. فريد شافعى : العمارة العربية فى عصر الولاة ، د. كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، شكل ١٢٧ .

(٣) كان يطلق عليها المزملة ، والتى كانت تضم القدور من الفخار الذى يكسى أو يلف أو يزمل بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن ، وتوضع تلك القدور فى دخلة مبنية مستطيلة الشكل ذات حجاب من الخشب الخرط ، يرتفع لمنتصفها ، يتوسطه باب يؤدى إليها .

قجماس الأسحاقى والغورى[1] ، وتوجد المزملة فى هذه المنشآت على أحد جانبى الدهليز المؤدى للصحن أو الدور قاعة ، وقد زودها المعمار فى موضعها السابق بملقف هوائى يساعدها على تبريد المياه ، وهدا الملقف على هيئة فتحة شباك بأعلاها ، كما هو موجود بمنشأة سيدى مدين ، وهذا الملقف يساعد على تبريد الهواء المبرد للمياه [2] .

وغالبا ما كان يغشى المزملات عموما أحجبة من خشب الخرط المجمع يتخلله فتحات تساعد على دخول الهواء للمزملة ، مما يسبب تهويتها وتلطيف جوها الداخلى ، فتبرد قدور الماء بالتالى ، كما أن تلك الأحجبة لا ترتفع بارتفاع فتحة المزملة ، بل تصل لنصفها أو لثلثها فقط ، وهذا يساعد على اكتمال دورة الهواء وسرعة تبريد قدور الماء بها [3] ، يؤدى الدهليز الذى يحتوى على هذه المزملة إلى داخل منشأة سيدى مدين التى تتبع تخطيط المدارس المتعامدة .

ويعتمد هذا التخطيط على دور قاعة وسطى على ضلعيها الجنوبى الشرقى والشمال الغربى إيوانان هما أكبر إيوانات المنشأة ، وعلى الضلعين الآخرين سدلتان أصغر حجما من الإيوانين السابقين .

الدورقاعة :

عبارة عن مساحة مستطيلة التخطيط ١٠,٥م × ٦م ، تقوم على جدرانها الأربعة إيوانات المسجد ، حيث يشغل الضلع الجنوبى الشرقى إيوان القبلة ، والإيوان الشمالى الغربى فى الضلع المواجه ، والسدلة الجنوبية الغربية على الضلع الجنوبى الغربى ، والسدلة الأخرى على الضلع المواجه ، ترتفع إيوانات هذا المسجد عن أرضية الدور قاعة بمقدار ١٤ سم ، وأرضية هذه الدورقاعة من الحجر الكدان ، ومن المرجح أن تكون هذه الأرضية من تجديدات لجنة حفظ الآثار العربية ،وأن هناك ما يشير إلى أن المسجد كانت تزخرف أرضياته البلاطات الرخامية المنفذة بأسلوب (ضرب خيط) ، إذ هناك بقايا تؤكد ذلك يحتفظ بها الدهليز ، ودركاة المدخل .

أما سقف هذه الدورقاعة فهو سقف خشبى تتوسطه شخشيخة مثمنة الأضلاع (لوحة١٨) .

الإيوان الجنوبى الشرقى (انظر لوحة رقم ٢١) :

هذا الإيوان يفتح على الدورقاعة ببائكة من ثلاثة عقود مدببة ترتكز على عمودين لهما قواعد بسيطة وأبدان مستديرة رخامية ، وتيجان كأسية حددت العقود الثلاثة بجفت

---

(١) د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص٩٢ ، ١٥٢ .

(٢) د. مصطفى نجيب ، المرجع السابق ، ص١٥٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٥٣ .

يلتقى فى ميمة عند قمة ، يرتكز العقدان الجانبيان لهذا الإيوان على ثلاثة صفوف من المقرنصات ، ويبلغ اتساع العقد الشمالى الشرقى ٣,٠٣م٢ والأوسط ٢,٩٧م٢ والجنوبى الغربى ٣م٢ . أما عن مساحة هذا الإيوان فهى مستطيلة التخطيط ٤,٩٦م٢ × ١٠,٧٠م٢، له ثلاثة جدران : الأول وهو الجنوبى الشرقى ، ويمثل حائط القبلة ويتوسط المحراب الذى يبلغ عرضه ٢,٠٥م٢ ، موضوع داخل دخلة تنتهى من أعلى بعقد مدبب محاط من أعلى بجفت لاعب يلتقى فى ميمة دائرية . أما المحراب فيبلغ عمقه ٧٤ سم ينتهى من أعلى بعقد مدبب كانت تزخرف أحجاره زخرفة أطلق عليها الحجر المشهر ، ويعلوه من أعلى قمرية ذات زجاج معشق فى الجص .

يفتح علي يمين ويسار المحراب فتحات مسدودة الآن ، عددها أربع فتحات ، اثنان على يمين المحراب ، واثنان على يساره ، أما التى على يمينه فيبلغ ارتفاع كل منهما ٢,٠م٢ ،وعرضها ٨٨سم ،ويعلو كل منهما عتب مستقيم عرضه ١,٤٥م٢ ،يعلوه عقد عاتق تعلو كل فتحة من هذه الفتحات كانت تؤدى إلى حجرة صغيرة غير منتظمة الأضلاع من المحتمل ـ كما ذكرنا آنفا ـ أنها خصصت لإقامة شيخ المدرسة وبعض مريديه.

أما عن الفتحتين الأخريين فتقعان على يسار المحراب ، وجميع الفتحات المذكورة مسدودة الآن ، ويبدو أن هاتين الفتحتين كانتا تؤديان إلى حجرات مشابهة للحجرات التي على يمين المحراب ولكنها مفقودة الآن .

الجدار الشمالى الشرقى :

هذا الجدار أو الجدار المواجه له يمثلان عمق هذا الإيوان . وقد فتح فى هذا الجدار فتحتان: الأولى من الجهة الجنوبية الشرقية،ويبلغ اتساعها ٨٨سم،وارتفاعها ٢,٢٠م٢، والثانية المجاورة لها من الجهة الشمالية الغربية ، ويبلغ عرضها ٩٠ سم وارتفاعها ٢,٢٠م٢ يعلو كلا الفتحتين عتب مستقيم يعلوه عقد عاتق ثم نافذة جصية كالسابق وصفها، وهاتان الفتحتان من المحتمل أنهما فتحات أبواب خاصة بكتبيات المسجد ، إذ أن الجدار المواجه لهذا الجدار يحتوى على فتحات مماثلة مسدودة الآن ، ولكن المسقط الأفقى له يشتمل على مساحة هذه الفتحات ، مما يؤكد أنها استخدمت ككتبيات .

المنبر :

يقع على يمين المحراب ، وهذا المنبر من المنابر القديمة ، وإن كان قد جدد في فترات زمنية لاحقة (غير معلومة) ، وهو يتكون من مقدم عرضه ٧٥سم ، وارتفاعه ٢,٢٢م٢ وطول ريشتى المنبر ١,٩٥م٢ ، يعلو كل منهما درابزين ارتفاعه ٤٠ سم ، ويزخرف ريشتى المنبر أطباق نجمية ، تمثل أسلوب العصر المملوكى ، يجاور ريشة المنبر الشمالية

الشرقية باب الروضة الذى يبلغ ارتفاعه ٨٧ × ٨٠ سم ، يعلو باب الروضة زخرفة نباتية فى حشوة مستطيلة طولها ٤٩ سم وعرضها ٢٢ سم ، يعلو هذه الحشوة جنب جلسة الخطيب المزخرفة بالطبق النجمى وأنصافه ، أما الدرابزين فقد زخرف بالخشب الخرط البلدى الذى حصر فى حشوات مربعة عددها حشوتان وحشوتان مثلثتان فى الجوانب يفصل بينهما حشوات مستطيلة طولية خالية من الزخارف ، يؤدى باب المقدم إلى مجموعة من الدرج ، يصعد من خلالها إلى جلسة الخطيب التى يعلوها قمة على هيئة القلة تنتهى بهلال .

الإيوان الشمالى الغربى (انظر لوحات : ٢٥ ، ٢٦) :

يفتح هذا الإيوان على الدورقاعة بواسطة بائكة من ثلاثة عقود أيضا ، ترتكز عقود البائكة على عمودين من الرخام ، كل عمود ذو بدن مستدير له قاعدة بسيطة وتاج ناقوسى ترتكز أطراف العقدين الشمالى الشرقي ، والجنوبي الغربى على ثلاثة صفوف من المقرنصات . وتبلغ مساحة هذا الإيوان ٣,٤٥م٢ × ١٠,٥٠م٢ له ثلاثة جدران الجدار الشمالى الغربى فتح به نافذة تتوسط الإيوان ، ترتفع عن أرضية الإيوان بمقدار ٧٤ سم ، ويبلغ اتساعها ١,٤٢م٢ لها عقد نصف دائرى يعلوه قمرية من أعلى (عين الثور) تشبه التى تعلو قمة المحراب فى الإيوان المواجه . هذا الشباك هو الذى يتوسط واجهة هذا الإيوان من الخارج ، علي يمين ويسار الشباك توجد دخلتان ، اليمنى اتساعها ٨٠ سم ، وارتفاعها ١,٧٠م٢ وعمقها ٣٠سم ، ترتفع عن سطح الأرض بمقدار ٤٦ سم تتشابه معها الدخلة الثانية التى تقع على يسار الشباك وقد استغلت هاتين الدخلتين ككتبيات خاصة بهذا الإيوان .

الجدار الشمالى الشرقى :

فتح بهذا الجدار فتحة باب عرضها ٩٤ سم ، وارتفاعها ٢,٢٥م٢ يعلوها عتب مستقيم عرضه ١,١٥م٢ يعلوه عقد عاتق ، تعلوه نافذة مستطيلة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، وقد سد هذا الباب الآن ، وقد كان هذا الباب يؤدى إلى غرفة مستطيلة التخطيط تتوسطها تركيبة خصصت لدفن أحد أبناء الشيخ مدين أو مريديه ، ولهذه الحجرة نافذة تطل على الواجهة الشمالية الشرقية لكن هذه الحجرة هدمت ولم يتبق منها سوى أجزاء من الجدران .

الجدار الجنوبى الغربى :

يتوسط هذا الجدار باب يشبه الباب المواجه له فى الجدار الشمالى الشرقى فى ارتفاعه وعرضه ، وما يعلوه من عقود مستقيمة عاتقة ، ونافذة جصية مستطيلة ، وهذا الباب

يؤدى إلى القبة الضريحية الخاصة بالشيخ مدين الأشمونى .

والقبة من الداخل عبارة عن مساحة مربعة التخطيط تقريبا طول ضلعها ٣,١٠م٢ ، فتح فى جدارها الشمالى الغربى فتحة شباك تشبه النافذة التى بالإيوان الشمالى الغربى التى يفتح عليها باب هذه القبة . وهذه النافذة ذات عقد مدبب تعلوه قندلية بسيطة موضوعة داخل فتحة مستطيلة داخلية ذات عقد مدبب ، يقابل هذه القندلية فى الجدار المقابل (الجنوبى الشرقى) نافذة أخرى ذات عقد مدبب خالية من أية مصاريع أو مصبعات ، أرضية القبة تركيبة مستطيلة عليها غطاء من القماش الأخضر كتب عليه اسم الشيخ مدين الأشمونى ، أما سقف هذه القبة والذى نعنى به القبة ذاتها ، فقد الآن يغطيها سقف خشبى حديث من تجديدات لجنة حفظ الآثار ، وللأسف الشديد لم أعثر على ما يفيد شكل القبة قبل سقوطها وضياع معالمها .

السدلة الشمالية الشرقية :

تفتح هذه السدلة على الدورقاعة بواسطة عقد مدبب ممتد الأرجل اتساعه ٢,٤٥م٢، ويبلغ عمق هذه السدلة ٢,٥٣م٢ ، ترتكز أرجل العقد الخاص بهذه السدلة على ثلاثة صفوف من المقرنصات ، على جانبى العقد من أعلى فتحات شبابيك مستطيلة موضوعة داخل حنايا بسيطة يتوّجُها من أعلى عقود منكسرة مملوءة بالمقرنصات ترتكز على أعمدة مدمجة ، وهذه النوافذ تعلو فتحات الأبواب التى أسفلها ، والتى كانت تؤدي إلى حجرات على يمين ويسار السدلة من أسفل ، وهذه الفتحات اتساع اليمنى منها ١,٢٢م٢ وارتفاعها ٣,٢٢م٢ ، يعلوها فتحة الشباك السابق ذكرها ، أما فتحة الباب الثانية - والتى على يسار هذه السدلة - كانت تؤدى إلى غرفة مستطيلة التخطيط تجاور الغرفة التى تماثلها والتى فتحت فى جدار الإيوان الشمالى الغربى من الجهة الشمالية الشرقية نافذة فتحت فى الواجهة الشمالية الشرقية للمسجد ، ويبدو أنه كان يتوسط هذه الغرفة تركيبة مستطيلة أيضا . ويبدو أنها خصصت لدفن أحد مريدى الشيخ أو أولاده أو أحد أفراد أسرته .

أما الباب الذى يقع على يمين السدلة فإنه على ما يبدو كان يؤدى إلى غرفة مماثلة، خاصة وأن هناك فى الواجهة الشمالية الشرقية لاتزال أربطة الجدران المشكلة لهذه الغرفة باقية مما يؤكد هذا الاحتمال ، ولم تثبت هذه الغرفة على المسقط الأفقى الخاص بهذا المسجد مما يدل على أنها مفقودة من زمن بعيد .

أما داخل السدلة فيتصدر جدارها الشمالى الشرقى كتبيتين ترتفع كلتاهما عن سطح الأرض بمقدار ٧٥ سم ، ويبلغ عرض كل كتبية ٨٨ سم وارتفاعها ٢,٢٢م٢ ، يحدد كل كتبية من أعلى عتب مستقيم يعلوه عقد عاتق ، ويعلو كل كتبية فى المستوى العلوى نافذة جصية ذات عقد مدبب .

السدلة الجنوبية الغربية :

تتشابه هذه السدلة من حيث الاتساع والعمق والكتبيات التى تتصدرها والعقود المنكسرة التى تعلو النوافذ التى على يمين ويسار العقد المدبب، وكذلك فتحات الأبواب التى على يمين ويسار السدلة ، مع السدلة التى تواجهها ، غير أن الاختلاف يتضح فى فتحات الأبواب ، فالباب الأيمن وهو الذى ينتهى به الدهليز المؤدى إلى دورقاعة المسجد ، أما الباب الأيسر فكان يفتح على دهليز منكسر يؤدى إلى بيوت الخلاء والميضأة الخاصة بالمسجد ، غير أن هذا الباب مسدود الآن والدهليز الخاص بالميضأة مفقودة كذلك ، إلى جانب أن الميضأة قد فقدت هى الأخرى ولم يتبق لنا من كل ذلك سوى المسقط الذى رسمته لنا اللجنة لتحتفظ لنا بما كانت عليه هذه المنشأة من عناصر معمارية مميزة .

الميضأة :

كانت تقع الميضأة الخاصة بالمسجد فى الجهة الجنوبية الشرقية منه خلف جدار المحراب، ويفصل بينها وبين الحوش الجنائزى جدار ، وهذه الميضأة يتوصل إليها من داخل المنشأة من الباب الذى يقع على يسار السدلة الجنوبية الغربية ، وقد كانت تتكون من ثمانية بيوت خلاء ومغطس يتقدم بيوت الخلاء الميضأة ، وكانت عبارة عن مساحة مربعة محاطة بثلاثة جدران من الجهات الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية . وأما الجهة الشمالية الغربية فكانت مفتوحة للدخول منها إلى الميضأة ، إلى جانب ذلك اشتملت المنشأة على ساقية وحوض خزان مياه ومغطس ، وقد وقع على هذه الساقية مهمة إمداد المغطس والميضأة وبيوت الخلاء باحتياجاتهم من المياه ، وقد احتوت المنشأة على مغطس كضرورة ملحة يخدم القائمين بهذا الحمام وهو أمر ضرورى حرص المعمار على إيجاده بداخل المنشأة .

أسقف المنشأة :

سقفت جميع إيوانات هذه المنشأة بأسقف خشبية بعضها جددته لجنة حفظ الآثار والبعض الآخر خاصة إيوان القبلة لازال يحتفظ ببعض لمسات من الألوان التى كانت تزينه، وهو سقف خشبى مقام على براطيم خشبية تحصر فيما بينها مربعات تزدان بأشكال أطباق نجمية وعناصر نباتية ، وقد قام الباحث بعمل مشروع لإعادة ما ضمه سقف هذا الإيوان من عناصر زخرفية (انظر: الرسم التوضيحى لهذا السقف، شكل ٢٢) وفى سبيل إتمامى لهذا العمل عملت على تتبع الآثار الباقية من ألوان السقف واستطعت أن أكون منها شكلا زخرفيا متكاملا كان يزين جميع المربعات المحصورة بين البراطيم ، ومن ثم قمت بعمل هذا المشروع لإعادة سقف هذا الإيوان إلى ما كان عليه، أما بقية أسقف المسجد فهى مجددة ، وإن كانت هناك أجزاء من سقف الإيوان الشمالى الغربى تحتفظ ببقايا خفيفة من الألوان التى كانت تزينها .

الإصلاحات التى تمت بالمسجد :

قامت لجنة حفظ الآثار العربية فى ٢٩/ ٤/ ١٩٤٧م بسد جميع فتحات المسجد الجانبية وعددها ١٣ فتحة ، متصلة كل منها اتصالا مباشرا بأماكن خربة تحيط بالمسجد ويسهل الوصول إليها دون عناء ، ومنها يدخلون إلى المسجد ، ومن ثم تم سد هذه الفتحات لعزل المسجد عن الخرابات المحيطة به .

وفى ٣٠/٨/١٩٤٧م تمت معاينة طاقية الباب بمسجد سيدى مدين فوجد أنها تحتاج فقط إلى عملية كحل لحاماتها ، وتمت هذه العملية بمصاريف لا تتعدى العشرة جنيهات بعد أن وافقت عليها إدارة حفظ الآثار العربية .

وفى ٤/٢/١٩٥٢م رفعت لجنة حفظ الآثار العربية إلى إدارة الأوقاف هذا التقرير الذى يتضمن عدة طلبات للمسجد منها: تبليط الطرقة أمام الباب ،وعمل بلاط حجازى، وشخشيخة بالصحن ، وبلاط معصرانى فى إيوانات المسجد .

وقد قامت الإدارة بالرد على لجنة حفظ الآثار العربية فى ٢١/٧/١٩٥٢م حيث ذكرت أن تفتيش ثالث أوقاف أبلغها بكتابه رقم ٥٥٣ بتاريخ ٥/٥/١٩٥٢م بأن حضرة مهندس المبانى قد اتحد مع حضرة مندوب الإدارة فى المعاينة ، واتضح أن الأعمال اللازمة هى :

تبليط صحن المسجد والدخلة ومدخل المسجد بالبلاط الحجازى ، بعد قطع الأتربة بسمك ٥٠سم ، وأيضا الإيوانات والدخلات بها بالبلاط المعصرانى ، بعد قطع الأتربة سمك ٣٠ سم ، وعمل شخشيخة بفتحة السقف حيث لا يوجد بها شخشيخة ، وقد تم التنفيذ فى ٢/١/١٩٥٣م بتكاليف قدرها ٢٣٠ جنيه .

وفى ٥/ ١٠/ ١٩٥٢م قامت إدارة حفظ الآثار العربية بمعاينة مدخل مسجد سيدى مدين ، واتضح من المعاينة أن أرضية المسجد الأصلية منخفضة بمقدار ٨٠ سم تقريبا عن منسوب بلاط الحارة ، وهذا المدخل مردوم بأتربة بمستوى أرضية الحارة ،ويلزم إزالة الردم الموجود بالمدخل وعمل درج سلم للوصول إلى المسجد ، مع ملاحظة عمل طروفية حجر مرتفعة بمقدار ٥سم عن أرضية بلاط الحارة لمنع تسرب مياه الأمطار إلى المسجد .

كذلك قامت لجنة حفظ الآثار العربية بتقوية جدران المسجد وتجديدها خاصة واجهة الإيوان الشمالى الغربى ، وأثبت التاريخ الذى نفذت فيه هذا العمل وهو ١٣٥٨هـ على أحد أحجار الواجهة الشمالية الغربية .

ويمكن أن نفهم من كل هذه الإجراءات مدى العناية الفائقة التى وجهت إلى هذا الأثر الهام ؛ نظرا لما يمثله هذا الضريح من أهمية وقدسية عند معظم أبناء الحى ، ومن ثم

عملت اللجنة على إعادة الأثر إلى سابق عهده ، لكن المسجد بعد هذه العناية الفائقة دب فى أوصاله الخراب بفعل المياه الجوفية التى تكاد تغرقه فى الوقت الحاضر ، وقد تعاون أهل الحى فيما بينهم وقاموا بشراء موتور لشفط المياه الطافية على أرضية المسجد وسحبها إلى خارج المسجد ، والحق أن هذا الأثر يجب أن توجه إليه يد الإصلاح من قبل المجلس الأعلى للآثار ؛ نظرا لما يمثله الأثر من أهمية لدى أبناء الحى ، وكذلك أهميته المعمارية بالنسبة لغيره من آثار الفترة المملوكية الجركسية .

العناصر المعمارية التى تضمها المنشأة من الداخل :

تشتمل المنشأة من الداخل على العناصر الآتية :

١ ـ التخطيط العام للمنشأة .

٢ ـ الدورقاعة .

٣ ـ السدلات .

٤ ـ العقود : وتنقسم إلى :

أ ـ عقود مدببة .

ب ـ عقود منكسرة .

جـ ـ عقود نصف دائرية .

٥ ـ الأعمدة المندمجة .

٦ ـ الأسقف .

٧ ـ الأبواب .

٨ ـ القبة الضريحية .

٩ ـ الزخارف .

أولا : التخطيط العام للمنشأة :

تتبع منشأة سيدى مدين فى تخطيطها تخطيط المدارس التى بدأت مصر تعرفها منذ العصر الأيوبى [١] ، والقائم نظامها على صحن مكشوف تدور حوله الإيوانات المختلفة

---

(١) تناول الأستاذ الدكتور : أحمد فكرى نشأة المدارس فى مصر والنظريات التى قيلت فى شأنها فى كتابه: مساجد القاهرة ومدارسها فى العصر الأيوبى، وكذلك الأستاذ الدكتور : حسن الباشا فى بحث له عن «دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد » . ألقى بتونس سنة ١٩٨٧م، وكذلك الدكتور حسنى نويصر فى رسالته للدكتوراه : من منشآت السلطان قايتباى الدينية (مخطوط) سنة ١٩٧٥م ، والدكتور مصطفى نجيب : منشأة الأمير قرقماس أمير كبير . مخطوط . رسالة دكتوراه . كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥م.

للمدرسة .

وقد بدأ تخطيط المدرسة المصرية بصحن مكشوف على جانبيه إيوانين كما فى مدرسة الحديث الكاملية بحى المعز لدين الله الفاطمى ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م (١) .

وتلا هذه المرحلة، مرحلة أخرى ظهرت بعد تشييد هذه المدرسة بنحو تسعة عشر عاما فى عهد الصالح نجم الدين أيوب إذ نرى تكراراً لشكل المدرسة ذات الإيوانين مع وجود فاصل بينهما ، وهذه المرحلة هى التى سيعتمد عليها تخطيط المدرسة الرباعية بعد ذلك ، ويتضح هذا الطراز فى مجموعة المدارس الصالحية بحى المعز أيضا ٦٤١هـ / ١٢٤٣م(٢).

وفى عصر دولة المماليك البحرية تطورت هذه المدارس لتصبح ذات أربعة إيوانات(٣).

وظهر ذلك جليا فى مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (٦٦٠ ـ ٦٦٢هـ / ١٢٦٢ ـ ١٢٦٤م) حيث اشتمل تخطيطها على صحن أوسط مكشوف تتعامد عليه أربعة إيوانات ، وقد اندثرت إيوانات هذه المدرسة الآن ، ولم يبق منها سوى جزء ملاصق لقبة الصالح نجم الدين أيوب (٤) .

وتلا ذلك ظهور أول مدرسة ذات أربعة إيوانات خصص كل إيوان منها لمذهب من المذاهب الأربعة ، وهى المدرسة الناصرية التى تقع بحى المعز إلى جوار مدرسة برقوق ، والتى يعود تاريخها إلى (٦٩٥ ـ ٧٠٣ هـ) (٥) .

وقد ظهر بعد ذلك هذا التخطيط ليعم جميع منشآت العصر البحرى ، فنرى هذا التخطيط فى مدرسة زين الدين يوسف بحى القادرية بجوار قرافة الإمام الشافعى ٦٩٧هـ/١٢٩٨م ، ومدرسة صرغتمش بالصليبة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٠م ، ثم اكتمل هذا التخطيط ونضج بصورة كاملة ودقيقة فى مدرسة السلطان حسن بالقلعة ٧٥٧هـ ، ومدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠هـ/١٣٦٨م ، ثم أخيرا فى مدرسة الجاى اليوسفى بسوق السلاح ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م .

---

(١) د. حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص٢ .

(٢) ويرجع أصل هذا التخطيط إلى المنازل والدور الطولونية والفاطمية التى حُولت إلى مدارس فى العصر الأيوبى. انظر : د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص١٨ .

(٣) انظر : معجم المصطلحات برقم (١).

(٤) رغم اشتمال هذه المدرسة على أربعة إيوانات إلا أن التدريس بها قد اقتصر على مذهبين فقط هما : المذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى ، فى الإيوان الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى ، إلى جانب تدريس الحديث بالإيوان الجنوبى الشرقى وقراءة القرآن على القراءات السبع بالإيوان الشمالى الغربى .
انظر : Creswell , (K.A.C),The Muslim Architecture of Egypt, Vol., II,p.127.

(5) Creswell, (K.A.C), Orgiin of The Cruciform Plan of Cairene Madrasas,p.43.

وقد ظهر بشأن التخطيط المتعامد عدة آراء تحاول تأصيله ، فمن هذه الآراء : رأى المستشرق ROSS الذى يذكر أن هناك اعتقادا بأن المدرسة ذات الأربعة إيوانات فى مصر اقتبست من العمارة السورية إلا أن هذا الرأى خاطئ ؛ لأن المدارس السورية لم يظهر بها التخطيط المتعامد إلا بعد سنة ١٣٢٠م فى حين ظهرت المدارس المصرية المتعامدة قبل سنة ١٢٦٣م حين أنشأ الظاهر بيبرس مدرسته المتعامدة بحى بين القصرين[١] .

كما حاول بعض المستشرقين أن يطلقوا على هذا التخطيط اسم التخطيط الصليبى نسبة إلى تخطيط الكنيسة ذات الصليب الإغريقى ، إلا أن هذه النظرية غير سليمة؛ لأن تطورات المدرسة رباعية المذاهب لم تنشأ مرة واحدة كما أوضحنا ، وإنما بتوالى العصور ، وكذا بتعدد أنواع المذاهب الموجودة بداخلها ، إلى جانب أن التخطيط الإسلامى لا يحتوى مطلقا على شكل الصليب ؛ لأن عروض الإيوانات ليست مساوية فى جميع الحالات ، إلا فيما ندر ، لأضلاع الصحن الذى تفتح عليه ، بخلاف الصليب الموجود فى مسقط الكنائس من هذا النوع [٢] ، كما أن هرتس بك قد أرجع هذا التخطيط إلى أنه مستمد من بلاد الفرس [٣].

ومهما كان الأمر فقد استمر هذا التخطيط طيلة العصر البحرى ، ومنتصف العصر الجركسى ينفذ على مساحات كبيرة من الأرض ، حيث نراه فى مدرسة برقوق ٧٨٨هـ/ ١٣٨٥م ومدرسة جمال الدين الاستادار ٨١١هـ/١٤٠٨م ومدرسة القاضى عبد الباسط ٨٢٣هـ/ ١٤٢٧م ومدرسة الأشرف برسباى بالنحاسين ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م .

وبعد ذلك شهد العصر الجركسى مولد نمط جديد فى تصميم المنشآت الدينية اختلف اختلافا جوهريا عن بقية الطراز التى عرفناها فى المنشآت الدينية فى مصر الإسلامية ، ظهر أول ما ظهر فى زاوية الأبناسى بباب البحر التى يعود تاريخها إلى ما قبل ٧٩٦هـ[٤]، ثم ظهر بعد ذلك فى جامع فيروز الساقى ٨٣٠هـ/١٤٢٦م بدرب سعادة ، ثم جامع الأشرف برسباى بجبانة المماليك ٨٣٥ هـ / ١٤٣١م ، ثم مسجد سيدى مدين بباب البحر ٨٤٢ ،٨٤٣هـ / ١٤٣٨، ١٤٣٩م ،ثم جامع تميم الرصافى بالسيدة زينب ٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م ، وأخيرا جامع جانم البهلوان بالسروجية ٨٨٣ ـ ٩١٦هـ / ١٤٧٨ ـ ١٥١٠م .

وجوهر هذا النظام طرقة تمتد بطول البناء بضلعيها الجنوبى الشرقى والشمالى الغربى إيوانان يفتحان عليها بواسطة بائكة من عدة عقود ،أما سقف الطرقة فإما أن يكون مرتفعا

(١) د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص١٨ .

(٢) د. فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر فى عصر الولاة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص٢٥٢ ـ ٢٥٥ .

(٣) مكس هرتس ، محاضر لجنة حفظ الآثار العربية ، ١٩٠٤م ، المجموعة الحادية والعشرون ، ص١٠٢ .

(٤) انظر : الفصل الثالث من هذا الباب .

عن بقية أسقف الإيوانات بكامله على شكل المجاز القاطع فى المساجد ، وإما أن يتوسطه شخشيخة (١) ، مثلما هو عليه الحال فى مسجد سيدى مدين (٢). وقد اشتملت منشأة سيدى مدين إلى جانب الإيوانين الرئيسين على سدلتين أخريين فى الضلعين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى ، وهى بذلك تجمع بين نمط المساجد ونمط المدارس .

وقد نتج عن تصغير حجم الإيوانين الجانبين وتغطية الصحن عدة أمور منها:

١ ـ قصر التدريس فى ذلك العصر على مذهبين فقط ، ومن ثم وجه المعمار اهتمامه بالإيوانين الرئيسين فى المنشأة ، وأهمل الإيوانات الجانبية .

٢ ـ اختفاء عنصر الميضأة الذى كان يتوسط الصحن فى المنشآت التى تعود للعصر البحرى.

٣ ـ تصغير حجم الزخارف التى تغطى أرضية الصحن.

وعلى الرغم من أن تخطيط منشأة سيدى مدين يتبع نفس تخطيط المدرسة إلا أن المهمة التى شيدت من أجلها قد نص عليها أمر الإنشاء الذى أصدرته خوند مغل زوجة الظاهر جقمق وهو « ينشأ برسم مسجد وزاوية »(٣).

وعلى هذا يتبين لنا أن استخدام المنشأة لتخطيط المدرسة أصبح لا يتحتم معه قيامها بالمهمة الفعلية للمدرسة ، بل إن تلك الوظيفة كادت تهمل لتطغى عليها مهمة المسجد الذى كان من مهامه أيضا إلقاء الدروس على الطلبة الدارسين ، وكذلك على المريدين للشيخ ، وعلى الرغم من عدم ذكر هذه المهام فى النصوص التاريخية ، وعلى الرغم من وضوح التصميم المدرسى لهذه المنشأة إلا أنها لم تستخدم كمدارس العصر البحرى بغرض الدراسة والتحصيل ، وإنما اكتفى منه بالتصميم. ومن الناحية العملية كانت تقوم بمهمة المسجد (٤) وإقامة شيخ المسجد بداخلها لتعليم مريديه وطلابه ، وعلى هذا فإن هذا الطراز فى تشييد المساجد قد تطور عن تصميم المدرسة (٥) .

---

(١) مختار الكسبانى : جامع الأمير تمراز الأحمدى ، (مخطوط) رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص١١٨ .

(٢) يرى المرحوم حسن عبد الوهاب أن هذا التصميم جاء إلى مصر فى العصر العثمانى ، وكان أول ظهوره فى جامع المحمودية بميدان القلعة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م ، ثم شاع بعد ذلك فى عمائر ذلك العصر ، إلا أننا أثبتنا عكس ذلك ؛ إذ احتوى الحى ـ موضوع الدراسة ـ على أقدم مثل لهذا النمط المعمارى .

انظر : حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ ، ص٢٩٦ ، و Wiet , (G.) ,. et Hautecur (S.) ,.Op . Cit . p.310 .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ٣ ، ص٧٠ .

(٤) د. مصطفى نجيب : نظرة جديدة ، ص٩ ـ ٣٠ .

(٥) د . حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص١٢٨ .

ثانيا : الدورقاعة [1] (شكل ٢٠) :

ظهر عنصر الدورقاعة فى العمارة الدينية فى القرن الخامس عشر فى منشآت العصر الجركسى عندما صغرت مساحة الصحن ،وقد أطلقت عليها الوثائق لفظ: دورقاعة، نتيجة التشابه الواضح بينها وبين دورقاعات البيوت الإسلامية ،واستمر استخدامها فى عمائر النصف الثانى من العصر الجركسى ، والتى أطلق عليها عمائر النظام المعدل مع اختلافات طفيفة ، كأن تغطى بسقف يتوسطه شخشيخة كما فى جوهر اللالا ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م ، وجامع سيدى مدين ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م ، أو تغطى بسقف بدون شخشيخة أو تكون مكشوفة ولها سحابة ، كما فى مدرسة تغرى بردى بالصليبة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م [2] .

ثالثا : الإيوانات الجانبية (السدلات) :

عرفت الإيوانات فى مصطلح العمارة بأنها المساحة المستطيلة التى تحاط بثلاثة جدران من جهاتها الثلاث ، أما الجهة الرابعة منها فتكون مفتوحة بكامل اتساعها على الصحن أو الدورقاعة ، وقد عرفت الإيوانات قبل الإسلام فى العمارة الساسانية ، وكانت من التقاليد المعمارية المتوارثة عند الإيرانيين ، والتى دخلت كعنصر معمارى فى تصميم المدرسة الإسلامية [3] .

وقد أطلقت وثائق العصر الجركسى على هذه الإيوانات اسم سدلات [4] اعترافا منها بصغر حجمها الذى لا يرقى إلى مساحة الإيوان ، وقد كانت الإيوانات قبل العصر الجركسى تغطى بأقبية ، أما فى النظام المتطور فقد حدث تغير فى أسقف الإيوانات ؛ إذ سقف بأسقف خشبية خاصة إيوان القبلة حيث إن التغطية الخشبية تتناسب مع شكل مسقط الإيوان المستطيل الموازى لجدار القبلة .

رابعا : العقود داخل المنشأة :

اشتملت المنشأة من الداخل على ثلاثة أنواع من العقود :

١ ـ العقود المنكسرة .

٢ ـ العقود المدببة .

---

(١) انظر : معجم المصطلحات برقم (١٩) .

(٢) مختار الكسبانى ، المرجع السابق ، ص١٨٣ .

(٣) د. فريد شافعى،المرجع السابق،ص١٥٩،ود. حسن الباشا: دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى،ص١٦ . وكذلك انظر : حسن عبد الوهاب : المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، مجلة المجلة ، العدد ٢٧، مارس ١٩٥٩م ، ص٣١ .

(٤) انظر : معجم المصطلحات برقم (١٠) .

٣ ـ العقود العاتقة .

أولا : العقود المنكسرة : ويظهر هذا العقد فى منشأة سيدى مدين فى الدخلات الأربعة التى تزين جدران السدلتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية فى المستوى العلوى على يمين ويسار العقد المدبب الممتد الأرجل الخاص بكل سدلة . وقد ظهر هذا العقد المنكسر لأول مرة فى العمارة الإسلامية الباقية بمصر فى واجهة الأروقة الأربعة المحمولة على عقود ذات زوايا منكسرة والمطلة على صحن الجامع الأزهر ، والتى ترجع إلى عمارة الخليفة الحافظ لدين الله (٥٤٤هـ / ١١٤٩م) [١] ، ومن المرجح أن هذا العقد المنكسر جاء بتأثير المغرب الإسلامى ، وظهر هذا النوع من العقود المنكسرة بعد ذلك فى واجهة المدارس الصالحية[٢] كميزة انفرد بها هذا العصر ، حيث ملئ هذا العقد بالمقرنصات ، وشاع بعد ذلك فى عمائر العصر المملوكى حيث ظهر فى البدن المثمن لكل من مئذنتى مدرسة السلطان حسن ، وتميز العقد المنكسر فى منشأة سيدى مدين بأنه من النوع المتطور ذى الفصوص (المقرنصات) وهذا الطراز من العقود المنكسرة ذات الفصوص هو أحد سمات العمارة الأيوبية فى مصر كما ذكرنا .

ثانيا : العقود المدببة : وتنقسم إلى عقود مدببة غير ممتدة ، وعقود مدببة ممتدة ، وتتضح الأولى فى عقود البائكتين اللتين تطلان على الدورقاعة فى كلا الإيوانين ، وكذلك فى العقد الخاص بالمحراب ، أما النوع الثانى فيتضح فى عقود السدلتين : الجنوبية الغربية ، والشمالية الشرقية ، ويتضح من التوسع فى استخدام هذا العقد فى تلك المنشأة أنه كان أكثر العقود صلاحية لمستلزمات الإنشاء ، حيث كان أوسع نسبيا وأكثر قابلية للتنفيذ ، فضلا عن أنه أكثر تحملا لما يعلوه من أسقف ومبان ، وهذه المميزات جعلت العقد المدبب أحد خصائص العمارة الإسلامية ومعلم هام من معالمها المعمارية [٣] .

وقد عرف المسلمون هذا العقد المدبب عندما فتحوا الشام وفارس ثم انتقل من فارس إلى العراق ، وذلك بفضل إقبال المسلمين على هذا العنصر المعمارى والتوسع فى استخدامه بمنشآتهم وعمائرهم ، وقد ظهر أول استخدام لهذا العقد المدبب فى الجامع الأموى بدمشق ٩٦هـ/ ٧١٤م ، ثم فى تغطية فتحات مآخذ المياه بأسفل بئر مقياس النيل بالروضة زمن الخليفة العباسى المتوكل ٢٤٢هـ / ٨٥٥م ، ثم ظهر بعد ذلك فى مسجد أحمد بن طولون ٢٦١هـ/ ٨٧٦ م ، غير أن هذا العقد المدبب انتشر انتشارا واسعا بعد

---

(١) سوسن سليمان : منشأة قجماس الإسحاقى ، مخطوط ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص٢١٣ .

(2) Creswell (K.A.C) , Muslim Architecture . Vol . II . p .123 .

(٣) سوسن سليمان ، المرجع السابق ، ص٢٠٦ ، ٢٠٧ .

ذلك فى عمائر المماليك البحرية والجركسية ، وتعتبر منشأة سيدى مدين ـ التى تعود للعصر الجركسى ـ خير نموذج يضم هذا العنصر المعمارى بخصائصه الإسلامية وشكله المميز (١) .

ثالثا : العقود العاتقة : اشتملت منشأة سيدى مدين على العديد من هذه العقود حيث وجدت تعلو فتحات الأبواب التى يضمها إيوان القبلة ، وكذلك الإيوان المواجه ، وأيضا تعلو فتحات النوافذ والكتبيات كما فى السدلتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية.

وقد استخدم هذا النوع من العقود فى العمارة الكلاسيكية الرومانية والعمارة الرومانسكية ، وقد أدرجت صنجة وعشقت لتصبح أكثر أداء لوظيفتها ، وهو يقوم بدور هام ، حيث يعتق العتب من الثقل الواقع عليه ويوزعه على جوانب الأكتاف ، وقد عرف فى العمارة الإسلامية بمصر فى جميع العصور تقريبا ، وتكاد لا تخلو منشأة منه(٢).

خامسا : الأعمدة المدمجة :

إلى جانب الأعمدة التى تحمل عقود البائكتين ـ (انظر : تكوين العمود المعمارى ، شكل ٢١) فقد اشتملت منشأة سيدى مدين على العديد من الأعمدة المدمجة ، خاصة فى بدن المئذنة المثمن ، وأيضا فى الدخلات التى على يمين ويسار عقد السدلتين من أعلى، حيث كانت تحمل العقود المنكسرة .

وقد استعملت هذه الأعمدة بغرض الزخرفة فقط ، ومن أقدم أمثلة استخدامها فى مئذنة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين ، ومئذنة مسجد الأمير حسين ، ومئذنة الظاهر برقوق ، ومئذنة مسجد أحمد الزاهد بباب البحر ، ومئذنتى المؤيد شيخ بباب زويلة (٣)، ومئذنة سيدى مدين بباب البحر إلى جانب وجودها بالأماكن التى أوضحناها .

سادسا : الأسقف بالمنشأة :

اشتملت منشأة سيدى مدين على نوعين من الأسقف : أسقف خشبية مسطحة غطى بها إيوان القبلة ، والإيوان المواجه له ، وكذلك السدلتين .

وسقف آخر حجرى ، عبارة عن قبو متقاطع غطيت به المزيرة التى على يمين الداخل من الدهليز إلى المنشأة .

أ ـ الأسقف الخشبية المسطحة : عرفت الأسقف الخشبية فى مصر منذ بداية الإسلام، فسقف بها جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع أحمد بن طولون ، وظهرت كذلك

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٠٧ .

(٢) سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية ، ص٦٣ .

(٣) د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص٢٨٢ .

فى العصر الفاطمى إلى جانب الأسقف الأخرى ، واستمرت فى العصر الأيوبى ، وإن كان استخدامها قليلا نتيجة شيوع استخدام الأقبية الطولية فى التغطية إلى جانب القباب . وبمجىء العصر المملوكى نجد أن معمارى هذا العصر قد تمثلوا كل فنون السابقين وأخرجوا لنا أشكالا عديدة للسقوف التى عرفت فيما قبل مع إتقان وبراعة فنية وهندسية . فأنتجت فى ذلك العصر العديد من أنواع الأسقف الخشبية ، ما يهمنا منها النوع المقام على براطيم خشبية، تحصر فيما بينها طبابى وتماسيح وهو السقف الخاص بإيوان القبلة لمسجد سيدى مدين ، وكذلك الإيوان المواجه ، أما السدلتين فيبدو أن سقفهما مجدد وكذلك سقف الدورقاعة والدركاة .

وقد ظهر هذا النوع من الأسقف فى العصر المملوكى البحرى فى منشأة الأمير شيخو الناصرى بالصليبة ، وفى مدرسة صرغتمش بالصليبة أيضا . وقد أطلق على هذا النوع من السقوف فى مصطلح ذلك العصر : سقف معرق بالذهب واللازورد[1] . (انظر : الرسم التصورى لما كان عليه سقف هذا الإيوان ، شكل ٢١) .

ب ـ القبو المتقاطع : وقد استعمل هذا النوع من الأسقف فى تغطية المزيرة الموجودة بالمنشأة ، وقد بدأ استعمال هذه الأسقف فى العصر الفاطمى ، حيث نراه مستعملا فى أبواب القاهرة الفاطمية ، وكذلك فى منشآت العصر الأيوبى حيث استعمل فى بوابات أسوار القلعة ، وشاع بعد ذلك استخدامه فى العصر البحرى والجركسى ، واستعمل إلى جانب القبو المتقاطع القبة أيضا فى تغطية مساحة القبة الضريحية المربعة ، ولكنها للأسف الشديد مفقودة الآن .

سابعًا : الأبواب فى داخل المنشأة :

تشتمل منشأة سيدى مدين على نوعين من الأبواب :

النوع الأول : ويعرف باسم الباب المربع[2]، وهو الباب الذى يعلوه عتب أو عقد مستقيم سواء من صنجات معشقة أو على هيئة كتلة حجرية واحدة . وهذا النوع من الأبواب يتمثل فى جميع الأبواب التى يضمها إيوان القبلة ، والإيوان المواجه .

أما النوع الثانى : والمعروف باسم الأبواب المقنطرة[3] ، أى التى ليس لها عتب مستقيم ، بل لها عقود أيا كان شكلها ، ويوجد هذا النوع فى الباب الذى يفتح على دورقاعة المسجد ، والذى يوجد فى نهاية الدهليز .

(١) د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص٨٦ ، ٨٧ .
(٢) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢) .
(٣) انظر : معجم المصطلحات برقم (١٥).

ثامنًا : القبة الضريحية :

اشتمل المسجد على ضريح خاص بالشيخ مدين الأشمونى تم تشييده بالإيوان الشمالى الغربى ، وهى ظاهرة تتكرر للمرة الثانية؛ إذ وجدت قبل ذلك فى مدرسة الأمير صرغتمش بالخطيرى وكانت قبل ذلك القباب تلحق بجوار الإيوان الجنوبى الشرقى أو خلفه ، مثل قبة مدرسة السلطان حسن ، ولعل السبب فى ذلك راجع إلى أن هذا الإيوان يمثل خارجة الواجهة الرئيسة للمنشأة ، ومن ثم حرص المعمارى على إيجاد القبة الضريحية فى جدار الإيوان الجنوبى الغربى لتطل على الطريق العام فيتمتع بدعاء المارين، كذلك وجد فى مواجهة هذا الضلع من الإيوان حجرة أخرى (انظر : المسقط الأفقى) خصصت لدفن أفراد أسرة الشيخ مدين ومريديه .

وإذا ما حاولنا تتبع هذه الظاهرة فإننا نجد أن أقدم قبر فى الإسلام هو قبر الرسول الملحق بمسجده بالمدينة المنورة ، وفى العصر الأيوبى ألحقت بالمدارس قباب دفن خاصة بأصحابها ، من أمثلتها الباقية : القبة الملحقة بمدرسة الصالح نجم الدين أيوب ، وفى عصر المماليك زادت العناية بإنشاء القباب الملحقة بالمساجد والمدارس ، من أمثلتها قبة المنصور قلاوون بالنحاسين ، وقبة السلطان حسن الملحقة بمدرسته بميدان القلعة، وأصبح عنصر القبة ملازما للمدارس والمساجد فى عصر المماليك الجراكسة، وخير دليل على ذلك ما تبقى من آثار هذا العصر مثل: مدرسة برقوق بالنحاسين ومسجد جانى بك بالمغربلين[1]، ومسجد سيدى مدين بباب البحر، وللأسف الشديد فإن القبة التى كانت تغطى هذه المساحة قد فقدت، وقامت لجنة حفظ الآثار العربية بتغطية المساحة بسقف خشبى ، ولم أجد ذكرا لهذه القبة فى كراسات اللجنة مما يؤكد سقوطها فى فترة زمنية بعيدة عن عمل اللجنة .

تاسعًا : الزخارف :

تنقسم الزخارف فى مسجد سيدى مدين إلى زخارف نباتية ، وزخارف هندسية .

أما الزخارف النباتية : فقد مثلت الورقة النباتية الثلاثية والخماسية على هيئة صنجات معشقة أعلى الشباكين الكائنين بالواجهة الشمالية الغربية ، ولم يكن استعمال الزخارف النباتية قاصرا على العصر الجركسى فقط ، وإنما عرفت هذه الزخارف كعنصر هام من عناصر الفن الإسلامى فى جميع العصور تقريبا .

وأما الزخارف الهندسية : فتتمثل فى الأطباق النجمية التى تزين ريشتى المنبر

(١) د. حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص٦٨ .

وأشكال المعينات التى تعلو فتحة باب المدخل الرئيس للمنشأة على يمين ويسار الشباك الصغير الذى ينير دركاة الدخول ، وكذلك أشكال المربعات والمثلثات والمعينات التى نفذت على هيئتها بالأرضية الرخامية للدهليز، ودركاة المدخل (انظر: لوحات ٢٣ ، ٢٧ ـ ٣٠).

أما فيما يتعلق بالطبق النجمى [١]، فقد عرفته مصر فى زخرفة الأخشاب منذ العصر الفاطمى ، ويتضح ذلك فى محراب خشبى منقول من مشهد السيدة رقية بمتحف الفن الإسلامى ظهرت فى زخرفته بداية الطبق النجمى ، وهو مؤرخ بـ ٥٤٦ ـ ٥٥٥هـ ، ومنذ هذا التاريخ تطورت الزخارف على الأخشاب فى العصر الأيوبى والمملوكى ، وظهر الطبق النجمى بأشكال معقدة متعددة [٢]، منها تلك التى نفذت على ريشتى منبر الشيخ مدين .

أما الأشكال الهندسية التى منها المثلث والمربع والمستطيل والمعين ، والتى اشتملت عليها زخارف أرضية الدهليز والدركاة ، كلها نفذت قبل ذلك العصر فى عمائر السابقين ، مثل: جامع السلطان بيبرس البندقدارى ومدرسة السلطان قلاوون ، والسلطان حسن والسلطان برقوق والمؤيد شيخ ، وقد أطلق على تنفيذ الزخارف الهندسية فى أرضيات المسجد : (ضرب خيط صغير) ، وهو مصطلح وثائقى يدل على مدى الدقة فى تنفيذ الزخارف بواسطة استعمال خيط يقسم المساحات إلى الأشكال الهندسية المطلوبة .

وإذ أختتم هذا الفصل أشير إلى أهم النتائج التى توصل إليها البحث :

١ ـ أوضح البحث أن هذه المنشأة يعود تاريخها إلى سنة ٨٤٢، ٨٤٣هـ / ١٤٣٨، ١٤٣٩م استنادا على نص أورده ابن إياس فى الجزء الثالث من كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» . وعلى هذا يتبين لنا خطأ المصلحة فى تحديد تاريخ التشييد .

٢ ـ اشتمل الجامع على مجموعة حجرات خاصة بإقامة الشيخ وطلبته ، منها إيوان القبلة ، والمسدودة الآن حيث توجد بواجهات المسجد الخارجية أربطة طائرة لهذه الحجرات، والتى بلغ عددها ثمانى حجرات ، وهى ظاهرة جديدة من نوعها .

---

(١) يتكون الطبق النجمى من تسعة عناصر أساسية لا يخلو منها تكوينه ، وقد اصطلح على تسمية هذه العناصر عند أهل الصنعة ورجال الفن بالترس ، وهى القطعة المركزية فى الطبق النجمى ، والكندة: وهى قطعة من خمسة أضلاع ، منها اثنان تكون الزاوية بينهما حادة ، واللوزة : وهى قطعة تشبه المعين وتوجد بين الكندات، وبيت الغراب : وهى قطعة على شكل مثلث يتعامد عليه مثلث متساوى الساقين ، والنرجسية: وهى مقطعة على شكل تجريدى لزهرة النرجس ، والمخموس ، والسقط ، وغطاء السقط .

انظر : عبد اللطيف إبراهيم : جلدة مصحف بدار الكتب ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ٢ ، جـ١ ، مايو ١٩٥٨م ، ص٩٧ .

(٢) عبد الرءوف على يوسف: الأخشاب ،مقال بكتاب: القاهرة تاريخها، فنونها وآثارها ،ص٣٦٠ ، شكل ٥٨ .

٣ ـ يتبع تخطيط المسجد طرازا جديدا فى تخطيطات المساجد الجركسية ، ظهر أول ما ظهر فى هذا الحى موضوع البحث .

٤ ـ اشتمل المسجد على حوش جنائزى إلى جانب حجرتين للدفن إحداهما خاصة بالشيخ مدين ، والأخرى ربما خصصت لأولاده .

٥ ـ اشتمل المسجد على مجموعة من العناصر الزخرفية والمعمارية كلها تمثل الأسلوب الذى ساد عمائر العصر الجركسى .

٦ ـ على الرغم من أن المسجد يتبع طراز المدارس إلا أنه استعمل كمسجد وزاوية للشيخ مدين خصصت للصلاة وإلقائه الدروس على مريديه .

الفصل الثانى

مسجد أحمد العريان

(رقم الأثر / ٦٠٠)

ترجمة المنشئ :

هو الأستاذ الشيخ أحمد بن حسن النشرتى الشهير بالعريان . كان من أرباب الأحوال والكرامات ، وُلد فى بداية القرن الثانى عشر الهجرى ، وكان فى بداية عمره يمتاز بالذاكرة القوية ، ثم غلب عليه السكر فأدركه المحو ، وكانت له فى بدايته أمور غريبة، فكان كل من دخل عليه زائرا يضربه بالجريدة ، وكان ملازما للحج فى كل سنة ويذهب إلى موالد سيدى أحمد البدوى المعتادة .

وعلى الرغم من ذيوع صيت هذا الشيخ إلا أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وإذا قرأ قارئ بين يديه وغلط يقول له : قف ، فإنك غلطت ، وكان مَلْبس هذا الشيخ يتسم بالخشونة ؛ حيث كان يلبس جبة صوف وعمامة صوف حمراء يلفها فوق لبدة من الصوف أيضا ، ويركب بغلة سريعة العدو ، وملبسه كان دائما على هذه الصفة شتاء وصيفا ، وكان شهير الذكر ، يعتقده الخاصة والعامة وتأتى الأمراء والأعيان لزيارته والتبرك به ، ويأخذ منهم دراهم كثيرة ينفقها على الفقراء المجتمعين عليه .

وقد أنشأ مسجده تجاه مسجد الشيخ أحمد الزاهد بجوار منزله وبنى بجواره صهريجا، وعمل لنفسه مَدْفنا وكذلك لأهله وأقاربه وأتباعه ، واتحد به الشيخ العروسى واختص به اختصاصا زائدا فكان لا يفارقه سفرا ولا حضرا ، فزوجه إحدى بناته وهى أم أولاده ، وبشره بمشيخة الجامع الأزهر والرئاسة فعادت عليه بركته وتحققت بشارته ، وتوفى رحمه الله فى منتصف ربيع الأول سنة ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن بقبته التى شيدها مدمجة بمسجده [1].

الشيخ العروسى :

هو الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسى الشافعى الأزهرى ، وقد

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، مطبعة الأنوار المحمدية ، جـ١ ، ص٤٧٨ ، وسعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٥ ، ص٢٩٧ .

عرف بالعروسى نسبة إلى بلدة منية عروس[1] التى ولد بها سنة ١١٣٣هـ / ١٧١١م ، وظل بها حتى شب عن الطوق وتعلم القراءة والكتابة فى كتاتيبها المختلفة ، ثم وصل إلى القاهرة ليلتحق بالجامع الأزهر ، فسمع على الشيخ أحمد الملوى الصحيح بالمشهد الحسينى، وعلى الشيخ عبد الله الشبراوى الصحيح والجلالين ، وعلى السيد البليدى البيضاوى فى مدرسة الأشرف برسباى[2] ، وتلقى بقية الفنون على يد الشيخ على الصعيدى ، فلازمه السنين العديدة ، وكان معيدا لدروسه ، وسمع عليه الصحيح بجامع مرزا ببولاق [3] ، وسمع على الشيخ ابن الطيب الشمائل، وحضر دروس الشيخ والد الجبرتى ، فأخذ عنه ، وقرأ عليه فى الرياضيات والجبر والمقابلة ، وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكرى ، ولازمه كثيرا ، واجتمع بعد ذلك على ولى عصره الشيخ أحمد العريان ، فأحبه ولازمه ، واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته كما سبق وأن ذكرنا، وقد تحققت نبوءة الشيخ العريان ، فقد تولى الشيخ أحمد العروسى مشيخة الجامع الأزهر بعد أن توفى شيخه أحمد الدمنهورى ، واستمر شيخا للجامع يدرس ويعيد ويملى ويفيد ، ومن صفاته أنه كان رقيق الطباع ، مليح الأوضاع ، لطيفا مهذبا ، إذا تحدث نفث الدر ، وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر [4] .

وقد أنجب الشيخ أحمد العروسى السيدة فاطمة العروسية التى توفيت ليلة الخميس سابع عشر رجب سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م ودفنت بمقابر السادة العروسية التى تقع بالجهة الجنوبية الغربية من المسجد ، وابنه الشيخ محمد العروسى الذى تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٣٣هـ وتوفى سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م ، وابنه الشيخ مصطفى باشا العروسى الذى تولى المشيخة سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٢م ، واستمر بها حتى توفى فى جمادى الأولى ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م وهو أول شيخ يعين للأزهر من الشافعية برتبة باشا ويلقب بصاحب السعادة والفضيلة معا[5].

---

(١) جاء فى القاموس الجغرافى أن منية عروس اسمها الصحيح : منيل عروس ، وهى من القرى القديمة التابعة لمركز أشمون جريسى من أعمال المنوفية ، وهى تقع على فرع رشيد فى مقابل ناحية القطا الواقعة جنوب بنى سلامة على بعد ساعة من القناطر الخيرية .

انظر : د. سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص٢٩٧ ، و محمد رمزى : القاموس الجغرافى .

(٢) أنشأ هذه المدرسة السلطان الأشرف برسباى بحى المعز لدين الله فيما بين السيوفية وقيسارية العنبر ، وقد أقميت بها الجمعة سنة ٨٢٧ هـ .

(٣) أنشأ هذا الجامع الأمير مصطفى جوربجى ميرزا سنة ١١٢٠هـ ، ويتكون من صحن مفروش بالرخام تحيط به من جهاته الأربع أربعة إيوانات لتدريس المذاهب السنية الأربعة.

انظر : سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ٥ ، ص٢٩٤ .

(٤) الجبرتى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٧٧ .

(٥) حسن قاسم : المزارات الإسلامية ، جـ٥ ، ص١٢٧ ، ١٢٨ .

موقع المسجد:

يقع مسجد أحمد العريان داخل حى باب البحر فى مواجهة جامع الولى العابد الشيخ أحمد الزاهد بسكة سوق الزلط ، وهو عبارة عن مجمع دينى متكامل يضم المسجد والسبيل والكتاب والقبة الضريحية والمدافن والمنزل الذى درست معالمه الآن ولم يتبق منه سوى صورة الواجهة التى قامت بنشرها لجنة حفظ الآثار العربية [1]. وهذا المنزل ينسب إلى الشيخ العروسى ، ومن المحتمل أن يكون قد قطنه بعد أن توفى منشئه الشيخ أحمد العريان ، وهذه المجموعة الدينية تذكرنا بالمجموعات الدينية المملوكية التى كان تشييدها أمرا مألوفا فى ذلك العصر . وتطل هذه المجموعة بواجهة شمالية وشرقية على حى الشيخ العروسى والذى كان يسمى قبل ذلك سكة سوق الزلط .

ويشتمل الحديث عن هذا المسجد عنصرين أساسيين :

الأول : الوصف المعمارى للمسجد (انظر لوحة ٢٧ ـ ٥٢) :

لهذا المسجد واجهة رئيسة هى الشمالية الشرقية ،أما الواجهات الأخرى فهى ملتحمة بالمنشآت المجاورة . ويمكن تقسيم هذه الواجهة إلى خمسة أقسام تمتد بمسافة ٢١,٥٠م ، وهذه الأقسام هى :

١ ـ كتلة الدخول للميضأة .

٢ ـ كتلة المدخل الرئيسى للمسجد .

٣ ـ واجهة المسجد .

٤ ـ واجهة الضريح .

٥ ـ واجهة السبيل والكتاب .

أولا : كتلة الدخول للميضأة :

هذه الكتلة تجاور كتلة الدخول إلى المسجد من جهته الشمالية الغربية ، وهى عبارة عن واجهة ارتفاعها ٤,٤٠م،يتوسطها باب الدخول إلى الميضأة والملاحق الخاصة بالمنشأة، ويبلغ عرض هذا الباب ٢,٢٠م وارتفاعه ٢,٨٥م ، يحدد الباب من أعلى جفت لاعب يلتقى فى أشكال ميمات سداسية الأضلاع ، ويغلق على فتحة الباب مصراع خشبى مقسم إلى أشكال مستطيلة ، يعلوه شراعة مستطيلة بعرض الباب ، يغشاها أرماح خشبية طولية.

---

(١) رأت اللجنة أن واجهة المنزل من الواجهات الأثرية القيمة والتى ينبغى الحفاظ عليها ، وذلك بعد أن تهدم معظم المنزل ، وقامت بالتقاط صورة لها ضمنتها التقرير الصادر عنها فى عام ١٩٢٦ م .

انظر: Comite de Conservation de Monements de L'Art Arabe , Comptes Rendus: dl'exercies pl . II .

يؤدى الباب السابق إلى دهليز مكشوف طوله ٢,٧٥م يرتد جهة الجنوب الشرقى مسافة ١,٥٠م ، ثم يسير الجدار الجنوبى الشرقى مسافة ٩,٣٥م ، ثم ينكسر بعدها مسافة ٢م ، ويسير بعد ذلك مسافة ٢,٥٠م .

أما الجدار الشمالى الغربى فيسير مسافة ٩,٦٠م ، يرتد بعدها مسافة ٥٠سم ، ثم يسير بطول ٤,٧٠م ، حتى ينتهى الجداران إلى كتفين يمثلان فتحة باب الدخول إلى الميضأة (انظر : المسقط الأفقى الخاص بالميضأة ، شكل ٣) ، يؤدى هذا الباب إلى بيوت الخلاء والميضأة . ويتصدر الباب السابق سلم يصعد من خلاله إلى غرفة كبيرة تحتل المسافة التى من أسفل المدافن التى خصصت لعائلة العروسى ، وهى الآن يشغلها أحد التجار القاطنين بالحى فى وضع بضاعته بها .

والداخل من الباب سالف الذكر يجد جهة اليمين ـ بعد سيره مسافة ٧,٣٥م ـ بيوت الخلاء ، وعددها سبعة ، يتقدمها ممر يواجه سورا غير مرتفع يفصل بين هذه البيوت وبين الميضأة التى تقع جهة الجنوب الغربى من بيوت الخلاء ، فى مواجهة السور الفاصل يوجد سلم عدد درجه ثمانى درجات ، يؤدى هذا السلم إلى رحبة غير منتظمة الأضلاع ، أبعادها ٣,١٨ × ٤,٥٨م ، هذه الرحبة تتقدم باب الدخول إلى الإيوان الشمالى الغربى ، وأبعاد هذا الباب ١,٣٢ × ٢,٠٤م يغلق عليه مصراعان خشبيان طليا باللون الأخضر الزيتى ، يواجه هذا الباب فى الجهة الجنوبية الغربية باب آخر يؤدى إلى مدافن الأسرة العروسية ، وهذه الرحبة مسقفة بالسقف الخشبى الخاص بالحجرة التى يتوصل إليها من السلم المواجه لباب الدخول إلى الميضأة .

القسم الثانى : كتلة المدخل (انظر لوحات : ٢٩ ، ٣٠) :

تقع هذه الكتلة فى طرف الواجهة الشمالية الشرقية من جهتها الشمالية الغربية ، عرض هذه الكتلة ٢,٦٩م ، لها حجر عمقه ٥٢ سم استغل المعمار هذا العمق فى وضع مكسلتين جهة الشمال الغربى والجنوب الشرقى ، ارتفاع كل منهما عن سطح الأرض ٨٥ سم ، يتوسط كتلة المدخل فتحة الباب التى تفتح على باب الدركاة ، عرض هذا الباب ١,٦٥م وارتفاعه ٢,٨٥م ، يغلق عليه فردة باب من الخشب المزخرف سطحه بزخارف هندسية عبارة عن مربعات موضوعة داخل مستطيلات طولية ، ويعلو فتحة الباب عتب مستقيم يرتكز على جانبى فتحة الباب (الكتفين) الذى ينتهى أسفله بثلاثة صفوف من المقرنصات ، يعلو هذا العتب عقد عاتق بينه وبين العقد المستقيم نفيس من المحتمل أنه كان مزخرف بالبلاطات الخزفية ، زخرف أعلى العقد العاتق فى مسافة مستطيلة الشكل بأشكال نباتية بديعة ، ويحدد العتب المستقيم والمساحة التى تشغلها الزخارف النباتية جفت لاعب يلتقى فى أشكال هندسية سداسية الأضلاع ، يبدأ هذا الجفت من أسفل العتب

المستقيم بأشكال نجمية ثمانية الأضلاع ، ويتجلى فى تنفيذ هذه الزخرفة براعة المعمار فى استعمال الحجر بمهارة فى تشكيل مثل هذه الزخارف الهندسية .

يعلو هذا العقد العاتق ـ وعلى مسافة ٦,١٠ من بداية كتلة المدخل ـ فتحة شباك مربعة تقريبا خالية من أية مصبعات برسم إضاءة دركاة المدخل ، يتوج كتلة المدخل من أعلى عقد مدائنى ثلاثى الفصوص ، يحدده من الخارج جفت لاعب يلتقى فى أشكال سداسية ، ويرتكز هذا العقد من أسفل على أربعة صفوف من المقرنصات تعلو الشباك المستطيل بمسافة ١,١٥م ، ويشغل قمة العقد (طاقيته) شكل محارى مشع ويبلغ ارتفاعه كتلة المدخل مكتملة ٩,٣٠ يحددها من أعلى جفت لاعب يلتقى مع الجفت الذى يحدد العقد المدائنى المذكور .

ويزخرف كوشتى هذا العقد بلاطات خزفية رسمت عليها زخارف نباتية عبارة عن أوراق مسننة إلى جانب زهور القرنفل ، وذلك باللونين الأزرق والأخضر على أرضية زبدية اللون ، وهو الأسلوب الذى اختصت به تركيا العثمانية ومراكزها .

وترتكز أرجل العقد المدائني على كتفين عمقهما ٥٢ سم زخرفا بشريطين من الزخارف النباتية ، عرض كل منهما ٣١ سم ، وتتمثل هذه الزخارف النباتية فى أوراق العنب والفروع الحلزونية ، وهى زخارف شاع استعمالها فى عمائر هذه الفترة .

القسم الثالث : واجهة المسجد (انظر : لوحة ٢٧ ، ٢٨ والواجهة شكل ٢٢) :

يبلغ عرض هذا الجزء من الواجهة حتى بداية واجهة الضريح ١٣,٥٠م ، فتح بهذه المسافة ثلاث دخلات رأسية . تبدأ الدخلة الأولى على بعد ٢,١٠م من المدخل الرئيسى، وهذه الدخلة قليلة الاتساع ؛ إذ يبلغ عرضها ١,٥٤م وعمقها ٢٣ سم ، وترتفع جميع الدخلات الرئيسية التى تزين الواجهة مسافة ١,٨٠م عن مستوى الطريق ، قسمت جميع الدخلات عرضيا إلى قسمين : القسم الأول : تقع به الشبابيك التى تغشيها المصبعات ، والتى تفتح على المسجد من الداخل لإضاءته ، والقسم الثانى : فتح به القندليات التى تعلو كل نافذة من القسم السفلى .

يتوسط هذه الدخلة [1] نافذة على ارتفاع ٢,٨٥م من سطح الأرض ، وهى نافذة مستطيلة التخطيط ، ارتفاعها ١,٩٥م وعرضها ١,١٠م ، يغشى فتحة الشباك مصبعات خشبية تتقاطع مع بعضها مكونة مربعات صغيرة ، وقد تكوّن نتيجة التقاء الأرماح الخشبية مع بعضها أشكال سداسية الأضلاع ، وهى بذلك تتشابه مع الأسلوب المتبع فى صنع المصبعات البرونزية النحاسية وغيرها .

(١) أى : الدخلة الأولى .

يعلو فتحة الشباك عتب مستقيم ، زُخرف سطح هذا العتب بزخارف نباتية عبارة عن أوراق نباتية ثلاثية الفصوص معشقة فى بعضها البعض ، ليست هذه الأوراق المحفورة على الحجر بمادة الرخام ـ الذى من المحتمل أنه كان باللونين الأسود والأبيض ـ لكنه فقد الآن .

يعلو هذا العتب المستقيم عقد عاتق كانت تزخرفه البلاطات الخزفية لكنها مفقودة الآن، ويعلو العقد العاتق مساحة مستطيلة مزخرفة بالزخارف النباتية التى هى عبارة عن أوراق العنب وفروعه ، يحدد هذه المساحة جفت لاعب ينتهى به هذا الجزء من الواجهة ، يعلوه شريط زخرفى يمتد بطول الواجهة والذى يبدأ بعد كتلة المدخل ، وتنقسم الواجهة بواسطته إلى قسمين عرضين ، يعلو هذا الشريط الزخرفى جفت آخر يحدد الجزء العلوى من الواجهة ، يعلو الشريط الزخرفى السابق وفوق مستوى الشباك السفلى قندلية بسيطة اتساعها هو نفسه اتساع فتحة الشباك السفلية . وهذه القندلية عبارة عن نافذتين معقودتين تعلوهما دائرة تعرف : بعين الثور يغشى النافذتين ساتر خشبى من النوع المخروط خرطا دقيقا ، وهى بذلك تختلف عن النوع الذى كان يغشى بالجص المعشق بالزجاج الملون الذى شاع استعماله فى عمائر المماليك . وتعتبر التغشية الخشبية التى استعملت فى هذا المسجد من الظواهر الجديدة التى ظهرت فى العصر العثمانى ، خاصة وأن هذا الحى امتاز بوجود فئة الخراطين بداخله،ومن ثم استعان المنشئ بهم فى تنفيذ أعمال الخرط بمسجده.

يعلو القندلية جفت لاعب آخر ، ثم الشريط الزخرفى السابق ، ثم الجفت اللاعب الذى يمتد من كتلة المدخل ، تنتهى الدخلة بعد ذلك بصدر مقرنص مكون من ثلاث حطات من المقرنصات ، تنتهى بعدها هذه المقرنصات بجفت لاعب يعلوه صف من الشرفات يمتد بطول الواجهة ، وكل شرفة عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية ،ارتفاع كل منها ٧٠ سم.

تسير الواجهة بعد ذلك مسافة ١,٠٥م من انتهاء الدخلة السابقة ، ثم تبدأ الدخلة الثانية التى يبلغ اتساعها ٣,٣١م وعمقها ٢٣سم ، وهذه الدخلة يتوسطها نافذتان ترتفعان بنفس ارتفاع نافذة الدخلة السابقة ، ويغشى كل نافذة المصبعات الخشبية ، يعلو كل نافذة فى المستوى العلوى قندلية بسيطة يغشاها الخشب الخرط ، ثم يعلو القندليات صدر مقرنص مكون من ثلاث حطات من المقرنصات يعلوها الشرفات السابق ذكرها ، وتتشابه هذه الدخلة مع الدخلة التالية التى تقع على بعد ١,٠٩م من انتهاء الدخلة الثانية ، واتساعها يزيد قليلا عن الدخلة السابقة ، حيث يبلغ اتساعها ٣,٣٣م ، وهى تتكون من نفس المكونات السابق وصفها فى الدخلة السابقة .

القسم الرابع : واجهة الضريح :

تبدأ هذه الواجهة التى هى نفسها الواجهة الرئيسية للمنشأة ـ والتى ترتفع مسافة ١٠,٣٥م ـ بدخلة صغيرة تشبه الدخلة الأولى التى تجاور المدخل الرئيسى ، وهى تقع على بعد ١,١٨م من انتهاء الدخلة الرابعة ويبلغ اتساعها ١,٥٢م يتوسطها نافذة مستطيلة تغشاها مصعات خشبية يعلوها فى المستوى العلوى قندلية بسيطة ، وهى بذلك تتشابه مع الدخلات السابق ذكرها ، وتنتهى هذه الدخلة جهة الجنوب الشرقى بالشريط الزخرفى الذى يحدد الواجهة ويحيط به الجفت اللاعب الذى يؤطر الواجهة كلها ، تسير بعد ذلك الواجهة مسافة ١,٣٠م ، ثم ترتد إلى الداخل مسافة ٧٧سم لتبدأ بعد ذلك واجهة السبيل والكتاب ، ويعلو واجهة الضريح من أعلى القبة ، وهى تبدأ بقاعدة مربعة قليلة الارتفاع، يتحول هذا المربع بعد ذلك ـ عن طريق شطف أركانه ـ إلى مثمن يعلوه رقبة القبة ، ثم القبة التى ترتفع عن سطح الجامع ٦,١٥ م ، يتوسط قمة القبة عمود نحاس ذو كريات دائرية ينتهى بالهلال ، ارتفاع هذا العمود ١,٣٠م ، وقد فتح ببدن القبة من أعلى شبابيك معقودة يغشاها ساتر من الخشب الخرط الدقيق .

القسم الخامس: واجهة السبيل والكتاب:

ترتد هذه الواجهة عن واجهة المسجد مسافة ٧٧سم إلى الداخل ، ويبلغ عرض هذه الواجهة ٥,٢٥م ، يتوسطها شباك السبيل الذى يبلغ عرضه ٢م ، يغشى فتحته مشبكات من البرونز ، تنتهى من أسفل بعقود ثلاثية من البرونز ، يحمل كل عقد عمودين من النحاس ، لكل منهم قاعدة وبدن وتاج ، ويبلغ ارتفاع الشباك ٢,٨٠م يعلوه عتب مستقيم محدد بجفت لاعب يغشى هذا العتب زخارف نباتية من أوراق العنب الخماسية الفصوص يحدد هذا العتب جفت لاعب آخر ثم نفيس به بقايا بلاطات خزفية عليها نفس العناصر النباتية التى تحملها بلاطات المدخل والمحراب ، يعلو هذا النفيس عقد عاتق تعلوه مساحة مستطيلة زخرفت بالعناصر النباتية الممثلة فى أوراق العنب وفروعه المنفذة بالحفر على الحجر ، يحدد هذه المساحة الزخرفية جفت لاعب آخر ، ثم يلى ذلك شريطان زخرفيان بهما زخارف نباتية كالسابق ذكرها ، يعلو هذين الشريطين جفتُ لاعب، ثم شرفة الكتاب ، وهى مسدودة الآن بنافذتين من الخشب الحديث ، وهى عبارة عن عقد مدبب كبير من المحتمل أنه كان يتقدمه شرفة من الخشب الخرط كالتى نراها فى كتاتيب ذلك العصر كما فى الشيخ مطهر بالنحاسين .

وقد فتح فى الجهة الشرقية من هذه الواجهة باب الدخول إلى السبيل والكتاب ، وعرض هذه الكتلة ٢,٨٧م يتوسطها باب الدخول بعرض قدره ١,٠٦م وارتفاعه ٢,٩٣م٢ ، وهذا المدخل يقع داخل حجر عمقه ٥٤سم ، ويعلو فتحة الباب عتب مستقيم

عليه زخارف نباتية عرضه ٦٣ سم وطوله ٥٢, ١م يحدده جفت لاعب ، يعلو هذا العتب نفيس تملؤه بلاطات من القاشانى تزخرفها الزخارف النباتية التى على نظيرتها فى المواضع السابق ذكرها . هذه البلاطات مطموسة ببياض حديث استطعت بعد رفع هذا البياض أن أتبين وجودها والزخارف التى عليها والألوان المنفذة بها الزخارف وهى اللون الأخضر على أرضية زبدية اللون ، يعلو هذا النفيس عتب آخر مستطيل عليه زخارف نباتية ، يحدد هذا العتب جفت آخر لاعب ، يعلو ذلك عقد مدائنى له طاقية مشعة تماثل طاقية باب الدخول إلى المسجد ، يرتكز هذا العقد على خمس حطات من المقرنصات ، يحدد هذا العقد جفت لاعب ويزخرف كوشتى العقد بلاطات خزفية عليها نفس الزخارف السابق ذكرها ، ويعلو كتلة المدخل فى المستوى العلوى من الواجهة شباك عليه مصراعان من الخشب الحديث من المحتمل أنه خصص ليضىء حجرة شيخ الكتاب التى تعلو السبيل .

الدخول إلى السبيل :

يؤدى المدخل السابق إلى مجموعة من الدرج يصعد من خلالها إلى حجرة السبيل التى تقع على يمين الداخل ، وهى حجرة مربعة تقريبا جددت جدرانها وطليت بالطلاء الحديث ، إذ يشغلها الآن إحدى أسر الحى ، ولم يتبق من أجزائها الأثرية سوى الأرضية الرخامية والسلسبيل الذى غطى بمصراعين خشبيين حديثين ، وهو يقع فى الجهة الجنوبية الغربية ويواجهه فى الجهة الشمالية الشرقية شباك السبيل الذى سبق وصفه والذى يتقدمه من الخارج بلاطة رخامية خصصت لوضع كيزان الشرب فوقها ، وقد وضعت فتحة تزويد مياه السبيل فى الواجهة الخارجية للسبيل تجاور سبيل الدواب الذى عقدت فتحته بعقد مدبب وهى مسدودة الآن . ونظرا لأن السبيل مشغول كما ذكرت بمن يقطنه ، لذا لم أتمكن من إجراء عملية قياس أطوال الجدران وفتحة السلسبيل ، وكذا بلاط الأرضية .

ويؤدى درج باب الدخول للسبيل والكتاب إلى حجرة الكتاب التى تعلو السبيل مباشرة ، ومساحتها هى نفس مساحة السبيل ، وقد تعذر أيضا الصعود إليها ؛ نظرا لأنها مشغولة بمن يسكنها . وقد كررت الزيارات العديدة لهذا الجزء من المنشأة إلا أننى فى كل مرة كنت أجد رفضا من شاغلى هذه الحجرات فى الدخول إليها وقياسها .

الدخول إلى المسجد :

يؤدى المدخل الرئيسى السابق وصفه إلى دركاة مستطيلة التخطيط ، أبعادها ١٠, ٢×٣٣, ٢م تأخذ شكل حرف (ل) ، يتصدرها من الجهة الجنوبية الشرقية درج سلم عدده عشر درجات يؤدى إلى داخل المسجد .

المسجد من الداخل (المسقط الأفقى شكل ٢٣) :

يتبع تخطيط مسجد العريان النمط المحلى الذى عرفته مصر فى العصر المملوكى ، وهو يعتمد على مساحة مربعة تقريبا قسمت من الداخل إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة ، ثلاثة منها فى ظلة القبلة وواحدة فى الجهة الشمالية الغربية ، يتوسط الأروقة دورقاعة طولية .

رواق القبلة :

لهذا الرواق ثلاثة جدران ، أما الرابع فهو يفتح على الدورقاعة ، ويتكون تخطيط رواق القبلة من بائكتين موازيتين لجدار القبلة ، تتكون البائكة الداخلية من خمسة عقود محمولة على أربعة أعمدة أسطوانية التخطيط ، أما البائكة الخارجية التى تطل على الدورقاعة فهى تتكون كذلك من خمسة عقود محمولة على ستة أعمدة أسطوانية التخطيط مادتها من الرخام يبلغ ارتفاع هذه الأعمدة ٣,٦٠م لكل عمود .

جدار القبلة :

يبلغ طول هذا الجدار ١٩,١٥م ، يتوسطه حنية المحراب ، وهى حنية نصف دائرية يتوّجها من أعلى عقد مدبب ، يبلغ عرض المحراب ٢,٤١م وارتفاعه ٤م وعمق حنيته ١,٢٥م ، يرتكز عقد المحراب على عمودين ارتفاع كل منهما ٢,٤٥م ، وهذه الأعمدة ذات تيجان كورنثية يحدد المحراب من أعلى جفت لاعب يحدد العقد المدبب ، يخرج منه جفت يحدد أطر العقد ، يخرج منه جفت يحيط بالجفت السابق ، يخرج منه جفت آخر يكوّن دائرة تعلو قمة العقد فى شكل هندسى رائع التنفيذ ويبلغ ارتفاع هذه الزخرفة الجفتية الهندسية من بداية تاج العمود الذى يرتكز عليه عقد المحراب مسافة ٤,٢٠م .

تقع على يمين ويسار المحراب كتبيتان تبعد اليسرى عن الحائط الشمالى الشرقى مسافة ٥م ويبلغ اتساعها ١,١٥ ، وعلى يسار هذه الكتبية من أعلى توجد قندلية بسيطة ليست على نفس مستوى الكتبية السفلية ، وعلى يمين المحراب تقع الكتبية الثانية ، وهى ترتفع عن الأرض بمقدار ٨٠ سم، يغلق عليها مصراعان خشبيان ارتفاعهما ١,٩٨سم ، يحددها من أعلى جفت لاعب يلتقى فى أشكال سداسية ارتفاعه ٥٥ سم ، وعلى هذا فإن ارتفاع الكتبية بما فيها الزخرفة يكون ٢,٥٣م ، يبلغ اتساعها ١,١٣م ، ويبتعد عن المحراب مسافة ٢,٢٠م ، وعلى ارتفاع ٤,٩٠م من سطح الأرض ، وفوق مستوى

الكتبية توجد قندلية بسيطة مكونة من نافذتين تعلوهما قمرية ارتفاع الشباكين ١,٣٥م والقمرية تعلوهما بمقدار ١م .

وعلى يمين هذه الكتبية توجد حجرة صغيرة غير منتظمة الأضلاع تبعد عن الكتبية مسافة ٤,٦٨م ، يفتح عليها باب اتساعه ١,٠٥م ، يغلق عليه مصراعان خشبيان يؤديان إلى داخل الحجرة ، ولهذه الحجرة أربعة جدران تأخذ شكل شبه منحرف : الجدار الجنوبى الغربي فيها طوله ٢,٨٨م ، والجدار الجنوبى الشرقى طوله ٣,٤٥م ، والجدار الشمالى الشرقى ٨٥ سم ، والجدار الشمالى الغربى ٣,٧٢م (انظر : لوحة رقم ٩) .

الجدار الجنوبى الغربى :

طول هذا الجدار ٧,٤٥ م ، فتح به كتبية تبعد عن الحائط الجنوبى الشرقى مسافة ١,٥٢م ويبلغ اتساعها ١,١٥م ، وعمقها ٤٥ سم ، يعلوها زخرفة بالجفت اللاعب كالسابق وصفها ، على بعد ٢,٦٣م توجد غرفة غير منتظمة الأضلاع لها باب يفتح على بيت الصلاة اتساعه ١,٢٥م ، وباب آخر يفتح على الرواق الجنوبى الغربى اتساعه ١,٢١م وارتفاعه ٢,٣٢م ، لهذه الحجرة أربعة جدران : الجدار الجنوبى الغربى طوله ٢,٩٠م ، والحائط الجنوبى الشرقى ٦٠ سم ، والحائط الشمالى الشرقى ٣,٦١م ، والحائط الشمالى الغربى ١,٠٦م ، ويسير هذا الجدار بارتداد قدره ٢٥ سم جهة الجنوب الشرقى ليكون عضادة الباب الذى يفتح برواق الصلاة .

الجدار الشمالى الشرقى :

هذا الجدار يواجه الجدار الجنوبى الغربى ، ويبلغ طوله ١٠م ، فتح بهذا الجدار شباكان يطلان على القبة الضريحية ، ويبعد الشباك الأول عن بداية عقد البائكة الداخلية مسافة ٢,٣٥م ، ويبلغ اتساعه ٨٠ سم ، يغلق عليه مصراعان خشبيان يغشاه من الخارج مصبعات خشبية ذات أرماح تلتقى مع بعضها فى شكل هندسى سداسى الأضلاع ، ويبعد الشباك الآخر عن بداية عقد البائكة الخارجية مسافة ١,٠٥م ، ويبلغ اتساعه ١,٢٠م ، وعمقه ٧٠سم ، ويغلق عليه أيضا مصراعان خشبيان ، وعليه من الخارج مصبعات خشبية كالسابقة ، يرتد هذا الجدار إلى الجهة الشمالية الشرقية مسافة ٣,٦٣م ، وفى هذا الارتداد فتح باب للدخول إلى القبة وهو يبعد عن حائط الواجهة مسافة ١,١٠م ، ويبلغ اتساعه ١,١٥م ، عليه باب حديدى يؤدى إلى القبة من الداخل .

القبة من الداخل :

يؤدى هذا الباب السابق ذكره إلى مساحة مربعة تقريبا ، مساحتها ٣,٦٠ × ٣,٩٥م، يتصدرها فى الجهة الجنوبية الشرقية حنية المحراب ، وهى حنية نصف دائرية اتساعها

٨٦سم وعمقها ٦٠سم ، وارتفاعه ٢,٤٥م متوجه بعقد مدبب محاط بجفت لاعب يبدأ من ارتفاع ١,٧٢م من المحراب ، والجفت الآخر يبدأ بعده عند ارتفاع ٢م من المحراب ، ويسيران مكونان شكلا نجميا على جانبى المحراب عند بداية عقد المحراب وشكل دائرى عند قمة العقد محاط بأربعة دوائر صغيرة ، وهذا الجفت وصل بارتفاع المحراب إلى ٣,١٠م ، أى أن ارتفاع الجفت ٦٥سم يعلو المحراب ، وعلى ارتفاع ٨,١٥م قندلية بسيطة مكونة من نافذتين معقودتين تعلوهما قمرية ارتفاع النافذة ١م يغشاها ساتر من الخشب الخرط الدقيق فتح فى كل جدار من جدران القبة فى المستوى العلوى مثل هذه القندلية .

يتحول المربع إلى مثمن عن طريق استخدام المقرنصات التى تبدأ من ارتفاع ٨,٣٠م لجدران القبة بذيل مقرنص طوله ٧٠سم ، ترتكز عليه الحطة الأولى التى يصل ارتفاعها إلى ٧٥ سم ، ثم الحطة الثانية التى يصل ارتفاعها إلى ٨٢ سم ، وبذلك يصل ارتفاع جدران القبة حتى منطقة الانتقال التى تبدأ بحنية واحدة ثم حنيتين مسافة ١٠,٧٥م . يتحول المربع بواسطة هذه المقرنصات إلى مثمن أقيمت عليه رقبة وضعت فوقها القبة ، التى فتح فى بدنها أربع نوافذ معقودة ارتفاع كل نافذة ١,٠٣م وبتغطية القبة ، وصل ارتفاع القبة من مستوى الأرض وحتى قمة القبة إلى ١٤,٣٠م من الداخل ، يربط منتصف الجدار الجنوبى الغربى والجدار الشمالى الشرقى للقبة عند نهاية منطقة الانتقال عمود خشبى يتدلى منه وسيلة إضاءة للقبة ، ويتوسط أرضية القبة تركيبة خشبية خاصة بالشيخ أحمد العريان وهى مغطاة بقماش أخضر حديث يحمل اسم الشيخ العريان .

التحف المنقولة بالمسجد :

أ ـ المنبر :

يتكون المنبر عادة من باب يعرف بالمقدم يدخل منه الخطيب ويصعد من خلال درج إلى جلسة تعرف بجلسة الخطيب ، يتوّجها خوذة تأخذ شكل القلم الرصاص (التى امتاز بها العصر العثمانى) وللمنبر جانبان يعرف كل جانب بالريشة وبابان يعرف كل منهما بباب الروضة [1] .

ويقع منبر جامع أحمد العريان على يمين المحراب ، ويبلغ طوله ٣,٥١م وعرض المقدم ٨٦,٥ سم ، وارتفاع باب المقدم ٢,٥٨م ، يؤدى هذا الباب إلى عدد من الدرج تبلغ ثمانى درجات تؤدى إلى جلسة الخطيب،ولهذا المنبر بابان يطلق عليهما ـ كما أسلفنا ـ

(١) شادية كشك : أشغال الخشب فى عمائر العصر العثمانى ، مخطوط ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص٥٤ .

بابا الروضة ، يبلغ ارتفاع كل منهما ١,٧٨م وعرضه ٧٦ سم ، أما جانبى المنبر والذى يطلق عليهما ريشتا المنبر،فقد زخرف كل منهما بزخرفة يطلق عليها اسم المعقلى المائل[1]. (انظر : شكل ٢٥) ، ويعلو كل ريشة درابزين من الخشب الخرط ارتفاع ٣٩سم ، تنتهى جلسة الخطيب بخوذة على هيئة قلم الرصاص ، كالتى تتميز بها مآذن ذلك العصر.

ب ـ كرسى المقرئ :

هذا الكرسى بحالة سيئة من الحفظ ، وهو موضوع بالحجرة التى تقع فى جدار ظلة القبلة الجنوبية الغربية ، وهو يمتاز باستخدام أشغال الخشب الخرط العديدة ، الدقيقة والخرط البلدى ، وقد استعمل النوع الدقيق فى زخرفة ظهر الكرسى والنوع الثانى فى زخرفة جوانب الكرسى (انظر لوحة رقم ٩٧) .

الرواق الشمالى الغربى :

يفتح هذا الرواق على الدورقاعة ببائكة من خمسة عقود محمولة على ستة أعمدة يبلغ عرض الرواق ١٧,٦٧م وعمقه ٣,٩٥م ، وفى بعض الأماكن ٤,٨٥م ولهذا الرواق حائطان : الحائط الشمالى الغربى ، والجنوب الغربى . أما الحائط الشمالى الغربى فيوجد به كتبيتان ، وباب السلم المؤدى إلى دكة المبلغ . وتقع الكتبية الأولى على بعد ٣,٤٠ من الحائط الجنوبى الغربى ، ويبلغ اتساعها ١,٢٣م وعمقها ٤٥سم والكتبية الثانية على بعد ٣,١٧م من الكتبية الأولى ، ويبلغ اتساعها ١,٣٠م وعمقها ٤٨ سم ، يغلق على كل كتبية مصراعان من الخشب يحدها من الخارج جفت لاعب يلتقى فى أشكال سداسية، يوجد على بعد ٢,٧٣م من الكتبية باب السلم الذى يؤدى إلى دكة المبلغ ، وهذا الباب اتساعه ٨١ سم ، يبدأ درج السلم جهة اليمين بثلاثة درج ثم بسطة ثم خمسة درج تؤدى إلى دكة المبلغ .

دكة المبلغ :

تتوسط هذه الدكة الظلة الشمالية الغربية ، وهى ترتكز على ثلاثة أعمدة ترتفع مسافة ٣,٨٥ وعمقها ٤,٦٥م وعرضها ٨,٠٥م ، تتوسط عقدين من عقود البائكة الخمسة ، ولها سياج خشبى ذو أرماح ذات برامق خشبية كبيرة ، وهو يلف جهاتها الثلاث ، ولها أرضية من الخشب محمولة على عروق خشبية . (انظر : لوحة رقم ٨٠ ، ٨١) .

الجدار الجنوبى الغربى :

هذا الجدار يبلغ عرضه ٤,٧٠م تتوسط فتحة باب سبق ذكرها عند الحديث عن كتلة الميضأة ، تؤدى هذه الفتحة إلى رحبة فى جهتها الشمالية الغربية سلم هابط يؤدى إلى

---

(١) د. ربيع حامد خليفة : فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، ص١٧٦ .

الميضأة ، ويتصدر الجهة الجنوبية الغربية فتحة باب تؤدى إلى مدافن الأسرة العروسية .

ومن مجموع هذه البوائك قسمت مساحة المسجد الداخلية إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة .

الجدار الجنوبى الغربى للمسجد :

يفتح هذا الجدار على الدورقاعة بعقد واحد يرتكز على عمودين ، وهذان العمودان يرتكز عليهما أيضا عقود البائكتين اللتين تطلان على الدورقاعة فى البائكة الخارجية لرواق القبلة والبائكة الشمالية الغربية للمسجد ، وهذه الأعمدة تقسم مساحة الجدار إلى ثلاثة أقسام : الأول ويبلغ اتساعه من بداية الحائط الجنوبى الشرقى ١,٨٧م والمسافة بين العمودين ٤,٧٥م ، ويبعد العمود عن الحائط الشمالى الغربى ٧٠ سم ، ولهذا الجانب ثلاثة جدران : الأول وهو المواجه لفتحة العقد ، وهو الجنوبى الغربى . والثانى وهو الشمالى الغربى . والثالث وهو الجنوبى الشرقى . أما الرابع فهو مفتوح على الدورقاعة بكامل اتساعه بمسافة قدرها ٧,٣٤م . ويبلغ طول الحائط الشمالى الغربى ٤,٣٨م والحائط الجنوبى الشرقى ٢,٧٠م ، فتح فى هذا الحائط فتحة باب تؤدى إلى غرفة غير منتظمة الأضلاع ، لها باب آخر يطل على رواق القبلة ، عرض الباب ١,٠٤م وارتفاعه ١,٧٢ عليه زوجا باب من الخشب المدهون باللون الأخضر .

أما الجدار الجنوبى الغربى فيبلغ ٧,٢٨م ، فى نهايته الجنوبية الشرقية فتحة باب اتساعها ٩٣سم ، وهى تبعد عن الحائط الذى به فتحة باب الحجرة السابقة بمقدار ٣٥سم، يغلق على فتحة الباب مصراعا باب من الخشب يؤدى إلى مساحة مربعة تقريبا مساحتها ٨,٨٥ × ٧,٩٠ م ، على يمين الداخل من الباب نجد حجرة عليها سياج من الخشب الخرط تؤدى إلى مدافن الأسرة العروسية ، ومساحة هذه الغرفة ٤,٧٥ × ٤,٠٥م يتوسط جدارها الشمالى الشرقى فتحة باب تؤدى إلى الرحبة التى تتقدم السلم الهابط الذى يؤدى إلى الميضأة ، وإلى جوار هذه الحجرة توجد حجرة أخرى عليها زوجا باب اتساعه ١,٣٣م ، يؤدى هذا الباب إلى حجرة مستطيلة التخطيط ، بجوار جدارها الجنوبى الشرقى توجد تركيبة عليها شاهد قبر باسم السيدة بيزادة ابنة الشيخ العريان التى توفيت إلى رحمة الله تعالى فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٣ هـ ، وإلى جانب الحائط الجنوبى الغربى فى الطرف الشمالى الغربى يوجد شاهد قبر آخر باسم المرحوم أحمد الشافعى الذى توفى سنة ١٢٠٥ هـ ، فتح فى جدار الحجرة الجنوبى الغربى فتحة اتساعها ٩٥ سم ، تؤدى إلى مساحة غير منتظمة ، تنتهى هذه المساحة فى الطرف الشمالى الغربى بفتحة باب اتساعها ١,٣٧م ، من المحتمل أن يكون هذا الباب ـ الذى فتح فى جدار المسجد الشمالى الغربى فى نهايته ـ قد خصص لدخول الأموات إلى مأواهم الأخير .

ومما يلفت النظر هنا تعدد المداخل المؤدية إلى هذه المقابر حيث نجد مدخلا يتقدم الرحبة التى تتقدم سلم الميضأة ومدخلا فى جدار الإيوان الشمالى الغربى من الجهة الجنوبية الغربية .

جدار المسجد الشمالى الشرقى :

هذا الجدار غير منتظم الأضلاع يتوسطه عمود يبعد عن الحائط الشمالى الشرقى ، وهو يقسم الجدار إلى قسمين ، وترتفع أرضيته عن باقى أرضيات الأروقة الأخرى ؛ مما يؤكد أنه أجرى إصلاح بهذا المسجد ردمت على أثره أروقة المسجد الأخرى وترك هذا الجدار . ومقدار ارتفاع هذا الجدار ٢٤ سم ، وهو يتكون من حائطين فقط : الحائط الجنوبى الشرقى ويمثل حائط القبة ، ويبلغ طوله ٣,٦٢م ، والحائط الشمالى الشرقى ويبلغ طوله ٩,٨٠م ، ويمثل هذا الحائط الواجهة الخارجية لهذا الجزء .

وقد فتح بهذا الجدار خمسة نوافذ مستطيلة اتساع الأولى من جهة الشمال الغربى ١,٠٨م ، واتساع الثانية ١,٠٨م أيضا ، واتساع الثالثة ١,١١م ، واتساع الرابعة ١,٠٩م، واتساع الخامسة ١,٠٨م ، ترتفع هذه الشبابيك جميعها عن أرضية الإيوان بمقدار ٩١ سم يغلق على كل شباك مصراعان خشبيان موضوعان فى نهاية حجر الشباك الذى يبلغ عمقه ٦٢ سم . ويتقدم هذه المصاريع الخشبية من الخارج مصبعات سبق وصفها.

أما الجداران الآخران ، فإن الشمال الغربى منه اتساعه ١,٩١م ، وهو بمثابة المدخل المؤدى بعد درج الدركاة إلى داخل المسجد ، أما الجهة الجنوبية الغربية فهى تفتح على الدورقاعة من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية بطول قدره ٩,٢٨ وهذا الوصف لتخطيط المسجد يشير إلى أنه يتبع التخطيط المحلى القائم على مساحة قسمت إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة ، بالإضافة إلى دخلة بالجهة الجنوبية الغربية وأخرى بالجهة الشمالية الشرقية .

الدورقاعة :

يبلغ عرض هذه الدورقاعة ٧,٢٨م وطولها ١٩,٤٠م ، وتطل على هذه الدورقاعة عقود البوائك الخاصة بأروقة المسجد ، ويبلغ اتساع عقود بائكة الرواق الجنوبى الشرقى الخارجية ما بين ٣,٥٥م ، ٤,٠٥م ، ٣,٩٥م . أما البائكة الداخلية نفسها فهى أكثر اتساعا من الخارجية ، إذ يبلغ اتساع الأولى من الجهة الشمالية الشرقية ٣,٤٠م ، والثانية ٤,١٠م ، والثالثة ٤,٢٥م ، والرابعة ٣,٧٥م ، والخامسة ٤,١٠م ، أما البائكة الشمالية الغربية فاتساع عقودها من الجهة الشمالية الشرقية ٢,٢٥م ، والثانى ٣,٩٥م ،

والثالث ٤,٠٥م ، والرابع ٣,٧٠م ، والخامس ٣,٩٠م .

ويغطى هذه الدورقاعة سقف خشبى تتوسطه شخشيخة من الخشب المقسم إلى مربعات صغيرة مغشاة بالزجاج لإضاءة الدورقاعة وكذلك يغطي المسجد ، وتبدو على هذا السقف آثار ألوان مما يرجح أنه قد زخرف بالزخارف التى شاع استعمالها فى ذلك العصر، وقد توسط سقف البائكة الأولى لزواق الصلاة شخشيخة تقع على يمين المحراب وعلى ارتفاع ٨,٤٠م من أرضية الإيوان ، ترتفع هذه الشخشيخة بمقدار ٢,٤٥م إلى أعلى ، وهى مقسمة إلى مربعات صغيرة تغشاها ألواح زجاجية برسم إضاءة بلاطة المحراب .

المئذنة (شكل ٣٧ ، ٣٨) :

تمثل هذه المئذنة المئذنة المملوكية أصدق تمثيل على الرغم من أن المنشأة تعود للعصر العثمانى ، ويعود ذلك إلى التأثر الكبير بالمحليات خاصة ما وجد منها داخل الحى . وهذه المئذنة تبدأ من أعلى سطح المنشأة على يسار المدخل الرئيسى ، وهى تبدأ بقاعدة مربعة قليلة الارتفاع تتحول إلى بدن مثمن عن طريق شطف الأركان ، ويمتد هذا البدن المثمن مسافة ٧,٤٥م ، وينتهى هذا البدن بشرفة مثمنة محمولة على ثلاثة صفوف من المقرنصات ارتفاعها ١,٦٥م ، يعلوها درابزين الشرفة الذى هو على شكل مثمن كل ضلع منه قسم إلى منطقتين زخرفت كل منطقة بأشكال نجمية مخرمة فى الحجر ، بالإضافة إلى الأشكال المربعة التى نفذت عليها بالتخريم الزخرفة المعروفة على الأخشاب باسم المعقلى . ويبلغ ارتفاع هذا الدرابزين مسافة ١,١٠م ، ويلى هذه الشرفة بدن آخر مثمن الأضلاع كالسابق ارتفاعه ٢,٥٥م ينتهى هذا البدن بشرفة أخرى مثمنة محمولة على ثلاثة صفوف من المقرنصات ارتفاعها ١,٢٥م ، يعلو هذه المقرنصات صف من العقود المنكسرة التى تزين كل ضلع من أضلاع المثمن التى يرتكز عليها درابزين الشرفة ويبلغ ارتفاعه ٧٠سم أيضا ، ينتهى هذا الدرابزين عند كل ضلع منه برمانة ، يبلغ عددهم فى هذه الشرفة ثمانى رمانات وهى أقل من الشرفة السفلية بمقدار ثمانى رمانات ، بعد ذلك تنتهى المئذنة بالقمة التى على هيئة القلة ، ويبلغ ارتفاع هذا الجزء ٣,١٥ سم ، يعلوه شكل قبة كمثرية ارتفاعها ١,٥٠م ، يعلوها عمود وكرات ارتفاعه ٢,٠٥م ، وعلى هذا فارتفاع المئذنة مكتملة من فوق سطح المنشأة يبلغ ٢٢,١٠م ، ومن بداية واجهة المنشأة ٣٢,٣٣٠م .

العناصر المعمارية المميزة للمسجد :

اجتمعت فى مسجد أحمد العريان عناصر معمارية وزخرفية تمثل سيادة العناصر المحلية التى عرفتها مصر فى منشآت العصر المملوكى ، فضلا عن وجود بعض التأثيرات العثمانية التى ظهرت جنبا إلى جنب مع العناصر المحلية .

ويمكن إجمال هذه العناصر فى الآتى :

أ ـ عناصر الواجهة المعمارية :

وتنقسم هذه العناصر إلى :

١ ـ المدخل . ٢ ـ زخرفة الواجهات بالحنايا .

٣ ـ الصنجات المعشقة . ٤ ـ القندليات .

٥ ـ الشرفات . ٦ ـ المصبعات .

٧ ـ القبة . ٨ ـ السبيل ذو الكتاب .

٩ ـ الجفت اللاعب . ١٠ ـ المئذنة .

ب ـ العناصر المعمارية الداخلية :

وتنقسم هذه العناصر إلى :

١ ـ التخطيط العام للمسجد وتأصيله. ٢ ـ الأعمدة .

٣ ـ العقود وأنواعها . ٤ ـ المحراب .

٥ ـ دكة المبلغ . ٦ ـ المقرنصات .

٧ ـ الدورقاعة . ٨ ـ الكتبيات .

جـ ـ العناصر الزخرفية :

وتنقسم هذه العناصر إلى :

١ ـ عناصر نباتية : تتمثل فى زخارف الواجهة المنفذة بالحفر ، وزخارف البلاطات الخزفية المستخدمة فى زخرفة عقود المداخل ، ونفيسات العقود ، وأطر المحراب .

٢ ـ عناصر هندسية :

أولا : عناصر الواجهة المعمارية :

١ ـ المدخل :

من أهم ما يميز العمارة الإسلامية فى مصر وضع الأبواب الخارجية فى منشآتها الدينية داخل حجور عميقة تنتهى من أعلى بعقد مدائنى يرتكز على صفوف من المقرنصات، وقد امتاز جامع أحمد العريان بوجود مدخله فى الطرف الشمالى الغربى من الواجهة ، ويتضح فى هذا الباب مدى التناسب بين فتحة الباب وبين ارتفاع المدخل . وهذا المدخل لحما ودما يمثل التأثر الواضح بالمداخل المملوكية ، فعلى الرغم من أن

مداخل العمائر العثمانية قد امتازت بارتفاعها إلا أن معظمها يمتاز بفقره فى الزخارف والمقرنصات .

وهذه الصحوة التى تمثل رجعة إلى تقليد ثراء العصر المملوكى ـ المتمثل فى ثراء منشآته ، ومحاولة إعطائها لمنشآتهم فى العصر العثمانى ـ قد بدأت منذ غزو العثمانيين لمصر ، وسارت جنبا إلى جنب مع الطراز الآخر الذى فرضته طبيعة انتقال مصر من السيادة المملوكية إلى السيطرة العثمانية ؛ فنجد ـ مثلا ـ أن أول استخدام للطراز المحلية فى المداخل نراه فى مسجد محب الدين الطيب ١٥٢٧م ، ومسجد المحمودية [(١)] ، حيث نجد المدخل يصعد إليه بدرج سلم يتقدم فتحة الباب بسطة لها درابزين له ست رمانات كما هو متبع فى إضفاء الأهمية للمداخل فى العصر المملوكى ، وخاصة فى مدرسة السلطان حسن التى لا تبعد كثيرا عن هذه المنشأة ، والمدخل كذلك متأثر تأثرا كبيرا بالطرز المحلية ، إذ أن فتحة الباب تنتهى من أعلى بعقد مكون من صنجات معشقة تمثل قطاع من دائرة ، يعلوه من أعلى فتحة نافذة مستطيلة موضوعة فى صدر مقرنص ، يتقدم المقرنصات التى تحمل العقد المدائنى من أسفل ، كذلك ظهر من أمثلة هذه المداخل المحلية مدخل مسجد مراد باشا الذى يعود تاريخ إنشائه إلى عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م ، حيث احتوى هذا المسجد على مدخلين : أحدهما مميز عن الآخر عن طريق ثراء الجنوبى الغربى بالمقرنصات ، والآخر افتقاره لمثل هذه المقرنصات . ويتتابع بعد ذلك ظهور النمط المحلى فى مداخل العمائر فنجد ذلك فى مدخل البردينى [(٢)]، ومسجد يوسف أغاالحين ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، ثم فى مسجد الشواذلية ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م، ثم فى جامع أحمد العريان ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م.

ومن ثانى العناصر المحلية التى تضمنها مدخل أحمد العريان احتواؤه على المكسلتين، وهذه الظاهرة وجدت من قبل فى الطرز المحلية السابقة على هذا المسجد فى التاريخ إلى جانب وجودها فى مساجد الطراز العثمانى ، فنراها مثلا فى مسجد المحمودية ، وتغرى بردى (أوائل القرن ١٦م) بالمقاصيص ، وفى مسجد يوسف أغاالحين وفى مسجد الشواذلية ، أما مسجد الطراز العثمانى ، فنراها فى جامع الملكة صفية وجامع محمد بك أبو الذهب بالأزهر .

---

(١) أنشأ هذا المسجد محمود باشا أحد ولاة مصر من قبل الدولة العثمانية ، وقد تولاها سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٦م، وبقى بها إلى أن قتل فى جمادى الآخرة سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٨م .

انظر : محمود أحمد : دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٨م، ص١٨٨ ، و د . سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٥ ، ص٣٦٢،شكل (٨).

(٢) أنشأه كريم الدين أحمد البردينى سنة ١٠٢٥ ـ ١٠٣٨هـ / ١٦١٦ ـ ١٦٢٩م وهو يقع بحى الدوادية .

انظر : Abd El Wahab (H.),. Among Islamic Monements . p . 23 .

كذلك فإن مدخل العريان قد تأثر بنظيره المملوكى من حيث إنه يفضى إلى دركاة تربط بين المدخل وداخل المسجد ، وهذه الظاهرة نجدها فى مسجد يوسف أغاالحين ، ثم فى مسجد مرزوق الأحمدى ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م ، ثم مسجد الشواذلية بالموسكى ، وإذا كانت هذه المنشأة قد امتازت مداخلها بوجود دركاة تربط بين المدخل وداخل المسجد فإن هناك أنواع من المداخل كانت تفتح محوريا كما فى مسجد المحمودية بالقلعة ومداخل يليها دهليز كبير يتقدم المسجد ، كما فى مسجد مراد باشا بين السورين .

٢ ـ زخرفة الواجهات بالحنايا :

اشتملت واجهة مسجد العريان على تجاويف رأسية مقسمة إلى جزئين ،وضع فى الجزء السفلى الشبابيك المستطيلة ، والجزء العلوى القندليات البسيطة .

وهذه الظاهرة فى زخرفة الواجهات هى ظاهرة محلية عرفتها مصر منذ العصر الفاطمى،حيث وجدت فى جامع الأقمر بحى المعز ٩١٥هـ / ١١٢٥م ، واستمر استخدامها فى العصر الأيوبى ،وتطورت هذه الظاهرة فى العصر المملوكى تطوراً مذهلاً ، ونجد معمارى العصر العثمانى يقتفوا أثر سابقيهم فى تنفيذ هذه الزخرفة المعمارية ، فنجدها ممثلة فى مسجد المحمودية ، كذلك فى مسجد مراد باشا ، ومسجد يوسف أغاالحين ، ومسجد مرزوق الأحمدى ، ومسجد ذو الفقار بك ، ومسجد الشواذلية . وهذه المساجد تمثل الطراز المحلى للعمارة العثمانية ، كذلك نلحظها فى مساجد الطراز العثمانى ، فنجدها فى مسجد سنان باشا ببولاق ، ومسجد الملكة صفية ومسجد محمد بك أبو الذهب .

٣ ـ الشرفات :

استعمل عنصر الشرفات لتتويج مسجد العريان بنفس الأسلوب الذى اتبع فى عمائر العصر المملوكى ، حيث استعملت هذه الشرفات بهيئة الورقة النباتية الثلاثية ، وقد تأثر بهذا العنصر الطراز المحلى والعثمانى فى تلك الفترة ؛ إذ إن هذا العنصر لم تستعمله تركيا العثمانية فى تخطير واجهات منشآتها الدينية [1] .

ولم يقتصر استعمال هذا العنصر المعمارى فى عمائر العثمانيين بمصر ، وكان استخدام هذا العنصر ينحصر فى العقود المستقيمة التى تعلو النوافذ والأبواب الداخلية ، وكذلك عقود شبابيك التسبيل ، ونرى استخدامها فى جامع العريان ممثلا فى العقود المستقيمة أعلى النوافذ الخمسة التى تطل على الحى ، وهى هنا عبارة عن حفر على الحجر بهيئة

(١) هدايت على تيمور : جامع الملكة صفية ، مخطوط ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص٢١٦ .

الورقة النباتية ، ثم لبس الحفر بمسحوق الرخام الملون ، فبدا وكأنه رخام معشق ، وهذه الظاهرة مملوكية بحتة أعيد استخدامها فى العصر العثمانى فى منشأة العريان ، وقد استخدمت الصنجات المعشقة فى عمائر العثمانيين فظهرت بمسجد المحمودية بالقلعة وكذلك بمسجد يوسف أغاالحين ،ومرزوق الأحمدى ،وكذلك ظهرت فى مساجد الطراز العثمانى؛ حيث نراها فى مسجد الملكة صفية بالدوادية .

٤ ـ القنديليات :

عرفت العمائر المملوكية نظام القنديليات البسيطة والمركبة ، وكانت هذه القنديليات تغشى بالزجاج الملون المعشق فى الجص ، غير أن استخدام هذا العنصر قد وجد كذلك فى عمائر العثمانيين ، فنراه مثلا فى مدرسة خاير بك ، ونراه كذلك فى مسجد المحمودية، ونراه فى مسجد مراد باشا ، ونراه كذلك فى مسجد تغرى بردى بالمقاصيص، ومسجد مرزوق الأحمدى ، ومسجد ذو الفقار بك ، ومسجد محمود محرم ١٢٠٥هـ / ١٧٩٢م وقد استخدم فى تغشية قنديليات مسجد العريان أسلوب جديد يعتبر من الظواهر الجديدة فى العصر العثمانى ، وهذا الأسلوب هو تغشية القنديليات بالخشب الخرط الدقيق مما يدل على رقى هذه الصناعة فى هذه الفترة.

٥ ـ المصبعات:

استخدمت المصبعات فى العصر العثمانى فى تغشية فتحات النوافذ ، وهو أسلوب محلى استخدم من قبل فى عمائر القاهرة منذ العصر الأيوبى ، واستمر استخدامها فى العصر المملوكى ، حيث كانت المادة التى تنفذ منها هذه المصبعات هى النحاس والبرونز ، فضلاً عن الحديد ، وقد استخدمت المواد السابقة فى العصر العثمانى إلى جانب مادة أخرى جديدة وهى مادة الخشب ، فقد قام النجار العثمانى بتشكيل المصبعات الخشبية بنفس الأسلوب الذي كانت تشكل به المصبعات المعدنية ، ونرى هذا الاستخدام فى مسجد ذو الفقار بك ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م ومسجد رويش باشا بمصر القديمة ، ومسجد أحمد العريان ، حيث لا يستطيع المرء من أول وهلة أن يفرق بينها وبين المصبعات المعدنية وهى فى مسجد العريان تأخذ أشكال أرماح تتقاطع مع بعضها فى كريات سداسية لتكون مربعات صغيرة .

٦ ـ عقود الواجهة :

تنقسم عقود الواجهة إلى ثلاثة أنواع هى :

أ ـ العقد المستقيم .   ب ـ العقد العاتق .

جـ ـ العقد المدائنى .

أ ـ العقود المستقيمة : اشتملت الواجهة على نوعين من العقود تعلو فتحات النوافذ هى : العقد المستقيم ، والعقد العاتق ، وقد استخدم العقد المستقيم أعلى فتحة الباب الذى يتوسط كتلة المدخل ، وكذلك أعلى النوافذ الخمسة التى بالواجهة .

ب ـ العقد العاتق : لهذا العقد أهمية معمارية كبيرة فى تخفيف الضغط لا سيما على فتحات النوافذ ، كما أنه فى الوقت ذاته يكسبها طابعا زخرفيا ، ويبدو شكل هذا العقد على هيئة قوس قليل الانحناء يعلو النوافذ الخمس التى بالواجهة الرئيسية لجامع العريان فوق العقود المستقيمة مباشرة يفصل بينهم نفيس تشغله زخارف من البلاطات الخزفية(١) .

جـ ـ العقد المدائنى : يطلق على هذا العقد اسم : العقد المفصص الذى يتكون من ثلاثة فصوص ، وهو يعتبر من أهم العقود التى استخدمت فى العمارة الإسلامية ولاسيما فى المداخل المؤدية إليها ، ويعرف هذا العقد بالعقد المدائنى ، وأصله عقد مدبب مكون من ثلاثة فصول (٢) ، وقد وجد هذا النوع من العقود مستخدما فى كثير من العمائر الإسلامية المبكرة ، كما هو الحال فى بوابة بغداد بمدينة الرقة ١٥٥هـ / ٧٧٢م وفى جامع سامرا الكبير ٢٣٤ هـ / ٢٣٧ هـ ، كما وجد فى مصر فى بعض منازل الفسطاط (٣) . وقد شاع هذا النوع من العقود فى عمائر المماليك شيوعا منقطع النظير . واستمر استخدامه كذلك فى عمائر العثمانيين بمصر . وقد وجد هذا النوع من العقود فى المدخل الرئيسى لجامع العريان ، وكذلك فى مدخل السبيل والكتاب .

٧ ـ المئذنة :

وضعت المئذنة فى مسجد أحمد العريان على يسار المدخل ، وهى تمثل ـ بصدق ـ الروح المملوكية فى تصميم المآذن . ولم تكن هذه المئذنة النمط الفريد الذى تأثر بالمآذن المملوكية فى ذلك العصر ،فقد عرفت مساجد العصر العثمانى ـ التى تنتمى للطراز المحلى ـ استخدام المآذن وفقا للنمط المحلى . فنجد هذه الظاهرة ممثلة فى مسجد البردينى ، حيث وضعت المئذنة فى كتلة منفصلة عن المسجد تتقدم المدخل ببضعة أمتار ،وعلى يسار الداخل إلى المنشأة، وهى مكونة من بدن مربع صغير يتحول إلى مثمن عن طريق شطف الأركان، ثم البدن المثمن الذى يزدان كل ضلع منه بالعقود المنكسرة التى ترتكز على أعمدة حلزونية فضلا عن الكتابات والنقوش ، وينتهى هذا البدن بدورة المئذنة الأولى التى ترتكز على مجموعة صفوف من المقرنصات لها درابزين من الحجر مقسم إلى ستة عشر ضلعا ، يلى هذه الدورة بدن أسطوانى ينتهى بدورة ثانية ثم القمة التى على هيئة القلة .

---

(١) هدايت على تيمور : جامع الملكة صفية ، ص٢٢٤ .

(٢) محمد سيف النصر : مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة ،ص٦١ .

(٣) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، ص١٧٤ .

وبحق فإن هذه المئذنة لا تعطى أية انطباع لمن يراها بأنها شيدت فى العصر العثمانى ، فقد جمعت واجهة المسجد ومدخله ومئذنته وزخارفه الداخلية محاسن العمارة فى أيام المماليك الجراكسة ، وقد جمعت كثير من مآذن المنشآت العثمانية كثيرا من التقاليد التى سادت فى مآذن العصر المملوكي باستثناء القمة ، وهذا ما نلحظه فى مسجد مرزوق الأحمدى ، وجامع مراد باشا ، وجامع ذو الفقار بك . وقد اشتركت مئذنة البردينى مع مئذنة الشيخ أحمد العريان فى تمثيل الطراز المملوكى أصدق تمثيل من القاعدة وحتى القمة .

ويبدو واضحا أن مئذنة الشيخ العريان قد تأثرت تأثرا كبيرا بمئذنة الشيخ الأبناسى التى لا تبعد كثيرا عنها . وفى هذا أيضا يتضح مدى الإقبال على الطرز المحلية فى ذلك العصر . إذ أن مئذنة الأبناسى تعود لبداية عصر المماليك الجراكسة ٧٩٦هـ ، والحقيقة أن منشأة الشيخ العريان قد تأثرت فى مجموعها بالنمط المملوكى الذى مثل فى داخل الحى فى زاوية الأبناسى ، وفى مسجد الزاهد ، وفى مسجد سيدى مدين ، خاصة وأن هؤلاء يعتبرون أقطاب التصوف والزهد فى العصر المملوكى الجركسى ، والاقتداء بهم أمر لمسناه جليا فى منشأة هذا الولى العابد الشيخ أحمد العريان . وسوف نفصل هذا التأثر فى مواضع أخرى من هذا الباب .

٨ ـ السبيل ذو الكتاب (انظر : لوحة ٣٩ ـ ٤٥) :

ألحق بمسجد العريان سبيل يعلوه كتاب ، وهذا السبيل له واجهة واحدة ، ومن ثم فهو ينتمى إلى النوع المعروف بالسبيل ذى الشباك الواحد ، وقد استعمل هذا العنصر المعمارى منذ زمن بعيد لرى المارة وعابرى السبيل ، وقد تطور هذا العنصر فى العصر المملوكى تطورا كبيرا ، فتعددت طرزه وأنواعه ، فوجد السبيل المستقل والسبيل الملحق[1]، واستمر إنشاء الأسبلة فى العصر العثمانى وفقا لهذين النوعين ، فوجد السبيل المستقل ، كما فى سبيل خسرو باشا بالنحاسين ، وسبيل الست صالحة بالسيدة زينب ، والنوع الثانى: الملحق كما فى سبيل تغرى بردى بالمقاصيص ، وسبيل يوسف أغاالحين ، وسبيل الكريدلية ، وسبيل الشيخ مطهر بالنحاسين ، وسبيل أحمد العريان .

وقد كانت تشيد فوق مساحات الأسبلة السابقة غرف أطلق عليها الكتاتيب والتى كانت تحتل نفس مساحة السبيل السفلية ، وكانت لهذه الغرف شرف تطل على الطريق

---

(١) قام الدكتور حسنى نويصر بدراسة أنواع الأسبلة المملوكية ضمن رسالته للماجستير ، تحت عنوان : مجموعة سبل السلطان قايتباى .

انظر كذلك محمود الحسينى : الأسبلة فى العصر العثمانى ، مخطوط رسالة ماجستير ، وقد تم طبع هذه الرسالة فى كتاب يحمل نفس الاسم ، ١٩٨٨م .

العام ، يعلوها رفرف خشبى ، كما فى كتاب تغرى بردى ، وكتاب خسرو باشا بالنحاسين، وكتاب الشيخ مطهر بالنحاسين ، وكتاب أحمد العريان الذى فقدت شرفته وسطحه ، ويبدو أن واجهة الكتاب فى منشأة العريان كانت تطل على الشرفة بعقد مدبب يغشاها الآن نافذة خشبية حديثة .

٩ ـ القبة :

تعتبر القبة من أهم وسائل التغطية التى استخدمت فى العصور المختلفة ، خاصة فى تغطية المساحات المربعة ، وقد تناول العديد من الدارسين للعمارة الإسلامية نشأة القبة وتطورها فى مصر والعالم الإسلامى (١) . ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أهمية استخدام القبة كوسيلة للتغطية فى الأضرحة الإسلامية كميزة معمارية فريدة خاصة ، وأن قبة الصليبة تعتبر أقدم ضريح فى الإسلام استخدمت فيه القبة كوسيلة للتغطية ، أما استخدامها فى مصر فى هذا النوع من العمائر فقد وجد فى القباب السبع بالقرافة الكبرى، كما أنها استخدمت فى مقابر أسوان على نطاق واسع وذلك فى الفترة الفاطمية.

ولم يقتصر استخدام القبة فى العصر الفاطمى على تغطية الأضرحة ، وإنما تعداه إلى تغطية أروقة المساجد ، كما هو الحال فى الجامع الأزهر ومسجد الحاكم ، واستمر استخدامها فى العصر الأيوبى ، فوجدت تغطى المساحة التى بها قبر الإمام الشافعى ، وكذلك قبة الصالح نجم الدين أيوب . وصارت القبة فى العصر المملوكى فى مدارج الرقى والتطور ، وتبعت فى تطورها تخطيط المساجد والمساحات التى تغطيها ، إذ أصبحت أكبر حجما عن ذى قبل ، كما استخدم فى تشييدها مواد مختلفة ، لاسيما الخشب ، كما هو الحال فى مسجد بيبرس البندقدارى بالظاهر ٦٦٦هـ/ ١٢٦٩م والناصر محمد بالقلعة(٢). وأصبح تشييد القبة ملاصقا لبناء المسجد ، حتى كان يطلق على هذه المنشآت اسم : المجمعات الدينية .

وظاهرة إدماج القبة الضريحية بالمنشآت الدينية هى ظاهرة محلية أيضا ظهرت بمصر منذ العصر الأيوبى ، إذ نلحظها فى مجموعة المدارس الصالحية ، حيث ألحقت شجرة الدر بالمدرسة الصالحية قبة لدفن زوجها الصالح . ومنذ هذا العصر والمعماريون يدمجون قباب السلاطين والأمراء ضمن منشآتهم ، كما فى قبة المنصور قلاوون ، وقبة سنجروسلار التى استخدم فيها الحجر لأول مرة فى تشييد القباب ٧٠٣هـ ، واستمر الحال

(١) من هؤلاء الدكتور / حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية ،مخطوط ، رسالة دكتوراه . والدكتور/ مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس أمير كبير ، مخطوط ، رسالة دكتوراه ، والأستاذ الدكتور / كمال الدين سامح : تطور القبة .

(٢) هدايت على تيمور ، جامع الملكة صفية ، ص١٩٩ .

بعد ذلك طيلة العصر المملوكى ، وفى العصر العثمانى بدأ يظهر التأثر بمثل هذه الظاهرة المحلية ، فنجد أن مسجد المحمودية قد ألحقت به قبة للدفن خلف جدار المحراب مباشرة تأثرا بمدرسة السلطان حسن التى لا تبعد كثيرا عنها . وكذلك ألحق بمسجد مرزوق الأحمدى بالجمالية قبة ضريحية ، لكن القبة مفقودة الآن ، وكذلك ألحق بجامع أحمد العريان قبة ضريحية للمنشئ إلى جانب المدافن التى خصصت لأسرته .

١٠ ـ المقرنصات :

استخدم المعمارى فى تحويل بدن القبة المربع إلى مثمن مقرنصات بسيطة تتكون من حطتين : الأولى تتكون من حنية ، والثانية من حنيتين ، ويتضح فى استعمال هذه المقرنصات التأثر كذلك بالأساليب المحلية التى اتبعت فى مصر الفاطمية فى تحويل بدن المربع إلى مثمن يسهل إقامة القبة فوقه ، وكانت هذه المقرنصات قليلة العدد ، إذ كانت تتكون من حطتين أو ثلاث حطات ، وتطورت هذه الطريقة فى العصر الأيوبى ، وبلغت قمة تطورها فى العصر المملوكى الجركسى ؛ إذ بلغت منطقة انتقال مدرسة الأشرف قايتباى بالجبانة تسع حطات ، وفى العصر العثمانى الذى يمثله هذا المسجد نجد أن منطقة انتقال القبة تتشابه تماما مع مناطق انتقال القباب الفاطمية التى ظهرت فى قبة عاتكة والجعفرى بالخليفة .

وإلى جانب هذه المناطق البسيطة التى استعملت فى ذلك العصر لتحويل المربع إلى مثمن استعملت كذلك عقود مدائنية محمولة على مثلثات مروحية تحول المربع إلى قبة دائرية يسهل إقامة القبة فوقه كما فى سنان باشا [(١)] ، ومحمد بك أبو الدهب ، وهى ظاهرة عثمانية استعملت فى مساجد الطراز العثمانى .

١١ ـ الجفت اللاعب :

استعمل هذا العنصر المعمارى بأسلوب زخرفى على الواجهة ؛ إذ يحدد العتب الذى يعلو النوافذ الخمسة للواجهة ، وكذلك عتب المدخل والسبيل ، ويحدد كذلك الزخارف التى تمتد بطول الواجهة ، وكان هذا العنصر فى العصر المملوكى يتشكل فى امتدادات وانثناءات زخرفية جميلة تلتقى فى شكل سداسى الأضلاع ؛ بحيث يستطيع المرء أن يفرق بين الجفت العثمانى والجفت المملوكى بواسطة الميمة السداسية والميمة الدائرية .

---

(1) Devonshire, (R.L.),. L' Egypte Musulmane et les Fandateurs De ses Monuments , paris 1926 , pl . XXXVIII .

ثانيا : العناصر المعمارية الداخلية :

١ ـ التخطيط العام للمسجد (انظر : لوحة ٤٦ ـ ٥٢) :

يمثل تخطيط المسجد أحد طرز العمارة المحلية التى مثلت فى ذلك العصر ، وقد أرجع جون وليم هذا التخطيط إلى نهاية عصر المماليك الجراكسة ، حيث ظهر فى جامع جانم البهلوان ٨٩٣هـ[١] ، غير أن ذلك ينافى الحقيقة ، إذ أن هذا التخطيط قد ظهر فى بداية عصر المماليك الجراكسة فى زاوية الأبناسى ٧٩٦هـ ، وتنقسم مساحة الجامع ـ موضوع الدراسة ـ إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة ، وهذا الطراز المحلى الذى وجد فى هذا المسجد قد وجد ما يماثله فى فترة سابقة كما فى جامع مرزوق الأحمدى ، وجامع مراد باشا ببين السورين ، وجامع الشواذلية بالموسكى ، وإلى جانب هذا الطراز المحلى وجد نوع آخر من التخطيطات المحلية ، وهو طراز المدرسة المنكمشة[٢] الذى يمثله جامع يوسف أغاالحين ، وجامع الفرقانى بدرب سعادة ، وجامع محب الدين أبو الطيب بالخرنفش .

وإلى جانب هذا النوع من التخطيط وجد نوع آخر يمثل إعادة تمثيل للمسجد ذى الظلات، يتضح هذا فى جامع عثمان كتخدا بالأوبرا [٣] ، وهذه الأنماط المحلية التى مثلت فى ذلك العصر ، وجدت إلى جانب الطراز العثمانى الذى يمثله جامع سليمان باشا ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م ، وجامع الملكة صفية ١٠٢٠هـ/ ١٦١٠م ، وجامع سنان باشا ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م ، وجامع محمد بك أبو الدهب .

وإذا قمنا بعمل دراسة تأصيلية لتخطيط جامع أحمد العريان لوجدنا أن بدايات ظهور هذا الطراز فى تخطيط المنشآت كان داخل حى باب البحر ، إذ استطعنا أن نكوّن مسقطا تصوريا من خلال وثيقة يعود تاريخها إلى سنة ٧٩٦هـ خاصة بزاوية الأبناسى ، يعتمد هذا التخطيط على رواق للصلاة يطل على الدورقاعة العراقية ببائكة مقوصرة من ثلاثة عقود، والرواق المواجه له على الدورقاعة بنفس البائكة ، فقد تأثر بهذا التخطيط جامع سيدى مدين ٨٤٣هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩م الذى يقع بعطفة سيدى مدين المتفرعة من حى باب البحر ، ثم بعد ذلك زاوية جانم البهلوان ، ثم جامع مراد باشا ببين السورين

(1) Williams (Gohn Alden),. The Monements of Ottaman (An Article) in International Sur L'histoire du Caire , 1969 . p. 455 .

(٢) هدايت على تيمور : جامع الملكة صفية ، ص٢٠٠ .

(٣) عن الطراز المحلى فى عمائر القاهرة العثمانية انظر : محمد حمزة الحداد : الطراز المحلى فى عمائر القاهرة الدينية ، مخطوط ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٩٠م .

١٥٦٨م ، ثم جامع مرزوق الأحمدى ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م ،ثم جامع الشواذلية ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م ، ثم جامع أحمد العريان ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م .

٢ ـ المحراب :

يتكون محراب جامع العريان (لوحة : ٥٢) من حيث الطراز إلى قسمين : الأول: وهو حنية المحراب ذاتها المعقودة بعقد مدبب . والثانى : من المساحة التى بداخل الإطار المستطيل الذى يحيط بهذه الحنية ، ويزخرف كوشتى العقد زخارف عثمانية الطراز نفذت على بلاطات خزفية تملأ المساحة التى يعبر عنها بكوشتى العقد ، ويعد هذا الاستخدام فى زخرفة المحاريب والمداخل من المؤثرات العثمانية ، إذ إن استخدام البلاطات الخزفية فى زخرفة قمم المآذن وفى رقاب القباب كان قد ظهرت بوادره منذ عصر أسرة قلاوون [١]، وكذلك يحيط بكوشتى العقد زخرفة من الجفت تأثرت بما يحيط بالمحراب الخاص بمسجد الشواذلية الكائن بالموسكى ، إذ يتشابه تماما مع الزخرفة التى تحيط بكوشتي العقد الخاص بجامع أحمد العريان .

٣ ـ دكة المبلغ :

دكة المبلغ هى الدكة التى يصعد عليها المبلغ الذى يردد أذان المؤذن وقت إقامة الصلاة ، ويقوم بالتكبير خلف الإمام . وكان يقوم أيضا بذكر الآية (٥٦) من سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ وذلك عند خروج الخطيب من خلوته ، وأيضا بذكر الحديث الخاص فى معنى الإنصات «إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب ، فقد لغوت ، ومن لغا فلا جمعة له »[٢] وذلك قبل صعود الإمام للمنبر .

ودكة المبلغ فى مسجد العريان تقع فى الجدار الشمالى الغربى المواجه لجدار القبلة ، ويصعد إلى هذه الدكة بواسطة سلم فى الجدار الشمالى الغربى له فتحة باب مقنطرة تفتح على الظلة الشمالية الغربية ، وقد صنعت هذه الدكة من الخشب مثل غيرها من دكك مساجد الطراز المحلى والعثمانى .

ويتضح فى دكك هذه الفترة أنها تختلف اختلافا واضحا عن دكك المبلغين التى وجدت فى عمائر المماليك ، حيث كان مقامها فى العصر المملوكى بمعظم المساجد مؤخرة

(١) هدايت على تيمور ، المرجع السابق ، ص٢١٥ .

(٢) الحديث رواه البخارى (٩٣٤) فى الجمعة باب :الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب ، ومسلم (٨٥١) فى الجمعة ، باب فى الإنصات يوم الجمعة فى الخطبة .

تنبيه : عبارة « من لغا فلا جمعة له » ليست فى الصحيحين ، ولا أساس لها .

إيوان القبلة كما فى مدرسة السلطان حسن، وشيخو الناصرى ، ومدرسة السلطان برقوق، وفى بعض الأحيان فى الإيوان الشمالى الغربى ، كما فى جوهر اللالا ٨٣٣ هـ ومسجد الغورى ، أما فى العصر العثمانى فنجد أن دكك المبلغين قد احتلت مؤخرة الإيوان الشمالى الغربى سواء فى الطراز العثمانى الذى يمثله جامع سنان باشا وجامع أبو الدهب وجامع الملكة صفية ، حيث وضعت فى الجدار الفاصل بين بيت الصلاة وبين الصحن ، أو الأروقة المحيطة ببيت الصلاة ، وفى هذه الحالة فإن وجود الدكة أمر له أهميته ، خاصة وان مساحة المساجد فى هذا الطراز كبيرة ، كما كان يتطلب معه وجود مثل هذه الدكة لتبليغ المصلين الذين قد يضيق بهم مكان الصلاة الأصلى . أما فى الطراز المحلى فقد وضعت فى الجدار الشمالى الغربى المواجه لجدار القبلة ، كما فى مسجد المحمودية ، ومراد باشا ، وعثمان كتخدا ، والعريان ، وربما يرجع ذلك إلى أن استخدامها فى هذا الطراز انحصر فى قراءة القرآن الكريم فى يوم الجمعة وترديد أذان الإقامة ، خاصة وأن المساحة التى نفذت عليها عمائر هذا الطراز مساحات ضيقة .

ومهما كان الأمر فإن دكة المبلغ فى العمائر العثمانية هى من الظواهر المحلية التى عرفتها مصر منذ العصر المملوكى البحري وتطورت في هذا العصر من الناحية الوظيفية حتى أصبح مكانها نهاية الإيوان الشمالى الغربى ، مما يجعلنا نضع العديد من علامات الاستفهام عن الدور الوظيفى الذي كانت تؤديه في مثل هذا المكان؟ وانتقلت الدكة إلى العمائر العثمانية فى نفس المكان الذي وجدت به فى العصر المملوكى . وأصبح معرفة دورها الوظيفى أمر له أهميته . ونأمل ـ إن شاء الله ـ دراسة هذا النوع من الدكك وتبيان دورها الوظيفى فى بحث لاحق .

٤ ـ الأعمدة :

استخدمت الأعمدة بكثرة فى المنشآت الدينية عامة وفى مسجد العريان خاصة، إذ أن تخطيط المسجد اشتمل على أربعة أروقة بإيوان الصلاة موازية لجدار القبلة عن طريق ثلاث بائكات ، كل بائكة مكونة من عقود محمولة على أعمدة ، بشكلها البسيط الذى يرتكز عليه بدن العمود التى جاءت جميعها مستديرة الشكل مصنوعة من الرخام ، أما تيجان هذه الأعمدة فقد انحصرت فى الشكل الكورنثى، تتفق معها تيجان أعمدة المحراب.

٥ ـ التاج الكورنثى :

اتسمت جميع أعمدة المسجد بأن لها تيجان كورنثية الشكل ، وقد تميزت هذه التيجان بصناعتها من مادة الحجر وزخرفتها بأوراق الأكانتس ، وقد لونت تيجان أعمدة المحراب حديثا بألوان زيتية .

٦ ـ العقود :

تعد العقود من العناصر المعمارية الهامة التى تكسب أيا من العمائر مظهرا زخرفيا جميلا بجانب طبيعتها الإنشائية فى تدعيم البناء نفسه ، ومن ثم كانت موضع عناية المعمار الإسلامى بصفة عامة فجاءت ذات طبيعة زخرفية هامة فى البناء ، وقد تعددت أنواع العقود فى مسجد العريان ، فوجد العقد المستقيم ، والعقد العاتق ، والعقد المدائنى ، والعقد المدبب ، وقد سبق وأن تحدثنا عن العقد المدائنى والمستقيم والعاتق عند الحديث عن عناصر الواجهة المعمارية ، ونتحدث الآن عن العقد المدبب الذى اتسمت به جميع بائكات المسجد .

يتكون العقد المدبب من قوسين رسما من مركزين [1] . ويوجد أقدم مثال لهذا النوع من العقود في المسجد الأموى بدمشق فى واجهة المجاز القاطع المطلة على الصحن ٩٦هـ/ ٧١٤م، وأقدم مثال له فى مصر فى عقود فتحات أخذ المياه بمقياس النيل بالروضة الذى يرجع إلى عصر الخليفة المتوكل على الله ٢٤٢هـ/ ٢٤٧هـ وإلى جانب العقد المدبب الذى استعمل فى جميع بائكات المسجد نجد أن هناك نوعا من العقود المدببة ذو الأربع مراكز استعمل فى عقد الإيوان الجنوبى الغربى الذى يرتكز على عمودين ، وقد وقع على عاتق هذه العقود جميعها مهمة حمل السقف الخشبى الخاص بالمسجد .

٧ ـ الكتبيات :

اجتمعت فى هذا المسجد العديد من الكتبيات حيث وجد منها اثنان على يمين المحراب، وواحدة على يساره ، وواحدة فى الإيوان الشمالى الغربى ، وقد خصصت هذه الفتحات لحفظ الكتب الدينية والقرآن الكريم الخاص بالمسجد ، وهى بذلك تتشابه مع نظيرتها المملوكية التى كانت توجد بكل منشأة .

ثالثا : العناصر الزخرفية :

تنقسم العناصر الزخرفية التى تضمنها المسجد إلى قسمين : الأول : وهو الزخارف النباتية ، والثانى : وهو الزخارف الهندسية .

١ ـ العناصر النباتية :

تعتبر الزخرفة النباتية من أهم عناصر الفن الإسلامى ، تلك الزخارف التى أولاها المسلمون جل اهتمامهم حتى أخرجوها فى صورة جديدة تبعد عن تقليد الطبيعة . وقد

(١) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م ، ص٢٠٧ .

انتشرت الزخارف النباتية فى مسجد العريان فى واجهة الجامع الرئيسية ، حيث انحصرت هذه الزخارف ـ التى هى عبارة عن أوراق العنب وفروعه داخل أشرطة زخرفية تمتد بطول الواجهة ، وأعلى واجهة السبيل ، وهى بذلك تتشابه مع واجهة جامع الشواذلية ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م ، وواجهة جامع الحفنى ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م ، كما وجدت هذه الزخارف فوق البلاطات الخزفية ، حيث استعملت هذه البلاطات أوراق الساز المسننة ، وزهور القرنفل ، وهى من التقاليد العثمانية ، كما أن زخرفة بعض الأماكن بالواجهة وحول المحراب ومدخل السبيل والمدخل الرئيسى بهذه البلاطات هى من التأثيرات العثمانية التى استعملت فى عمائر ذلك العصر .

٢ ـ الزخارف الهندسية :

غدت الزخارف الهندسية عنصرا هاما من عناصر الزخرفة الإسلامية ، ولم تكن هذه الزخرفة من ابتكارات المسلمين وإنما وصل بها المسلمون إلى درجة كبيرة من الإتقان والتكوين الرائع ، ولعل نفور المسلمين من محاكاة الطبيعة محاكاة صادقة ومهارتهم الفنية فى الهندسة العلمية مما دفعهم إلى إتقان الزخارف الهندسية [(١)] .

والزخارف الهندسية تحتوى على أشكال بسيطة كالمثلث والمربع والمعين والنجمة المتعددة الأضلاع والدائرة ، وقد تجلت هذه الأشكال فى منشأة أحمد العريان فوجد الشكل النجمى المتعدد الأضلاع أسفل العقود المستقيمة التى بالمدخل الرئيسى ، وهى عبارة عن زخرفة تحيط بالعتب ، ووجدت كذلك أسفل عقد المحراب الخاص بالقبة ، وكذلك بالمحراب الرئيسى بالمنشأة ، ووجدت الدائرة فوق قمة المحراب محاطة بدوائر صغيرة ، واستعمل المثلث المقلوب فى شطف أركان المربع الخاص بالقبة وذلك فى الواجهة الخارجية للقبة . ووجد المربع المنحصر داخل مستطيل فى زخرفة الباب الخشبى الذى يغلق على فتحة الباب الرئيسى للمسجد .

وقد امتزجت بعض هذه الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية التى على الواجهة ، حيث نجد الزخارف الهندسية تحدد الزخارف النباتية ، وهكذا نجد امتزاجا واضحا بين العنصرين النباتى والهندسى .

وفى نهاية هذا الفصل يتبين لنا أن دراسة هذا الأثر قد كشفت عن عديد من النتائج:

١ ـ كان الشيخ أحمد العريان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وعلى الرغم من ذلك ذاع صيته وانتشرت شهرته فقصده الأمراء والعامة ، وكان يأخذ منهم دراهم كثيرة ينفقها على الفقراء والمجتمعين معه وتشييد مسجده .

---

(١) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس ، ص٢٥٨ .

٢ ـ نتيجة لشهرة الشيخ العريان فقد تتلمذ على يديه الشيخ أحمد العروسى وزوجه وابنته ، وشيد فى مواجهة المسجد منزلا يجاور منزل الشيخ أحمد الزاهد .

٣ ـ كان تخطيط المسجد المعمارى تقليدا لتخطيط زاوية الأبناسى ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م، والتى تقلد بها كذلك مسجد سيدى مدين ، ثم مسجد العريان .

٤ ـ يمثل المسجد ـ من ناحية العناصر المعمارية والزخرفية ـ الطراز المحلى الذى عرفته مصر فى العصور السابقة على العصر العثمانى .

٥ ـ يمثل المسجد فى تكوينه المعمارى نظام المجمعات الدينية التى عرفتها مصر فى العصر المملوكى .

٦ ـ تعد مئذنة المسجد من الأنماط المملوكية الخالصة ، على الرغم من أن المسجد قد شيد فى العصر العثمانى .

٧ ـ اشتمل المسجد على مدافن خاصة بأسرة العروسى ، وقبة ضريحية للمنشئ وامتازت هذه المدافن بتعدد المداخل المؤدية إليها .

الفصل الثالث

العمائر الدارسة

استعرضنا فى نهاية الباب الأول التطور العمرانى الذى شهده حى باب البحر منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثمانى ، وتحدثنا فيه عن بعض الآثار المعمارية الدينية التى ذكرتها المصادر التاريخية ، والتى كان لها دورها المميز فى جذب العمران إلى هذا الحى ، ولم نتعرض عند حديثنا عنها إلى المكونات المعمارية لكل أثر ، وهذا راجع إلى قلة المعلومات الواردة عنها فى هذه المصادر التاريخية التى ذكرتها .

غير أن هناك بعض الوثائق المعاصرة للفترة المملوكية والعثمانية ، قد تعرضت لذكر بعض العمائر التى شيدت داخل الحى خلال هذين العصرين ، وأمدتنا بمعلومات وفيرة عن تخطيطها ومشتملاتها المعمارية ، إلى جانب ذلك فإن الحى يحتفظ بأجزاء من عمائر مملوكية ، مثل: مئذنة زاوية الأبناسى التى تعرف خطأ باسم مئذنة علي الفرا ، ومئذنة جامع سيدى أحمد الزاهد ، فضلا عن اشتمال الحى على قبة كانت ملحقة ضمن زاوية عبد الرؤوف المناوى ، التى يعود تاريخها إلى عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م . لهذا فقد رأيت أن أفرد هذا الفصل لدراسة هذه العمائر الدارسة ، وألقى الضوء عليها من خلال المعلومات الواردة عنها فى الوثائق والمصادر المعاصرة لها .

أولا : زاوية الأبناسى : (أثر رقم / ١٦٦) :

ذكرها المقريزى ضمن الزوايا [١] ، وقال : إنها تقع بخط المقس بالقرب من باب البحر ، ولم يذكر تاريخ إنشائها ، غير أننى استطعت ـ بفضل الله تعالى ـ أن أضع يدى على وثيقة خاصة بهذه المنشأة يعود تاريخها إلى سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م [٢] . وهذه الوثيقة التى بين أيدينا منقولة عن الوثيقة الأصلية فى سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م ، ومن خلال المعلومات الواردة داخل الوثيقة تبين لنا التخطيط المعمارى لها ، والمنشئ الذى شيدها ، والغرض الأساسى من إنشائها ،فضلا عن تصحيح التاريخ الذى يحتفظ به فهرس الآثار الإسلامية والخاص بمئذنة هذه الزاوية.

المنشئ:

هو إبراهيم بن أيوب الأبناسى ، ولد سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م بقرية أبناس[٣] من

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٥ .
(٢) وثيقة رقم ٧١٩ج / الأوقاف .
(٣) الوثيقة رقم ٧١٩ج / الأوقاف ، سطر ١٧٩ .

أعمال الغربية ، وعندما شب عن الطوق ، وحفظ القرآن الكريم ، تلقى الفقه على يد اليافعى والشيخ خليل بمكة ، وعن عمر بن أميلة وغيره بدمشق ، واشتغل فى الفقه والعربية والأصول والحديث ،وعندما جاء إلى مصر تفقه على يد الإسنوى والمنفلوطى، وغيرهما ، ودرس بعد ذلك بمدرسة السلطان حسن ، وجامع الحاكم بالمقس(1) ، وشيد لنفسه داخل الحى هذه الزاوية التى أقامها لطلبة العلم الشريف ، ورتب لهم ما يأكلون،ويسعى لهم فى الأرزاق ، حتى صار أكثر الطلبة بالقاهرة من تلامذته ، ويشير الحافظ ابن حجر العسقلانى إلى أنه سمع منه كثيرا ، وقرأ على يديه فى الفقه ، وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ، وطلبه الأمير سيف الدين برقوق ، وهو يومئذ أتابك العساكر حتى يقلده قضاء القضاة بديار مصر فتغيب فرارا من ذلك وتنزها عنه إلى أن ولى غيره (2) .

ولم يزل شيخنا مستمرا فى طريقته فى الإفادة بنفسه وعمله إلى أن حج سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م فمات عند عودته فى المحرم سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م(3) . ومن أحفاده إبراهيم بن محمد بن أحمد ، ولد بالزاوية سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م ، ومات بعد سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م ، ومحمد بن إبراهيم ، توفى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م ، وكان يتولى النظر على الزاوية (4) .

وقد ظل منشئ الأثر قائما فيه حتى توفى فخلفه فيه سميه الشيخ إبراهيم بن حجاج ابن محرز بن مالك الأبناسى من علماء الشافعية ، ولد سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م ، وتوفى سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م ، وفى أواخر القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى سكن بهذا الجامع الشيخ على بن عبد الله الأنماطى الفراء المعروف بالجمل ، أحد مدرسى جامع الحاكم بأمر الله ، وظل ساكنا به حتى توفى فى سنة ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م فدفن بقبر أحدثه بهذه الزاوية . وكان فى بادئ الأمر يحترف صناعة الفراء بسوق الفرائين بالمقس ، ثم عانى طلب العلم ، فحفظ القرآن الكريم وجوده ، واشتغل بعلم القراءات مع تكسبه من صناعته فراج أمره ، وأصلح هذا المسجد فى التاريخ السابق ، وأقام به . وقد تم تجديد هذا المسجد فيما عدا المئذنة فى عام ١٣١٩هـ ، وعلى هذا فإن اسم الشيخ الأخير قد

(1) ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر بأبناء العمر (ثلاثة أجزاء) ، جـ٢ ، تحقيق :حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧١م ، ص١١٢ .

(2) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ٢ ،ص٤٣٥ .

(3) ابن حجر العسقلانى ، المصدر السابق ، جـ٢، ص١١٢ ، والمقريزى ، نفس المصدر السابق والصفحة .

(4) حسن قاسم : المزارات الإسلامية ، جـ٢ ، ص١٥٩ ، والسخاوى (شمس الدين) : الضوء اللامع ، جـ١ ، ص١٢٦ .

اقترن بهذه الزاوية على اعتبار أنه آخر مقيم بها ، وهذا خطأ إذ إن الهيئة قد اتخذت من ذلك قرينة لتأريخ المنارة بالقرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى رغم أنها تعود لأواخر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى .

تاريخ الأثر :

ترجم المقريزى لصاحب هذا الأثر كما ذكرنا ، ولم يؤرخ له ، وقد ذكر حسن قاسم[1] نقلا عن السخاوى أن الوزير شمس الدين المقسى وزير الملك الأشرف شعبان بن حسين المتوفى سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م قد ساهم مع صاحب هذه المنشأة فى تشييدها والصرف عليها أثناء العمارة ، ومن هذه العبارة أرجع حسن قاسم تاريخ الزاوية إلى السنة التى سبق ذكرها والتى بدأ فيها البناء يظهر إلى حيز الوجود .

غير أن الوثيقة الخاصة بالأثر والمؤرخة بسنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م والتى تصف الأثر وصفا تفصيليا ، قد ذكرت أن الناظر على الوقف هو شهاب الدين أحمد الأبناسى[2] ، فى حين أن المنشئ هو إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسى ، الذى ترجم له المقريزى فى خططه ، وفى هذا نرى اختلافا جوهريا مضمونه : أن الواقف لم تتضمن الوقفية اسمه، وهذا يوضح لنا أمورا هامة منها :

١ ـ أن هذه الزاوية قد بدأت تأخذ طريقها إلى النور فى السنة التى استند عليها حسن قاسم فى التأريخ لها ، وفى هذه السنة لم يكن البناء قد اكتمل بعد ، وعندما تمت عمارتها قرر الواقف أن يكون الناظر على وقفه وهو ابنه شهاب الدين أحمد الأبناسى الذى قام بعمل وثيقة تتضمن وصفا مسهبا للزاوية والأوقاف الموقوفة عليها .

٢ ـ أما الأمر الثانى هو أن يكون المنشئ الشيخ إبراهيم الأبناسى قد قام بعمل وثيقة وقف خاصة بالمنشأة فى السنة التى ذكرها حسن قاسم ٧٧٧ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٧٥ ـ ١٣٧٦م، لكنها فقدت ؛ مما اضطر معه ابنه المعين من قبله ناظرا على وقفه من تحرير وثيقة أخرى سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٧م تذكر أوصاف الزاوية وأوقافها ، ومما يؤكد ذلك وجود نسخة لهذه الوثيقة خاصة بالحاجة شمول زوجة الواقف التى حررتها كذلك فى نفس السنة[3] . وهى أيضا منقولة عن الأصل (فى العصر العثمانى) .

والأمر الراجح أن المنشأة قد بدأت تظهر إلى الوجود فى تاريخ سابق على تاريخ تحرير الوثيقة ، يتأكد لنا ذلك من أن وثيقة الوقف لم تتضمن اسم الواقف إنما ذكرت اسم ابنه (ناظر الوقف) ، ووثيقة أخرى ذكرت اسم زوجته (ناظرة وقف) ، مما يتضح لنا

---

(١) حسن قاسم : المزارات الإسلامية ، جـ٢، ص١٥٩ .　　(٢) وثيقة ٧١٩ج/الأوقاف / سطر ٦٨ .

(٣) وثيقة ٧٥١ج / الأوقاف .

أنها شيدت فى تاريخ سابق من المحتمل أن يكون التاريخ الذى ذكره حسن قاسم والذى اعتمد فيه على ما ذكره السخاوى . وعلى هذا فإن تاريخ الأثر يعود إلى ما قبل سنة٧٩٦هـ .

الموقع :

كانت هذه الزاوية تقع داخل حى باب البحر على بُعْد قليل من جامع التركمانى الذى كانت له أوقاف تجاور هذه الزاوية ، حيث أشارت إلى ذلك الوثيقة ، فذكرت أن هذه الزاوية تجاور جامع التركمانى ، ولو نظرنا إلى الموقع الآن لوجدنا أن المسافة بين الجامع والزاوية بعيدة نسبيا ، غير أن الأوقاف التى كانت تجاور كل أثر قد قربت المسافة بينهما ؛ مما جعل الواقف يذكر أن الزاوية تجاور جامع التركمانى ، لدرجة أن هناك أوقافا كانت متداخلة بين المنشأتين (١) ولم يتبق من هذه المنشأة سوى المئذنة فقط . وقد أعيد بناء الزاوية فى عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م بعد أن تهدمت أجزاؤها .

الصفة التى أنشئت من أجلها ومصادر تمويلها :

أنشأها الواقف المذكور برسم مدرسة ومسجد للصلاة وزاوية أسكن بها عددا من الطلبة ، ورتب لهم درسا ، ووقف بها كتبا جليلة ، وحبس عليها رزقة(٢) التى هى عبارة عن مساحات مختلفة من الأرض موزعة فى عدة أقاليم منها قطعة من الأرض كائنة بناحية اللخمية من أعمال القليوبية ، مساحتها بالقصبة الحاكمية عشرة أفدنة ، وجميع الرزقتين الكائنتين بناحية منشأ من أعمال الدقهلية والمرتاحية ، مساحة إحداهما عشرون فدانا ، ومساحة الأخرى عشرة أفدنة ، ومن ذلك جميع الرزقة الكائنة بناحية أبناس من أعمال الغربية مساحتها بالقصبة الحاكمية أربعون فدانا ، إلى جانب العديد من القطع التى تذكرها الوثيقة والمنتشرة فى الوجه البحرى والقبلى ،والتى خصصها الواقف لعمارة الزاوية المذكورة وترميمها وما فيه نموها ، وبقائها لينتفع بها الجميع (٣) .

الوصف الوثائقى للمنشأة :

١ ـ دهليز المدخل :

جاء الجزء الأول للوثيقة بحالة سيئة من الحفظ ، ومن ثم فقد ضاع وصف كتلة الدخول الرئيسية للمنشأة ، واستطعنا بعناء أن نقرأ هذا الجزء ليتضح لنا أنه خاص بوصف دهليز الدخول . وتذكر الوثيقة أن هذا الدهليز يتضمن جهة اليمين مكانا مفروشة أرضه

---

(١) انظر : النص الوثائقى ، سطر ١٤٦ .

(٢) حسن قاسم ، المرجع السابق ، جـ٥ ، ص١٩٩ .

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ١٧٧ ، ١٨٨ .

بالبلاط ـ من المرجح أن يكون قد استخدم كمزيرة ، يلى ذلك خزانة كبرى[١] عليها زوج من الأبواب ، يؤدى هذا الدهليز المتقدم ذكره إلى مجاز مستطيل مسقف غشيما[٢] فرشت أرضية هذا المجاز بالبلاط ، يوجد على يسرة الداخل إليه مصطبة ، فتح بهذا المجاز ثلاثة أبواب :

الباب الأول : ويقع على يسرة الداخل ، وهو مربع[٣] ، يغلق عليه فردة باب تؤدى إلى مخزن كبير مسقف غشيما بغير بلاط .

الباب الثانى المفتوح على يمنة الداخل : فتح هذا الباب على يمنة الداخل إلى المجاز، وهو باب مربع ، يغلق عليه زوجا باب ، يؤدى إلى دهليز يتوصل منه إلى رحبة لطيفة[٤] لها ثلاثة أبواب : الأول ويقع على يسرة الداخل ، وهو كبير ، ويؤدى إلى مطبخ كبير مسقف غشيما ، متصل بهذا المطبخ مخزن كبير عن طريق باب مربع يغلق عليه فردة باب، يسقف هذا المخزن سقف غشيم ، أما الباب الثانى فيؤدى إلى ميضأة بيت واحد ، وأما الباب الثالث فهو مربع يغلق عليه زوجا باب يدخل منه إلى قاعة تتكون من إيوان يفتح على الدورقاعة ،وهذا الإيوان مسبل الجدر بالبياض[٥] مفروش الأرض بالبلاط الكدان[٦] مسقف نقيا [٧] يفتح على الدورقاعة خزانة لها باب مربع يغلق عليه زوجا باب.

الباب الثالث المفتوح بالمجاز : هذا الباب مربع له عتبة سفلية من الحجر الصوان ومن أعلى عتب من الخشب النقى ، يغلق عليه فردة باب.واحدة يدخل منه إلى دهليز فتح فى صدره باب يؤدى إلى مجاز ، على يمنة الداخل إليه يوجد بيت أزيار لطيف ، وبأقصى هذا البيت سلم مبنى بالحجر الغشيم ، يجاور ذلك كله ميضأة بها بيت خلاء. يؤدى السلم سالف الذكر إلى طبقة [٨] لطيفة تحوى منافع ومرافق وحقوق ، وأمام باب هذه الطبقة سطح مخطر ، وفتح على يسرة الداخل إلى هذا الدهليز باب مربع ركب عليه فردة باب ، يتوصل منه إلى بيت أزيار معقود قبوا ، مفروش الأرض بالبلاط ،يتوصل من خلال بيت الأزيار إلى سلم معقود بالبلاط ، يتوصل منه إلى مطبخ مسقف غشيما ، ثم يصعد من بقية السلم إلى باب مربع يغلق عليه زوجا باب فى مواجهته مطبخ مخطر، يؤدى الباب السابق إلى رواق يحوى إيوانا يفتح على دورقاعة سقف هذا الإيوان نقيا ، ومسبل الجدر بالبياض،ومفروش الأرض بالبلاط،وبالإيوان المذكور خزانة مسقفة نقيا، تحوى أربعة شبابيك ، كما فتح بالإيوان طاقات تطل على الرحبة والجنينة التى سيأتى ذكرها.

---

(١) الوثيقة نفسها ، سطر ١ .

(٢ ، ٣) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢٤) ، (٢).

(٤) أى : حوش صغير .

(٥ ـ ٨) انظر : معجم المصطلحات برقم (٢٣) ، (٣) ، (٢٥) ، (٤) .

٢ ـ الرحبة الكبرى :

يتصدر المجاز السابق ذكره باب مربع يدخل منه إلى رحبة كبرى كشف سماوى[١] ، مفروشة الأرض بالبلاط الكدان[٢] ، يتصدرها محراب وأربعة خلاوى برسم سكنى الطلبة الدارسين ، لكل خلوة تسقيف غشيم . يتقدم هذه الخلاوى الأربعة درابزين خشب، فى نهايته باب يؤدى إلى الجنينة المذكورة ، وعلى يسرة الداخل إلى الرحبة يوجد بابان : أحدهما يؤدى إلى دهليز له درابزين خشب نقى يطل على الجنينة التى كانت تشتمل على العديد من الأشجار المختلفة الثمار مثل: النخل ، والكرم ، والموز ، والسدر ، والسنط، والرمان ، والتوت ، وغير ذلك . مما دار عليه سياجها المبنى بالطوب الآجر واللبن .

أما الباب الآخر ـ والواقع على يسرة الداخل إلى الرحبة ـ فهو كبير مربع بغير باب، يتوصل منه إلى رواق على هيئة مسجد بصدره محراب ، مفروش هذا المسجد بالبلاط الكدان مسبل الجدر بالبياض ، مسقف نقيا ، مدهون حريريا .

٣ ـ سكن الواقف :

شيد الواقف لنفسه مكانا قائما بذاته داخل هذه الزاوية ، ويتم التوصل إلى هذا المكان عن طريق الجنينة ، حيث يتوصل الداخل إلى أرض الجنينة إلى باب مربع عليه زوجا باب يؤدى إلى قاعة لطيفة مسقفة نقيا ، مفروشة الأرض بالبلاط الكدان بشباكين فى جهة بابها يمنة ويسرة مطلة على الفسقية المذكورة، يغلق على كل شباك زوجا باب ، كما احتوت القاعة اللطيفة على خزانات فى الحوائط بداخلها رفوف برسم وضع الكتب عليها[٣] .

كما ضمت القاعة اللطيفة ثلاثة أبواب على كل منها زوجا باب ؛ اثنان من هذه الأبواب خزانتان ، والثالث يتوصل منه إلى دهليز به على يمنة الداخل باب يدخل منه إلى خلوة حمام لطيفة بها حوضان حجر كدان معقود قبوا ملبس بالجامات الزجاج الملون ، وهذه الخلوة مفروشة الأرض بالرخام مسبلة الجدر بالبياض والمنافع والمرافق والحقوق.

يتوصل من بقية الدهليز سالف الذكر إلى مرحاض بيت واحد مفروش الأرض بالبلاط ، مسبل الجدر بالبياض ، وإلى سلم معقود بالبلاط الكدان يصعد من عليه إلى طبقة بباب مربع ، عليه فردة باب ، وهذه الطبقة بداخلها بعض المرافق والحقوق ، وبصدرها شباك مطل على الفسقية والجنينة المذكورتين فيه ، ثم يتوصل من بقية السلم المذكور فيه إلى رواق به باب مربع عليه زوجا باب ، يحوى إيوانا ودورقاعة وخزانة مسقفة غشيما، يواجهه خركاوات[٤] مطلات على الفسقية والجنينة المذكورتين ، وهو

(١ ، ٢) انظر : معجم المصطلحات برقم (٨) ، (٣).

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ٢٨ .

(٤) انظر : معجم المصطلحات برقم (١٧) .

مفروش الأرض بالبلاط ، مسقف نقيا ، مسبل الجدر بالبياض .

كما اشتملت المنشأة خلف سكن الواقف على ساحة لطيفة مفروشة الأرض بالبلاط، مغطاة بمكعب قصب ، وعلى يسار السالك منها خلوة بباب مربع عليه فردة باب ، يجاورها منافع ومرافق وحقوق تخدم الطلبة القاطنين بها ، إلى جانب ذلك توجد بعض القاعات ، ورحبة كبرى تحوى بئر ماء معين يدخل فى حق الواقف النصف اثنا عشر سهما، والنصف الآخر فى وقف جامع التركمانى (١) .

٤ ـ المئذنة (لوحة ٥٥ ، ٥٦) :

لم تتعرض الوثيقة لذكر المئذنة الخاصة بهذه المنشأة ؛ مما يدعو للظن أنها شيدت بعد انتهاء كتابة الوثيقة الخاصة بهذه المنشأة .

وتتبع المئذنة ـ التى لا تزال باقية إلى يومنا هذا ـ النمط الذى صارت عليه مآذن ذلك العصر، من حيث إنها تتكون من قاعدة مربعة مرتفعة خالية من أية زخارف ، يتحول هذا البدن المربع إلى مثمن عن طريق شطف الأركان ، زخرف كل ضلع من أضلاعه بعقود منكسرة ، ينتهى هذا البدن بالدورة الأولى للمئذنة ، وهى الآن عبارة عن سياج خشبى يرتكز على أربعة صفوف من المقرنصات يليها بدن أسطوانى ينتهى بالدورة الثانية التى هى عبارة عن سياج خشبى يرتكز على ثلاثة صفوف من المقرنصات ، يتوج المئذنة قمة على هيئة القلة تنتهى بالهلال .

وقد تعرضت هذه المئذنة للعديد من أعمال الترميم من قبل لجنة حفظ الآثار العربية حيث تشير ملفات الأثر إلى هذا الأمر . فقد دهنت المئذنة فى ١٢/١٢/١٩٢٥م بالجير الأبيض من قبل الأهالى ، مما أثار حفيظة المهندس أحمد فهيم التابع للجنة حفظ الآثار العربية ، فقام برفع مذكرة بما شاهده لاتخاذ اللازم وتم بالفعل إزالة البياض (٢) .

٥ ـ تخطيط المسجد :

عبارة عن إيوان خصص للصلاة ويطل على الدورقاعة بواسطة ثلاثة عقود مقرنصة ترتكز على عمودين ، يواجه هذا الإيوان إيوان آخر يطل على الدورقاعة بواسطة ثلاثة عقود مماثلة (٣) . وقد فتح بهذه الدورقاعة شباكان من الخشب الخرط كانا يطلان على الرحبة المذكورة . ومن هذه الدورقاعة يتوصل إلى الجنينة المذكورة .

---

(١) الوثيقة ، سطر ٤٠ .

(٢) ملف الأثر المحفوظ بأرشيف هيئة الآثار تحت رقم ٨/ ١٥٠/ ١٦٦ ، مذكرة عام ١٢/١٢/١٩٢٥م .

(٣) انظر : الوثيقة ، سطر ٢٢ ، ٢٣ .

٦ ـ خلاوى الطلبة :

شيدت هذه الخلاوى داخل أرض الجنينة وعددها ثمانى خلاوى خصصت لسكنى طلبة العلم الشريف ، كل خلوة لها باب مربع يغلق عليه زوجا باب مفروشة الأرض بالبلاط ، يتقدم هذه الخلاوى جميعها درابزين خشب نقى يفصل بين الجنينة وبين هذه الخلاوى ، وعن طريق هذا السياج الخشبى يتم التوصل إلى الفسقية .

٧ ـ فسقية الوضوء :

شيد الواقف أمام الخلاوى المذكورة فسقية للوضوء ، وهى ذات تخطيط مربع كبير فى تخوم الأرض مبنى بالحجر المطبق مفروشة بالخافقى ذات العين النحاسية والأعمدة الأربعة بالحجر الكدان القائم بأركانها الأربعة ، يلتف حولها مكعب من القصب الفارسى عليه أوراق كرم نابتة بأرض الجنينة المذكورة ، وقد خصصت هذه الفسقية لخزن المياه المستعملة فى الوضوء وغير ذلك [١] .

وفى عام ١٩٣٩ م ،وبالتحديد فى ٣/٤ بدأت كرانيش داير المئذنة فى السقوط ، وخوفا من وقوع هذه الكرانيش على المارة تم تكليف المقاول سعد عبد الله نصير أفندى فى ١٩٣٩/٣/٧م بإزالة البياض الذى يخشى من سقوطه على المارة [٢] . وبالفعل تم إجراء ترميم شامل لهذه المئذنة ، وتم عمل سياج خشبى لدوراتها وترميم الأجزاء التالفة فيها ، وهذه التجديدات هى التى ظلت عليها حتى وقتنا هذا . (انظر : اللوحة رقم ٥٣، ٥٤) .

٨ ـ التحليل :

يلاحظ أن المسجد بصورته الحالية عبارة عن دورقاعة على ضلعيها الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى إيوانان : إيوان القبلة ، والإيوان المواجه له ، والذى أحدث به الشيخ على الفرا قبره ، وهذا التخطيط هو نفسه الذى ذكرته الوثيقة مع تعديلات فى إيوان القبلة، استحدثت أثناء التجديد الذى تم عام ١٣١٩هـ بما يؤكد أنها جددت على نفس النمط الذى ذكرته الوثيقة .

وقد ظهر هذا التخطيط فى العمارة الدينية كأول مثل فى هذا المسجد الذى شيده الشيخ الأبناسى داخل هذا الحى ، وقد اتبع نفس هذا التخطيط فى منشآت أخرى تالية لها فى التاريخ مثل مسجد سيدى مدين ٨٤٣ هـ ، ومسجد أحمد العريان ١١٨٤هـ والذى سبق تناولهما بالوصف والتحليل .

وقد ذكر الأستاذ حسن عبد الوهاب : أن هذا النظام قد عرفته مصر فى العصر

---

(١) الوثيقة ، سطر ٢٦ .

(٢) الملف السابق ، مذكرة ١٩٣٩/٣/٤م .

العثمانى ، حيث ظهر ـ أول ما ظهر ـ فى جامع المحمودية بالقلعة ٩٧٥هـ ، غير أننا توصلنا إلى ما يفيد عكس ذلك ؛ إذ عرف هذا النظام فى مصر قبل عام ٧٩٦هـ ، وأصبح هذا التخطيط من التخطيطات التى عرفت إلى جانب التخطيط الإيوانى ، والتخطيط ذى الظلات . وقد ذكرنا فى الفصول السابقة تأثر منشأتى سيدى مدين وأحمد العريان بهذا التخطيط ، والذى تأثرت به العديد من المنشآت الأخرى مثل: جانم البهلوان ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، والمحمودية ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م ، ومرزوق الأحمدى ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م، وذلك كما أسلفنا .

المئذنة :

مرت المئذنة فى مصر بعديد من الأدوار عبر العصور حتى وصلت إلى الشكل الأمثل فى العصر الجركسى (١) . وقد تنوعت أشكال المآذن فى عصر المماليك البحرية فتارة تكون المئذنة من ثلاث طوابق ، السفليان منها قطاعهما مربع ، أما الطابق العلوى فأسطوانى ، ومن أمثلة هذا النوع مئذنة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين ، وتارة أخرى تبدأ قاعدة المئذنة من فوق كتلة المدخل على هيئة أسوانة تستدق إلى أعلى ، ويحمل هذا البدن الأسطوانى شرفتين على مقرنصات ، وتنتهى بقبة بصلية الشكل زوقت رقبتها ببلاطات من القاشانى ، كما فى مئذنتى جامع الناصر محمد بالقلعة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م (٢) .

وهناك نمط آخر ظهر فى نهاية العصر البحرى ، وهو يبدأ بقاعدة مربعة ترتفع حتى مستوى الواجهات ، ثم يتحول المربع إلى مثمن ينتهى بشرفة ، ثم بدن أسطوانى ينتهى بشرفة ، ثم القمة التى على هيئة القلعة ، وذلك كما فى مئذنة الأبناسى .

المقومات المعمارية لهذه الزاوية :

اشتملت هذه الزاوية على العديد من العناصر التى وظفت لخدمة المقيمين بداخلها ، فهى إلى جانب كونها زاوية اشتملت أيضا على مسجد يفتح عليها ، وقد اشتمل كلاهما على مجموعة من الخلاوى شيدت أربعة منها بالزاوية على يمين ويسار المحراب ، وثمانية شيدت بأرض الجنينة فى مواجهة المسجد ، وثلاثة فى مواضع أخرى من المنشأة ، وقد خصصت هذه الخلاوى لسكنى المتصوفة وطلبة العلم الشريف ، ولهذا نجد المنشئ يعمل على إيجاد العديد من العناصر التى تخدم المقيمين بداخل المنشأة مثل إضافة مطبخ ومخزن مهمته إعداد الوجبات للطلبة الدارسين ، وكذلك للشيوخ المنقطعين بداخلها للعبادة .

---

(١) انظر: د. حسنى نويصر: المنشآت الدينية للسلطان قايتباى ، ص٢٦٢، وانظر: د. السيد عبد العزيز سالم: تطور المئذنة.

(٢) حسنى نويصر ، المرجع السابق ، ص٢٦٢ .

ويعتبر المطبخ من الضروريات فى مثل هذه المنشآت ، ذلك أن أمر الطهو كان ينص عليه صراحة فى بعض الخوانق التى تعود لهذا العصر ، كذلك فقد وجد إلى جوار المنشأة طاحونة وفرن خصصا لإمداد المنشأة باحتياجاتها من الخبز الذى كان يصرف إلى جانب كونه طعام للمقيمين كجزء من رواتب الموظفين بالمنشأة ، وقد وجد مثل هذا العنصر الخدمى فى خانقاه سعيد السعداء وخانقاه بيبرس الجاشنكير ،وفى حالة خلو المنشآت الخاصة بالصوفية من مثل هذه العناصر المعمارية كان يصرف لنزلائها دراهم معدودة (بدل خبز) [1] .

كما احتوت المنشأة على حمام بحوضين داخل سكن الواقف المتوصل إليه من الجنينة، ومن المعتقد أن يكون هذا الحمام قد خصص لاستخدام الواقف وأهله دون الطلبة والشيوخ ، حيث كان لهم فسقية إلى جانب بيوت الخلاء التى كانت تخدمهم ، إلى جانب ذلك ضمت المنشأة جنينة تضم العديد من أنواع الأشجار والثمار ، وهكذا يتضح لنا أن المقومات المعمارية لهذه الزاوية قد انفردت بها دون غيرها من المنشآت الدينية الأخرى المعاصرة ، اللهم إلا الخوانق التى تتشابه معها فى كثير من هذه العناصر ، إلا أننا لا نجد مثل هذه العناصر موجودة بالمسجد ؛ نظرا لعدم الحاجة الماسة إليها .

ثانيا : جامع سيدى أحمد الزاهد : (أثر رقم / ٨٣) :

ترجمة المنشئ :

هو أحمد بن أبى أحمد بن سليمان المصرى المعروف بالزاهد [2] . كان رجلا صالحا من أهل العلم والعمل ، وأصله من مدينة فاو بالصعيد ، وانقطع للوعظ والإرشاد بالقاهرة ، وأحب فيها طريقة وعظ النساء ، وكان خيرا مقبولا من أهل عصره من أمراء وعلماء .

وقد بدأ شيخنا فى بناء جامعه هذا فى عام ٨١٧هـ / ١٤١٤م ، واكتمل فى عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م ، ويذكر المقريزى أنه استخدم فيه أنقاض مسجد الجاكى الذى كان يقع بدرب الجاكى المعروف الآن بدرب الجنينة ، وذلك بعد تخربه ، وبيع أنقاضه[3] ، وظل شيخنا قائما بمسجده هذا حتى توفى فى ٢٤ ربيع الأول سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م [4] ،

---

(١) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس ، ص٢٤٢ .

(٢) العسقلانى (ابن حجر) إنباء الغمر ، جـ٣ ، ص١٠٥ .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٧ .

(٤) مات الشيخ الزاهد بمرض الطاعون الذى عم القاهرة فى هذا الشهر ، حيث كثر الموت فى الأطفال والمماليك والعبيد والجوارى ، ودفن بمسجده .

انظر : ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص٢٦ ، ٢٧ .

ودفن بالقبر الذى شيده لنفسه داخل هذا المسجد فى الجهة الشمالية الشرقية منه.

موقع المسجد :

يقع هذا المسجد داخل حى باب البحر فى مواجهة جامع سيدى أحمد العريان ، والمدخل إلى هذا المسجد من بابه العمومى بالحى فى الطريق العام.

حالة المسجد :

، لم يتبق من المسجد شيء يذكر إلا المدخل والمئذنة التى تعلوه والمدخل يقع على الطريق العام وهو مغطى بقبو متقاطع، يؤدى عن طريق عدة درج هابطة إلى أرضية المسجد ، وقد ظلت أرضية المسجد حتى عام ١٩٦٣م باقية بحالتها الأصلية التى كانت عبارة عن بلاط معصرانى ، إلا أنها أزيلت وحل محلها بلاط حديث للمسجد (١) . كذلك فقد كان للمسجد خلاو ، مما يؤكد استخدامه كمدرسة وخانقاه للطلبة والصوفية المريدين للشيخ أحمد ، غير أن هذه الخلاوى قد تهدمت ، ومن المحتمل أن يكون موقع هذه الخلاوى المكان الذى يواجه الآن الميضأة الخاصة بالمسجد ، والتى كانت تقع خلف الضريح الخاص بالشيخ أحمد .

ويمكن القول إن تخطيط جامع الزاهد ـ استنادا على ما هو عليه الآن ـ كان عبارة عن دورقاعة يفتح عليها المدخل الرئيسى للمسجد ، يقابله باب آخر يؤدى إلى الملحقات الخاصة بالمسجد ، ويفتح على هذه الدورقاعة إيوانان: إيوان القبلة ، ويفتح على الدورقاعة بواسطة ثلاث بوائك ، والإيوان المواجه له ، يفتح على الدورقاعة كذلك بواسطة بائكتين ومن المرجح أن يكون هذا المسجد قد جدد على نفس النمط ، حيث تشير تخطيطات المساجد والزوايا الموجودة داخل الحى إلى أنها كانت تتبع جميعها نفس هذا التخطيط الذى يبدو أنها استمدته من زاوية الأبناسى التى لا تبعد كثيرا عنها .

المئذنة (انظر : لوحة رقم ٥٧) :

تعلو المئذنة المدخل الرئيسى للجامع ، وكانت نظارة الأشغال العمومية قد أمرت بوقف عمارة مسجد الزاهد ، وذلك بمعرفة ديوان الأوقاف التى كانت تقوم ببناء كتفين ليسندا المنارة بارزين عن خط تنظيم الواجهة ، وبعد قيامها بمعاينة ذلك العمل رأت أن المنارة هى من الآثار الواجب الحفاظ عليها ، وأن الأكتاف ضرورية لها (٢) .

والمئذنة بصورتها الحالية تتكون من قاعدة مربعة طول ضلعها ٢,٧٠م وارتفاعها

---

(١) ملف ٨/ ١٥٠/ ٨٣ ، بأرشيف هيئة الآثار .

(٢) كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، كراسة رقم ٧ ، لسنة ١٨٩٠م ، ص١١٩ .

٢,٢٠م ، فتح فى الضلع الشمالى الشرقى منها باب الدخول إلى المئذنة ،عرض هذا الباب ٦٧ سم وارتفاعه ١,٦٥م [١] ، يتحول البدن المربع إلى مثمن عن طريق أربع شطفات فى الأركان ، فتح بكل ضلع من أضلاع المثمن دخلة معقودة بعقد منكسر محمول على عمودين مدمجين بشكل حلزونى ،يتقدم أربعة من هذه الدخلات مشطوفات، والأربعة الأخرى بدون مشطوفات . وتحمل المشطوفة الشمالية الشرقية ثلاثة تدريجات تأخذ شكل مثلث كروى مقلوب قمته لأسفل وقاعدته لأعلى زخرف بزخارف زجاجية منحوته على الحجر ، أما المشطوفة الجنوبية الشرقية ، فكانت محمولة على صفين من المقرنصات وذلك قبل سقوطها ، يتشابه مع هاتين المشطوفتين المشطوفاتُ الباقية فى أسلوب استنادها على المقرنصات والمثلثات الكروية ، يفصل بين كل دخلة أسفلها مشطوفة والتى تليها حشوة زخرفية بها زخارف نباتية وهندسية فى هيئة متداخلة ، يتوج البدن المثمن وقبل نهايته شريط كتابى ـ مطموس الآن ـ عليه دورة المئذنة وهى محمولة على أربعة صفوف من المقرنصات ، ثم يلى ذلك بدن مثمن آخر ينتهى بقمة على هيئة سن القلم الرصاص ، وهى من إضافات العصر العثمانى .

وقد استخدم هذا المسجد منذ نهاية القرن العاشر الهجرى كمحكمة شرعية كضرورة ملحة لمواجهة مشاكل هذه المنطقة من القاهرة ، خاصة وأن العمران بها قد بلغ أوجه فى ذلك العصر ، وأصبحت مسرحا يموج بالحركة للصناع وأرباب الحرف ، ومن ثم أصبح ضروريا إيجاد محكمة شرعية تخدم أهل هذا الجزء فى الأمور القضائية المختلفة ، وعلى هذا وقع الاختيار على هذا المسجد للقيام بهذا الدور .

وقد دفن بهذا الجامع جماعة من أصحاب الشيخ الزاهد وأولاده منهم :

١ ـ أحمد بن أحمد بن محمد بن سليمان،وهو ابن المنشئ ،وقد ولد سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م وتوفى فى سنة٨٨٨هـ/١٤٨٣م ، حيث دفن فى جامع أبيه بجوار ضريحه ، وكان قد خلف والده فى الجامع،وقام بخدمته ، واتسم بالعلم والصلاح.

٢ ـ أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الزاهد ، وهو حفيد المنشئ ، وكان من العلماء كأبيه ، وتوفى بعد سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م .

٣ ـ أم الحسن ابنة خليل بن أحمد بن جمعة الحسينى،ولدت سنة ٨١٠هـ ، وماتت فى ربيع الآخر سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م ، وصلى عليها بجامع الزاهد ، ودفنت بالحوش المجاور لضريح صاحب الجامع [٢] .

---

(١) وصف ميدانى للمئذنة .

(٢) حسن قاسم : المزارات الإسلامية ، جـ٣ ، ص٣٧ ـ ٣٩ .

وعلى هذا يتبين لنا أن الجامع قد ضم مقابر داخل حوش أعده الشيخ الزاهد لدفن مريديه به ، وكذلك قبة ضريحية لدفنه وأسرته ، وهذه الظاهرة التى قام بها شيوخ التصوف فى هذا الحى أمر جديد ، ظهر فى هذا المسجد أولا ، ثم بعد ذلك فى منشأة سيدى مدين التى تجاور هذا المسجد ، وظهر بعد ذلك فى جامع العريان الذى يعود للعصر العثمانى ، مما يؤكد تأثر المنشآت فى هذا الحى ببعضها خلال العصور المتلاحقة ، خاصة وأن جميع المنشآت التى شيدت داخل الحى هى لأقطاب الصوفية فى عصرهم . وقيام الشيوخ بذلك أمر جديد ، حيث كان هذا الأمر متروكا للسلاطين والأمراء يشيدون منشآتهم ويلحقون بها أحواشا جنائزية للمتصوفة المقيمين بداخلها . مثلما فعل الناصر محمد بن قلاوون بخانقاته بسرياقوس وخص نفسه بقبر فيها[1].

ثالثا : منزل الشيخ أحمد الزاهد (انظر : المسقط الأفقى شكل ٢٤) :

من المنازل الأثرية الدارسة الآن ، وهو يرجع إلى العصر المملوكى الجركسى ولم نجد له ذكرا فى المصادر المعاصرة ، اللهم إلا المعلومات الواردة عن المسجد ، وقد وقع تحت أيدينا المسقط الأفقى الخاص بهذا المنزل ، والذى قامت لجنة حفظ الآثار العربية برفعه فى ٢٤/١٢/١٩٤٢م ، ومن خلال هذا المسقط نستطيع أن نذكر مكونات هذا المنزل الذى كان يقطن به الشيخ أحمد الزاهد وأسرته .

كان هذا المنزل يطل على حى البحر بواجهة قبلية عرضها ١٦,٢٠م فتح بهذه الواجهة خمسة حوانيت ، حانوت على يمين المدخل الرئيسى وأربعة أخرى على يساره، ويقع المدخل بين هذه الحوانيت ، حيث يؤدى المدخل - من خلال باب - إلى دهليز منكسر فى صدره شباك يطل على الحوش الخاص بالمنزل وشباك آخر على الممر المؤدى إلى الحوش .

الحوش :

يؤدى المدخل المنكسر سالف الذكر إلى حوش صغير تتوسطه فسقية تبعد عن حائط المدخل الذى فتح به الشباك المطل على الحوش بمقدار ٤م ، ويبلغ عرض هذا الحوش ٩م وطوله ٦,٥٠م ، وعرضها ٤,٥٠ ويبدو أنها خصصت كمخزن . والباب الآخر الذى يبلغ عرضه ٢,٥٠م يتوصل منه إلى سلم آخر (الحرملك) ، وكذلك إلى حجرة عمقها ٤,٥٠م وتبعد عن المدخل مسافة ٧,٥٠م .

أما الجدار الجنوبى الغربى فهو يفتح على الحوش بباب يؤدى إلى قاعة كبيرة عمقها ١١,٣٠م وعرضها ٦,٥٠م ، ويبدو أنها خصصت لاجتماعات الشيخ مع مريديه . يفتح

(١) دولت عبد الله ، المرجع السابق ، ص٢٤٦

هذا الحوش على حوش آخر أكبر تتوسطه فسقية أو بئر ماء معين عرضه ١٣,١٠م وعمقه ٦,٥٠م ، هذا الحوش تفتح عليه فى الجهة الشمالية الشرقية قاعة (القاعة الشرقية) لها مدخل يقع فى الطرف الجنوبى الشرقى يؤدى إلى القاعة التى تفتح عليها قاعة أخرى ربما قد خصصت كخزنة نومية ، وهذه القاعة الشرقية عمقها ١٧,٣٠م بما فيها الخزنة النومية، وعرضها ٥,٥٠م ، تطل على الحوش بواجهة من المحتمل أنها كانت من الخشب الخرط، أما الجهة الشمالية الغربية من الحوش يوجد مدخل يؤدى إلى حجرة عمقها ٤,٢٠م وعرضها ٥م ، تؤدى إلى حجرة أخرى عمقها ٥,٥٠م وعرضها ٤,٢٠م ، ويبدو أنها خصصت كمطبخ ومخزن للدار تخصص فى إمداد القاعات السفلية بالغذاء عند وجود ضيوف بالدار .

ومما يسترعى الانتباه فى هذا المنزل ـ شأنه فى ذلك شأن منازل ذلك العصر ـ أن الغرف والقاعات كانت تلتف حول فناء مكشوف تتوسطه نافورة للمياه ؛ مما كان له أثره فى السماح للهواء من تخلل أجزاء المنزل المختلفة وتلطيف درجة حرارته صيفا لتبريد أوانى الشرب ، ولترطيب جو الغرف استنبط المهندس المسلم طريقة عمل « المشربيات » وهى عبارة عن نوافذ من الخشب بها فتحات يتخللها الهواء ، وهى تساعد أيضا على السماح لنساء الدار من رؤية من بخارجه دون رؤيتهن من عابرى الطريق [1] . (انظر: المسقط ، شكل ٢٤) .

وقد أشارت ملفات الأثر المحفوظة بأرشيف المجلس الأعلى للآثار إلى احتواء المنزل على مثل هذه المشربيات ، حيث استلزمت عمليات إصلاحها فى ١٩٤٤/٧/٢٠م تكليف المهندس محمد فوزى محمد بتعيين المقاول الذى يقوم بإصلاحها ، وبالفعل تم تعيين المقاول والانتهاء من إصلاحها فى ١٩٤٤/٧/٢٦[2] . وكانت هذه المشربية تقع على الطريق العام فى الواجهة الرئيسية للمنزل، ولها شرفات تدور حول سقف المشربية[3]، لكن هذه المشربية فقدت مثلما فقدت أجزاء المنزل الأخرى .

كذلك فقد اتضح فى هذا المنزل احتواؤه على قاعات كبرى ربما خصصت لعقد الدرس والعلم ، إلى جانب ذلك فقد قسم الدار إلى قسمين رئيسيين : أحدهما بالطابق الأرضى وهو خاص بالرجال ويعرف باسم « السلاملك » ، وقد أعد للاستقبال ،والآخر بالطابق العلوى وهو خاص بالحريم ويعرف بـ«الحرملك»، بحيث يتم عزلهم وحجبهم[4].

---

(١) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م ، ص٧٢.

(٢ ، ٣) ملف الأثر رقم ٨/ ١٥٠/٨٣ ، مذكرة ١٩٤٤/٧/٢٠م .

(٤) د . حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص٢٢٣ ، ٢٢٤ ، و Lanepoole ,. Art Of The Saracens, p.76 .

وقد خصصت فى الدارقاعتان : الأولى تقع فى الجهة الشمالية الشرقية ، ويبدو أنها خصصت لاستقبال الضيوف من علية القوم من الرجال ، ويطلق عليها اسم : المندرة ، وهى قاعة الاستقبال الكبرى ، ويرتفع سقف جزئها الأول عن الجزء الثانى ، ويكون الجزء الأول منخفضا عن الجزء الثانى ، كذلك توجد غرفة معدة للاستقبال أيضا تلى المدخل مباشرة يستقبل فيها رب الدار ضيوفه ، ويرتفع مستوى أرضية تلك الغرفة بدرجة أو اثنتين عن مستوى الحوش [1] .

رابعا : زاوية عبد الرؤوف المناوى: (١٠٣١هـ/ ١٦٢١م) (أثر رقم / ٢٥٤) :

المنشئ :

هو الإمام العلامة زين الدين عبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى الشافعى ، ولد سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، ونشأ فى حجر والده وحفظ القرآن الكريم قبل بلوغه، ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية، وألفية بن مالك ، وألفية سيرة العراقى ، وألفية الحديث له ، وعرض ذلك على مشايخ عصره ، وقرأ على والده علوم العربية ، وتفقه على الشمس الرملى ، وأخذ التفسير والحديث والأدب عن على بن غانم المقدسى ، وحضر دروس الأستاذ محمد البكرى فى التفسير والتصوف ، وأخذ الحديث عن النجم الغيطى ، والشيخ قاسم ، والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوى ، لكنه كان أكثر اختصاصا بالشيخ الرملى ، وبه برع ، وأخذ التصوف عن جملة مشايخ[2]، وتلقن الذكر عن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس فسلك فيها الطريق الحميدة ، ثم رفع نفسه عنها وانقطع عن مخالطة الناس وانعزل فى منزله ، وأقبل على التأليف فصنف فى غالب العلوم ، ثم ولى التدريس بالمدرسة الصالحية .

ومن مؤلفاته تفسيره لسورة الفاتحة وبعض سورة البقرة ، وشرح على شروح العقائد للسعد التفتازانى سماه « غاية الأمانى » لم يكمل ، وكتاب سماه إعلام الأعلام بأصول فنى المنطق والكلام ، وله مؤلفات أخرى كثيرة النفع ، وقد أخذ عن هذا الشيخ الجليل خلق كثير منهم الشيخ سليمان البابلى والسيد إبراهيم الطاشكندى ، والشيخ على الأجهورى[3] . وتوفى ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين

---

(١) كمال الدين سامح : المرجع السابق ، ص٧٤ ، ٧٥ .

(٢) جميل بك العظم : عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر ، المطبعة الأهلية ، بيروت، ١٣٢٦هـ ، ص٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٣) عبد الرؤوف المناوى : الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، جـ١ ، المقدمة ، ص٣ .

من صفر سنة إحدى وثلاثين وألف من الهجرة النبوية ، وصلى عليه بالجامع الأزهر ، ودفن بالقبة التى أنشأها بجوار زاويته الكائنة بحى باب البحر فيما بين جامع الشيخ أحمد الزاهد والشيخ مدين الأشمونى ، وقيل فى تاريخ وفاته : مات شافعى الزمان ، قدس الله روحه(١) .

موقع المنشأة :

تقع هذه الزاوية ـ التى لم يتبق منها شىء سوى القبة ـ داخل درب سيدى مدين المتفرع من حى باب البحر ، وهى تواجه جامع الولى العابد سيدى مدين الأشمونى ، وكذلك تجاور جامع الشيخ أحمد الزاهد أيضا ، ويدخل إليها من خلال باب مستحدث بالجهة الشمالية الشرقية ، ويبدو أن باب هذه الزاوية كان موجودا بالجهة الجنوبية الشرقية التى تطل واجهتها على درب سيدى مدين ، حيث توجد بقايا العقد المدائنى (مسدود الآن) بالميضأة ، حيث استغلت المساحة التى تليه كميضأة للقبة وجزء من الزاوية وذلك بعد تخربها .

المنشأة :

لم يتبق من الزاوية شىء يوضح لنا نظامها الذى كانت عليه ، ويبدو أنها كانت تشغل المساحة التى تبدأ من الجزء المقام عليه الميضأة وحتى المدخل الحالى لها ، وكانت القبة الضريحية تقع على يمين الداخل من الباب الرئيسى الذى سد الآن ، ويتم التوصل من باب آخر يجاور القبة إلى الزاوية التى تجاور القبة ، وهى عبارة عن مساحة مستطيلة تقريبا يتصدر جهتها الجنوبية الشرقية محراب ، وهى مجددة الآن .

ونحن إذا نظرنا إلى نظام الزوايا فى ذلك العصر لوجدنا أنها كانت عبارة عن قاعة أو رحبة لإقامة الصلاة وإلقاء الدروس ، كما فى زاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين التى يعود تاريخها إلى عام ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م (٢) .

القبة الضريحية (انظر : لوحة رقم ٥٨ ، ٥٩) :

عبارة عن مساحة مربعة تقريبا طول ضلعها ٣,٧٠م،ما عدا الضلع الشمالى الغربى، حيث يبلغ طوله ٣,٤٥م ، وقد فتح فى الضلع الجنوبى الغربى جهة الميضأة باب الدخول إلى هذه القبة ، وهو باب حديث عرضه ١,٥٠م وارتفاعه ١,٧٥م على مصراع خشبى حديث ، يتوسط أرضية القبة تركيبة عليها غطاء أخضر من القماش عليه اسم الشيخ المناوى .

---

(١) جميل بك ، المرجع السابق ، ص٢٥٨ .   (٢) كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص٥٨.

وجدران القبة من الداخل مزخرفة بدخلات طولية غير ممتدة إلى أرضية القبة متوجة من أعلى بعقد مدائنى ، تكون هذه العقود الأربعة منطقة انتقال القبة من الداخل التى هى عبارة عن ثلاثة صفوف من المقرنصات ، وهذا الأسلوب المستخدم فى تحويل المربع إلى مثمن أسلوب بدائى عرفته مصر فى العصر الفاطمى واقتبسه من أضرحتها معماريو هذه القبة ، التى أثرت بعد ذلك فى قبة الشيخ أحمد العريان التى لا تبعد كثيرا عنها .

يتوسط الجهة الجنوبية الشرقية « المحراب » وعمقه ٧٥ سم ، مفتوح من أعلى بطاقية مشعة ، وقد وضع المحراب داخل دخلة معقودة بعقد مدبب يعلوها العقد المدائنى السابق ذكره ، على يمين ويسار المحراب دخلتان معقودتان ، اتساع كل منهما ١م وارتفاعهما ٢,٣٠م ، وهى نفسها التى توجد على يمين ويسار كل دخلة تتوسط كل جدار من جدران القبة ويحوى الضريح نصان للتجديد ، الأول : قام به الحاج أحمد سعيد أحمد الصبان يعود تاريخه إلى عام ١٣٦١هـ / ١٩٤١م مقاسه ٣٠ × ٧٥ سم ومادته من الرخام عليه هذا النص : « هذا مقام الشيخ عبد الرؤوف المناوى تجدد فى عهد الحاج سعيد أحمد الصبان » ، إلى جانب نص آخر مقاسه ٢٤ × ٦٠ سم عليه نفس النص . ويبدو أن هذين النصين قد وضع أحدهما على الشباك المطل على درب سيدى مدين ، والآخر على المدخل الحديث الواقع بالجهة الشمالية الشرقية .

القبة من الخارج (انظر : لوحة رقم ٥٩) :

هذه القبة من القباب المخرمة Pierced dome ، وهى من الأمثلة النادرة التى يستعمل فى زخرفتها أسلوب التخريم ، ويعتمد أسلوب الزخرفة فى هذه القبة على الطبق النجمى الذى يلتف حول شكل سداسى ، ويبلغ عدد هذه الأطباق ستة أطباق ، ملئت أجزاؤها بالزجاج الملون المعشق فى الجص ، لكنها فقدت ، ولم يتبق سوى الفتحات الزخرفية ، ويجب أن يسارع المجلس الأعلى للآثار باتخاذ الوسائل الأمنية التى تكفل الحفاظ على هذه القبة ؛ إذ إنها من الأمثلة النادرة التى تحتفظ بها القاهرة العثمانية .

التحليل الخاص بمشتملات زاوية المناوى المعمارية :

القبة الملحقة :

هذه القبة من القباب الملحقة بزاوية ، وهى بذلك متأثرة بما كان سائدا قبل ذلك فى العصر المملوكى ، من حيث إلحاق القباب بالمنشآت الدينية سواء المساجد أو المدارس ، وقد اختلفت القباب أو الأضرحة العثمانية عن مثيلاتها المملوكية من حيث إن حجمها أصبح أصغر ، كما أنها أقل بكثير من حيث الزخرفة والكتابات ، وعلى ذلك فالضريح

العثمانى يمتاز ببساطته[1] وذلك ما نلحظه فى قبة المناوى ، وقد تأثرت بهذه القبة من حيث دمجها بالزاوية قبة أحمد العريان التى قام بدمجها بالمسجد .

تخريم القبة :

لم يكن أسلوب التخريم الذى زخرفت به قبة عبد الرؤوف المناوى قاصرا عليها فقط فى ذلك العصر ، وإنما هو أسلوب عرفته مصر منذ العصر الفاطمى ، وأول الأمثلة التي تحتفظ بها مصر يتمثل فى مئذنة بلال بالقرب من أسوان ، والتى يمكن تأريخها بالقرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حيث تنتهى هذه المئذنة بقمة لها قبيبة مزخرفة بأسلوب التخريم ، تأخذ زخارفها الشكل الماسى ، وأشكال نجوم سداسية ، وذلك فى صفين يعلو أحدهما الآخر ، كما ظهر هذا الأسلوب الزخرفى أيضا فى زخرفة قبة مبارك ابن كامل بن مقلد الناصرى التى يعود تاريخها إلى عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ ـ ١١٧٣م وهى بمسجد العلائى بقوص[2]، وهى قبة لها ثمانية أضلاع فتح فى الجزء السفلى من كل ضلع أشكال نجمية سداسية والمستوى الذى يعلوها فتح به أشكال مثمنات وهى من أقدم الأمثلة التى وصلتنا للقباب المخرمة .

والمثال الثانى من الناحية التاريخية يعود إلى العصر المملوكى ، ويعد من أقدم الأمثلة الباقية التى زخرفت بنفس الأسلوب ، وهى قبة صفى الدين جوهر الملكى التى يعود تاريخها إلى عام ٧١٤ هـ / ١٣١٤م بالقرب من الصليبة ، ثم ظهر نفس الأسلوب فى قبة محب الدين الموافى التى بنيت فى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠م ، وقد جدد هذه القبة الأمير عثمان كتخدا وزخرفها بالتخريم[3]، كما ظهر هذا الأسلوب فى قبة الحمام الخاص بقصر المسافرخانة الذى أنشئ سنة ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م .

خامسا : منزل وقف الحاج حجازى أحمد السعيد :

تعريف بالمنشئ :

هو الحاج حجازى ابن المرحوم الخواجا أحمد ، الشهير بالصياد ، كان من أعيان التجار فى البن بمصر المحروسة بخان المرحوم سليمان بالغورية ، ومن طائفة عزبان بقلعة مصر المحروسة ، وقد قام هذا الرجل بإيقاف العديد من المنشآت التى شيدها داخل باب

---

(١) عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، ص٢٣٣ ـ ٢٣٦ .

(2) Abd El Wahab (H.),. Dome Decorations by means of pierced Openings (An Article) in studies in Islamic Art and Architecture in Honour of professor Creswel (K.A.C.),. The American Univrersity in Cairo press , 1965 . p.95 .

(3) Ibid p . 104 .

البحر تصدقا لله ـ سبحانه وتعالى ـ ووقفا وحبسا على وجوه البر المختلفة ، وذلك فى عام ١١١٩هـ / ١٧٠٧م ومن هذه المنشآت التى أوقفها منزل وحانوتان يقعان بخط المقسم/ باب البحر بسويقة بنى الوفا [١].

الوصف الوثائقى للمنزل :

هذا المنزل من المنازل المعلقة التى يصعد إليها بعدة درجات تتصدر المدخل الرئيسى لها، وقد استغل الطابق الأرضى بها لعمل حوانيت بلغ عددها فى هذا المنزل حانوتين .

الواجهة ومكونات المنزل :

كان لهذا المنزل واجهة مبنية بالطوب الآجر ، والحُجَر لها باب يتوصل منه إلى فسحة مسقفة غشيما [٢] كانت تحتوى هذه الفسحة على كرسى راحة وحاصل وسلم يصعد من عليه إلى باب يفتح على دهليز به كرسى راحة ومطبخ وبابان ،أحدهما : يدخل منه إلى رواق يحوى إيوانا ودورقاعة وخزانة نومية أعلى الحانوتين المذكورين تطل على الحى، والثانى : يؤدى إلى رواق صغير يطل على الواجهة يعلوه رواق آخر ، ويصعد من باقى السلم ـ سالف الذكر ـ إلى السطح العالى على ذلك[٣].

ومما يسترعى الانتباه فى هذا المنزل أن المعمارى استعاض عن المدخل المنكسر بمجموعة درج تؤدى إلى باب يؤدى إلى دهليز التفت حوله الوحدات الأساسية للمنزل ، وذلك بحكم المساحة التى شيد عليها المنزل ، والتى أراد الواقف منها أن تكون مستغلة تماما كى تدر ربحا ينفقه فى وجوه البر المختلفة .

سادسًا : منزل الشيخ العروسى [٤] :

شيد الشيخ العروسى ـ إلى جوار مسجد منزل الزاهد ـ منزله ، وقد جاء هذا المنزل ـ من حيث التخطيط ـ متأثرا بصورة كبيرة بمنزل الشيخ أحمد الزاهد . وقد أمكن الوصول إلى المسقط الأفقى الخاص بهذا المنزل مع منزل الزاهد الذى سبق وصفه ، وذلك بعد أن درس هذا المنزل ولم يعد باقيا منه سوى الموقع فقط [٥] ، ومن ثم فإن البحث هنا يعتمد على المعلومات الواردة داخل المسقط الأفقى لهذا المنزل ، وكذلك المعلومات الواردة عنه فى ملفات أرشيف المجلس الأعلى للآثار .

---

(١) وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ،سطر ١٠ ، سطر ٦١ . (٢) انظر :معجم المصطلحات برقم (٢٤) .

(٣) الوثيقة السابقة ، سطر ٦٢ ـ ٦٥ .

(٤) انظر : الترجمة الخاصة بهذا الشيخ فى الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا الكتاب .

(٥) انظر: Comite de conservations des Monuments de L'Art Arab exercies,1926.p.9.,pI.II.

وصف المنزل (انظر : المسقط الأفقى ، شكل ٢٥) :

كان يلاصق هذا المنزل منزل الشيخ الزاهد ، وهو يطل على الحى بواجهة عرضها ١٧,٤٠م ، فتح بالواجهة على يمين المدخل أربعة حوانيت مختلفة، وعلى يساره حانوتان: أحدهما كبير والآخر صغير ، ويقع المدخل الرئيسى لهذا المنزل بين هذه الحوانيت ، ويفتح هذا الباب على دهليز مستطيل تتصدره مصطبة ، يؤدى هذا الدهليز إلى دهليز آخر منكسر ، على يمين الداخل إليه توجد حجرة مستطيلة التخطيط تجاورها حجرة أخرى لها نافذتان تطل إحداهما على الدهليز ، والأخرى تطل على الحوش . أما الجهة اليسرى من الدهليز فيوجد بها بابان: الأول: يؤدى إلى سلم يؤدى إلى الطابق العلوى ، وكذلك يؤدى إلى حجرتين متصلتين ببعضهما ، عرض الشمالية الشرقية ٤,٦٠م ، والباب الثانى : يؤدى إلى حجرة متعددة الأضلاع لها شباك تطل على الحوش الأول الذى يفتح عليه بابها .

ويتوسط هذا الحوش فسقية مربعة التخطيط ، وتبلغ مساحة الحوش ٨,٦٠ × ٥,٧٠م يليه حوش آخر وضعت على جدرانه الثلاثة مجموعة من المنشآت ، فالجدار الشمالى الشرقى شيدت عليه قاعة لها نافذة تطل على الحوش ، ومدخل رئيسى فى الجهة الجنوبية الشرقية . وهذه القاعة يتصدرها كتبيتان وفى جانبها الشمالى الغربى باب يؤدى إلى حجرة طولها ٤,٥٠م . وهذه القاعة والحجرة عرضهما ١٨,٧٠م ، يجاور القاعة من الجهة الجنوبية الشرقية درج سلم يؤدى إلى مدخل يتوصل منه إلى سلم آخر يؤدى إلى القسم الخاص بالرجال (السلاملك)، يجاور المدخل حجرة ذات نافذتين ومدخل يؤدى إلى مكان يجاور المنزل .

أما الجهة الشمالية الغربية فقد فتح بها باب يطل على الحوش الثانى ، يؤدى هذا الباب إلى مسجد مستطيل التخطيط مساحته ٤,٥٠ × ٦,٩٠ م ، يتصدر جهته الجنوبية الشرقية محراب ، وعلى يساره نافذة تطل على الحوش .

ويبدو واضحا أن الشيخ العروسى قد تأثر عند تشييده لمنزله بالمنزل المجاور له وهو منزل الشيخ الزاهد (قارن بين المسقطين رقم ٢٤ ، ورقم ٢٥) غير أن الشيخ العروسى قد أضاف مسجدا فى الجهة الشمالية الغربية ليؤم ضيوفه أو أهل منزله فى الصلاة ، فضلا عن ذلك فيتضح فى هذا المنزل استمرارية التقاليد الموروثة من مصر المملوكية ، فالمنزل قد ضم عناصر معمارية كانت سائدة من قبل ، مثل المدخل المنكسر ، والفسقية ، والحوش المكشوف ، والمقعد ، والذى يطل على الحوش ، فضلا عن غرف الاستقبال الخاصة بالضيوف ، والتى غالبا ما كانت تجاور دهليز الدخول بالإضافة إلى استعمال المشربيات وغيرها بواجهات المنزل .

أما عن الإصلاحات التى تمت بهذا المنزل فقد قامت لجنة حفظ الآثار فى

٢/٩/١٩٥٤م بعمل معاينة لهذا المنزل ، وقامت بعمل تقرير شامل عن حالته ، وجاء فى التقرير المعلومات الآتية :

١ ـ الواجهة العمومية :

أ ـ المشربيات الموجودة مصلوبة من الجزء الغربى مكان كابولين حجريين فاقدين وكابولين آخرين مكسورين .

ب ـ تحتاج الواجهة من أسفل إلى ترميمات بالحجر الأحمر بجانبى الباب العمومى من الجهة الغربية وكتف آخر من داخل الحوش من الجهة الغربية .

٢ ـ المدخل الرئيسى : سبق أن قامت اللجنة بعمل ترميم للمدخل بالحجر الأحمر ، ولكن الباب العمومى يحتاج إلى توريد ، وتركيب الحدايد اللازمة له بعد قطع الأتربة بالمدخل وعمل درجة بالحجر بعرض المدخل .

٣ ـ القاعة الشرقية البحرية : كان سقفها قد سقط وقام السكان بصلبه وترميمه وعمل سقف حديد له ، ويلزم فك هذا السقف وما عليه من تركيبة ، وعمل سقف جديد له وترصيعه .

٤ ـ الشروخ بالواجهة المطلة على الحوش : تحتاج إلى ترميمات بالطوب الأحمر فى أجزاء متفرقة بالواجهات وبالقاعات .

٥ ـ أعمال نجارة : وتتلخص فى إصلاح درابزين السلم والأبواب الحادثة بالمنزل وعمل شباك خرط بدل فاقد بالواجهة البحرية على الحوش وإصلاح التجليد ذى الحليات القشر البلدى بالحوش [١].

أما مشتملات المنزل الداخلية ، فكانت اللجنة قد قامت بعمل معاينة لها فى ٢٧/٩/١٩٥٢م ، وبعد المعاينة قامت برفع تقرير تضمن هذه الأمور :

١ ـ الدور الأرضى :

* الواجهة مبنية بالحجر من أسفل وبها دكاكين مشوهة لجمال الأثر .

* الحوائط الداخلية بالمدخل والطرقة والحوش السماوى مبنية بالحجر والأخرى مبنية بالدبش بشكل مشوه .

* بالجهة القبلية للحوش الداخلى قاعة أرضيتها من رخام خردة أوشك أن يتلاشى من المياه التى يستعملها السكان .

(١) ملفات الأثر رقم ٨ / ١٥٠ / ٨٣ ، تقرير ٢ / ٩ / ١٩٥٤ م .

٢ ـ الدور الأول :

* جميع المبانى بهذا الدور مبنية بالطوب وبها شروخ رأسية منتشرة بأغلب المبانى وخصوصا بحوائط بير السلم بالدورين .

* المشربيات على الواجهة تحتاج إلى بعض الترميم ، وكذلك الشبابيك الخرط الباقية ببعض الفتحات .

* هدم جميع المبانى الحادثة من قواطع وخلافه التى عملت بمعرفة المالك التى تقسم القاعات للانتفاع بالإيجار .

* سقط سقف حجرة على الواجهة من ضغط الأتربة التى تعلوه ، وقد قام المالك بتنزيل الأتربة ونقل الأخشاب المختلفة من السقف إلى المنزل الكائن أمام الأثر؛ لذلك يرجى اتخاذ اللازم نحو المحافظة على أخشاب السقف لإرجاع الصالح منها عند الترميم ، كما يجب الكشف عن باقى القاعات على الواجهة وتخفيف الأتربة التى عليها خوفا من سقوطها .

* ظهر ببعض الأرضيات هبوط وخصوصا بدورات المياه [١] .

ويمكن أن نفهم من تقرير ٢٧ / ٩ / ١٩٥٢م وكذلك تقرير ٢٢/٩/ ١٩٥٤ الآتى:

١ ـ أن الواجهة كانت ثرية بالزخارف النباتية التى ضاعت معالمها ، ومن ثم رأت اللجنة ضرورة دق زخارف أخرى عوضا عنها .

٢ ـ أن الواجهة كانت لها مشربيات ، فقدت الكوابيل الساندة لها والتى تحملها ، ومن ثم رأت اللجنة عمل كوابيل بديلة .

٣ ـ احتواء سقف القاعة الشرقية على زخارف نفذت بالترصيع .

٤ ـ احتوى الحوش على حليات زخرفية من الخشب المنفذ عليه هذه الزخارف .

٥ ـ كانت قاعات المنزل ذات أرضيات رخامية خردة .

ورغم ما قامت به اللجنة من ترميم للمنزل إلا أن حالته قد تدهورت ، ولم يعد باقيا من أجزائه سوى الموقع الذى شيد عليه ، والمسقط الأفقى الذى يحتفظ به مركز تسجيل الآثار الإسلامية ، والواجهة ذات المشربيات التى قامت بنشرها لجنة حفظ الآثار العربية فى تقريرها الصادر فى عام ١٩٢٦م .

---

(١) ملفات الأثر رقم ٨ / ١٥٠ / ٨٣ ، تقرير ٢/ ٩ / ١٩٥٤م .

وفى نهاية هذا الفصل يمكن أن نستنتج النتائج الآتية :

١ ـ يعود تاريخ منشأة الأبناسى إلى ما قبل عام ٧٩٦ هـ ، وبذلك يصبح تأريخ هيئة الآثار لمئذنة الأثر خطأ ؛ إذ إن أسلوب بناء المئذنة لا يمثل على الإطلاق أسلوب القرن السادس عشر التى أرجعتها الهيئة إليه .

٢ ـ احتوت زاوية الأبناسى على أقدم تخطيط للمساجد ذات الدورقاعة المستطيلة ، والأروقة المطلة عليها، والذى تأثر به مسجد سيدى مدين ومن بعده مسجد العريان، وذلك فى الحى نفسه.

٣ – احتوى الحى على نموذج فريد فى زخرفة القباب بالتخريم ، وقد نفذ هذا الأسلوب فى قبة عبد الرؤوف المناوى التى يعود تاريخها إلى ١٠٣١هـ .

٤ ـ احتوى الحى كذلك على منزلين من فترتين متباعدتين الأول يعود إلى العصر المملوكى الجركسى ، والآخر يعود إلى العصر العثمانى ، وقد تأثر الآخير بالأول فى نقاط معمارية عديدة، ربما يرجع ذلك إلى أن الشيخ العروسى قد تأثر بما قرأه عن الشيخ الزاهد، ومن ثم اقتدى به مثلما اقتدى بشيخه العريان الذى كان يقطن منزل الزاهد .

٥ ـ يبدو من المعلومات الواردة عن المنزلين داخل ملفات الأثر بأرشيف الهيئة أنها كانت غنية زخرفيا ، وأن هذا الثراء الزخرفى جاء نتيجة أن مكانة الشيخين فى قلوب الناس كانت كبيرة ،وأن الإقبال على دروسهما كان كبيرا ، ومن ثم كثر الوافدون عليهما، وعظم أجرهما فى عصر كل منهما ، وزادت ثروتهما ، خاصة وأن الأخير كان يشغل منصب شيخ الأزهر .

نتائج البحث

نتائج البحث

تشير نتائج البحوث التاريخية والحضارية والمعمارية التى تكون فصول هذا الكتاب إلى عدد من الحقائق والاستنتاجات تمثل خاتمة هذا العمل ، ونستخلص منها النتائج الآتية:

١ ـ أطلق على منطقة باب البحر ـ فى بداية الفتح الإسلامى لمصر ـ اسم المقس؛ نظرا لأن هذه المنطقة كانت مخصصة لجلوس الماكس أو العشار وقت الفتح ، وتحَرَّف الاسم بعد ذلك فأصبحت المقسم بالميم بعد السين ، إلى أن شيد صلاح الدين باب البحر بالسور الشمالى الغربى عام ٥٦٩ هـ فأصبحت المنطقة مجتمعة يطلق عليها باب البحر نسبة إليه ،ورغم ذلك استمر اسم المقسم معروفا حتى نهاية العصر العثمانى.

٢ ـ كان لمرور النيل بالمقس ـ باب البحر ـ فى الفترة الفاطمية والأيوبية أثره المباشر على المنطقة ، حيث غدت مرفأ صناعيا وتجاريا وميناء حربيا للقاهرة فى هذه الفترة .

٣ ـ ساعدت مميزات الموقع من حيث انبساط أرضه ، واشتماله على مصدر المياه والنقل على سرعة التوافد إليه واستيطانه .

٤ ـ ازداد النشاط التجارى لمصر ـ فى العصر الفاطمى ـ مع البلاد العربية والأوربية، وغمرت المنتجات الواردة أسواق العاصمة التى كانت تأخذها من ميناءى القاهرة فى ذلك الوقت وهما : الفسطاط ، والمقس .

٥ ـ أدى خراب الفسطاط بعد الشدة المستنصرية إلى اضمحلال نشاطها التجارى وبالتالى أخذت القاهرة مكان الصدارة فى هذا المجال ، ممثلة فى نشاط مينائها المقس .

٦ ـ تعددت الأسواق فى المنطقة الممتدة من باب البحر وحتى باب اللوق ،وهى التى أدركها المقريزى عامرة ، حيث بلغ عددها اثنين وخمسين سوقا منها ما بلغ عدد حوانيته ستين حانوتا .

٧ ـ كان للأخطار التى أحدقت بالقاهرة فى الفترة الفاطمية والأيوبية أثرها فى توجيه انتباه الخلفاء والسلاطين إلى ضرورة تحصين حدود باب البحر باعتباره ثغرا يمكن النفاذ منه إلى القاهرة ، وبالتالى عمران المنطقة .

٨ ـ استمرت الأسواق التجارية داخل حى باب البحر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ولكن نلاحظ على هذه الأسواق قلة المتخصص منها فى بيع المواد الغذائية بالنسبة لأسواق المواد الصناعية ، وذلك فى العصر العثمانى .

٩ ـ بلغ عدد الأسواق والسويقات التى انتشرت فى هذا الحى فى العصر العثمانى ستة عشر سوقا وسويقة ضمت كافة التخصصات التجارية والصناعية .

١٠ ـ احتوى الحى على العديد من السويقات التى تخدم أغراض النسيج ؛ مما يرجح وجود رابطة داخل الحى تضم الطوائف العديدة المتخصصة فى النسج فى العصر العثمانى .

١١ ـ قطن الحى بعض شيوخ الطوائف الحرفية ـ وذلك فى العصر العثمانى ـ وعملوا ـ إلى جانب وظيفتهم الإشرافية ـ فى وظائف أخرى تمثل المهنة الأصلية لهم ، مثل قيام شيخ طائفة البسطانية بشراء مصطبة لحسابه الخاص وإدارتها .

١٢ ـ احتوى الحى على أقدم فندق يعود للعصر الأيوبى من إنشاء والدة السلطان العادل الأيوبى ، وقد أعطتنا الوثيقة وصفا مفصلا لمحتوياته المعمارية .

١٣ ـ ضم الحى العديد من المنشآت الصناعية مثل: الطواحين ، والأفران ، والمسابك، والمصابغ ، وقاعات الحياكة ، وقاعات القزازة .

١٤ ـ احتوى الحى على ما أطلقت عليهم الوثائق اسم المدولب فى الطواحين والمعاصر، والحمامات ، مما يؤكد وجود العديد من هذه المنشآت داخل الحى خلال العصرين المملوكى والعثمانى .

١٥ ـ تمركزت طائفة السقائين داخل منطقة باب البحر خلال العصرين المملوكى والعثمانى، مما يؤكد حرصهم على الاقتراب من مصدر المياه .

١٦ ـ ظهرت حرفة النحاسين داخل الحى كنتيجة حتمية لتلبية احتياجات القهوجية والزياتين من هذه الأدوات ، والتى اشتمل الحى على عدد منهم .

١٧ ـ ضم الحى العديد من المنشآت ذات الصفة الاجتماعية ، مثل : الحمامات ومنشآت التعليم والأسبلة والمقاهى والمحاكم الشرعية ، وبالتالى كان للشارع نشاط اجتماعى ملموس .

١٨ ـ تم التوصل إلى التاريخ الحقيقى الذى تعود إليه منشأة سيدى مدين ، وهو ٨٤٢ ـ ٨٤٣ هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩ م ، بدلا من التاريخ الذى أثبتته لى مصلحة الآثار داخل فهرس الآثار الإسلامية وهو ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م .

١٩ ـ يمثل تخطيط المسجد المثال الثانى الذى شيد داخل الحى بعد منشأة الأبناسى التى يقوم تخطيطها على دورقاعة وسطى وإيوانين يفتحان على الصحن بواسطة بائكة مكونة من عدد من العقود .

٢٠ ـ احتوت منشأة سيدى مدين على بعض العناصر المعمارية التى ظهرت بها مماثلة لما ساد فى بعض العمائر الجركسية مثل بناء القبة الضريحية على أحد جدران الإيوان الشمالى الغربى ، كما فى مدرسة الأمير صرغتمش ، ووضع غرفة ضريحية أخرى فى الجهة المقابلة ، كما اشتملت على وضع المئذنة فى الجانب الأيسر من المدخل على عكس بقية المنشآت الجركسية ، ولعل السبب فى ذلك طبيعة المكان الذى شيدت به المنشأة ومساحته التى تحكمت بشكل مباشر فى تشكيل عناصره المعمارية ووضعها المكانى .

٢١ ـ يمثل مسجد أحمد العريان الطراز المحلى فى العصر العثمانى الذى عرفته مصر فى العصر المملوكى والعصور السابقة تمثيلا صادقا تمثلت فى جميع مفرداته المعمارية .

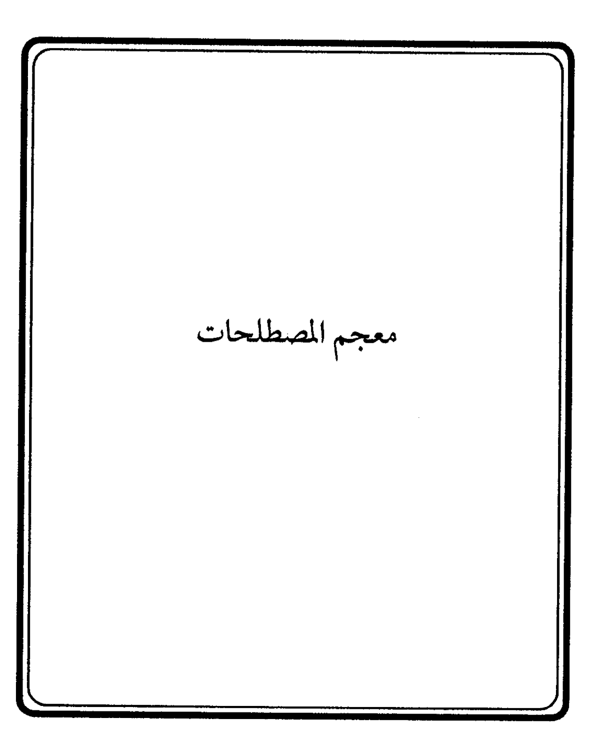
٢٢ ـ تم التوصل إلى التاريخ التقريبى الذى تعود إليه زاوية على الفرا ، وبهذا التاريخ أمكن إرجاعها إلى العصر المملوكى ، حيث يعود تاريخها إلى ماقبل عام ٧٩٦ هـ استنادا على المعلومات الواردة عنها داخل الوثيقة الخاصة بوقفها بدلا من التاريخ الذى ذكرته هيئة الآثار وهو القرن السادس عشر الميلادى .

٢٣ ـ ضمت المنشأة أقدم تخطيط للمساجد ذات الدورقاعة (المجاز) المستطيلة ، والأروقة المطلة عليها ، والذى تأثر به مسجد سيدى مدين ومن بعده مسجد العريان .

٢٤ ـ احتوى الحى على نموذج فريد فى زخرفة القباب بالتخريم ، ظهر فى قبة عبد الرؤوف المناوى التى يعود تاريخها إلى عام ١٠٣١هـ .

٢٥ ـ احتوى الحى على منزلين من فترتين متباعدتين ؛ الأول يعود للعصر المملوكى الجركسى خاص بالشيخ أحمد الزاهد ، والآخر إلى العصر العثمانى خاص بالشيخ العروسى، وقد تأثر الأخير بالأول فى نقاط معمارية عديدة ، وربما يعود ذلك إلى أن الشيخ قد تأثر بهذا المنزل نظرا إلى أن شيخه أحمد العريان قد كان ساكنا به .

٢٦ ـ اشتمل المنزلان ـ استنادا على المعلومات الواردة عنهما بملفات الأثر ـ على عناصر زخرفية غنية ، وهذا الثراء الزخرفى جاء نتيجة أن مكانة الشيخين فى قلوب الناس كانت كبيرة ، وأن الإقبال على دروسهما كان كبيرا ، ومن ثم كثر الوافدون عليهما وعظم أمرهما فى عصر كل منهم وزادت ثروتهم الخاصة ، خاصة وأن الأخير كان يشغل منصب شيخ الأزهر .



معجم المصطلحات

معجم المصطلحات

١ ـ الإيوان :

كلمة فارسية مأخوذة من « إيفان » وتعنى لغويا : قاعة العرش . وتعنى معماريا : أى بناء مرتفع غير مسدود الوجه ، وينطبق هذا الوصف على إيوانات المدارس .

انظر : سوسن سليمان : منشأة الأمير قجماس الإسحاقى ، معجم المصطلحات .

٢ ـ الباب المربع :

هو الباب ذو القبب المستقيم الذى ليس له عقد ، ومثله فى مسجد الشيخ مدين ، والشيخ أحمد العريان فى أبواب الكنيات والحجرات التى يضمها يمين ويسار المحراب فى كل منهما .

انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، وثيقة قرافي الحسن، مجلة كلية الآداب ، جـ ٨، ص٢٤٤ .

٣ ـ البلاط الكدان :

هو نوع من البلاط يتخذ من الأحجار الجيرية التى يختلف لونها من الأبيض الناصع، والأصفر ، والرمادى . وهذا البلاط مستطيل الشكل ، وتختلف أطوال البلاط تبعا للمكان الذى توجد فيه .

انظر : د. مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس أمير كير ، الجزء الثانى ، (كتاب الوقف) ، ص١٣٠ .

٤ ـ الطبقة :

الجمع طباق ، وهى حجرة أو خزانة للنوم ذات طاقات قد يعلوها مسترقة ،ويلحق بالطبقة مرحاض وبيت أزيار فى دهليزها ، وكانت تفرش بالبلاط .

انظر : عبد اللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى (مخطوط) رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، ١٩٥٦م ، مصطلح (٥٣) .

٥ ـ الحجر الفصى النحيت :

من الأحجار الجيرية التى تستخرج من المحاجر التى تقع بالقرب من القاهرة مثل محاجر المقطم ، وغالبا ما يكون حجم القطعة من هذه الأحجار ما بين ٣٠ × ٥٥ سم أو ٣٣ × ٨٠ سم أو ٧٥ سم .

انظر : د. مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس أمير كير ، مخطوط رسالة دكتوراه ، الجزء الثانى ، (كتاب الوقف) ، ص١٦٤ .

٦ ـ الحجر الكدان :

نوع من الأحجار الجيرية يختلف لونها من الأبيض الناصع والأصفر والرمادى وهو مستطيل الشكل ، وتختلف أطوال البلاط تبعا للمكان الذى توجد فيه ، وطريقة عمل هذا النوع من البلاط تتم بواسطة فصل كتلة الحجر من طبقتها وتقطع بالحجم المطلوب لاستخدامها فى المبانى .

انظر : د. مصطفى نجيب ، رسالة دكتوراه ، جـ٢ ، ص١٣٠ ـ ١٣٢ .

٧ ـ الحجر المطبق :

نوع من الحجر يستعمل فى عمل المكاسل وحول الفساقى ، وكذلك فى بناء صهاريج المياه التى بباطن الأرض .

انظر :حسن سيد جودة القصاصى : المدرسة الصرغتمشية ، مخطوط ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، ١٩٧٣م ، ص١٧٥ .

٨ ـ الحوش الكشف السماوى :

الحوش هو الفناء أو الساحة التى توجد عادة خلف مدافن الأمراء والسلاطين ، وتعنى كلمة « كشف سماوى » أن الحوش ليس مغطى بأى نوع من أنواع التغطية ، بل إنه مكشوف للسماء دون أى عائق .

انظر : د. مصطفى نجيب : رسالة دكتوراه ، جـ٢ ، ص١٦٧ .

٩ ـ الدبكونية :

هى المدخنة التى تعلو بيت القدور الخاص بغلى الماء فى مستوقد الحمام .

انظر : عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى ، تحقيق رقم ١١٦ .

١٠ ـ السدلة :

تطلق على المساحة المسطحة ، مربعة كانت أو مستطيلة ، مرتفعة عن أرضية الدورقاعة أو الصحن بمقدار يتراوح بين ٣٠ سم ، ٤٠ سم ، وفى بعض الأحيان تكون أرضيتها مساوية للأرضية العامة .

انظر :د. مصطفى نجيب : رسالة دكتوراه ، جـ٢ ، ص١٧٧ .

١١ ـ الطباق :

انظر : الطبقة ..

١٢ ـ الكتبية :

جمعها : كتبيات ،وهى الدواليب الخشبية بداخلها رفوف ، وتكون مقابلة ومتشابهة فى الإيوانات،وتستعمل لحفظ التحف وغيرها فى القصور والكتب فى المدارس والمكاتب.

انظر : عبد اللطيف إبراهيم ، رسالة دكتوراه ، تحقيق ٢٤ .

١٣ ـ المنافع والمرافق والحقوق :

كلمات تشتمل عليها العديد من وثائق الوقف ، وهى مترادفات تطلق على أماكن أساسية فى المبنى الذى تصفه الوثيقة ، ولكنها رغم أهميتها ، فإنها تحتل مساحة صغيرة منه، ومن تلك المنافع: الساقية ، الميضأة ، بيت الأزيار ، دورة المياه ، المستحم ، ونحن نعرف مدى النفع الذى يعود على المبنى منها ، أما المرافق فإنها ذات نفع وفائدة أيضا فيها المراحيض ، نصبة الكوانين ، المطابخ ، بعض الخزانات الصغيرة التى تستعمل للتخزين وحفظ الأدوات .

انظر : د. مصطفى نجيب : رسالة دكتوراه ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

١٤ ـ باب مقنطر :

يقصد به : الباب ذو العقد الذى ليس له عتب مستقيم ، سواء كان العقد مدببا أو دائريا أو مدائنيا .

انظر : عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ، جـ٢ ، ص٣٩٧ ، عن وثيقة طومان باى .

١٥ ـ برسم :

لفظ كثيرا ما يرد فى وثائق العصر المملوكى وما قبله ، ومعناه : لأجل أو خاص بشىء أو بشخص .

انظر : سوسن سليمان : منشأة قجماس الإسحاقى ، المعجم ، ص٣٣٤ .

١٦ ـ خركاوات :

جمع خركاة ، وهى لفظ فارسى معناه : الخيمة أو بيت من الخشب ، والخركاوات هى: الأجزاء الخشبية أيا كان شكلها أو حجمها فى الشباك أو المشربية وتكون قابلة للحركة .

انظر : سوزان فتحى : وثائق وقف السلطان سليم الثانى وباشوات مصر فى عهده ٩٧٤ ـ ٩٨١ هـ ، (مخطوط) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٢٤١ .

١٧ ـ خلوة :

الجمع : خلاوى ، وهى مأوى الفقراء والمترددين على الخوانق من الصوفية للتعبد والتهجد ، وقد تكون الخلوة حبيسًا أو ذات منافذ ، والخلاوى السفلية بالمدارس هى الحواصل المعدة لحفظ الحصر والزيت والبسط والقناديل ، والعلوية معدة لسكنى الطلبة وأرباب الوظائف .

انظر : د . عبد اللطيف إبراهيم ، رسالة دكتوراه ، تحقيق ٢١٣ .

١٨ ـ دورقاعة :

لفظ وثائقى يطلق على الصحن الأوسط فى التخطيط المتعامد ، ويتكون هذا اللفظ من مقطعين الأول « دور » وهو مأخوذ من الفارسية ويعنى باب أو مدخل . أما المقطع الثانى فعربى الأصل ويطلق على أهم جزء فى البيت الإسلامى وهو القاعة ؛ ولذلك تكون الدورقاعة مكانها يتوسط الدورقاعة أو المبنى ويمكن الوصول عن طريقها لجميع أجزاء المكان .

انظر: د . مصطفى نجيب : نظرة جديدة على النظام المعمارى فى المدارس المتعامدة، بحث منشور بمجلة كلية الآثار ، العيد الذهبي جـ١ ، ص٩ .

١٩ ـ خرب خيط :

تعبير اصطلاحى عند أهل الصنعة من المرخمين والنجارين وغيرهم من أرباب الصناعات والحرف فى ذلك العصر (المملوكى) حيث كانت الزخارف أو التقاسيم الهندسية المختلفة الأشكال تعمل بواسطة الخيط من مراكز مختلفة ، وهو نوعان : خرب خيط كبير ، وخرب خيط صغير .

انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، رسالة دكتوراه .

٢٠ـ قمرية :

جمعها : قمريات ، وهى شبابيك من الجص المخرم أو الحجر أو الخشب ، وتكون القمريات إما مستديرة أو مستطيلة مقنطرة أو بدون عقد ، وكانت فى أول عهدها ذات أشكال هندسية مشبكة ومخرمة بدون زجاج ، ومنذ النصف الثانى من القرن ١٣ شاع استعمال الزجاج الملون المعشق فيها .

انظر : سوسن سليمان ، رسالة ماجستير .

٢١ ـ مدهون حريريا :

مصطلح للدلالة على دقة صناعة النجارة وجودة الدهانات والألوان ، فهى ملساء كالحرير تماما لاستعمال الزيت والشمع فى الصناعة .

انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، رسالة دكتوراه .

٢٢ ـ مسبل الجدر بالبياض :

مسبل بمعنى : مغطى أو مغشى بالبلاط ، ويرادف اللفظ أيضا كلمة : ملبس ، ومنكس، ومستور ، ومخلل ، والغرض من ذلك تنظيم أسطح البناء ووقايته وتزيينه .

انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، تحقيق ٥١ .

٢٣ ـ مسقف غشيما :

ويقصد به : السقف غير المدهون ، وهو الذى يتكون غالبا من أفلاق النخيل دون تهذيبها .

انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، رسالة دكتوراه .

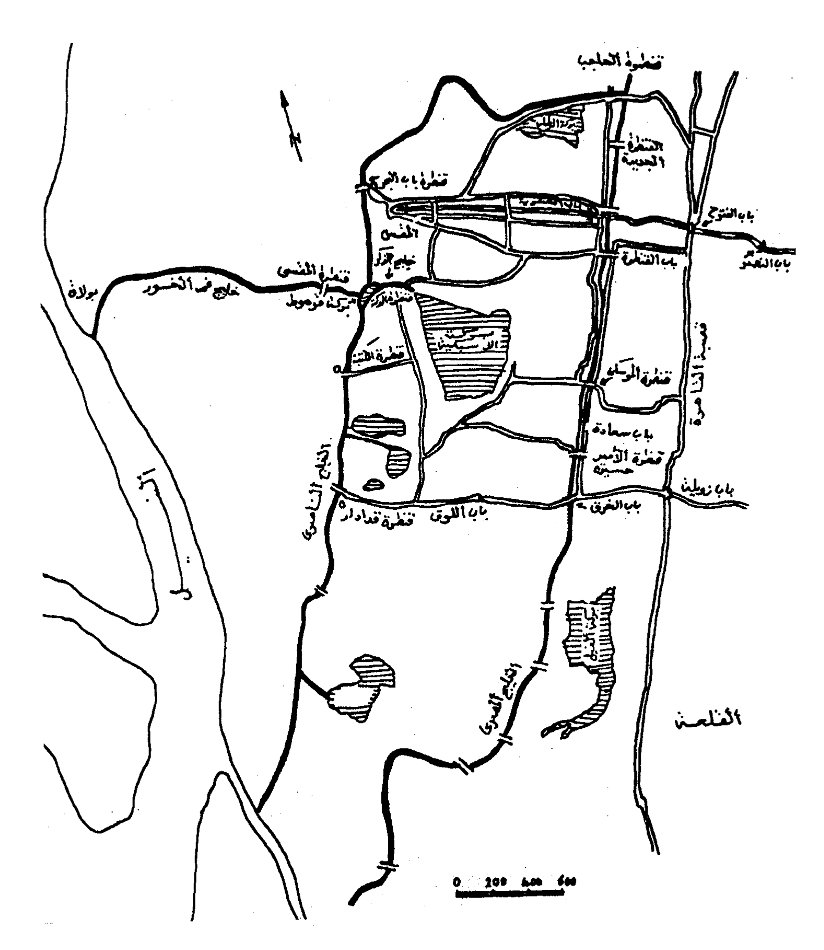
٢٤ ـ مسقف نقيا :

يصنع من كتل وألواح خشبية بعد أن يعالجها النجار ، فهو ليس غشيما من النخيل أو الغاب .

انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، رسالة دكتوراه .

ملحق

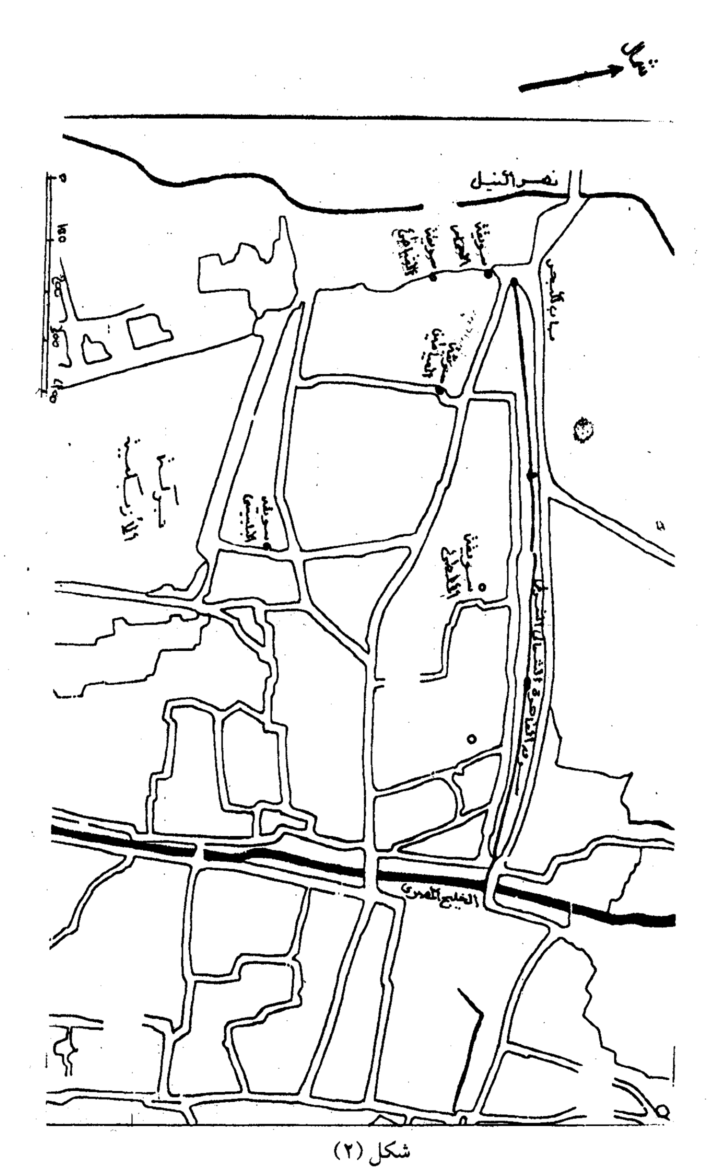
الأشكال واللوحات



شكل (١)

خريطة توضح الجانب الغربى للخليج فى العصر المملوكى (عن دوريس أبو سيف)

(تعريب الباحث)

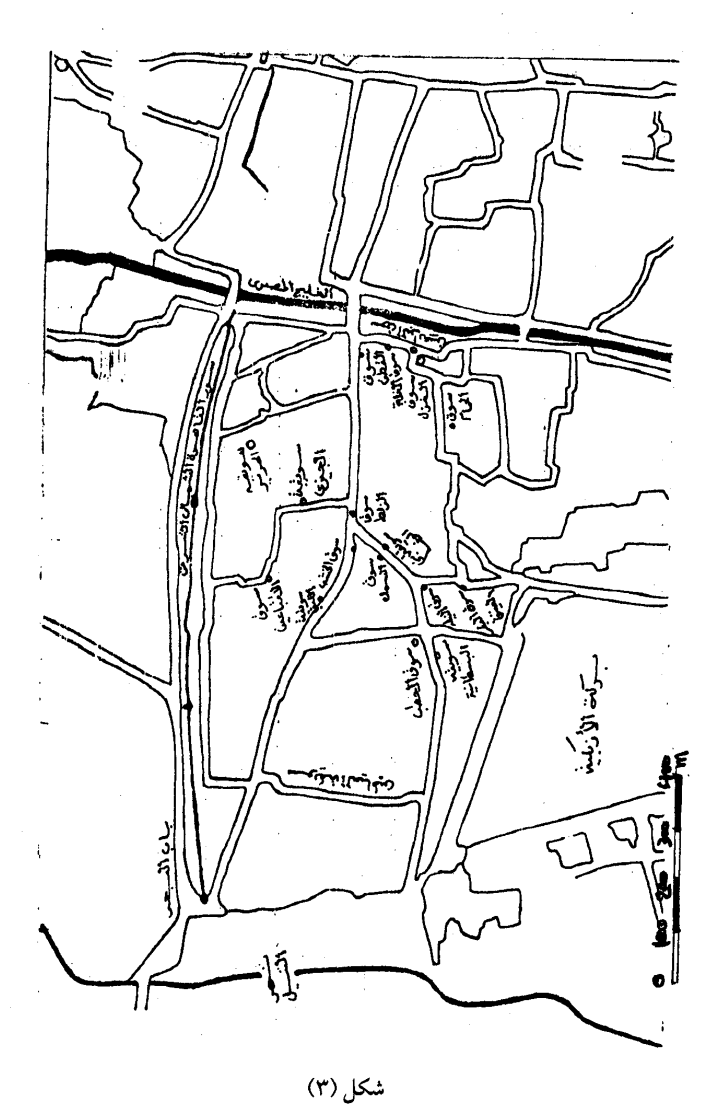


شكل (٢)

خريطة توضح الأسواق التى كان يضمها حى باب البحر فى العصر المملوكى . نقلا عن :

RAYMOND ET WIET: IES MARCHES AU CAIRE PLAN IV

(تم التكبير والتعريب بمعرفة الباحث)

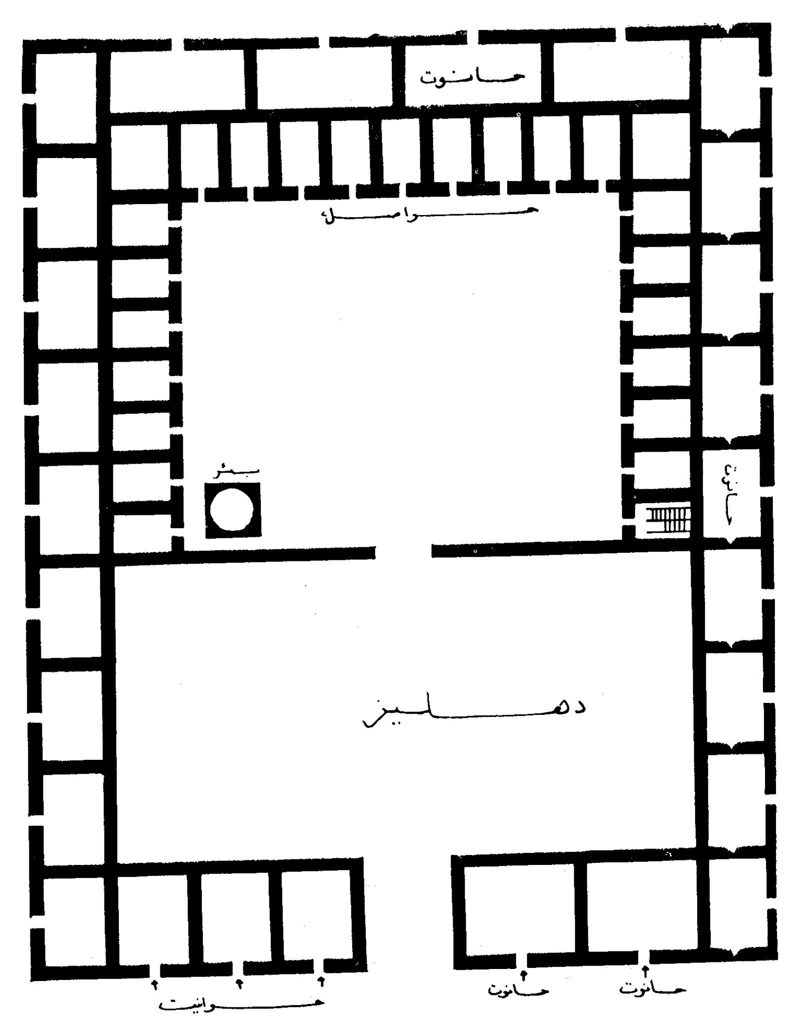


شكل (٣)

خريطة توضح الأسواق التى كان يضمها حى باب البحر فى العصر المملوكى العثمانى

RAYMOND ET WIET: IES MARCHES AU CAIRE, PLAN IV

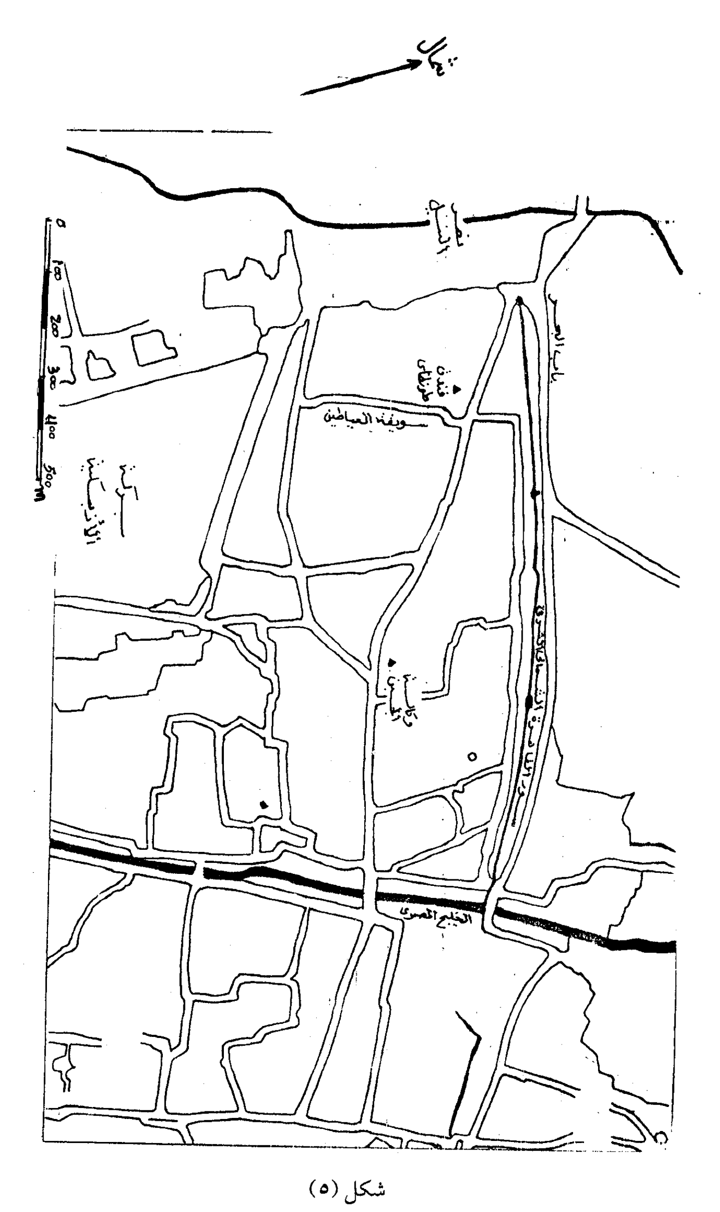
(تم التكبير والتعريب بمعرفة الباحث)



شكل (٤)

مسقط أفقى تصورى لفندق الحجر بأول حى باب البحر فى مواجهة ميدان الغلة من خلال وثيقة استبدال رقم ٥٨٥ج/ الأوقاف باسم على بن عثمان ، مؤرخة بسنة ٨٩٢ هـ

(عمل الباحث)



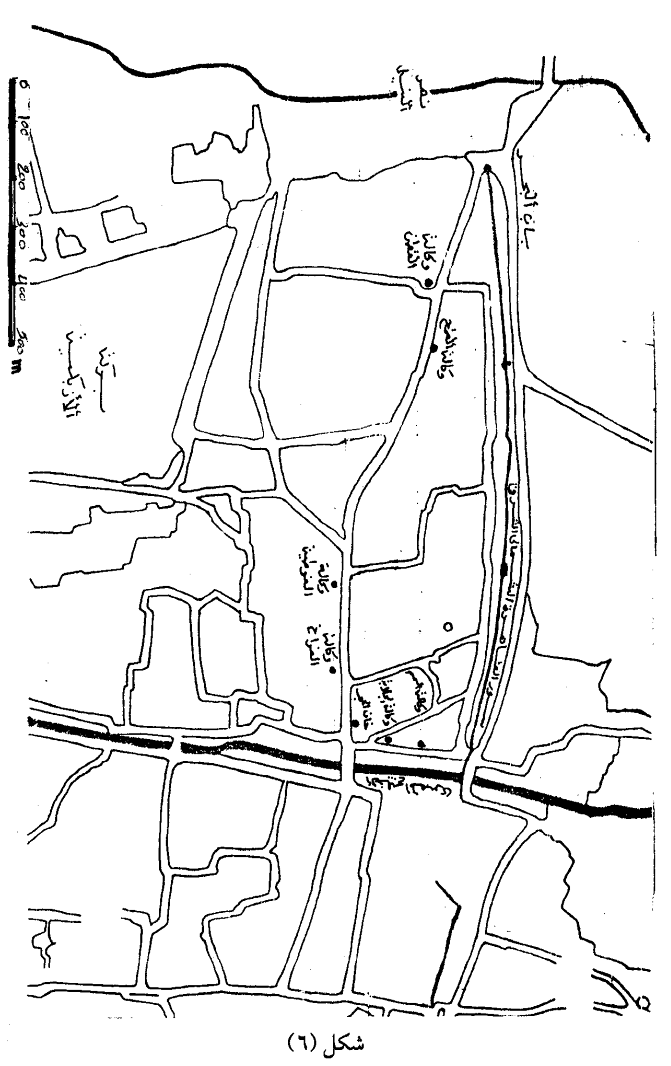
شكل (٥)

شكل (٥) خريطة توضح الوكالات التى كان يضمها حى باب البحر فى العصر المملوكى . نقلا عن :

RAYMOND ET WIET: IES MARCHES AU CAIRE, PLAN I

(تم التكبير والتعريب بمعرفة الباحث)



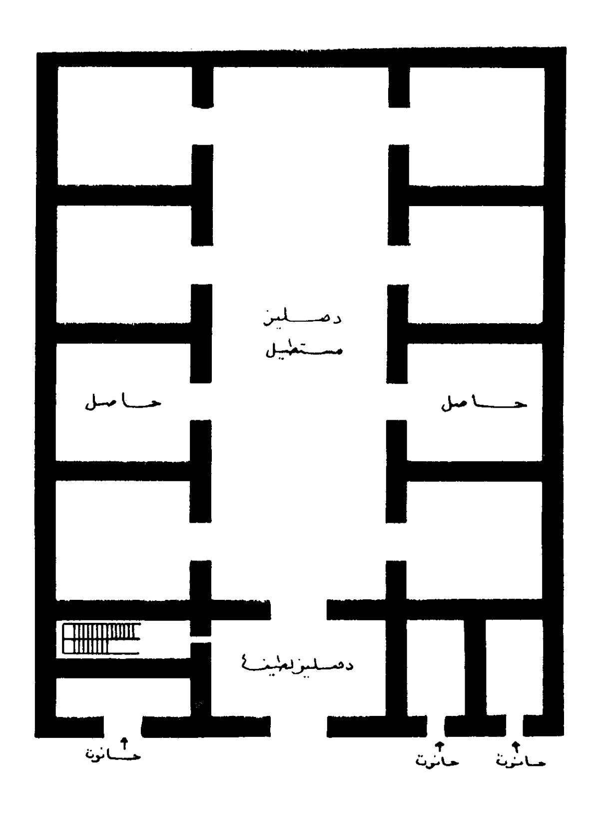


شكل (٦)

خريطة توضح الوكالات التى كان يضمها حى باب البحر فى العصر العثمانى . نقلا عن :

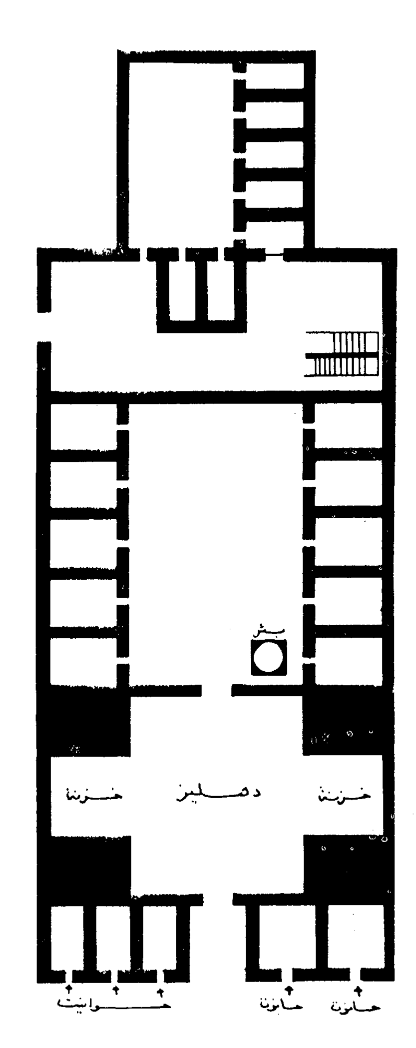
RAYMOND ET WIET: IES MARCHES AU CAIRE, PLAN IV

(تم التكبير والتعريب بمعرفة الباحث)



شكل (٧)

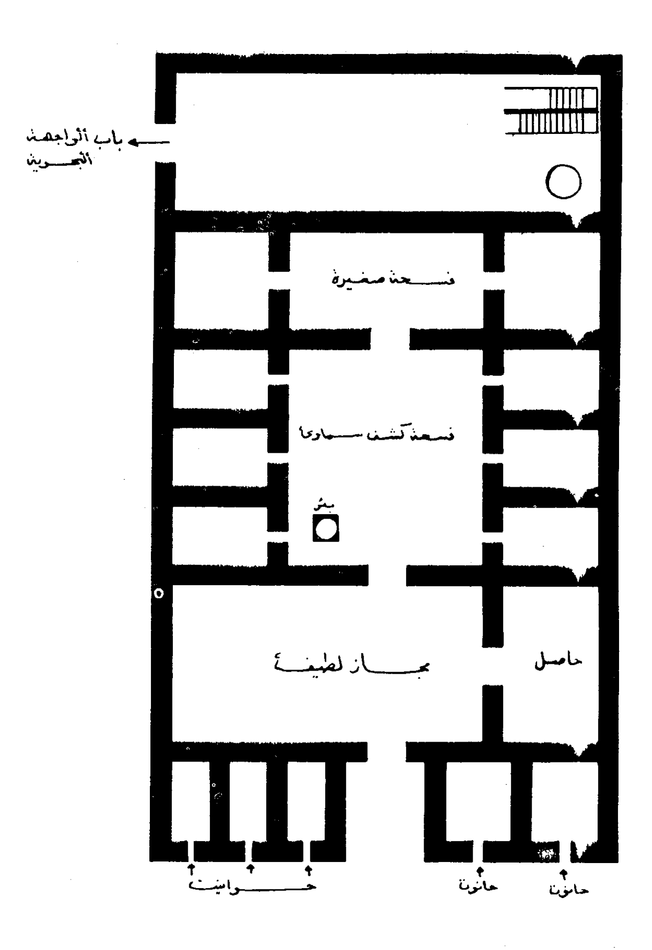
مسقط أفقى تصورى لوكالة بخط باب البحر داخل سويقة بنى الوفا من خلال
وثيقة رقم ٢٧٨ / الأوقاف باسم صالحة خاتون
(عمل الباحث)



شكل (٨)

مسقط أفقى تصورى لوكالة السيد أحمد البكرى داخل سويقة بنى الوفا من خلال وثيقة وقف رقم ٣٣٠٤/ الأوقاف

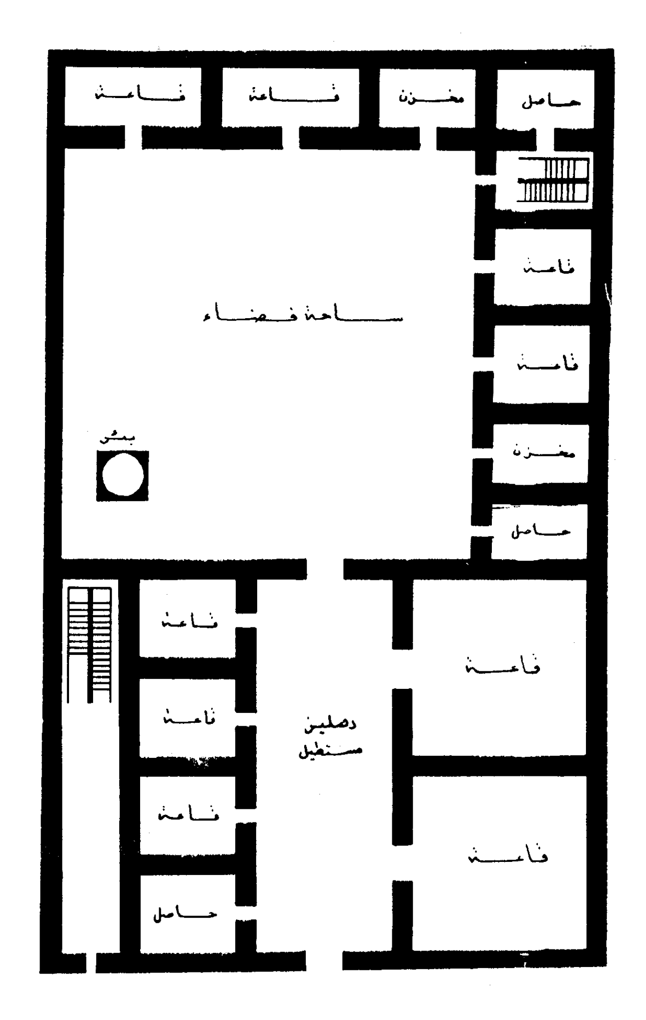
(عمل الباحث)



شكل (٩)

مسقط أفقي تصوري لخان أحمد البكرى بباب البحر داخل سويقة بنى الوفا من خلال وثيقة وقف رقم ٣٣٠٤/ الأوقاف

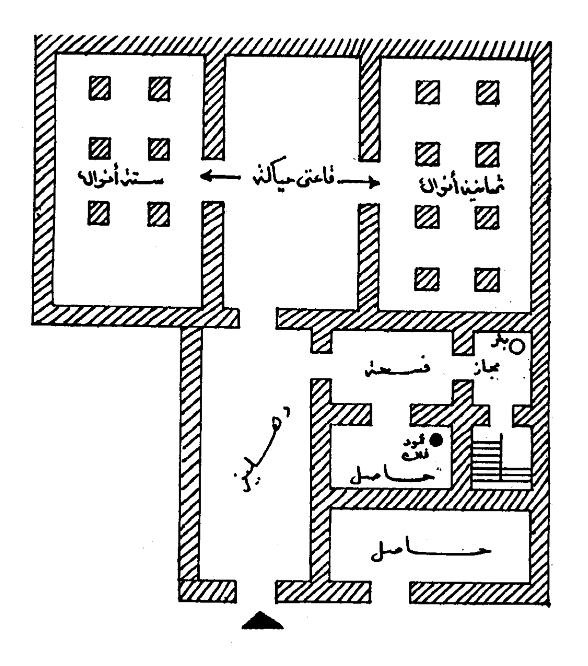
(عمل الباحث)



شكل (١٠)

مسقط أفقى تصورى لقاعة حياكة وجفار بباب البحر داخل سويقة بنى الوفا من خلال وثيقة وقف ٢٢١/ القلعة .

(عمل الباحث)

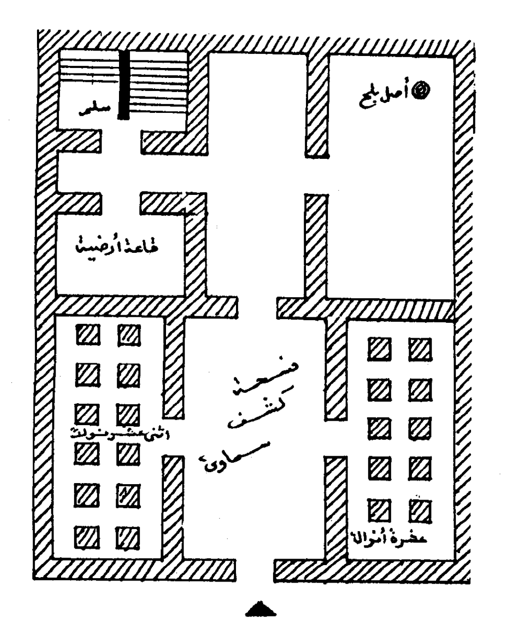


شكل (١١)

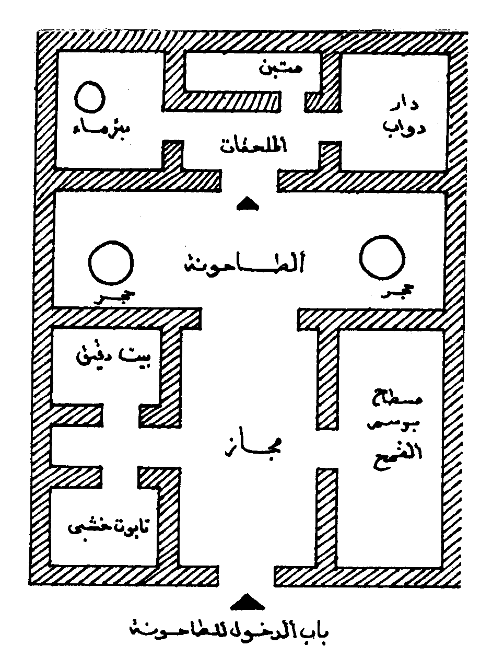
مسقط أفقى تصورى لقاعتى حياكة من خلال وثيقة

وقف رقم ٦٥٠ / الأوقاف باسم الحاج مصطفى دبل البسطاينى

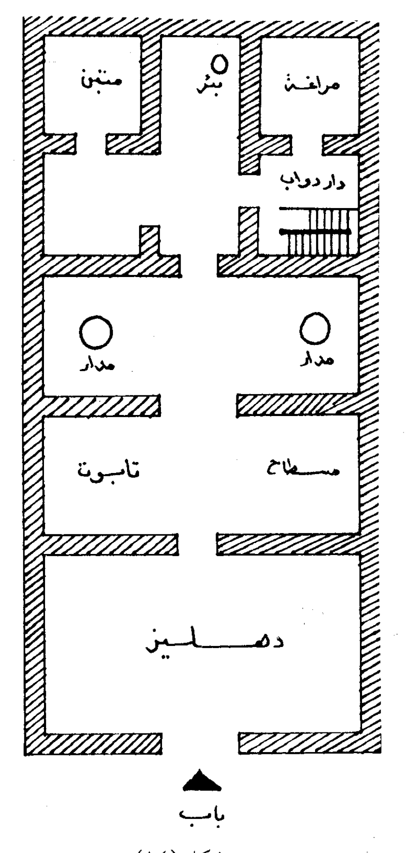
(عمل الباحث)



شكل (١٢)
مسقط أفقى تصورى لقاعة حياكة من خلال وثيقة وقف الحاج
حجازى أحمد السعيد رقم ٣١٠٤ / الأوقاف
(عمل الباحث)

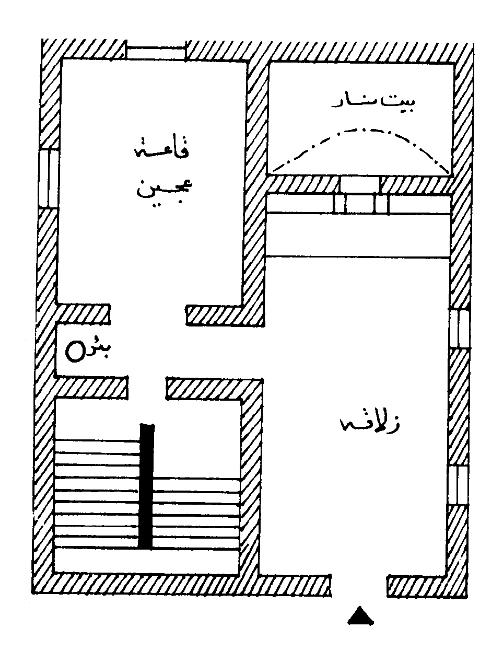


شكل (١٣)
مسقط أفقي تصوري لطاحونة بباب البحر من خلال وثيقة
وقف الأبناسي رقم ٧١٩ج / الأوقاف مؤرخة بسنة ٧٩٦هـ
(عمل الباحث)



شكل (١٤)

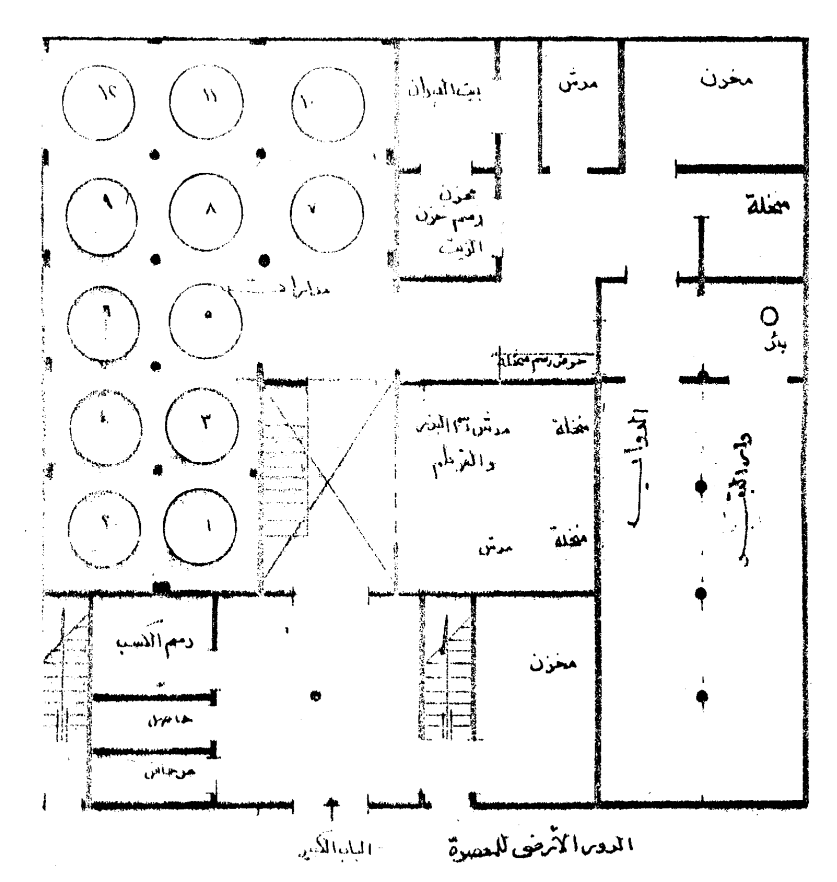
مسقط أفقى تصورى لطاحونة بباب البحر بالقرب من الجامع الأحمر من خلال
وثيقة وقف الحاج حجازى أحمد السعيد رقم ٣١٠٤/ الأوقاف
(عمل الباحث)



شكل (١٥)

مسقط أفقى تصورى لفرن داخل باب البحر من خلال وثيقة وقف باسم الحاج حجازى أحمد السعيد رقم ٣١٠٤ / الأوقاف

(عمل الباحث)

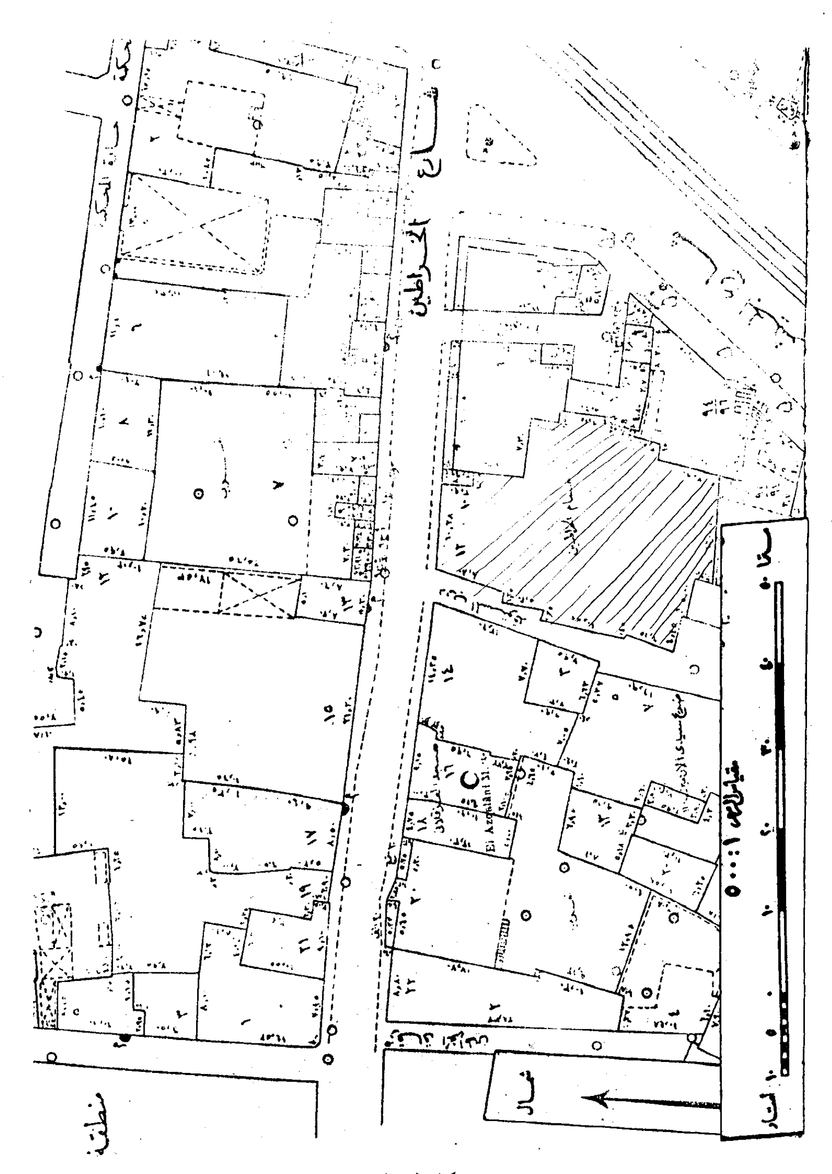


شكل (١٦)

المسقط الأفقى التصورى لمعصرة زيت بحى باب البحر تعرف بالجديدة

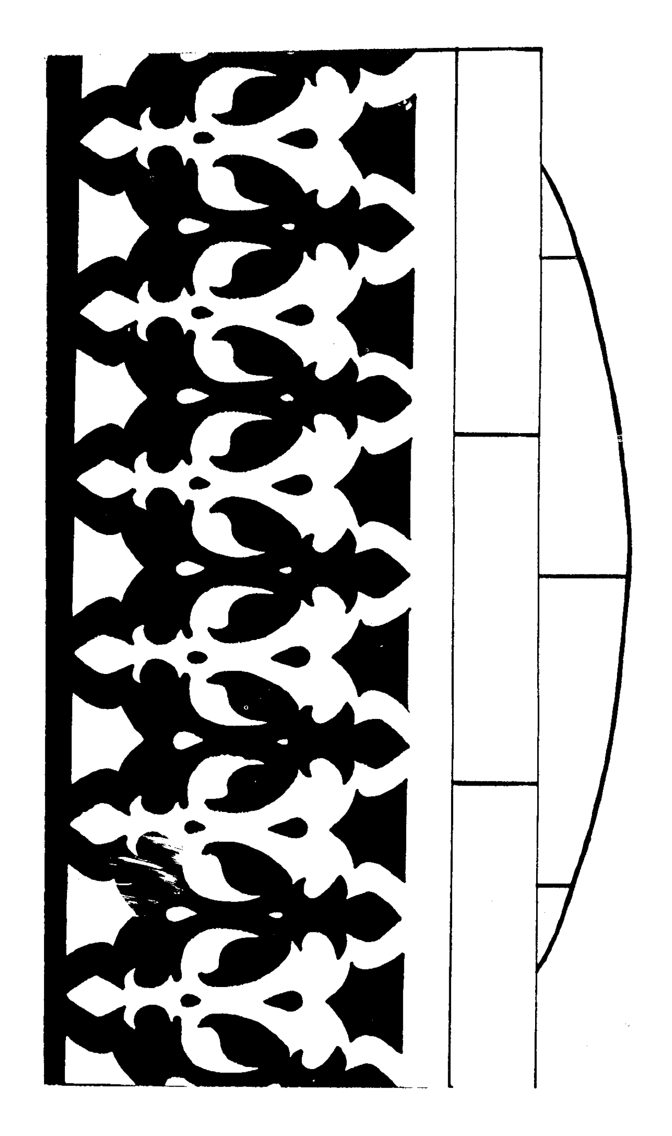
(عن : أحمد محمد أحمد)

المنشآت الصناعية فى العصر المملوكى من خلال الوثائق، رسالة ماجستير آداب سوهاج



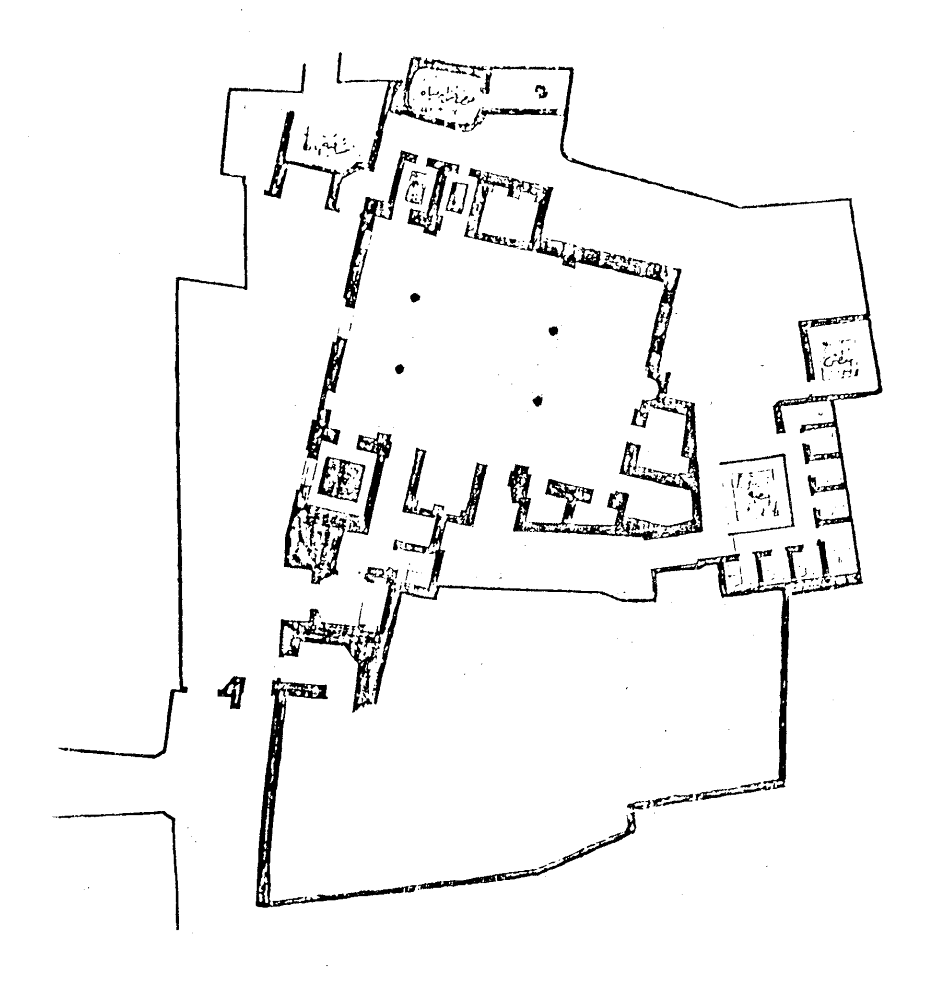
شكل (١٧)

خريطة لحى باب البحر الذى كان يعرف قديما بالخراطين ، توضح موقع الحمام المنسوب إليه والذى كان موجودا بالحى حتى عام ١٩٣٦م . (نقلا عن مصلحة المساحة)



شكل (١٨)

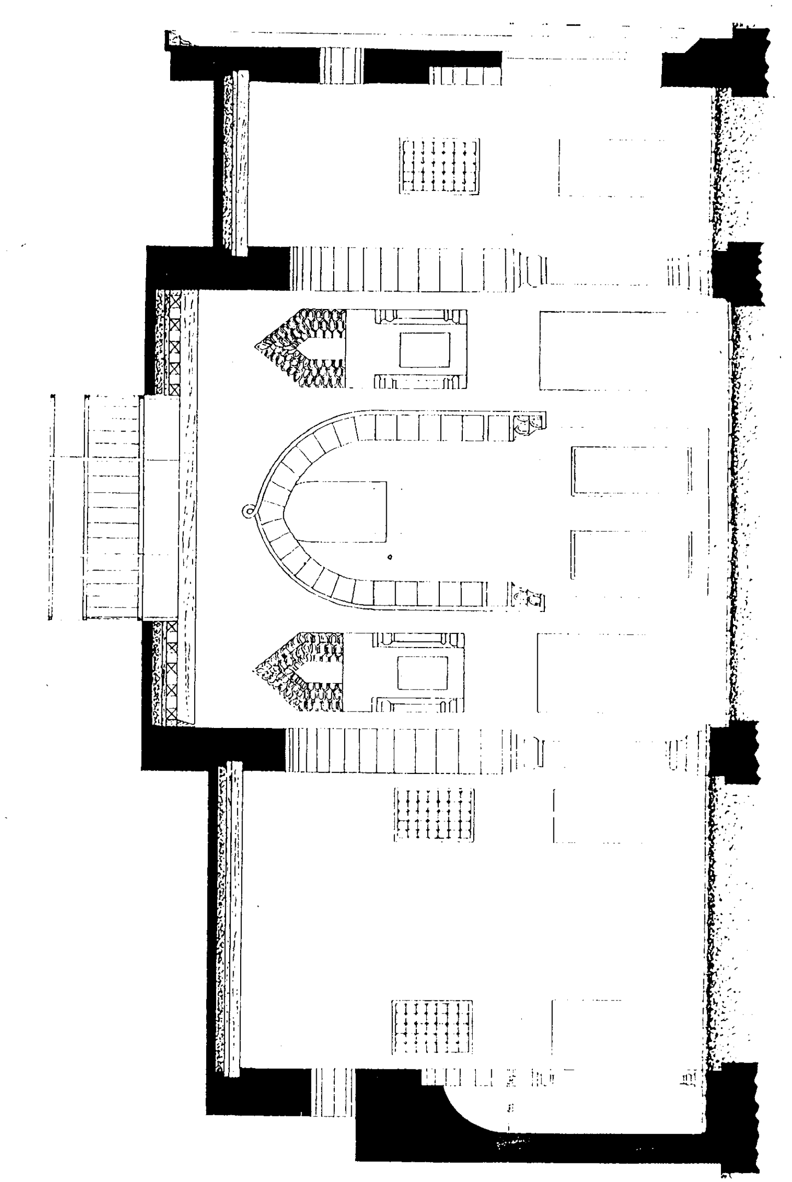
تفريغ للصنجات المعشقة التى تعلو نافذة الضريح بمسجد سيدى مدين ٨٤٢ - ٨٤٣ هـ



شكل (١٩)

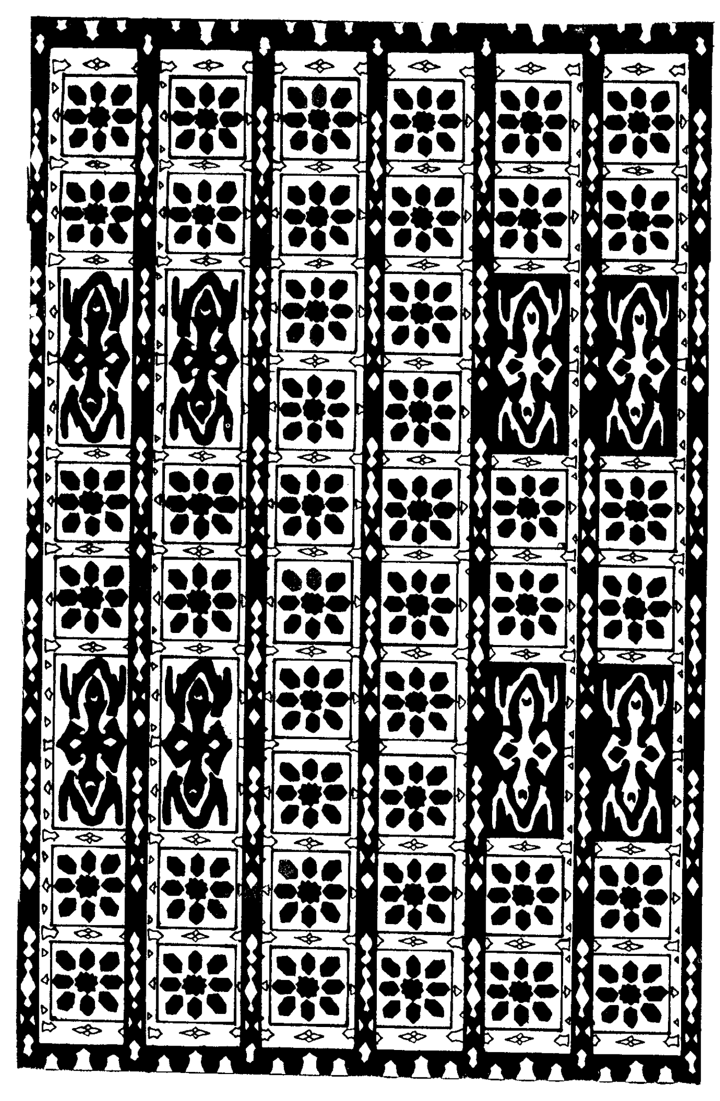
مسقط أفقى لمسجد سيدى مدين

(عن هيئة الآثار المصرية ، ينشر لأول مرة)



شكل (٢٠)

قطاع فى مسجد سيدي مدين . (عن هيئة الآثار المصرية ، ينشر لأول مرة)

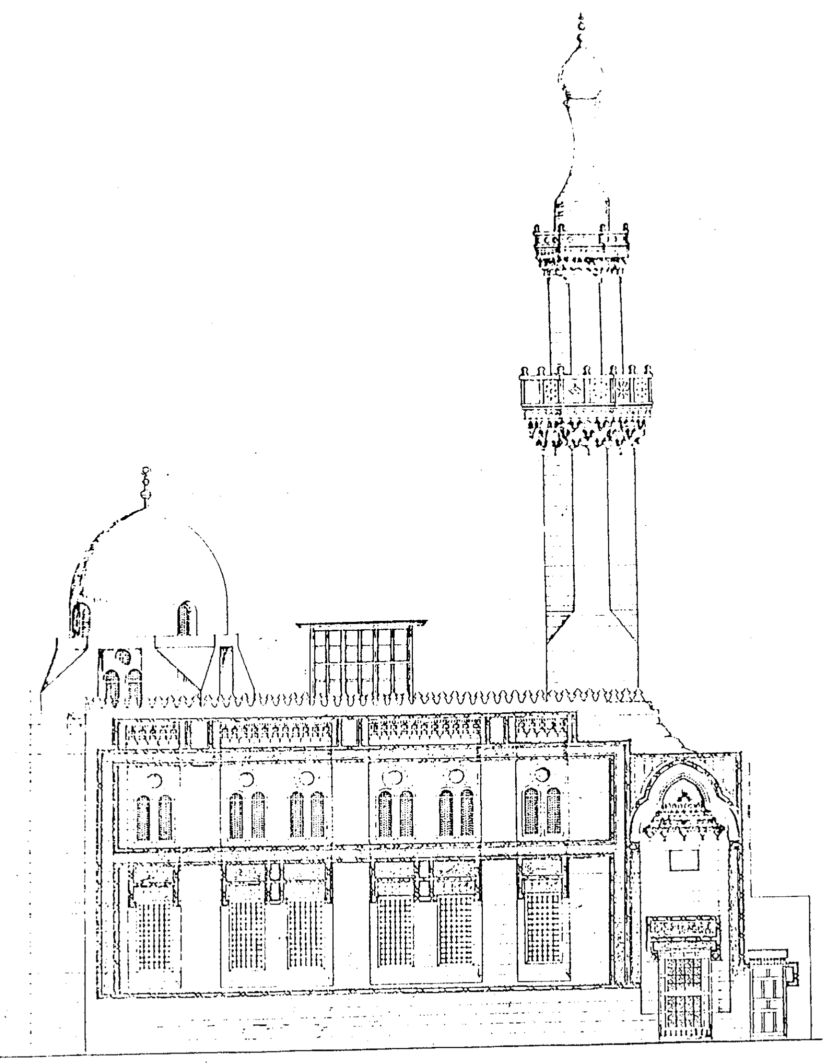


شكل (٢١)

إعادة تصور لما كانت عليه زخارف سقف الإيوان الجنوبى الشرقى

بمسجد سيدى مدين ٨٤٢ ـ ٨٤٣هـ

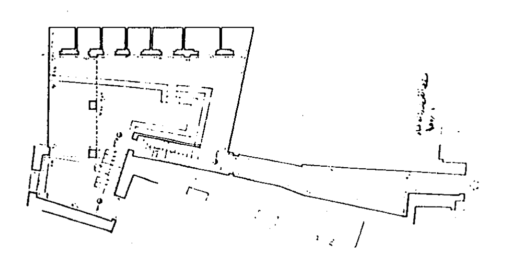
(تم بمعرفة الباحث)



شكل (٢٢)

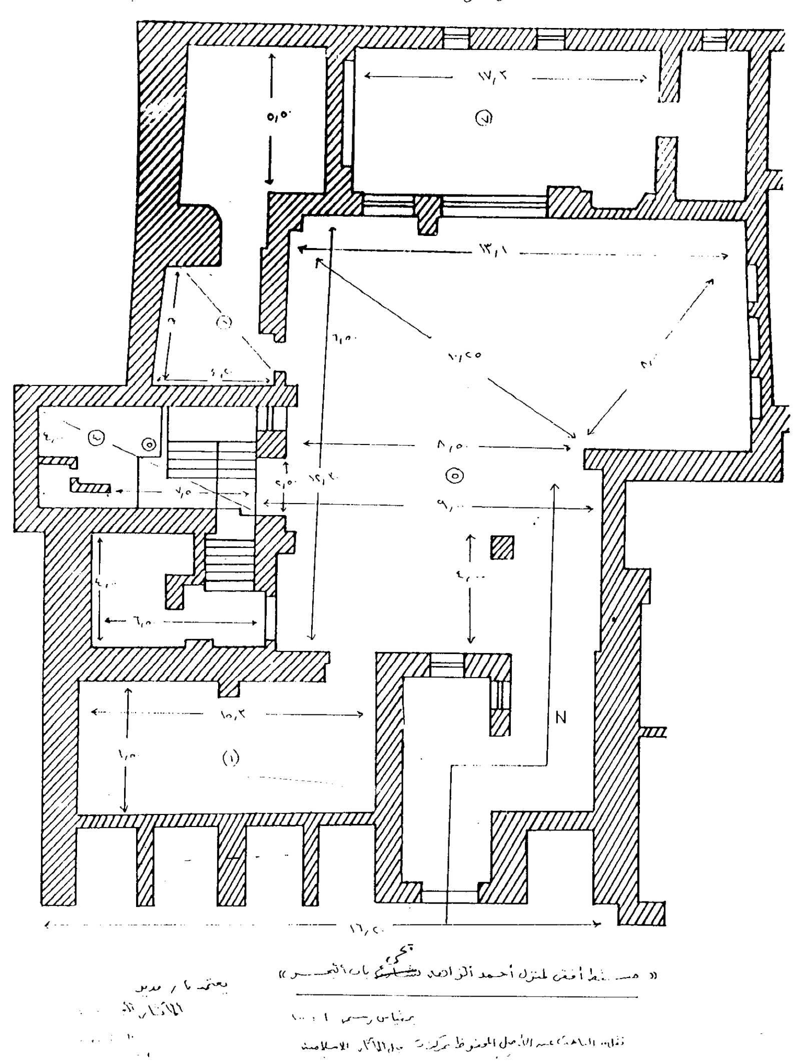
واجهة مسجد أحمد العريان

(عن هيئة الآثار المصرية ، ينشر لأول مرة)





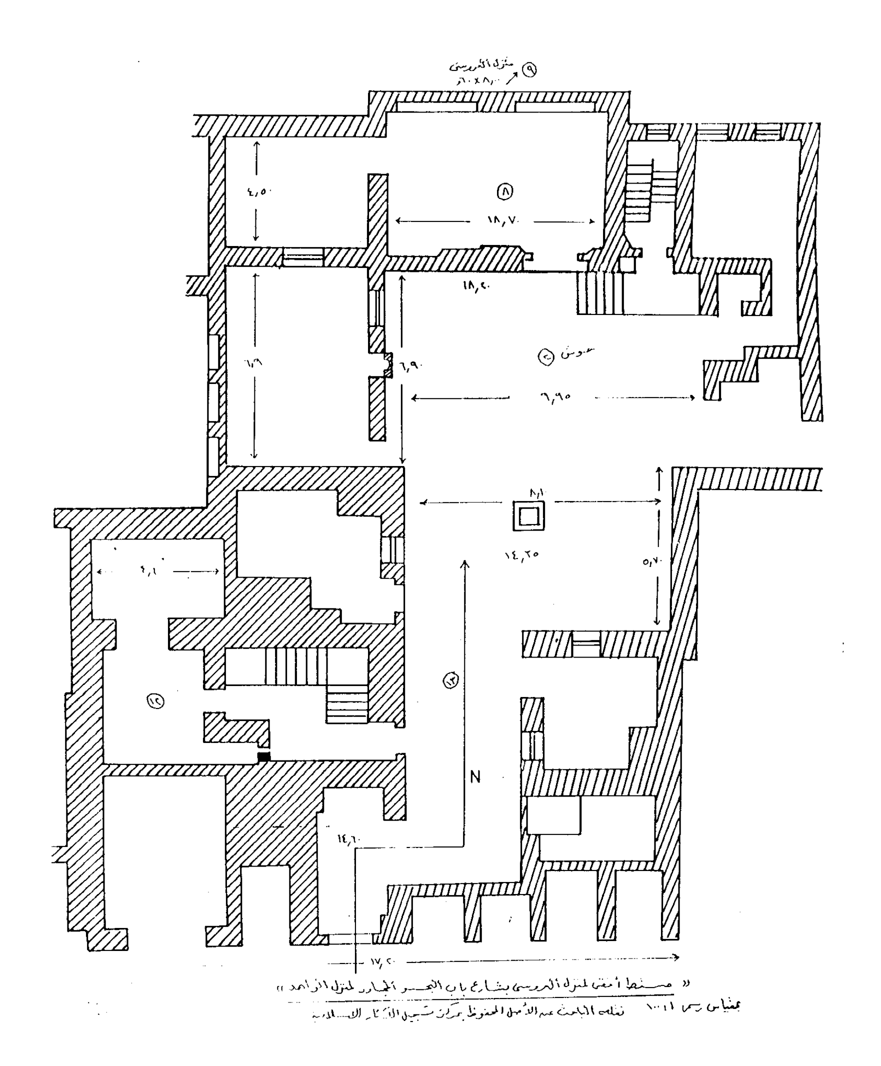
شكل (٢٣)
المسقط الأفقى لمسجد أحمد العريان
(عن هيئة الآثار المصرية ، يُنشر لأول مرة)



شكل (٢٤)

منزل أحمد الزاهد

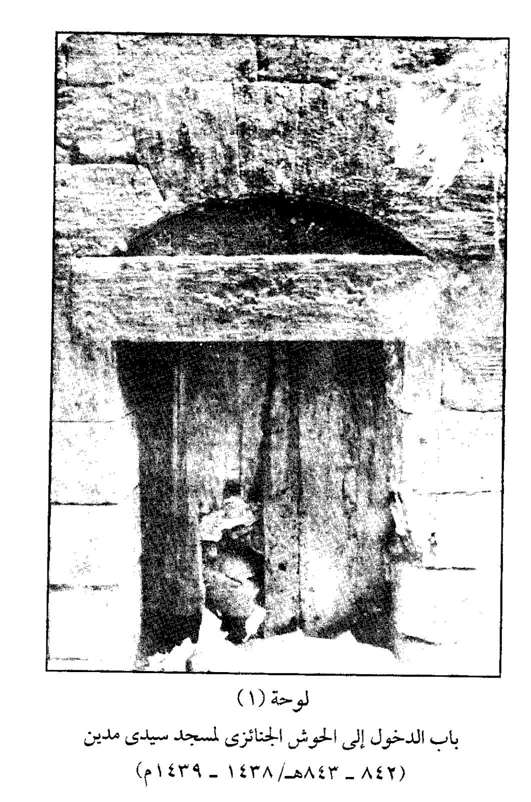
(عن هيئة الآثار المصرية ، يُنشر لأول مرة)



شكل (٢٥)

منزل الشيخ العروسى

(عن هيئة الآثار المصرية ، يُنشر لأول مرة)



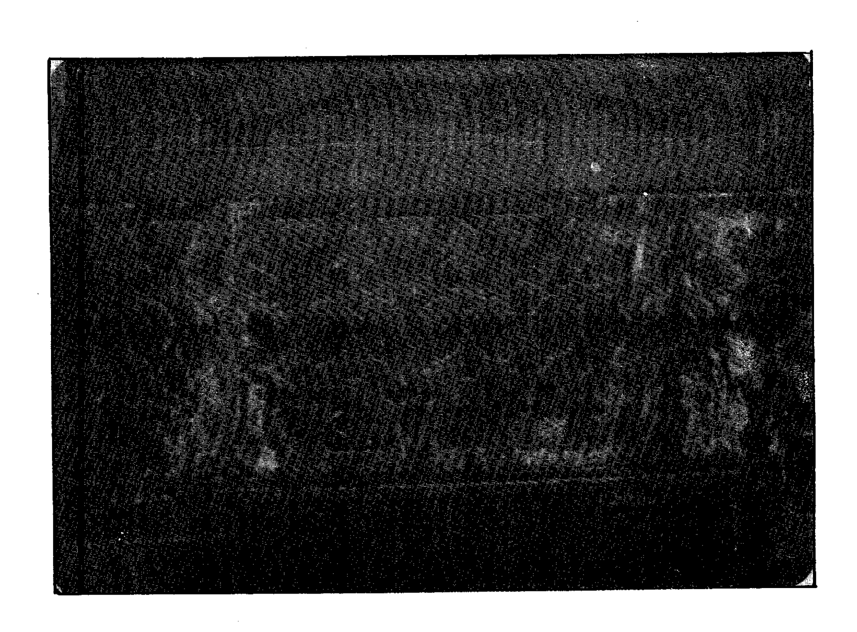
لوحة (١)

باب الدخول إلى الحوش الجنائزى لمسجد سيدى مدين

(٨٤٢ ـ ٨٤٣هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩م)

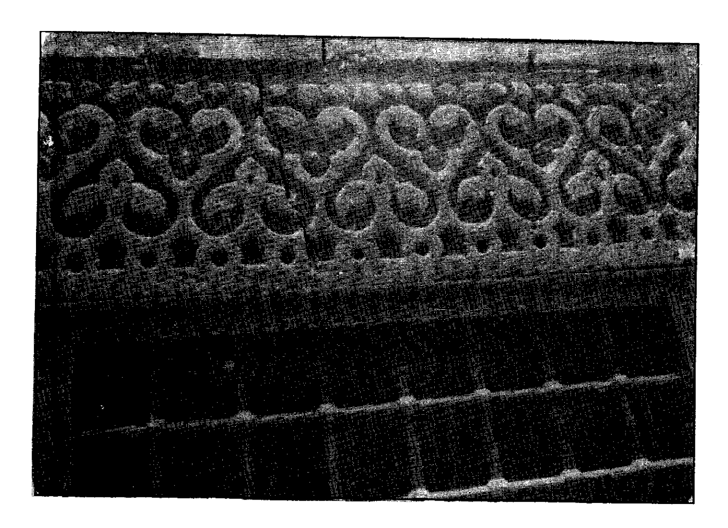
لوحة (٢)

فتحة باب الدخول الرئيسية لمسجد سيدى مدين

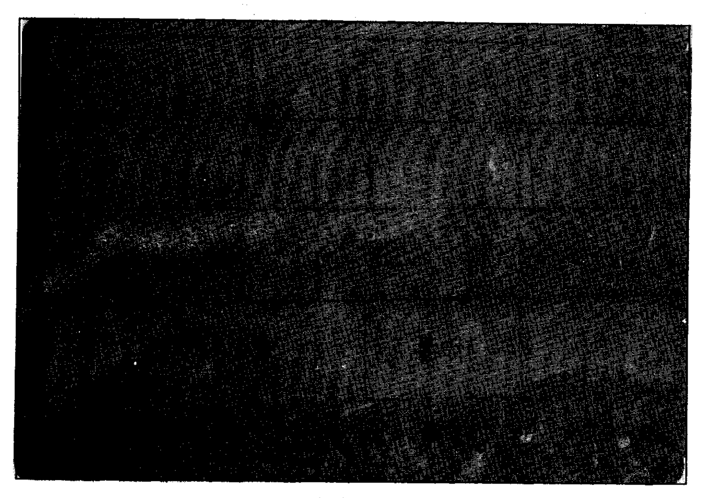


لوحة (٣)

تفصيل للعتب الذى يعلو نافذة الضريح بمسجد سيدى مدين



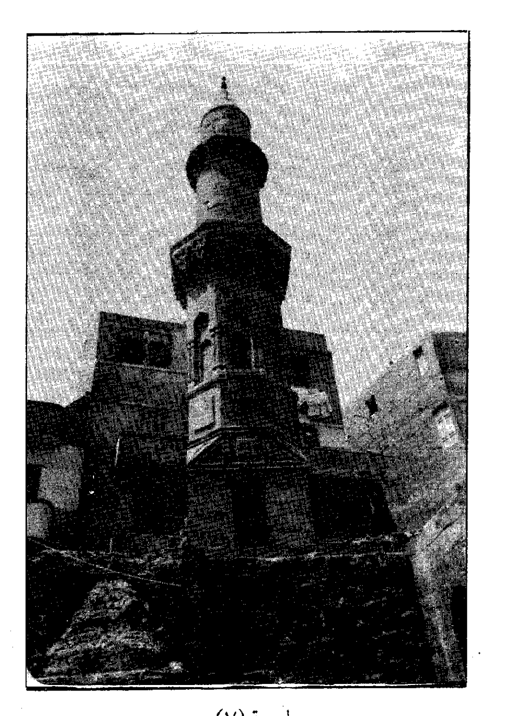
لوحة (٤)
تفصيل للعتب الذى يعلو نافذة الإيوان الشمالى الغربى بمسجد سيدى مدين



لوحة (٥)
التاريخ الذى أثبتته لجنة حفظ الآثار العربية أثناء تجديدها لمسجد سيدى مدين وهو
(١٣٥٨ هـ)



لوحة (٦)
مئذنة بمسجد سيدى مدين

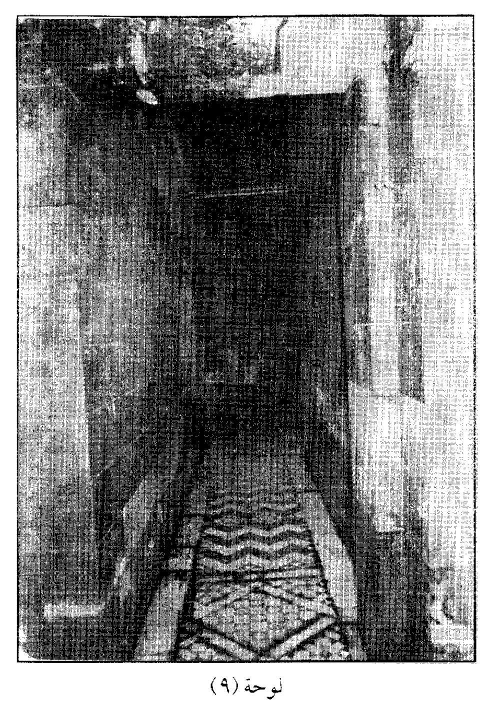


لوحة (٧)
المئذنة السابقة مكتملة



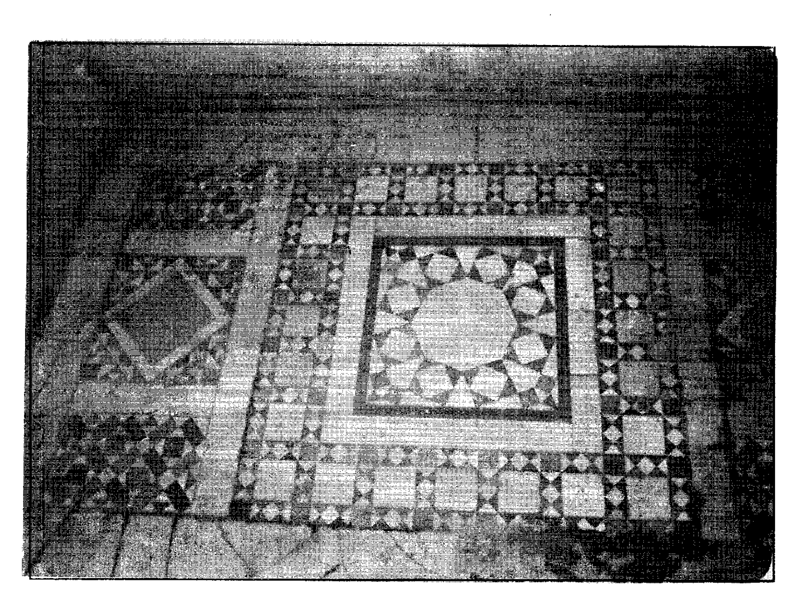
لوحة (٨)

الباب الأيسر لدركاة الدخول بمسجد سيدى مدين



لوحة (٩)

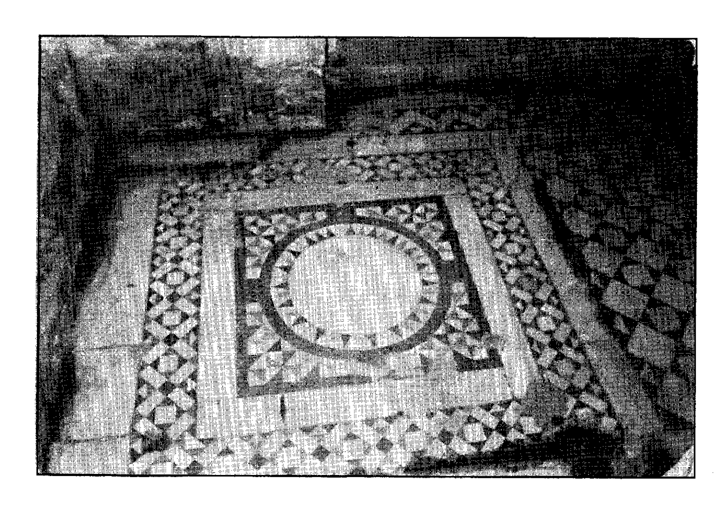
دهليز الدخول إلى مسجد سيدى مدين



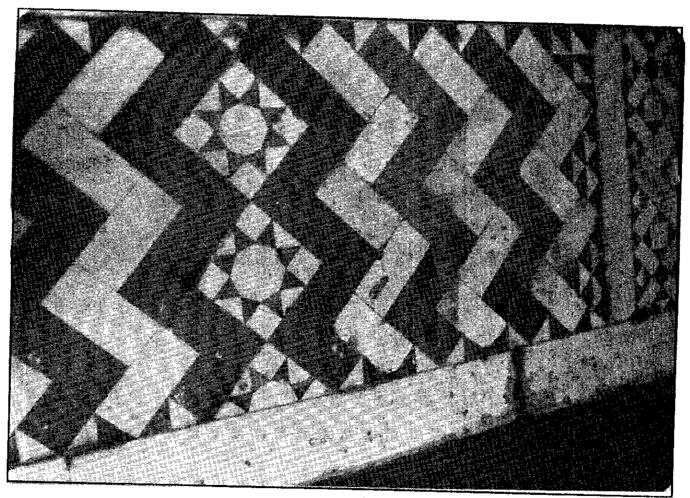
لوحة (١٠)
أرضية دركاة المدخل بمسجد سيدى مدين



لوحة (١١)
المزملة بمسجد سيدى مدين

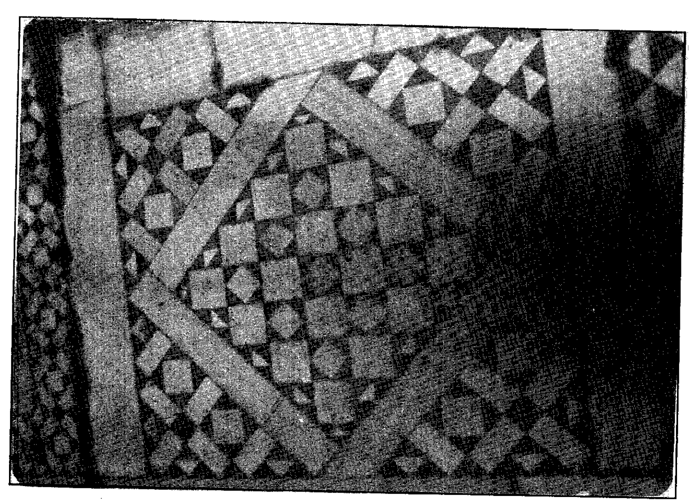


لوحة (١٢)
تفصيل للزخارف الهندسية الرخامية التى تزين دهليز الدخول إلى مسجد سيدى مدين



لوحة (١٣)

تفصيل للزخارف الهندسية الرخامية التى تزين دهليز الدخول إلى مسجد سيدى مدين



لوحة (١٤)

تفصيل للزخارف الهندسية الرخامية التى تزين دهليز الدخول إلى مسجد سيدى مدين

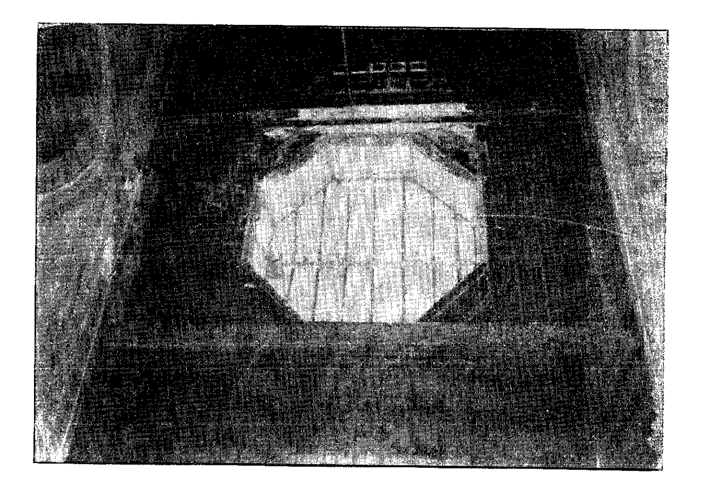


لوحة (١٥)
الشباك ذو العقد المنكسر الذى يعلو فتحة باب الدخول إلى صحن مسجد سيدى مدين

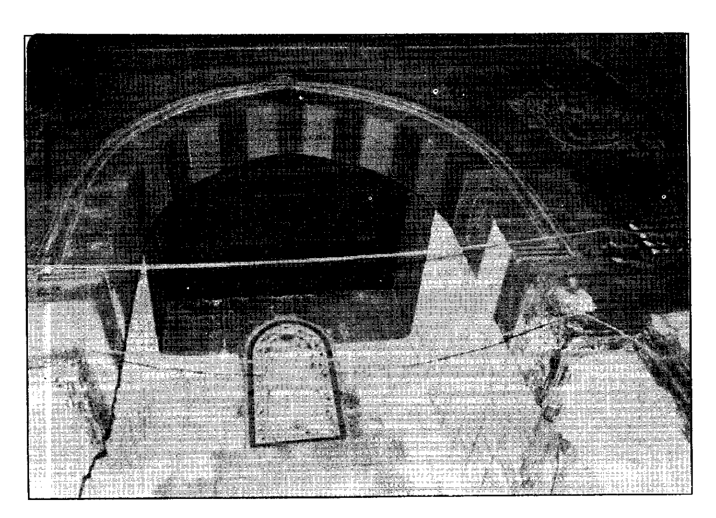
لوحة (١٦)
صحن مسجد سيدى مدين ويظهر واضحًا بها السدلة الجنوبية الغربية



لوحة (١٧)
السدلة الشمالية الشرقية بمنشأة سيدي مدين

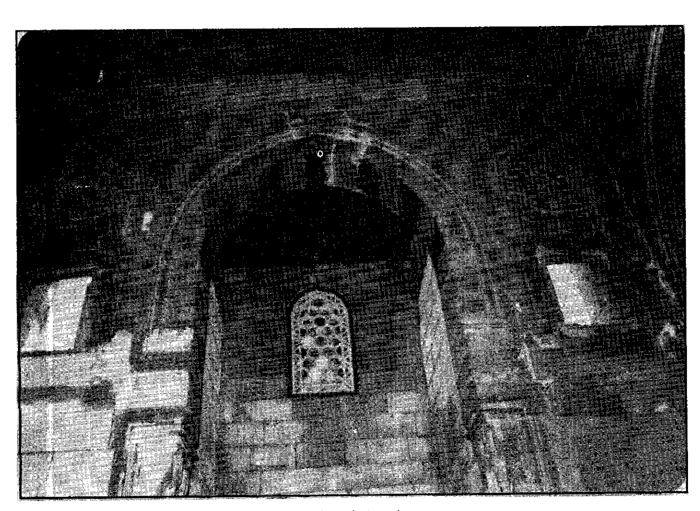


لوحة (١٨)
الشخشيخة التى تغطى صحن منشأة سيدى مدين



لوحة (١٩)

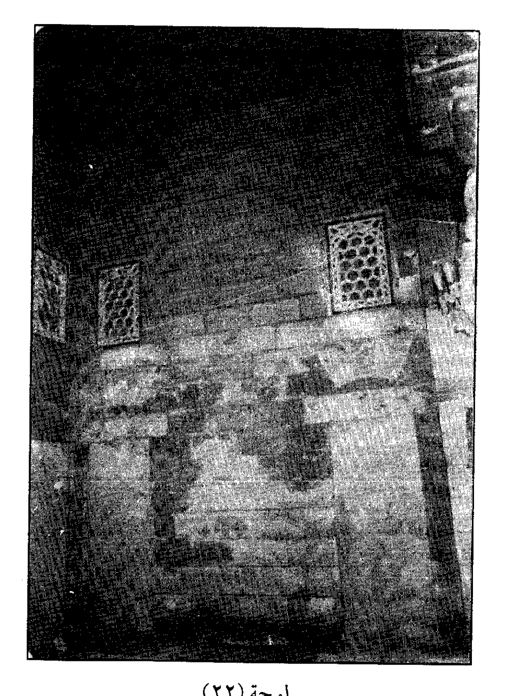
عقد السدلة الجنوبية الغربية بمسجد سيدى مدين



لوحة (٢٠)

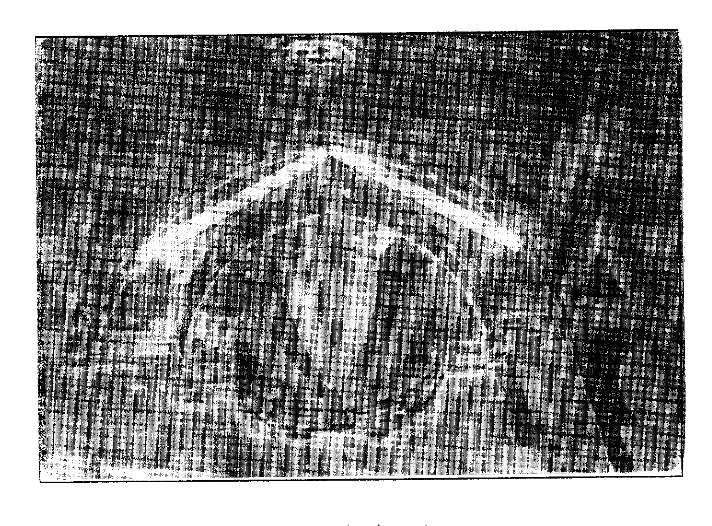
عقد السدلة الشمالية الشرقية بمسجد سيدى مدين

لوحة (٢١)
الايوان الجنوبى الشرقى بمسجد سيدى مدين

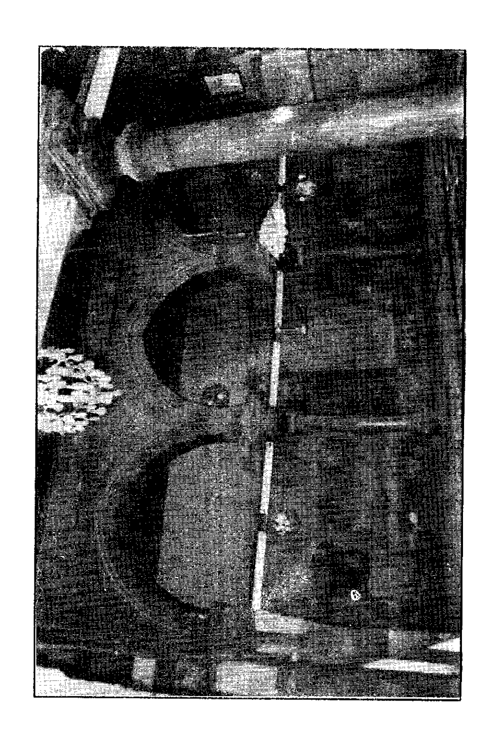


لوحة (٢٢)
الحجرات التى تقع على يسار المحراب بمسجد سيدى مدين وهى مسدودة الآن

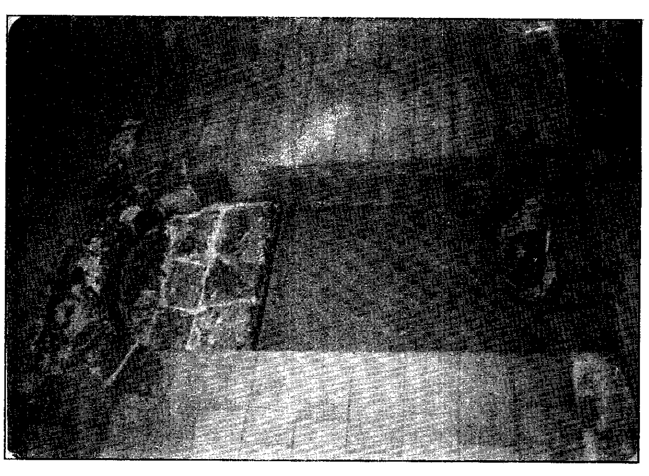
لوحة (٢٣)
المحراب والمنبر بمسجد سيدى مدين



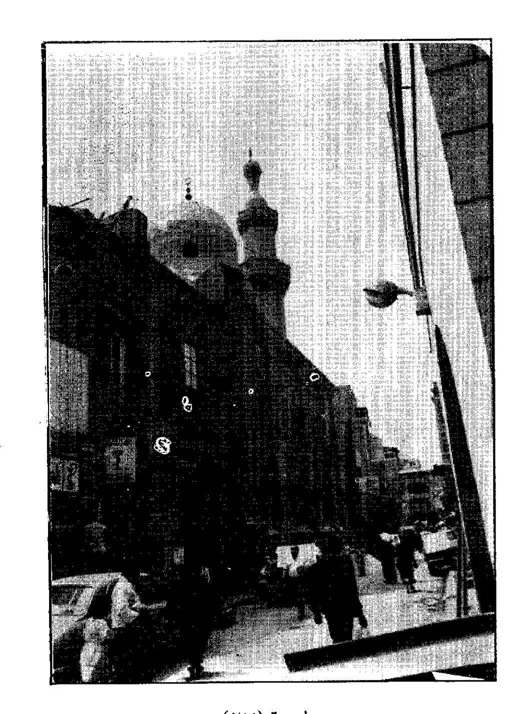
لوحة (٢٤)
طاقية المحراب بمسجد سيدى مدين



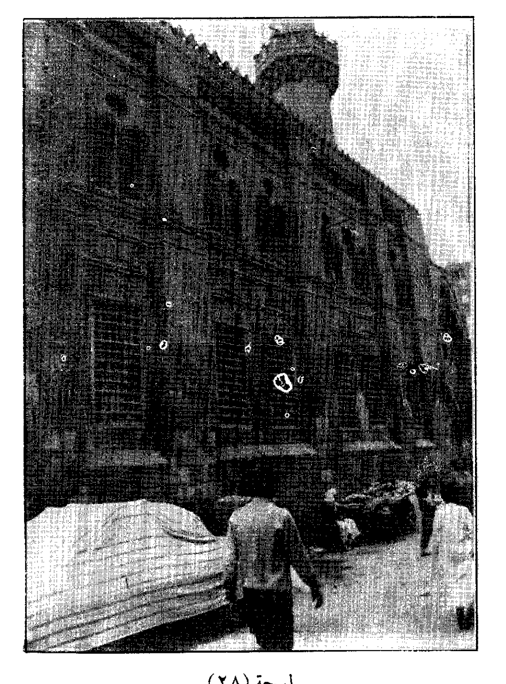
لوحة (٢٥)
الإيوان الشمالى الغربى بمسجد سيدى مدين



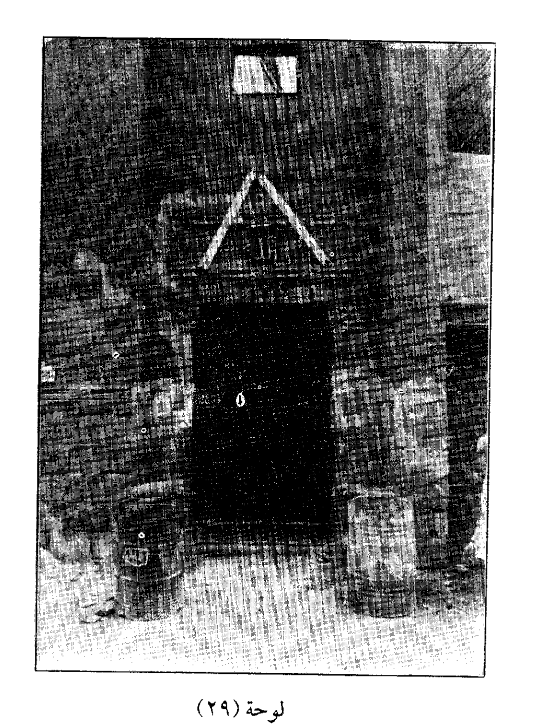
لوحة (٢٦)
عقد نافذة الإيوان الشمالى الغربى من الداخل



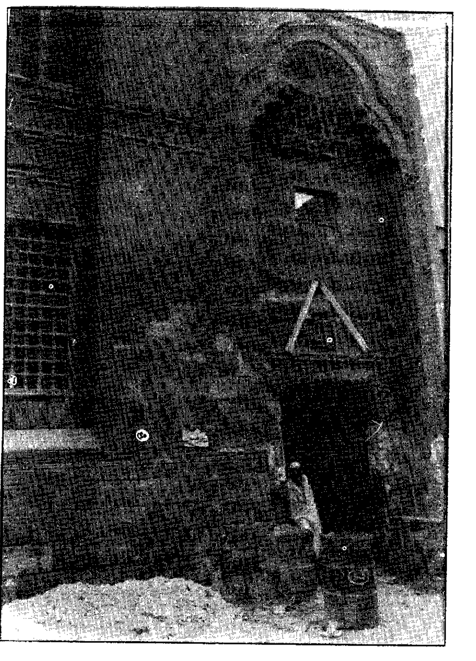
لوحة (٢٧)
منظر عام لمسجد أحمد العريان (١١٨٤هـ / ١٧٧٠م)



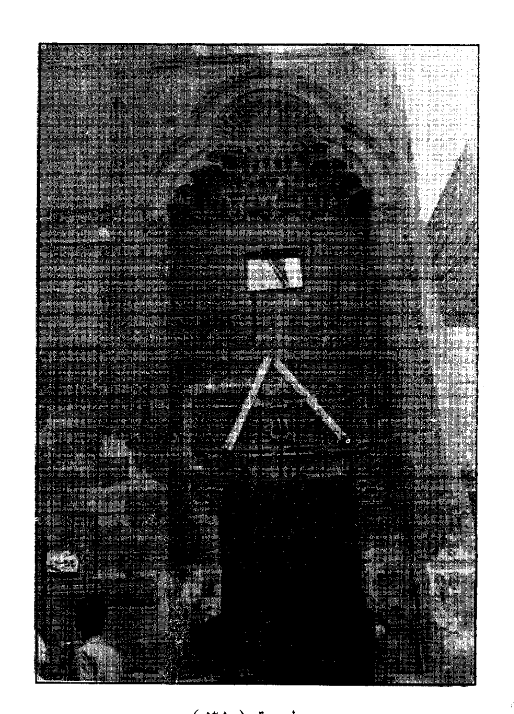
لوحة (٢٨)
الواجهة الشمالية الشرقية لمسجد أحمد العريان



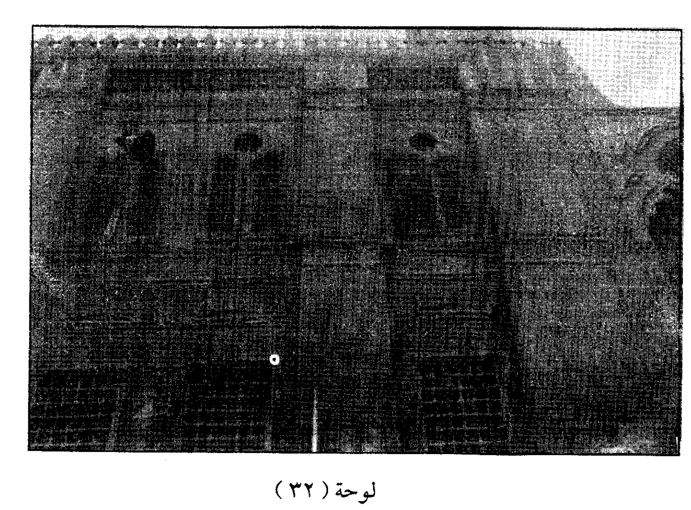
لوحة (٢٩)
فتحة باب الدخول الرئيسية لمسجد أحمد العريان



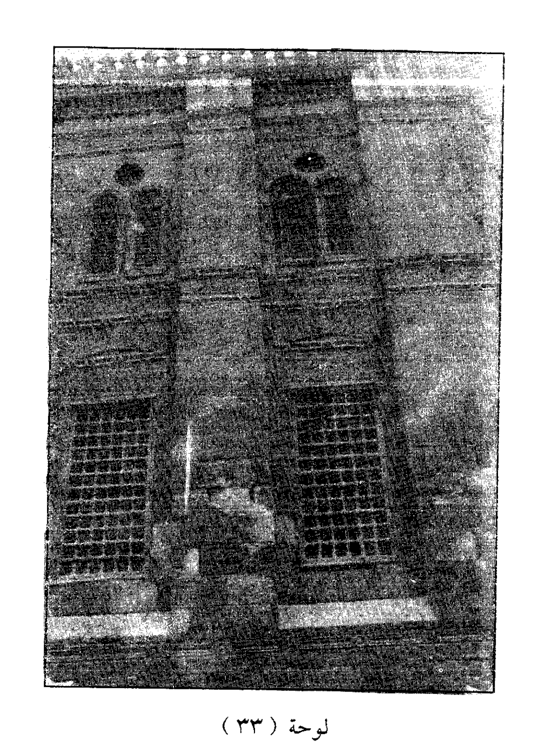
لوحة (٣٠)
كتلة المدخل الرئيسى لمسجد أحمد العريان



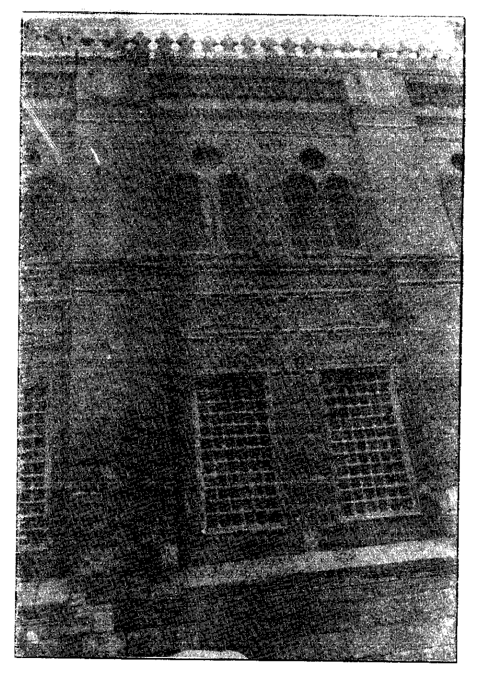
لوحة (٣١)
تفصيل لارتفاع كتلة المدخل لمسجد أحمد العريان



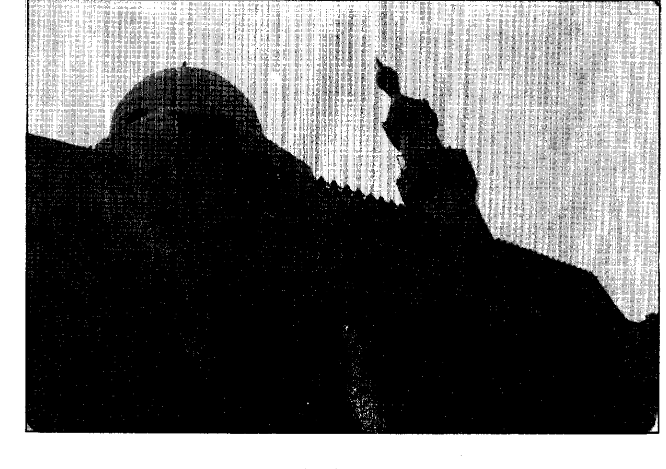
لوحة (٣٢)
الحنايا الرأسية والنوافذ والقندليات التى تزخرف واجهة الظلة
الشمالية الشرقية بمسجد أحمد العريان



لوحة (٣٣)
ارتفاع الحنايا الرأسية عن سطح الأرض بواجهة الإيوان الشمالى الشرقى بمسجد أحد العريان

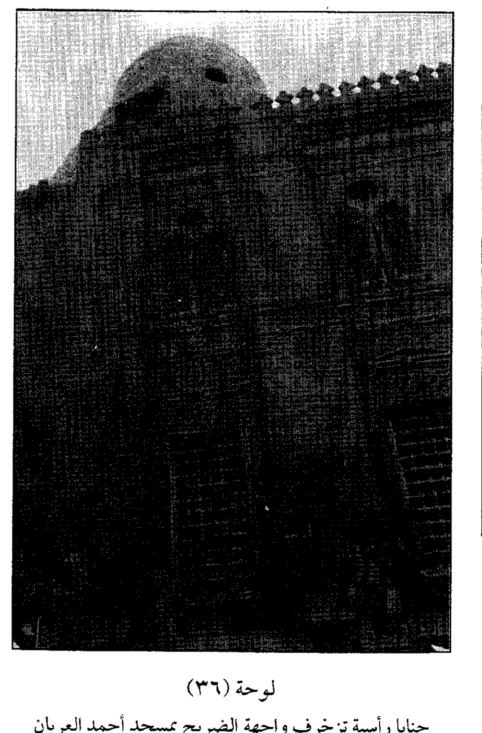


لوحة (٣٤)
ارتفاع الحنية الرأسية الكبرى عن سطح الأرض بواجهة الإيوان الشمالى الشرقى بمسجد أحمد العريان



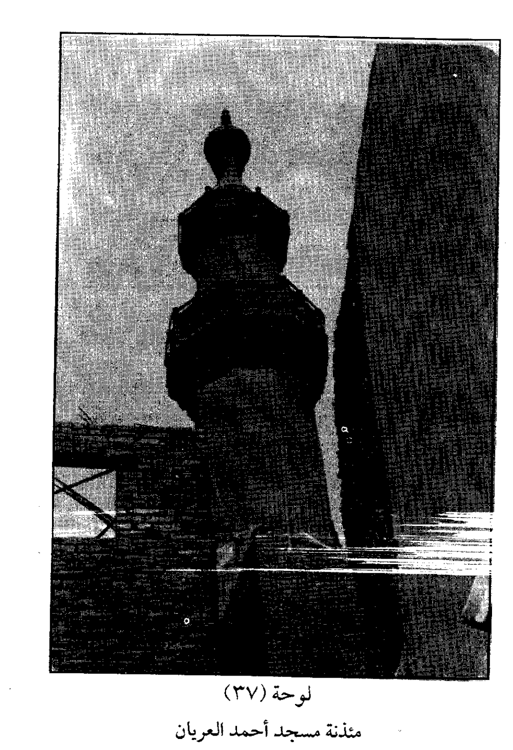
لوحة (٣٥)

الجزء العلوى من الواجهة الشمالية الشرقية ويتضح بها جزء من المئذنة والقبة وجزء من واجهة الكتاب بمسجد أحمد العريان



لوحة (٣٦)

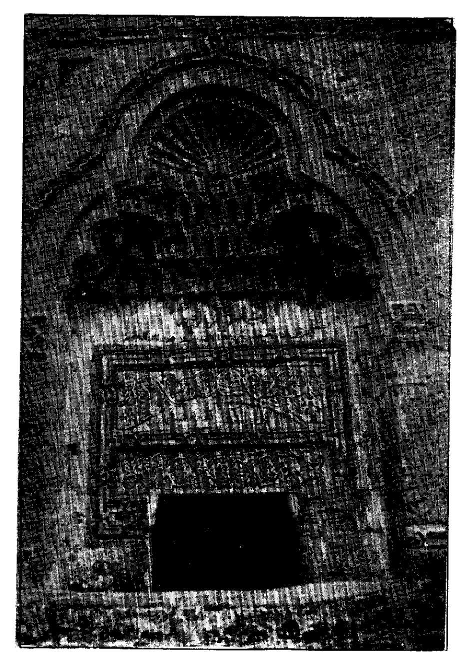
حنايا رأسية تزخرف واجهة الضريح بمسجد أحمد العريان



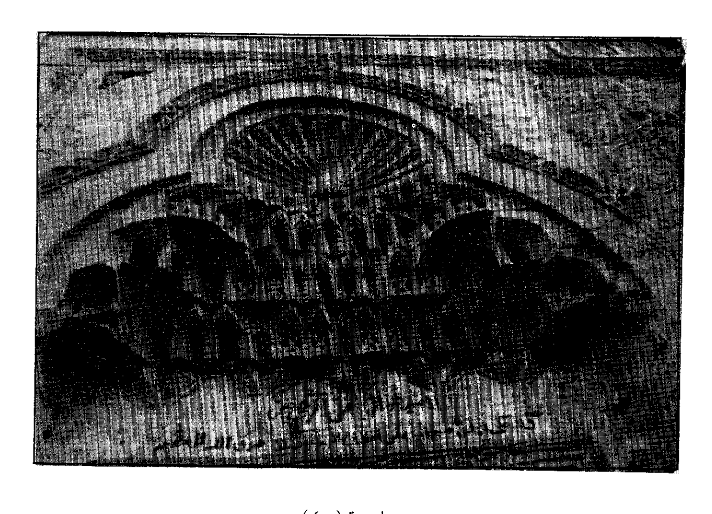
لوحة (٣٧)
مئذنة مسجد أحمد العريان



لوحة (٣٨)
تفصيل للدورة الأولى من مئذنة أحمد العريان

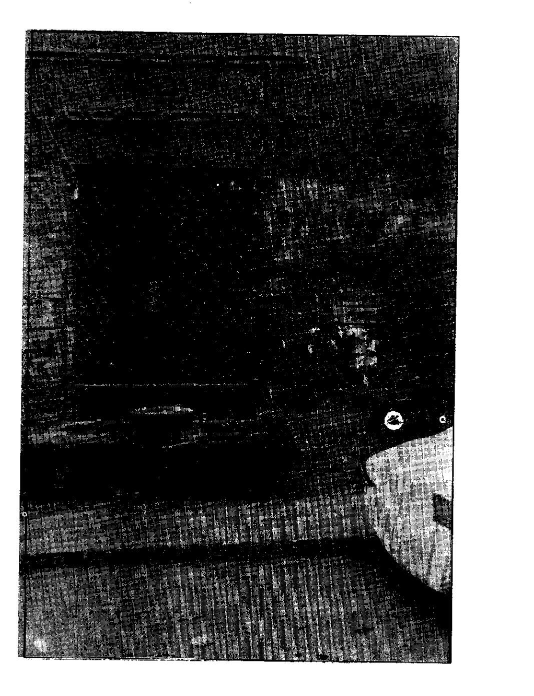


لوحة (٣٩)
كتلة المدخل الرئيسى إلى السبيل والكتاب لمسجد أحمد العريان

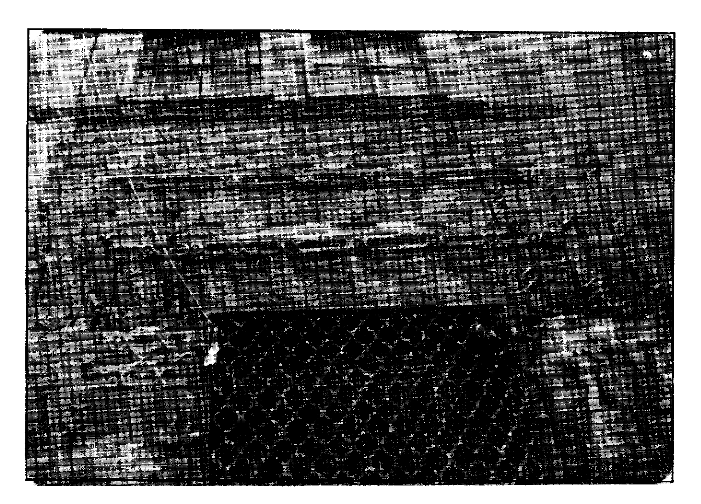


لوحة (٤٠)
طاقية المدخل السابق

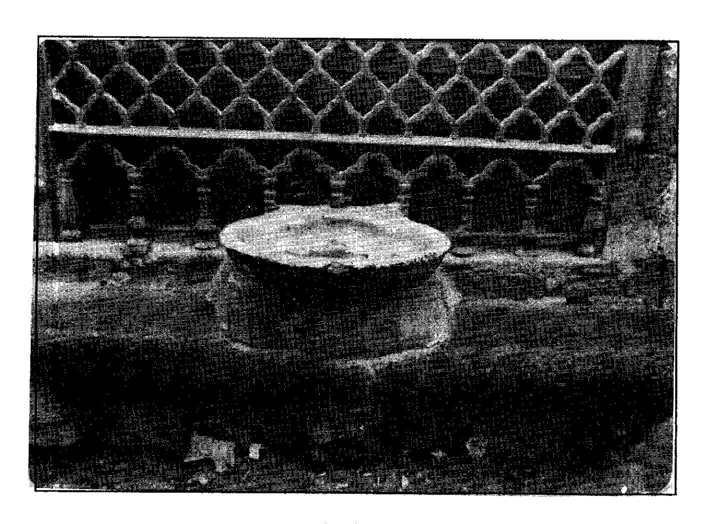
لوحة (٤١)
الزخارف النباتية التى تحيط بالعتب والعقد العاتق الخاص بمدخل سبيل أحمد العريان



لوحة (٤٢)
شباك التسبيل الخاص بسبيل أحمد العريان



لوحة (٤٣)
الأشرطة الزخرفية التى تعلو شباك التسبيل
الخاص بسبيل أحمد العريان

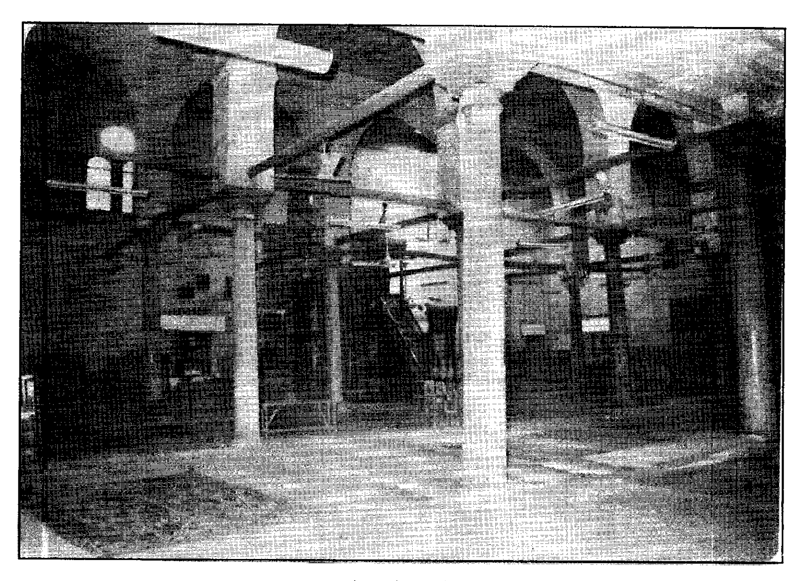


لوحة (٤٤)
تفصيل للجزء الذى يتقدم شباك التسبيل بسبيل أحمد العريان



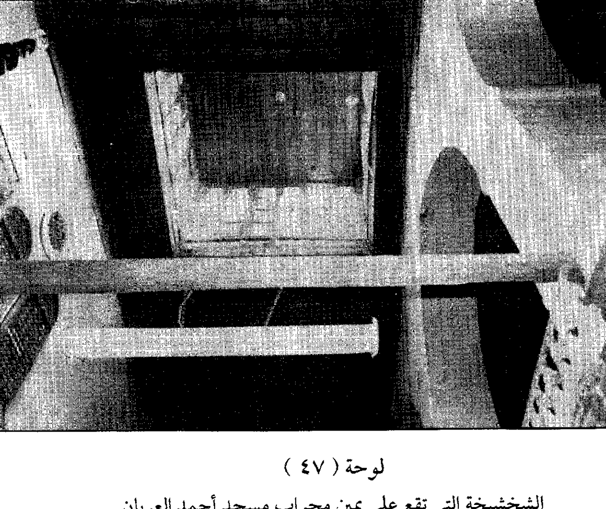
لوحة (٤٥)

فتحة سبيل الدواب وإلى جوارها فتحة تزويد السبيل بالمياه



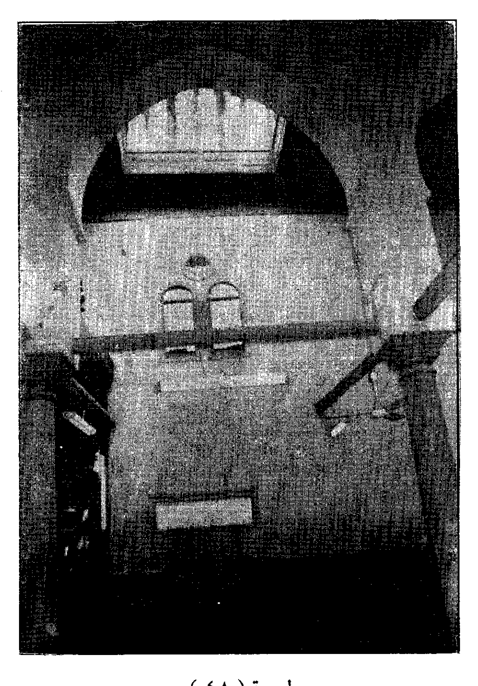
لوحة (٤٦)

ظلة القبلة بمسجد أحمد العريان



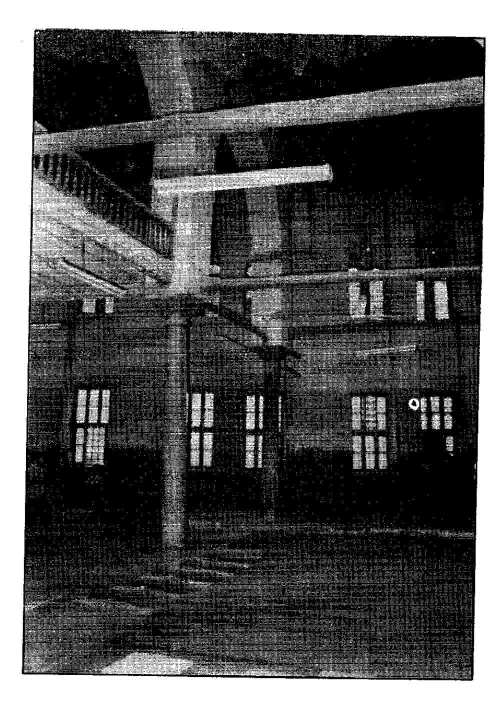
لوحة (٤٧)

الشخشيخة التى تقع على يمين محراب مسجد أحمد العريان

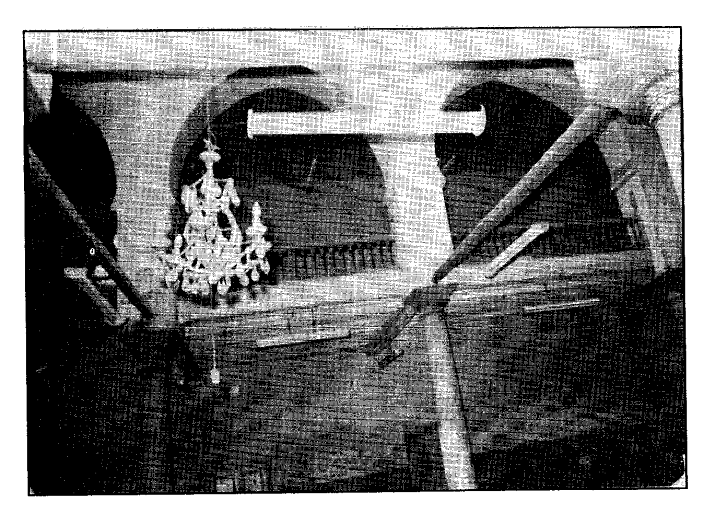


لوحة (٤٨)

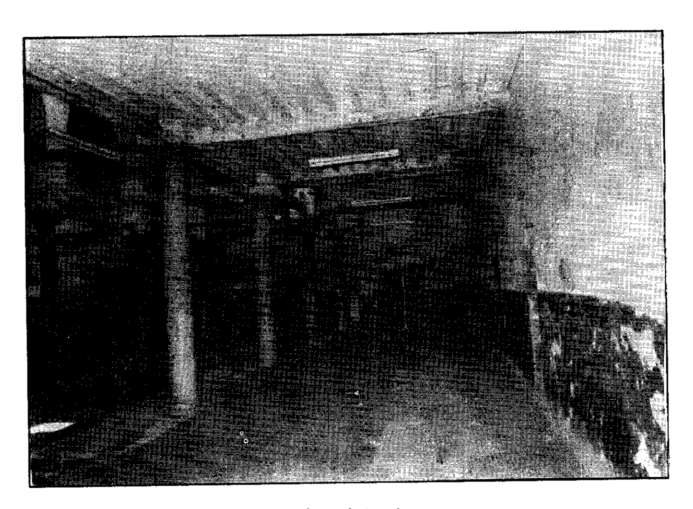
أحد عقود البائكة التى تتقدم محراب مسجد أحمد العريان



لوحة (٤٩)
بائكة الظلة الشمالية الغربية يظهر بها دكة المبلغ محمولة على
أعمدتها



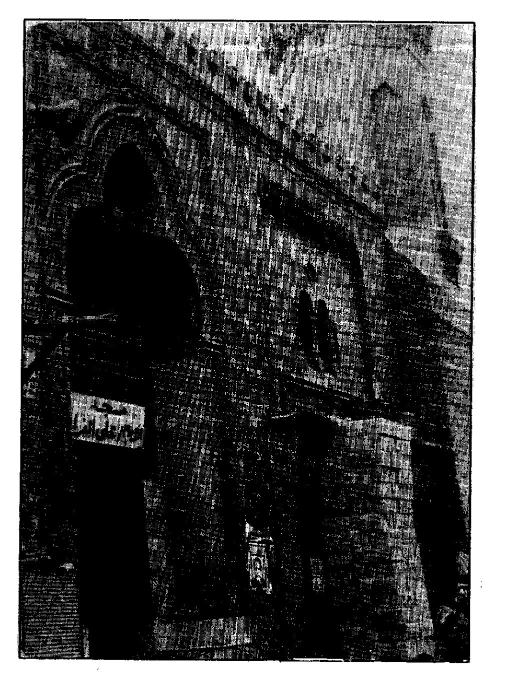
لوحة (٥٠)
دكة المبلغ بمسجد أحمد العريان



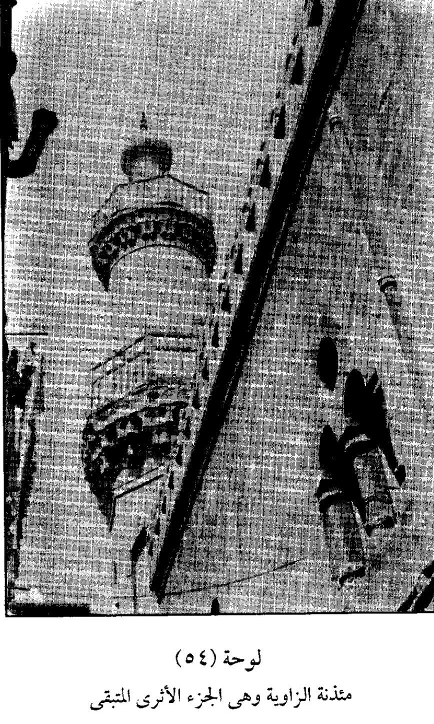
لوحة (٥١)
بائكة الظلة الشمالية الغربية الثانية التى يفتح فى نهايتها الجنوبية الغربية باب يؤدى إلى الميضأة والمدافن



لوحة (٥٢)
المنبر والمحراب بمسجد أحمد العريان



لوحة (٥٣)
زاوية الأبناسى المعروفة خطأ بزاوية على الفرا



لوحة (٥٤)
مئذنة الزاوية وهى الجزء الأثرى المتبقى



لوحة (٥٥)
البدن المثمن الخاص بمئذنة الأبناسى



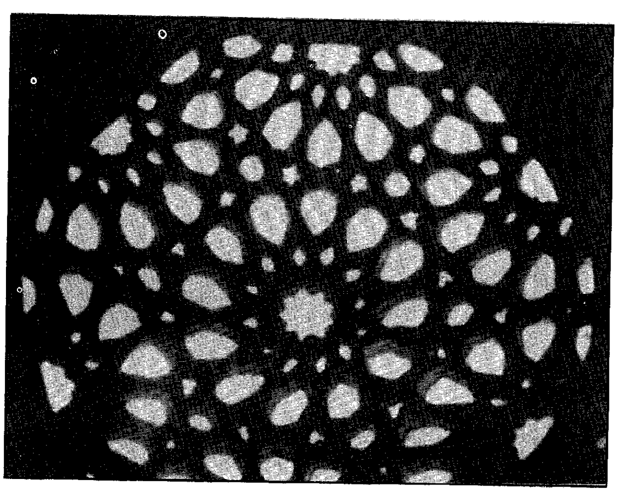
لوحة (٥٦)
دورة المئذنة ذات السياج الخشبي



لوحة (٥٧)
المئذنة السابقة تنتهي بالقمة العثمانية



لوحة (٥٨)
منظر علوى لقبة عبد الرؤوف المناوى (١٠٣١ هـ)



لوحة (٥٩)
زخرفة القبة من الداخل

أولا : الوثائق

١ ـ وثائق وزارة الأوقاف :

١ ـ وثيقة رقم ٧١٩ ج / الأوقاف (نوعها وقف) ، باسم الأبناسى ، مؤرخة ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٩٦ هـ .

٢ ـ وثيقة ٥٨٥ ج / الأوقاف (نوعها استبدال) ، باسم : على بن عثمان ، مؤرخة سنة ٨٩٢ هـ .

٣ ـ وثيقة ٣٩٦ / أوقاف ، باسم : يوسف بن عبد الله باشجاويش ، مؤرخة سنة ١٠٧٢هـ .

٤ ـ وثيقة ٣١٠٤ / أوقاف ، باسم : الحاج حجارى أحمد السعيد ، مؤرخة ٨ ذى القعدة سنة ١١١٩هـ .

٥ ـ وثيقة ٢٧١ / أوقاف ، باسم : فاطمة خاتون بنت المرحوم مصطفى كتخدا ، مستحفظان ، مؤرخة ١١٤٤هـ .

٦ ـ وثيقة ٢٧٨ / أوقاف ، باسم : صالحة خاتون ، مؤرخة ١١٨٠ هـ .

٧ ـ وثيقة رقم ٤٢٥ /أوقاف ، باسم: الزينى سليم معتوق المرحوم الحاج على السقا، مؤرخة ١٢٠٥هـ .

٨ ـ وثيقة ٢١٩١ /أوقاف، باسم : زين الدين عبد الفتاح الجوهري ، مؤرخة سنة ١٢١٠ هـ .

٩ ـ وثيقة ٦٥٠ /أوقاف ، باسم : مصطفى دبل البطاينى ، مؤرخة سنة ١٢١٤ هـ.

٢ـ وثائق دار الوثائق القومية بالقلعة :

أ ـ وثيقة ٢٢١/ القلعة ، باسم: بدر الدين الونائى ، مؤرخة بـ٢٥ ذى الحجة سنة ٩٠٢هـ.

ب ـ وثيقة ١٧٣ /القلعة ،قام بنشرها الباحث أحمد محمد أحمد ، ضمن رسالته للماجستير عن المنشآت الصناعية خلال العصر المملوكى من خلال الوثائق ،آداب سوهاج.

جـ ـ وثيقة ١١٠/ القلعة ،ينشرها أيضا الباحث أحمد محمد أحمد .

٣ ـ وثائق سجلات المحاكم الشرعية :

أ ـ سجلات الدشت ، محكمة الباب العالى بالشهر العقارى بالقاهرة :

- سجل دشت رقم (١) ، مؤرخ سنة ٩٢٩هـ .

ب ـ سجلات القسمة العسكرية بالشهر العقارى .

- سجل رقم ١٨٤ ـ قسمة عسكرية .

جـ ـ سجلات محكمة أحمد الزاهد بالشهر العقارى بالقاهرة :

١ ـ سجل عام ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م :

- وثيقة رقم ١٦ ، ص٥ .
- وثيقة رقم ٥٦ ، ص١٥ .
- وثيقة رقم ٥٨ ، ص١٥ .
- وثيقة رقم ٤٦٢ ، ص١٣٩ .

٢ ـ سجل عام ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م :

- وثيقة ٥٧ ، ص١٧ .
- وثيقة ١٥٥ ، ص٤٤ .

٣ ـ سجل عام ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤م :

- وثيقة ٢٧٤ ، ص٧٨ .
- وثيقة ٢٧٦ ، ص٧٨ .
- وثيقة ٢٨٧ ، ص٨٢ .
- وثيقة ٤٦٢ ، ص١٣٤ .
- وثيقة ٤٦٩ ، ص١٣٦ .
- وثيقة ٩١٨ ، ص٢٧٧ .

٤ ـ سجل عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩م :

- وثيقة ٥٨ ، ص٧٩ .

٥ ـ سجل عام ٩٩١هـ / ١٥٨٣ م :

- وثيقة ١٨ ، ص٥٠
- وثيقة ٦٤ ، ص١٨ .
- وثيقة ١٦٩ ، ص٤٩ .
- وثيقة ٢٧١ ، ص٧٤ .
- وثيقة ٢٧٦ ، ص٧٤ .
- وثيقة ٦٦٨ ، ص ١٨٩ .

٦ ـ سجل عام ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م :

- وثيقة ٨٠٢ ، ص ٢٢٨ .

٧ ـ سجل عام ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥م :

- وثيقة ٩٠ ، ص ٢٨ .
- وثيقة ١٣٨ ، ص٤٦ .
- وثيقة ٥٥١ ، ص ١٨٦ .

٨ ـ سجل عام ٩٩٥ هـ / ١٥٩٠م :

- وثيقة ٩٧٧ ، ص٣٣٥ .

٩ ـ سجل عام ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م :

- وثيقة ٤٥٩ ، ص١٦٢ .
- وثيقة ٤٩٠ ، ص١٧٥ .
- وثيقة ٥٦٣ ، ص٢٠٢ .
- وثيقة ٦٣٥ ، ص٢٢٨ .

١٠ ـ سجل عام ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١م :

- وثيقة ٧٣٧ ، ص٣٦٢ .

١١ ـ سجل عام ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م :

- وثيقة ٥١ ، ص٤٦ .
- وثيقة ١٢٨ ، ص٣٩ .
- وثيقة ١٧٢ ، ص٥٤ .
- وثيقة ٣٣٥ ، ص١١٥ .
- وثيقة ٤٧٥ ، ص١٤٣ .
- وثيقة ٤٩٥ ، ص١٥٠ .
- وثيقة ٨٢٨ ، ص٢٣٩ .

١٢ ـ سجل عام ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م :

- وثيقة ١١٧ ، ص٣٩ .
- وثيقة ٢٤٥ ، ص٧٧ .
- وثيقة ٢٤٨ ، ص٧٨ .
- وثيقة ٨١٤ ، ص٢٦٩ .
- وثيقة ٨٩٤ ، ص٢٢٩ .

١٣ ـ سجل عام ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م :

- وثيقة ٢٠ ، ص٥.
- وثيقة ١٠٣ ، ص٨٩ .
- وثيقة ٣٠٩ ، ص١٠٢ .

١٤ ـ سجل عام ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م :

- وثيقة ١١٣ ، ص٣٩ .
- وثيقة ١٣٥ ، ص٤٥ .
- وثيقة ٥٦٩ ، ص١٧٣ .
- وثيقة ٦٠٨ ، ص١٩٤ .
- وثيقة ١٢٨٩ ، ص٣٩٩ .
- وثيقة ١٣٥٠ ، ص٤١٥ .
- وثيقة ١٧١٦ ، ص٥٢٣ .

١٥ ـ سجل عام ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م :

ـ وثيقة ٣٠٣ ، ص٨٥ .
ـ وثيقة ٤٣٠ ، ص١١١ .

١٦ ـ سجل عام ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م :

ـ وثيقة ٢٨١٠ ، ص٧٤٤ .

١٧ ـ سجل عام ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٦م :

ـ وثيقة ١٢٠ ، ص٣٣ .
ـ وثيقة ٢٥٨ ، ص٧٣ .
ـ وثيقة ٢٧٧ ، ص٨١ .
ـ وثيقة ٣٢٠ ، ص١٦ .
ـ وثيقة ٣٢٨ ، ص٩٨ .
ـ وثيقة ٤٢٨ ، ص١٣٢ .

١٨ ـ سجل عام ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨ م :

ـ وثيقة ٢٦٨ ، ص٨٢ .
ـ وثيقة ٦٤٣ ، ص١٩٩ .
ـ وثيقة ٧٦٥ ، ص٢٣٣ .
ـ وثيقة ٨٦٨ ، ص٢٦٢ .
ـ وثيقة ٩٢٠ ، ص٢٧٧ .

١٩ ـ سجل عام ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م :

ـ وثيقة ٢٦٦٨ ، ص٧٢١ .

٢٠ ـ سجل عام ١١٢٤ هـ / ١٧١٠م :

ـ وثيقة ١ ، ص٢ .
ـ وثيقة ٢٢١ ، ص١١٢ .

٢١ ـ سجل عام ١١٢٨ ـ ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ ـ ١٧٢٠ م :

ـ وثيقة رقم ٣٩ ، ص٢٠ .

٢٢ ـ سجل عام ١١٣١ ـ ١١٣٤ هـ / ١٧١٩ ـ ١٧٢٢م :

ـ وثيقة ٢٣٥ ، ص١١٣ .
ـ وثيقة ٣٣٩ ، ص١٦٠ .
ـ وثيقة ٤٥٢ ، ص٢١٥ .

٢٣ ـ سجل عام ١١٤٢ ـ ١١٤٤ هـ / ١٧٢٩ ـ ١٧٣١م :

ـ وثيقة ٢٤ ، ص١٣.
ـ وثيقة ٤٩ ، ص٢٨ .
ـ وثيقة ٨٢ ، ص٥٠ .
ـ وثيقة ١٠٩ ، ص٦٣ .
ـ وثيقة ١١٧ ، ص٦٩ .
ـ وثيقة ١٦٨ ، ص٩٥ .

- وثيقة ١٩١ ، ص١٤٤ . - وثيقة ٢٣٦ ، ص١٣١ .
- وثيقة ٢٥٦ ، ص١٤٠ . - وثيقة ٢٦٥ ، ص١٤٦ .

٢٤ - سجل عام ١١٥٤ هـ/ ١٧٢١م :

- وثيقة ٢٣ ، ص ٩ . - وثيقة ٣٤ ، ص١٣ .

٢٥ - سجل عام ١١٦٤ - ١١٦٥ هـ/ ١٧٥٠ - ١٧٥١ م :

- وثيقة ١٨٥ ، ص٧٢ . - وثيقة ٣١١ ، ص١٣١ .

٢٦ - سجل عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م :

- وثيقة ٨٧٨ ، ص٣٦٥ . - وثيقة ٨٨١ ، ص٣٦٦ .

٢٧ - سجل عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م :

- وثيقة ١٤١ ، ص٥٧ .

٢٨ - سجل عام ١١٩٧ - ١١٩٨ هـ/ ١٧٨٢ - ١٧٨٣م :

- وثيقة ٤٨٢ ، ص١٨٤ . - وثيقة ٨٤٢ ، ص٣٢٨ .
- وثيقة ٩٦٧ ، ص٣٨٤ . - وثيقة ١٦٨٦ ، ص٦٧٦ .

ثانيا : المصادر المخطوطة

أبو السرور البكرى ، مخطوط ، (١٠٠٥ - ١٠٨٧ هـ) ، قطف الأزهار من الخطط والآثار ، مخطوط بدار الكتب ، رقم ٤٥٧ ، جغرافيا .

ثالثا : المصادر المطبوعة

ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى) ٦٤٨ - ٧٢٩هـ/ ١٢٥٠ - ١٣٢٩م:

١ - معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق : محمد محمود شعبان ، صديق أحمد عيسى المطيعى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى) :

٢ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٦ أجزاء فى خمسة مجلدات ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) ٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ :

٣ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن دار الكتب ،١٦مجلدًا.

ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على بن حجر) :

٤ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشى ، ثلاثة أجزاء .

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت٨٠٩ هـ :

٥ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ، ١٣٠٩هـ .

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) :

٦ـ فتوح مصر وأخبارها،طبع ليدن ، ١٩٢٢م.

ابن القلانسى :

٧ ـ ذيل تاريخ دمشق،بيروت،١٩٠٨م.

أبو شامة :

٨ ـ الروضتين فى أخبار الدولتين ، طبعة النيل .

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى) :

٩ ـ سيرة أحمد بن طولون،تحقيق: محمد كرد على ،المكتبة العربية ،دمشق،١٣٥٨هـ.

الحموى (ياقوت بن عبد الله) ت ٦٢٦ هـ :

١٠ـ معجم البلدان ، المجلد الثانى ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٦م.

السخاوى : (شمس الدين محمد عبد الرحمن):

١١ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة،لبنان.

السيوطى (جلال الدين) :

١٢ـ حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ،جزءان.

الشعرانى (عبد الوهاب):

١٣ـ لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ،بولاق ١٢٨٦ هـ .

القلقشندى (أبو العباس أحمد) ت ٨٢١ هـ :

١٤ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ مجلدًا ، القاهرة ، ١٩١٤م .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ :

١٥ ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، جـ١ ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٨م .

١٦ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزءان)، مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع .

١٧ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر : محمد مصطفى زيادة .

الجبرتى (عبد الرحمن) :

١٨ ـ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة .

على باشا مبارك :

١٩ ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الطبعة الثانية ، مطبعة بولاق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م .

رابعا : المراجع الحديثة

أبو زيد شلبى :

١ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، مكتبة وهبة ، ١٩٦٤ م .

أحمد الصاوى :

٢ ـ المجاعات و تأثيرها فى النواحى المالية والحضارية زمن الفاطميين، (مخطوط)، رسالة ماجستير كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.

أحمد فكرى :

٣ ـ مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الأول، العصر الفاطمى، دار المعارف، ١٩٦٥م .

أحمد فؤاد ، مصطفى محمد حسين :

٤ ـ فن السجاد اليدوى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م .

أحمد محمد أحمد :

٥ ـ المنشآت الصناعية فى العصر المملوكى (مخطوط) ، رسالة ماجستير ، آداب سوهاج، ١٩٨٥م .

إدوارد لين :

٦ ـ المصريون المحدثون، عاداتهم وشمائلهم، ترجمة: عدلى طاهر نور، القاهرة، ١٩٧٥م.

السيد رجب حراز :

٧ ـ المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى الاحتلال البريطانى ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م .

آمال العمرى :

٨ ـ المنشآت التجارية فى العصر المملوكى ، (مخطوط) ، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٤م.

أندريه ريمون :

٩ ـ فصول من تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر العثمانى ، ترجمة : زهير الشايب ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

أولج فوكلف :

١٠ ـ القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة ، ترجمة : أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الألف كتاب الثانى ، العدد الثانى عشر ، ١٩٨٦م .

برنارد لويس :

١١ ـ النقابات الإسلامية ، ترجمة : عبد العزيز الدورى ، مجلة الرسالة ، أعداد ٣٥٦ ـ ٣٥٨ .

بول كازانوفا :

١٢ ـ تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة : أحمد دراج ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م .

توفيق الطويل :

١٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

جمال مرسى :

١٤ ـ المنسوجات الحريرية فى مصر المملوكية ، (مخطوط) رسالة ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٦م .

جميل بك العظم :

١٥ ـ عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فأكثر ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، ١٣٤٦هـ .

جورجى زيدان :

١٦ ـ تاريخ التمدن الإسلامى ، مطبعة الهلال بالفجالة ، ١٩٠٣م .

جيرار (ب . س) :

١٧ ـ موسوعة الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر الميلادى ، علماء الحملة الفرنسية ، ترجمة : زهير الشايب ، الجزء الأول .

حسن إبراهيم حسن :

١٨ ـ تاريخ عمرو بن العاص ، القاهرة ، ١٩٢٢م .

١٩ ـ الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، المطبعة الأميرية ، بالقاهرة ، ١٩٣٢م .

٢٠ ـ المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ، النهضة المصرية ، ١٩٤٧م .

حسن الباشا :

٢١ ـ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، (ثلاثة أجزاء) ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م .

حسن الباشا :

٢٢ ـ دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، النهضة المصرية ، ١٩٧٥م .

٢٣ ـ مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م .

٢٤ ـ دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، تونس ، ١٩٨٧م .

حسن الباشا وآخرون :

٢٥ ـ القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، وآثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

حسن عبد الوهاب :

٢٦ ـ تاريخ المساجد الأثرية ، (جزءان) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦م .

٢٧ ـ المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، مجلة المجلة ، العدد ٢٧ ، مارس ، ١٩٥٩م .

حسن قاسم :

٢٨ ـ المزارات الإسلامية ، الجزء الخامس والسادس ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

حسنى نويصر :

٢٩ ـ منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٥م .

٣٠ ـ مجموعة سبل السلطان قايتباى ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، ١٩٧٠م.

درويش النخيلى :

٣١ ـ السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ، ١٩٧٩م .

درويش مصطفى :

٣٢ ـ من تاريخ القهوة ، مجلة الدوحة ، العدد ١٢٣ ، جمادى الآخرة ، ١٩٨٦م .

دولت عبد الله :

٣٣ ـ معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

راشد البراوى :

٣٤ ـ حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرية ، ١٩٤٨م.

ربيع حامد خليفة :

٣٥ ـ الصور الشخصية فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، ١٩٨١م.

٣٦ ـ فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، نهضة الشرق ، ١٩٨٤م .

زهير الشايب :

٣٧ ـ وصف مصر ، جزء اللوحات ، مكتبة مدبولى ، ١٩٨٦م .

سعاد ماهر :

٣٨ ـ البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٣م .

٣٩ ـ الكليم ، بحث منشور بمجلة كلية الآثار ، العدد الثانى ، ١٩٧٧م .

٤٠ ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الخامس ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٨٥م .

سعاد محمد حسن حسنين :

٤١ ـ الحمامات فى مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م .

سعيد عبد الفتاح عاشور :

٤٢ ـ المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية، ١٩٦٣م .

سهام مصطفى أبو زيد :

٤٣ ـ الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر المملوكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

سوسن سليمان :

٤٤ ـ منشأة قجماس الإسحاقى ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، ١٩٨٥م .

سيف النصر أبو الفتوح :

٤٥ ـ مداخل العمائر المملوكية ، رسالة ماجستير،كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

شايرول (ج . دى) :

٤٦ ـ دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة : زهير الشايب ، الطبعة الثانية ، المجلد الأول ، الخانجى ، ١٩٧٩م .

شادية كشك :

٤٧ ـ أشغال الخشب فى عمائر العصر العثمانى ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م .

صلاح أحمد هريدى :

٤٨ ـ الحرف والصناعات فى عهد محمد على ، دار المعارف ، ١٩٨٥م .

طافور :

٤٩ ـ (الرحلة) ، ترجمة : حسن حبشى ، دار المعارف ، ١٩٦٨م .

عارف تامر :

٥٠ ـ القرامطة ، أصلهم ، نشأتهم ، تاريخهم ، حروبهم ، دار الكتاب العربى ، بيروت، ١٩٦٥م .

عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور :

٥١ ـ مصر فى العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م .

عبد الرحمن زكى :

٥٢ ـ عواصم مصر الإسلامية ، بدون تاريخ .

٥٣ ـ القاهرة ، تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ،القاهرة ، ١٩٦٦م.

٥٤ ـ موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٥٥- امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك ، مقال بأبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩م ، دار الكتب ، ١٩٧١م .

عبد الرحمن عبد التواب :

٥٦ - منشآتنا المائية عبر التاريخ ، المكتبة الثقافية .

عبد الرؤوف المناوى :

٥٧ - الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، جـ١ ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م ، مطبعة الأنوار .

عبد النعيم حسنين :

٥٨ - قاموس الفارسية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

عبد الوهاب بكر :

٥٩ - الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، دار المعارف ، ١٩٨٢م .

عراقى يوسف :

٦٠ - الوجود العثمانى المملوكى فى مصر فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، دار المعارف ، ١٩٨٥م .

عطيات عبد القادر حمدى :

٦١ - جغرافية العمران ، دراسة موضوعية تطبيقية ، دار المعارف ، ١٩٦٤م .

عطية مصطفى مشرفة :

٦٢ - نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م .

على إبراهيم حسن :

٦٣ - تاريخ جوهر الصقلى ، قائد المعز لدين الله الفاطمى ، مطبعة حجازى ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٣م .

على بهجت والبير جبرائيل :

٦٤ - حفائر الفسطاط ، القاهرة ١٩٢٨م .

فريد شافعى :

٦٥ ـ العمارة العربية فى مصر فى عصر الولاة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

قاسم عبده قاسم :

٦٦ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، ١٩٧٩م.

٦٧ ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، كراسة رقم ٧ ، سنة ١٨٩٠م .

كلوت بك :

٦٨ ـ لمحة عامة إلى مصر ، (جزءان) .

كمال الدين سامح :

٦٩ ـ العمارة الإسلامية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م .

ليلى عبد اللطيف أحمد :

٧٠ ـ دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى ، مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٨٠ م .

محمد الحسينى عبد العزيز :

٧١ ـ المدينة الإسلامية، تخطيطها ومرافقها الحيوية ،مقال بمجلة الكويت ، العدد ٢٠١ .

محمد حمدى المناوى :

٧٢ ـ الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، دار المعارف ، ١٩٧٠م .

٧٣ ـ نهر النيل فى المكتبة العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

محمد رمزى :

٧٤ ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥م .

محمد سيد كيلانى :

٧٥ ـ الأدب المصرى فى العصر العثمانى ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

محمد كمال السيد :

٧٦ ـ أسماء ومسميات من مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

محمود الحسينى :
٧٧ ـ الأسبلة فى العصر العثمانى، رسالة ماجستير، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م .
محمود عباس حمودة :
٧٨ ـ المدخل إلى دراسة الوثائق العربية ، دار الثقافة للنشر ، ١٩٨٤ م .
مختار الكسبانى :
٧٩ ـ جامع الأمير تمراز الأحمدى، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦م .
مصطفى نجيب :
٨٠ ـ منشأة الأمير قرقماس أمير كبير ، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٥م .
٨١ ـ نظرة جديدة على النظام المعمارى للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكى الجركسى ، ٧٨٤ ـ ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م ، الكتاب الذهبى ، مجلة كلية الآثار ، جـ٢ ، ١٩٧٨م .
٨٢ ـ المزملة كمورد لمياه الشرب بمنشآت القاهرة فى العصر المملوكى ، مجلة كلية الآثار ، العدد الثانى ، ١٩٧٧م .
مكس هرتس :
٨٣ ـ محاضر لجنة حفظ الآثار العربية ، المجموعة الحادية والعشرون ، ١٩٠٤ م .
٨٤ ـ ملف أثر سيدى مدين ، رقم ٨/ ١٥٠/ ٨٢ ، أرشيف هيئة الآثار المصرية .
٨٥ ـ ملف أثر أحمد الزاهد ، ٨/ ١٥٠/ ٨٣ ، أرشيف هيئة الآثار المصرية .
٨٦ ـ ملف أثر سيدى على الفرا ، ٨/ ١٥٠ / ١٦٦ ، أرشيف هيئة الآثار المصرية .
ناصرى خسرو علوى :
٨٧ ـ سفر نامه ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مطبوعات معهد اللغات الشرقية ، كلية الآداب ، ١٩٤٥م ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .
نعمت أبو بكر :
٨٨ ـ المنابر فى مصر فى العصرين المملوكى والتركى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م .
هاملتون جب ، هارولد بؤون :
٨٩ ـ المجتمع الإسلامى والغرب ، ترجمة : أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الجزء الثانى ، (الحكومة والإدارة فى الولايات العربية) ، دار المعارف ، ١٩٧١م .
هدايت على تيمور :
٩٠ ـ جامع الملكة صفية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

خامسا : المراجع الأجنبية

1 - Abd Al Wahab , (H), .

- A Mong IslaMic Monements .
- Dame Decoritions by means of pierced openings,(an Article) in Studies in Islamic Art and Architecture in Honover of Professor Creswell American University in Cairo Press , 1965 .

2 - Abou Seif , (Doris) ,.

- Azbakiyya and its Environs from Azbak to Ismail , Le Caire , 1985 .
- The Minarets of Caire , American University Cairo Press.

3 - Comite de Conservation de Monementsde L'art Arabe ,Exeraies ,1925 - 1926.

4 - Creswell , (K.A.C.) ,.

- The Muslim Architecture of Egypt (Ikhshids and Fatimids) , Oxford , 1952 . , Vol . II , 1959 .
- Origin of the Cruciform Plan of Cairene Madrasas , Le Caire , 1922 .
- The works of Sultan Bibars Al - Bundaqdiri in Egypt , Le Caire .

5 - Description de L' Egypte Etat Moderne , II Tome, Paris, MDCCCXXIII 2nd edition .

6 - Devonshire , (R . L .) ,.

- L ' Egypte Musulmane et Les Fondateurs de Les Monements , Paris , 1926 .

7 - Hanna , (Nelley) ,.

- An Arban Histery of Bulaq in the Mamluk and Ottoman periods , Supplement Aux , Annales Islamalogigues , Le Caire , 1983 .

8 - Hautecaeur , (Louis) , et Wiet , (Gaston) ,.

- Les Mosquees du Caire , Paris , 1932 .

9 - Lamp lough , (A . O .) , and Francis , (R .) , .

- Cairo and its Environs , London , 1909 .

10 - Lane , (E .) ,.

- An Accaunt of The Manners And Customs , London , 1886 .

11 - Margoliouth , (D . S .) ,.

- Cairo , Gerusaleum , and Damascus , London , 1907 .

12 - Raymand , (A .) ,.

- Artisans et Commercents au Caire au XVIII Siecle . Tome I , Damas , 1973 .

13 - Raymond et , Wiet , (G.) ,.

- Les Marches Du Caire .

14 - Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe . Tome XV , Le Caire , 1956 .

15 - Ross , (D .) ,.

- The Art of Egypt Through The Ages , London , 1931 .

16 - Russell , (Dorothea) ,.

- Medieval Cairo and The Manasteries of Wadi Natrun , London, 1962.

17 - Wiet , (G.) ,.

- The Mosques of Cairo . Translated From French by johns Hardman , Libraine Hachette , 1966 .

18 - Williams , (John Ajden) ,.

-The Monements of Ottaman Cairo (An Article) , in Colloque in International Sur L'Histoire du Caire , Germany , 1969 .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

المنشآت المعمارية

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٣٣٩٥/ ٢٠٠٠م

I.S.B.N:977-15-0293-x